نظم تصنيف المعرفة عندالمسلمين

دراسة تحليلية

إعداد

ناهد محمد سالم

كلية الآداب ـ جامعة الأسكندرية

تقديم

الأستاذ الدكتور

شعبان عبد العزيز خليفة

أستاذ ورئيس قسم المكتبات والمعلومات

كلية الآداب – جامعة القاهرة

الأستاذ الدكتور

ماهر عبد القادر محمد

أستاذ ورئيس قسم الفلسفة

كلية الآداب – جامعة الأسكندرية

دار الثقافة العلمية

٢٠٠٠

الناشر
دار الثقافة العلمية
دار نشر متخصصة فى المكتبات والمعلومات
الأسكندرية : ٤٧ شارع مرتضى باشا - جناكليس
ت : ٥٧٤٧٠٣٤   فاكس : ٥٧٢٨١٧٦

إهـــداء

إلى زوجى

وأولادى

شــريــن ، أحــمـد

أهدى هذا الكتاب وفاءً أو عرفاناً وتقديراً.

ناهد

قائمة المحتويات

تقديم

بقلم أ.د شعبان عبد العزيز خليفة

يعرف العاملون فى حقل الفلسفة وعلم المكتبات والمعلومات أن التصنيف هو سيد فروع المعرفة البشرية وأنه أبو العلوم كلها.

والتصنيف من حيث هو التقسيم المنطقى لجزئيات المعرفة البشرية وتحليل وتركيب العلاقات بينها ويتداعى من الأعم إلى العام إلى الخاص فالأخص فالأكثر خصوصية؛ ينتج لنا فى النهاية شجرة أو خريطة هرمية للمعرفة يستطيع الناظر إليها والمتعامل معها أن يحدد موقع كل موضوع وارتباطه مع الموضوعات الأخرى.

والتصنيف من هذا المنطلق يعودنا على التفكير المنطقى السليم من جهة ويحملنا على تأدية أعمالنا اليومية التطبيقية بطريقة تلقائية بما يوفر الوقت والجهد والمال، ولا نغالى إذا قلنا أن التصنيف يملأ حياتنا اليومية العامة والخاصة على السواء وهو ما يمسك على الحياة نظامها وفاعليتها وبدونه سوف تتحول الحياة إلى فوضى مطبقة.

والتصنيف من حيث هو عمل تطبيقى يستند إلى أسس نظرية فإنه بالضرورة ينطوى على شقين أحدهما فلسفى نظرى والآخر تطبيقى عملى؛ وهو ككل المهن يظهر فيه الشق العملى التطبيقى أولاً وبعد فترة طويلة من التطبيق والممارسة يظهر التنظير والتأطير والتعقيد. لقد مورس التصنيف عملاً وتطبيقاً منذ أقدم العصور سواء على مستوى وضع أنظمة التصنيف أو تطبيقها فى مؤسسات المعلومات. أما وضع أسس علم التصنيف ونظرياته وفلسفاته وقواعده وأطره فقد تأخر قروناً عديدة عن الممارسة والتطبيق.

ويحلو لعلماء المعلومات أن يقسموا التصنيف إلى ثلاث فئات هى : التصنيف الفلسفى (أو تصنيف المعرفة) والتصنيف الببليوجرافى (أو تصنيف الكتب) و التصنيف المكتبى (أو التصنيف العملى).

والتصنيف الفلسفى يتعامل مع جزئيات المعرفة البشرية المجردة دون أن تعالج كموضوع فى عمل فكرى ودون أن تصبحها مادة علمية تجسدها. هنا تعالج

الجزئيات كخطوط عريضة للمعرفة ويقصد بالمعالجة تنظيمها على خريطة وتشبيك العلاقات والروابط فيما بينها وتكمن أسس التشبيك والتربيط فى عقل واضع التصنيف قد يبديها وقد يخفيها ولكنه فى الأعم الأغلب يخفيها ولا يبديها.

والتصنيف الببليوجرافى أو تصنيف الكتب يتعامل مع جزئيات المعرفة البشرية وقد عولجت كمادة علمية فى أوعية تحملها ومن ثم تكون قد استحالت إلى أرواح فى أجساد وللأجساد متطلباتها وانعكاساتها على كيفية التصنيف. والتصنيف الببليوجرافى يتعامل مع أوعية المعلومات على إطلاقها كما نشرت فى سوق المعلومات دون أن تنتظم أو تقتنى فى مكان معين يتطلب الأمر معه اختزانها فيه واسترجاعها منه.

أما التصنيف المكتبى - وقد يختلط مع التصنيف الببليوجرافى - فإنه يتعامل مع جزئيات المعرفة وقد عولجت فى أوعية ويتعامل مع الأوعية وقد سكنت مكاناً معيناً ويتطلب الأمر استرجاعها بأقل جهد وفى أقصر وقت ممكن. ولهذا التصنيف المكتبى هو الآخر متطلباته وانعكاساته ولعل أبرز متطلباته ضرورة وجود الرمز الذى يختزن به الوعاء على الرفوف ويسترجع به منها وغير ذلك من انعكاسات ومتطلبات أخرى.

والكتاب الذى أقدمه يستند فى حقيقة الأمر على رسالة الدكتوراة التى تقدمت بها الدكتورة ناهد سالم إلى قسم المكتبات والمعلومات بكلية الآداب بجامعة الأسكندرية. وتناولت فيها حلقة واحدة من حلقات التصنيف الفلسفى أى تصنيف المعرفة؛ ونقصد بهذه الحلقة "تصنيف العلوم عند المسلمين" فى القرون العشرة الهجرية الأولى. وهذه الحلقة هى فى الواقع درة حلقات التصنيف الفلسفى أو تصنيف المعرفة، وحيث لم تصلنا تصنيفات كثيرة للمعرفة من العصور القديمة، كما لم يدل المسيحيون فى العصور الوسطى المسيحية بدلو كبير فى هذا الصدد؛ وكان اختيار هذه الحلقة بالذات اختياراً موفقاً إلى أبعد حد، وإن كانت الفترة التى تغطيها الدراسة فترة واسعة من الناحية الزمنية، غزيرة التصانيف من الناحية العددية إلا أن الباحثة قد تعمقت الدراسة فى الزمان والمكان والكم بكفاءة واقتدار. وأنا لن أثنى على كفاءة

الباحثة وقدرتها وصلابتها وعمق تفكيرها وصبرها وجلدها فى أداء عملها، فهذا أمر أشارت إليه لجنة الحكم على الرسالة وأشادت به.

لقد عكست لنا الدراسة التى قامت بها الباحثة الحضارة العربية والإسلامية والحياة الفكرية والثقافية التى نبتت فيها تلك التصانيف.

فالتصنيف ابن بيته وهو كما يقول نابليون بونابرت عمل سياسى. وقد نجحت الباحثة فى رسم لوحة زيتية زاهية الألوان لواقع العلوم عند المسلمين فى حقبة الدراسة. وبعد تلك الخلفية التى عملت فيها التصانيف المدروسة تتبعت الباحثة نشأة التصانيف العربية الإسلامية على فتراتها المختلفة: فى العصر العباسى الأول فالعصر العباسى الثانى ثم فى العصرين العباسيين الثالث والرابع ثم فى العصر العثمانى وكأنى بالباحثة وهى تقسم دراستها إلى هذه الفترات تتمثل مقولة نابليون بونابرت فى أن التصنيف عمل سياسى، لأن الفترات التى قسمت إليها الدراسة هى فعلاً فترات سياسية انعكست على الحياة الفكرية وكان من الضرورى أن تنعكس على بنيات التصانيف ومكوناتها.

ولقد كان من الطبيعى أن تقدم الباحثة لدراستها بمقدمة تعرف فيها بالتصنيف وتبسط أنواعه ونشأة التصنيف عند العرب ومواضع العلوم فى التصانيف العربية وأسس تقسيم العلوم فيها ثم توزع التصانيف على أنواعها.

واعترافاً بالفضل لأهله وليس من قبيل التساهل فى التعبير، يجيء هذا البحث إضافة إلى التخصص وإضافة إلى المعرفة البشرية العامة والعربية، نجحت فيه الباحثة نجاحاً كبيراً منهجاً وعرضاً ومادة ولغة.

وفق الله الباحثة وسدد على طريق العلم خطاها.

أ.د. شعبان عبد العزيز خليفة

أستاذ ورئيس قسم المكتبات والمعلومات

كلية الآداب - جامعة القاهرة

تقديم

بقلم أ.د ماهر عبد القادر محمد على

تشكل منظومة المعرفة عند المسلمين اطاراً مهماً فى سياق المعرفة الإنسانية، وهو ما يتضح فى أكثر من جانب من الحياة العقلية العربية الإسلامية التى ازدهرت منذ القرن الثانى الهجرى، ومن بين الجوانب المهمة للعقلية الإسلامية النظر فى تصانيف العلوم، بما يكشف عن العلاقة بينها.

اهتم العلماء العرب بعلم التصنيف بصورة كبيرة، وانعكس هذا بشكل واضح على اهتماماتهم العلمية، وتناولهم للعلوم على نحو معين، وبيانهم للعلاقة بين العلوم وبعضها، ومدى استفادة علم ما من علم آخر بالصورة التى تحقق التكامل المعرفى.

والدراسة التى تقدمها الباحثة الدكتورة ناهد محمد بسيونى سالم، المدرس بقسم المكتبات بكلية الآداب جامعة الأسكندرية، تعتبر من الدراسات المهمة فى مجال الكشف عن أهمية علم التصنيف عند العلماء العرب.

وتكشف الدراسة عن العلاقة الوثيقة بين تصنيف العلوم عند المسلمين وطريقة التعليم، وأن التصانيف العربية استندت فى حالات كثيرة إلى المنهج الاستنباطى فى تقسيم المعرفة، واعتمدت فى حالات أخرى على المزاوجة بين المنهج الاستنباطى والمنهج الاستقرائى.

ومن جانب آخر فإن دراسة الباحثة تؤصل منظور الدراسات البينية إذ أن دراسة تصنيف العلوم يدخل مباشرة فى مجال دراسات تاريخ العلوم، كما يدخل بالضرورة فى إطار دراسات علوم المكتبات والتوثيق. وانتباه الباحثة إلى هذا الجانب يحسب لها، إذ إنها بتفعيل هذا الاتجاه تكون قد عملت على ترسيخ المفهوم العربى الإسلامى لدراسة العلوم من منطلق تكاملى تعتمد فيه العلوم على بعضها.

والذى لا شك فيه أن هذه الدراسة تكشف عن حقيقة أخرى مهمة وهى أن النظر فى منظومة المعرفة عند المسلمين لم يكن مبنياً على تصور نظرى وإنما التحمت التجربة والعلم التطبيقى بهذا التصور، وهو ما نجده عند جابر بن حيان وابن سينا وابن خلدون.

أضف إلى هذا ما امتازت به بعض فترات الحضارة العربية الإسلامية من ازدهار، وبصفة خاصة القرن الرابع الهجرى الذى ظهرت فيه تصانيف عديدة تنطوى على أفكار جديدة اشتملت على الجذور الحقيقية للتصانيف الحديثة والببليوجرافيا. مما يعكس عبقرية العقلية العربية فى هذا المجال.

وبعد، فإن هذه الدراسة التى تقدمها الدكتورة ناهد بسيونى أصابت كبد الحقيقة حين بينت أصالة علم التصنيف وأهميته عند العلماء العرب والمسلمين، وأن هذا العلم شكل مبحثاً مهماً فى سياق منظومة الأبحاث العقلية عندهم بالصورة التى جعلتهم يتفوقون على أقرانهم من علماء الغرب فى الفترة ذاتها.

وأعتقد أن دراسة الدكتورة ناهد تفتح الطريق أمام الباحثين لاستجلاء ودراسة هذا المجال الخصب الذى يحتاج إلى عشرات الدراسات لإثراء المكتبة العربية فى هذا الجانب.

الأسكندرية
٣٠ ديسمبر ١٩٩٩

دكتور
ماهر عبد القادر محمد على
أستاذ تاريخ وفلسفة العلوم

مقدمة

الحضارة العربية الإسلامية حضارة أصيلة لها إسهاماتها الفعلية فى مختلف العلوم والفنون والآداب، ويعد التصنيف أحد المجالات التى كان للعرب والمسلمين إسهاماتهم القوية فيها، بما وضعوه من خطط تصنيفية تنطوى على كثير من المفاهيم والقواعد التى تطبقها خطط التصانيف الحديثة، وكان لهم إسهام كبير فى وضع قواعد ساروا عليها فى تقسيم العلوم، وتحديد العلاقات بينها، وجعلوا للتصنيف مكاناً على خريطة المعرفة البشرية. وتعد هذه التصانيف العربية الإسلامية حلقة رئيسية من حلقات التقدم العلمى الحضارى، حيث أصبحت الحضارة العربية الإسلامية- بما أسهمت به من فكر فى مختلف فروع العلم- حلقة قوية فى سلسلة حلقات الحضارة الإنسانية تصل حضارات أمم سابقة عليها بالحضارة الأوربية التى أخذت عنها، وعلى الرغم من أهمية الدور العربى المسلم فى مجال التصنيف إلا أنه لم يوف حقه من البحث والتعريف من قبل مؤرخى علم التصنيف الغربيين، فنجد الكتابات الغربية كلها تغفل دور العرب فى العصور الوسطى وتقفز بدراسة التصنيف من الحضارة اليونانية إلى بدايات الحضارة الغربية.

وعلى المستوى العربى لم يحظ موضوع تصنيف المعرفة عند المسلمين بكتاب يوف هذا الموضوع حقه أو دراسة متخصصة سوى بضعة مقالات أو مقدمات كتب أو أجزاء من كتب، إلا أنها لم تخرج فى معظمها عن مجرد عرض لتلك التصانيف، أو حصرها أو التعريف بها، ولم تنفذ بعمق إلى أسس ترتيب العلوم فيها، أو القواعد والمفاهيم التصنيفية التى اتبعتها فى عرض العلوم على الخريطة التصنيفية، ومن ثم يهدف هذا الكتاب إلى دراسة شاملة وافية للتصانيف العربية الإسلامية عبر عشرة قرون منذ القرن الثانى الهجرى- على اعتبار أن ظهور أول التصانيف العربية الإسلامية يرجع إلى منتصف هذا القرن - إلى القرن الثانى عشر الهجرى، لأن ما جاء بعد هذا القرن يعد نقلاً عن غيره من التصانيف السابقة، أو دراسات قامت على التصانيف العربية الإسلامية، مثل التصانيف التى وضعها علماء الأزهر.

وقد عرض الكتاب لأربعة عشر تصنيفاً تمثل أهم التصانيف التى عبرت عن الاتجاهات التصنيفية العربية بما انطوت عليه من مفاهيم وقواعد جديدة فى مجال التصنيف.

وقد اشتمل الكتاب على ستة فصول. حيث تناول الفصل الأول علم التصنيف عند العرب والقواعد والأسس التى وضعها المصنفون العرب والمسلمون لتقسيم العلوم وترتيبها، ثم طرف التقسيم المتبعة فى التصانيف العربية الإسلامية، ثم أنواع التصانيف العربية الإسلامية.

أما الفصل الثانى فقد خصص للتعريف بإسهامات العرب والمسلمين فى كافة فروع المعرفة البشرية.

هذا وتتناول الفصول الربعة من الثالث إلى السادس أبرز التصانيف العربية الإسلامية التى كان لها إسهاماتها فى الفكر التصنيفى عبر عشرة قرون من عمر الحضارة العربية الإسلامية موزعة حسب العصور الإسلامية، فاختص الفصل الثالث بالعصر العباسى الأول، والفصل الرابع بالعصر العباسى الثانى، والفصل الخامس بالفترة التى تلت سقوط الدولة العباسية فى بغداد حتى انتقال زعامة العالم الإسلامى إلى العثمانيين، والفصل السادس بفترة الحكم العثمانى للعالم الإسلامى، وبلغ عدد التصانيف أربعة عشر تصنيفاً، موزعة حسب تاريخ كل تصنيف على الفصول الأربعة.

وقد درس كل تصنيف من حيث : نوعه، والهدف من وضعه وإعداد خريطة للعمل التصنيفى، والمنطق والفلسفة الكامنة وراء ترتيب العلوم داخل كل تصنيف، وأهم الملاحظات على العمل التصنيفى، وقواعد التصنيف ومفاهيمه التى برزت فى الخطة التصنيفية، وأهم مميزات التصنيف وعيوبه، وتأثير البيئة الثقافية والفكرية على العمل التصنيفى، والاتجاه الفلسفى لصاحبه، والتصنيف بين التأثير والتأثر، وتأثير الفكر الأرسطى على التصنيف؛ ومستوى المعالجة فى التصنيف، ومدى التناسق والتماسك فى العمل التصنيفى.

وختاماً لا يسعنى – بعد حمد الله وشكره على إتمام كتابة هذا الكتاب– إلا أن أتوجه بعظيم شكرى إلى الأستاذ الدكتور شعبان عبد العزيز خليفة أستاذ ورئيس قسم

المكتبات والمعلومات بكلية الآداب جامعة القاهرة، حيث كـــان لتوجيهاتـــه الســـديدة وملاحظاته الدقيقة أبلغ الأثر فى إنجاز هذا العمل، كما يطيب لى أن أتقـــدم بخـــالص شكرى إلى الأستاذ الدكتور ماهر عبد القادر محمد أستاذ ورئيس قسم الفلســـفة بكليـــة الآداب جامعة الأسكندرية الذى لم يبخل بوقته وجهده فى شرح العديد مـــن المفـــاهيم والمصطلحات الفلسفية، وإمدادي بالعديد من المصادر من مكتبته الخاصة، واهتمامـــه بتوجيهى وإسداء النصائح.

كما لا يفوتنى أن أتوجه بالشكر إلى كل من قدم لى عونـــاً ســـواء إمـــدادى بالكتب أو سعة صدره بمناقشة فى هذا الموضوع، وأخص بالذكر كل مـــن الأســـتاذ الدكتور عبد الحليم عطية أستاذ الفلسفة الإسلامية المساعد بكلية الآداب جامعة القاهرة، والأستاذ الدكتور أحمد أنور بدر أستاذ علم المكتبات بكلية الآداب جامعـــة الريـــاض، وأخى وزميلى الدكتور السيد النشار على تشجيعه لى وما قدمه لى من بعض المصادر فى بداية إعداد هذا الكتاب.

المؤلفة

الفصل الأول
التصنيف
تعريفه و مكانته فى تنظيم المعرفة

تعريف التصنيف :

التصنيف فى اللغة : صنف الشيء ، أى جعله أصنافاً ، و ميز بعضه عن بعض . و الصنف ـ بكسر الصاد و فتحها ـ النوع أو الضرب ، و الجمع أصناف وصنوف . (١)

أما كلمة '' *Classification* '' فى اللغة الإنجليزية فهى مشتقة من الكلمة اللاتينية '' *Class* '' التى يراد بها الطبقات التى ينتمى إليها أفراد المجتمع ، حيث قسم المجتمع الرومانى إلى ست طبقات حسب خصائص معينة ، مثل : الثروة ، و النسب، وغيرها . (٢)

والتصنيف فى علم المكتبات هو عملية عقلية تتعلق بالتعرف على الخاصية الجوهرية التى على أساسها يتم تجميع المواد المتشابهة ، و فصل المواد غير المتشابهة ، بهدف ترتيب هذه المواد بطريقة منهجية . و فى عرف المكتبيين تعنى الخاصية الجوهرية الموضوع أو المحتوى الفكرى للكتاب ، و وسيلة التعبير عن هذا المحتوى الفكرى ترجمته إلى لغة صناعية تسمى الرمز الذى يتكون من الحروف أو الأرقام أو الاثنين معاً .

أنواع التصانيف

إن خطط التصنيف الحديثة فى مجال المكتبات و المعلومات قد استفادت فى مراحل تطورها من خطط التصنيف الفلسفية أو العملية التى سبقتها عبر تاريخ الحضارة البشرية . و قد أصبحنا فى العصر الحديث نستخدم مسميات متعددة

للتصنيف ، مثل : التصنيف فـي المنطـق ، و التصنيـف الفلسـفى ، و التصنيـف البيبليوجرافى ، والتصنيف العلمى ، و سوف تعرض الباحثة هذه الأنواع المختلفـة و مدى العلاقة بينها .

التصنيف فى المنطق

التصنيف فى المنطق ترتيب نسقى ، و هو غايـة العلـم و سـر تقدمـه . و تصنيف أية مجموعة من الأشياء معناه وضعها فى أصناف مرتبة على أساس خـاص بحيث يسهل معرفتها ، و يميز أفرادها و أصنافها ، و يسهل الانتفاع بها . و ينقسـم التصنيف إلى قسمين :

١.تصنيف صناعي *Artifical Classification* :

هو ترتيب مؤقت يحاول رد الكثرة إلى أصل واحد ، و يقوم أساس التصنيـف فيه طبقاً لغرض معين ، و كمثال على ذلك : ترتيب الحروف من الألف إلـى اليـاء الذى نستخدمه و نستفيد منه عملياً فى المعاجم و الكتالوجات المكتبية و فهارس الكتـب . و يلاحظ أن هذا التصنيف اتفاق لا يهتم بالمعرفة الدقيقة و الجوهرية لطبيعة الأشياء

٢.تصنيف طبيعي أو علمي *National or Scientific Classification* :

يحاول هذا النوع من التصنيف إبراز النظام الطبيعي للموجودات طبقاً لصفاتها الذاتية أو الجوهرية ، و هو أهم التصنيفات لأنه يتبع غرضاً نظرياً لا عملياً ، و يحقق الوحدة أو النسقية . (٣)

التصنيف الفلسفى :

يطلق عليه ــ أيضاً ــ تصنيف المعرفة ، و هو مـن وجهـة نظـر علمـاء المكتبات عبارة عن تصور الفلاسفة لترتيب المعرفة و تقسيمها و ربط أجزائها ، وهو مجرد رياضة عقلية لم يقصد بها أصحابها الاستفادة بها فى تنظيـم المعلومـات فـى المكتبات و مراكز المعلومات . و ينتج عن التصنيف الفلسفى مـا يعـرف بـالخطط النظرية التى تعرض للعلوم و العلاقات بينها بناء على تصور الفيلسوف لها . (٤)

و ترجع بدايات التصانيف الفلسفية إلى بداية تكون مجموعة من المعـارف لدى الإنسان ، ثم حاول أن يضع لها إطاراً ينظمها ، و من ثم نجد اهتمام كل حضارة

عبر التاريخ البشرى بوضع تصانيف تمثل كمية المعرفة التى توصلت إليها ، و تعكس الفلسفة السائدة و الأفكار المسيطرة على عصرها .

و التصانيف الفلسفية أسبق فى الظهور من التصانيف الخاصة بالكتب ، ويرجع ذلك إلى أن واضع هذه التصانيف هم الفلاسفة و العلماء الذين كانوا يحاولون تسجيل وجهات نظرهم فى تقسيم المعرفة ، كما أن الإنتاج الفكرى لم يكن بالكثرة التى تجعل الإنسان يفكر فى تقسيم هذه الكتب حسب الموضوع ، و إنما كانت ترتب حسب صفات أخرى كالحجم أو اللون أو الشكل .

و يبنى التصنيف الفلسفي على الطريقة المنطقية التى تعمل على تجميع الأقسام المتجانسة ذات الصفات المشتركة ، و فصلها عن الأقسام التى تختلف عنها ، فمثلاً عند إعداد تصنيف فى قطاع معرفى ، كقطاع البترول ، يتم تجميع كل الموضوعات ذات الخصائص المشتركة إلى جوار موضوع البترول .

علاقة التصنيف الفلسفى بالعملية التعليمية :

يشير بول هرست " *Paul Hirst* " و هو أحد فلاسفة التعليم ، إلى أن مضمون العلم العام يهتم بموضوعات المعرفة ، و علاقة الموضوعات ببعضها ، ومن ثم فإن علاقة التصنيف الفلسفى بالمتطلبات التعليمية علاقة وثيقة . (٥)

و يستخدم التصنيف فى تعريف الطبيعة الأساسية للموضوع ، و ذلك عند تحليل الوثائق الفردية ، كما أن هذه العلاقة تكمن فى أن المعلم عند تدريسه لإحدى الموضوعات فإنه يحاول إعطاء مبررات فلسفية للتدرج فى تدريس الموضوعات حسب الأولوية فى تقديم موضوعات على غيرها ، و هذا ما نجده فى التصنيف الفلسفى ، حيث إن ترتيب العلوم و تقديم بعضها على بعض يرجع إلى فلسفة معينة تقف وراء هذا الترتيب ، و هذا الارتباط عكسته التصانيف الإسلامية ، فقد كان ترتيب العلوم فيها مرتبطاً بالفلسفة التعليمية فى طريقة تدريس المواد و ترتيب أولويات دراستها ، و لذلك يعتبر التصنيف الفلسفى انعكاساً لطريقة التعليم فى عصره، و نظرة العلماء للموضوعات ، و مدى أهمية كل منها .

التصنيف العلمى :

التصنيف العلمى هو تصنيف الكائنات الحية ، و هو ما يعرف عند العلماء بتصانيف الأحياء ، و هو نوع من التصنيف لم يقصد به واضعوه أنه سوف يستعمل لأغراض تنظيم المعلومات فى المكتبات و مراكز المعلومات ، و لكن قيمته كانت علمية محضة . و هذا النوع من التصنيف يقوم على تقسيم الكائنات الحية إلى رتب وأقسام وفقاً للصفات التشريحية ، و قد كان لكل رتبة أو طبقة عدد من الصفات الجوهرية المعروفة التى سجلت عنها بناء على تشريحها .

التصنيف المكتبى :

هو ما يعرف بالتصنيف العملى الذى يعتمد على الأشياء أو الوحدات المادية ، و منها الكتب بخصائصها و صفاتها . و يقوم تصنيف الكتب على ترتيب المضمون الفكرى (الموضوع) للكتب ، بحيث يبرز العلاقات بين الموضوعات التى نجدها فى الإنتاج الفكرى .

و يشمل تصنيف الكتب عملين أساسيين هما : الأول : عمل واضع نظام التصنيف الذى يعرف باسم " *Classificationist* " ، و يتطلب فى هذا الشخص مقدرة خاصة فى بناء خطوات التصنيف و رسم العلاقات بين الموضوعات التى وضعها العلماء ، و التى من خلالها يقوم بعمل و إبداع خطة تصنيفية تعكس كل الآراء الجماعية ــ بقدر الإمكان ــ عن حدود العلوم و العلاقات بينها .

و العمل الثانى : عمل المكتبى ، و يعرف باسم المصنف " *Classifier* "، و يقوم عمله على تحديد موضوع الوثيقة و مكانها فى خطة التصنيف ، مع الالتزام بالتوحيد فى عملية التصنيف . و يشترط فى هذا الشخص معرفة واسعة بمجالات المعرفة البشرية و نظم التصنيف المختلفة . (٦)

و ينطوى التصنيف المكتبى على نوعين ، هما : التصنيف الصناعى ، والتصنيف الطبيعى .

أولاً : التصنيف الصناعي :

يقوم التصنيف الصناعى على الصفات الظاهرة و الخارجية لجمع الأشياء أو فصلها عن بعضها ، و النظام الناتج عن التصنيف الصناعى هو آلة مؤقتة لسير العمل . و كانت المكتبات قديماً تستخدم هذا النوع من التصنيف لترتيب مجموعات الكتب بها معتمدة على الصفات و الخصائص الظاهرة لمصادر المعلومات من الحجم أو اللون ، و مازالت بعض المكتبات فى العصر الحديث تستخدم هذا النوع من التصانيف ، كما فى حالة فصل مصادر المعلومات تبعاً لشكلها ، مثل فصل المخطوطات عن المطبوعات عن المصغرات الفيلمية عن الخرائط ، الخ .

ثانياً : التصنيف الطبيعي :

تعتمد التصانيف الطبيعية على صفات جوهرية أساسية ، و الصفة الجوهرية فى مصادر المعلومات هى المحتوى الفكرى (الموضوع) الذى تدور حوله المادة العلمية . و يعرف التصنيف الطبيعى بأنه التصنيف المنطقى للمعرفة البشرية ، حيث تقسم إلى قطاعات معرفية عريضة ، ثم تقسم إلى موضوعات أخص ، و هكذا يسير التقسيم متدرجاً من الموضوع العام إلى الخاص إلى الأكثر خصوصية . (٧) و من التصانيف البيبليوجرافية الطبيعية فى العصر الحديث : تصنيف ديوى العشرى ، والتصنيف العشرى العالمى ، و تصنيف بليس ، و تصنيف براون ، و غيرها .

علاقة التصنيف المكتبى بالتصنيف الفلسفى و العلمى :

لا يهتم المكتبى فى عملية تصنيف الكتب بالطريقة التى يستخدمها العلماء والفلاسفة لتشكيل فئات الموضوعات أو ترتيب الفئات المكونة للعلم ، و لا الاهتمام بالفلسفة الكامنة وراء ذلك ، و إنما يأخذ ما استقر عليه العالم أو الفيلسوف بشكل مسلم به ، مدركاً تماماً عدم وجود تصنيف منطقى يعكس الواقع ، و يحدد بصورة قاطعة الحدود بين المجالات الموضوعية المختلفة . و ما يهم المكتبى هو تحديد القطاع المعرفى الذى ينتمى إليه موضوع الكتاب ، فإذا كان تصنيف كتاب فى التراجيديا أو الكوميديا فإنه لا يبحث عن تعريف التراجيديا أو الكوميديا و وضعها على الخريطة التصنيفية ، و إنما يتساءل : إلى أى قطاع من قطاعات الأدب ينتمى هذا العلم .

كما أن عملية تصنيف الكتب حسب الموضوع هى عملية أكثر تعقيداً من تصنيف العلوم ، و إيجاد العلاقة بينها ، لأن الكتاب يتناول أدب الموضوع من وجهات نظر مختلفة ، و عند تناول موضوع المياه فى كتاب فإن ذلك قد يكون من حيث التجميد و التكثيف ، أو المعالجة الكيميائية للمياه ، و هذا ما لانجده فى خطة التصنيف الفلسفية أو العلمية ، و لهذا فإن التصنيف المكتبى ، و هو ما يعرف بالتصنيف الببليوجرافى قد طور ما وضعه الفلاسفة و العلماء من خطط تتناسب مع تصنيف المعرفة من خلال الإنتاج الفكرى ، واضعين فى الاعتبار التعقيد و التشابك فى موضوعات الكتب و طبيعة الوسائل الحاملة للمعلومات ، و من ثم ظهرت التصانيف التى قامت على التحليل و التركيب لعناصر المعلومات ، و هذا ما وجد فى تصنيف الكولون و التصنيف العشرى العالمى ، كما نجد هذا الاتجاه التحليلى التركيبى فى الطبعات الحديثة لتصنيف ديوى العشرى .

علم التصنيف عند العرب

أنتجت الحضارة العربية الإسلامية كثيراً من الأعمال التصنيفية ، و يعد العرب المسلمون أول من وضع تأليفاً مستقلاً فى علم التصنيف . و يشير محققا كتاب: '' مفتاح السعادة و مصباح السيادة '' لطاشكبرى زادة إلى أن الفارابى أول من كان له السبق فى ذلك . و لكن الباحثة ترى أن جابر بن حيان قد سبق الفارابى إلى ذلك فى كتابيه : '' الحدود '' و '' السباعية '' .

و يرجع إلى المسلمين الفضل فى جعل التصنيف علماً من العلوم ، و تحديد مكان له على سلم المعرفة البشرية ، و هذا ما وجدناه عند طاشكبرى زادة فى القرن السادس عشر الميلادى ، بينما لم تعترف أوروبا بالتصنيف كعلم إلا فى القرن التاسع عشر الميلادى . (٨)

و حدد العرب طرق التصنيف التى تتبعها التصانيف الحديثة ، كما حددوا العلاقات بين العلوم ، و أسس ترتيب العلوم ، و المفاضلة بينها ، و هذا ما ستحاول الباحثة توضيحه .

تعريف التصنيف عند العرب

يرجع الفضل إلى طاشكبرى زادة في وضع تعريف محدد لعلم التصنيف ، حيث عرفه بأنه " علم باحث عن التدرج من أعم الموضوعات إلى أخصها ، ليحصل بذلك العلوم المندرجة تحت ذلك الأعم ، و لما كانت أعم العلوم موضوعاً العلم الإلهي جعل تقسيم العلوم من فروعه ، و يمكن التدرج فيه من الأخص إلى الأعم على عكس ما ذكر ، لكن الأول أسهل و أيسر " . (٩) و هو في هذا التعريف لا يعني التصنيف بصفة عامة ، و لكنه يعني تصنيف العلوم ، و هو ما يصدق على تعريفه في العصر الحديث ، كما حدد تبعية هذا العلم للعلم الإلهي على أساس أن من أصول العلم الإلهي علم مبادىء العلوم ، و من ثم فباعتبار علم التصنيف أو تقاسيم العلوم من العلوم المبتدئة التي تحتاج إلى تحديد قواعدها و مبادئها ، و من هنا اعتبر من فروع العلم الإلهي .

طرق التصنيف :

أوضح طاشكبرى زادة أن هنالك طريقتين في تقسيم العلوم ، هما :

الطريقة الأولى : التقسيم ، و هو التكثير من فوق إلى أسفل ، أي من أعم العلوم إلى ما هو أخص ، كتقسيم الجنس إلى الأنواع ، و النوع إلى الأصناف ، و الصنف إلى الأشخاص .

الطريقة الثانية : التحليل ، أي التكثير من أسفل إلى فوق أو أعلى ، أي من الأخص إلى ما هو أعم ، أي تجميع جزئيات الموضوع للوصول إلى الموضوع الكلي الذي يشمل هذه الجزئيات . (١٠)

و لا تخرج طرق التصنيف الحديثة عن هاتين الطريقتين اللتين تعرفان بالمنهج الاستنباطي، و المنهج الاستقرائي. و قد حدد طاشكبرى زادة هاتين الطريقتين في تعريفه للتصنيف ، و أشار إلى سهولة الطريقة الأولى .

قواعد التصنيف عند العرب

عند العرب للتصنيف قواعد و أسس توضح ترتيب الأقسام و الفروع ، و انتماء الفروع إلى العلم الكلي الذي تندرج تحته ، كما توضح العلاقات بين العلوم ، فقد

وضع ابن سينا فى كتابه : '' البرهان '' دراسة توضح القواعد التــى تقــوم عليــها العلاقات بين الفنون . (١١)، كما قدم حاجى خليفة فى كتابه : '' كشف الظنون عــن أسامى الكتب و الفنون '' قواعد لتصنيف الكتب . (١٢) و باستقراء قواعد التصنيــف و أسسه التى يذكرها كل منهما يتضح أن العلاقات بين الموضوعات تقوم على الآتى:

• **علاقة اشتمال و تبعية** ؛ أى أن العلم الخاص يتفرع من علم عــــام ، فموضــوع العلمين واحد ، و لكن معالجة كل موضوع تأتى من جهة مخالفة للآخر ، فينظر إلــى العلم المشترك مع علم آخر فى موضوع واحد نظرة مطلقة عامة ، بينما ينظــر إلــى العلم الآخر فى هذا الموضوع من إحدى جهاته ، فمثلاً العلم الرياضى هو العلم العــام لعلم الحساب ، و العلم الطبيعى هو العلم العام لعلم الطــب ، حيــث يشــتركان فــى موضوع واحد هو الجسم الطبيعى ، و لكن علم الطب يعالج البدن من جهة ما يصــح ويمرض . و هذه العلاقة من القواعد التى أقرها '' بليس '' ، و أسماها '' التفريع''، و قصد بها تداعى الموضوعات الأصغر من الموضوعات الأكبر بنفس القــدر مــن المنطقية و التسلسل الموجود فى الروابط بين الموضوعات الكبيرة . و قد اســتقى '' بليس '' هذه الفكرة أساساً من الفيلسوف الفرنسى '' أوجست كونت '' .

• **علاقة تجاور** ؛ أى تشابه الموضوعات مما يجعلها تقترب من بعضها البعض فــى الخطة التصنيفية فتتجاور علوم اللغة العربية مع علوم الأدب ، إلى جانب علوم الديــن الإسلامى ، أو تجاور علوم التاريخ مع العلوم الاجتماعية ، و هذه العلاقة أيضاً مــن القواعد التى أقرها '' بليس '' ، و أسماها '' علاقة ترابط '' و عنــى بــها جمــع المجموعات المتجانسة معاً ، حيث توجد بينها علاقات قوية . (١٣)

• **علاقة تساو** ؛ أى وجود علمين على صف واحد متفرعين من موضــوع واحــد، مثل الهندسة والحساب اللذين يقفان على صف واحد متفرعين عن علم أكبر ثالث هــو العلم الرياضى .

• **علاقة تداخل** ؛ أى أن العلم يمكنه أن يستفيد من أكثر من علم ، مما يــؤدى إلــى تفريعه عن أكثر من علم ، مثل علم الفرائض الذى يستفيد من علم الحساب ، فيعــدوه من فروعه ، و من علم الفقه ، فيصبح من فروعه أيضاً .

• **تبادل الاعتماد بين العلوم** ؛ أى أن بعض العلوم تستفيد من بعضها ، و هــذا

واضح بين علوم اللغة و علوم الدين ، فالقرآن الكريم المصدر الأصلى لعلماء اللغة العربية ، و ألفاظه الكريمة و تراكيبه اللغوية هى المصدر الأساسى فى الدراسات النحوية و اللغوية ، كما أن المباحث اللغوية و النحوية هى الأساس الدراسات القرآنية، كما أن علوم الحديث الشريف و علوم أصول الفقه تضم مباحث لغوية . (١٤) وهذا المبدأ استخدمه ابن النديم فى ترتيب مقالاته عن علوم الدين و اللغة ، و هو ما ستوضحه الباحثة عند دراسة تصنيف ابن النديم .

و هذه القواعد التى حددها المصنفون العرب المسلمون هى نفسها القواعد التى تستخدمها الخطط التصنيفية فى العصر الحديث ، فباستقراء خطة تصنيف ديوى التى تعد من أشهر خطط التصنيف فى العصر الحديث يلاحظ استخدامها لمبدأ التبعية و الشمول ، و يتمثل هذا فى تدرج الموضوعات من العام إلى الخاص ، فالعلوم الطبية كعلم عام يتفرع منها عدد من الموضوعات الخاصة التى تتبع موضوع علم الطب ، و هو الموضوع العام . كما أن وقوف هذه الفروع ، مثل التشريح و الفسيولوجيا و الصحة الشخصية و الصيدلة ، و غيرها ، على صف واحد يعكس علاقة التساوى بينها .

و تعكس بعض الأقسام الرئيسية فى تصنيف ديوى علاقة التجاور ، فتأتى العلوم التطبيقية تالية للعلوم البحتة ، و إن لم تتحقق هذه القاعدة فى عرض بقية الأقسام فابتعدت علوم كان من المفروض اقترابها من بعضها ، مثل ابتعاد علوم اللغة عن علوم الأدب ، و ابتعاد علم التاريخ عن العلوم الاجتماعية .

ترتيب العلوم فى التصانيف العربية الإسلامية

يعكس ترتيب العلوم فى التصانيف العربية الإسلامية المنهج التعليمى الإسلامى الذى يقدم الأهم فالأهم فى العملية التعليمية ، كما ينطلق من البيئة الثقافية الإسلامية ، و من ثم فهم يفاضلون بين العلوم و يقدمون بعضها على بعض على أسس مختلفة ، منها شرف العلم . و يكون شرف العلم بشرف موضوعه ، مثل : علم التفسير ، لبحثه فى القرآن الكريم ، و هو الكلام المنزل من عند الله . و علم أصول الدين (علم الكلام) عند بعض آخر لبحثه فى ذات الله ، و من ثم فهما مقدمان فى الترتيب عن علم الفقه . و مثل علم الطب ، الذى يقدم على سائر فروع العلم

الطبيعي لشرف موضوعه ، حيث يبحث فى بدن الإنسان . (١٥)

قد يرجع شرف العلم إلى شرف الغاية ، مثل علم الأخلاق ، لأن الغاية منه معرفة الفضائل الإنسانية ، و لذلك يقدم على بقية علوم الحكمة العملية . و قد يعود شرف العلم إلى شرف الحاجة إليه ، مثل علم الفقه ، لحاجة الإنسان إلى تنظيم أمور عبادته . و قد يعود شرف العلم إلى قوة أدلته ، و تعتمد عليه بعض العلوم التابعة له، مثل العلوم الرياضية ، لكونها علوماً برهانية تستخدمها بعض العلوم الأخرى ، ومن ثم تقدمها بعض التصانيف على بقية العلوم العقلية . و قد يعود شرف العلم إلى اجتماع أكثر من اعتبار من الاعتبارات السابقة ، مثل العلم الإلهى ، فشرفه يعود إلى شرف موضوعه ، لأنه العلم بالله تعالى ، و إلى شرف غايته لحصول السعادة الأبدية، و إلى شرف الحاجة إليه ، و من ثم يقدم على بقية العلوم الأخرى . (١٦) و قد يقدم علم على آخر لشرف ثمرته ، مثل علم الدين و علم الطب ، فالأول يقدم لأن ثمرته الحياة الأخروية ، و يؤخر الثانى لأن ثمرته الحياة الدنيا . و قد يقدم شرف الثمرة على شرف الدليل ، فيقدم علم الطب على علم الحساب ، فإن الأول يقدم لاعتبار ثمرته ، و هى الصحة التى تساعد الإنسان على القيام بالعبادات ، و الثانى يؤخر باعتبار أدلته ، فهو من العلوم البرهانية . (١٧)

و يحدد حاجى خليفة مجموعة من القواعد التى يتم على أساسها تقديم علم على آخر ، و هى :

القاعدة الأولى :

تقدم العلم على علم آخر يرجع إلى أهمية هذا العلم على غيره ، مثل تقديم فرض العين على فرض الكفاية . (١٨) و يقصد بفرض العين كل ما أوجبه الشرع على الشخص بشكل خاص . و يحدد الغزالى العلوم التى هى فرض عين فى ثلاثة أقسام : اعتقاد ، و فعل ، و ترك . و الاعتقاد هو توحيد الله تعالى ، و تعلم كلمتى الشهادة ، و فهم معنى قوله : '' لا إله إلا الله محمد رسول الله '' . و الفعل ما كلف به الإنسان من الطهارة و الصلاة و الصوم و الحج . و الترك ترك المعاصى واجتناب المحرمات التى نهى الله عنها ، و من ثم فالحذر منها يوجب معرفتها ومعرفة حدودها و أسبابها و طرق علاجها . (١٩) و ما هو فرض كفاية ما وجب على

المجموع ليعملوا به ، و لو قام به واحد لسقط عن الباقين ، و هو العلوم التى لا يستغنى عنها الإنسان فى أمور حياته الدنيوية . (٢٠) و منها علم الطب الذى يحتاج إليه لحفظ الأبدان و علاج المرضى ، و علم الحساب الذى يحتاج إليه فى قسمة المواريث و الوصايا ، و علم المساحة الذى يحتاج إليه فى قسمة الأراضى، و يتعدى ذلك إلى صناعة الحياكة و الزراعة و الخبز و الطحن .

القاعدة الثانية :

يُقدم العلم لكونه وسيلة لعلم آخر ؛ فالمباحث اللفظية وسيلة للمباحث المعنوية ،. و من ثم يقدم علم الأدب على علم المنطق . كما تتقدم العلوم العربية على العلوم الدينية لكونها وسيلة و آلة لفهمها . (٢١) كما يقدم علم المنطق على سائر العلوم العقلية لكونه وسيلة .

وحددت المقاصد من العلوم فى العلوم التى هى فرض عين من العلوم الدينية و علمى الأخلاق و السياسة ، و كل ما يتوصل إليها من علوم اللغة و التصريف والنحو و الطب و المعانى و البيان و المنطق و تسيير الكواكب و معرفة الأنساب والحساب، وغيرها من العلوم ، بمثابة الوسائل إلى هذه المقاصد ، و تتفاوت درجات ترتيبها حسب الحاجة إليها . (٢٢)

و تقدم المقاصد على الوسائل لشرف الأولى عن الثانية . (٢٣) و من ثم نجد بعض التصانيف تقدم العلوم الدينية التى هى المقاصد على العلوم العربية التى هى وسائل .

القاعدة الثالثة : يقدم علم على آخر لكون موضوعه جزءاً من موضوع علم آخر ، والجزء يقدم على الكل ، فيقدم التصريف على النحو . (٢٤) ، و أحياناً يقدم النحو على التصريف لأن الحاجة إلى النحو أقوى من التصريف .

القاعدة الرابعة : يقدم علم على آخر بغرض التمرين على إدراك المعقولات ، مثل تقديم علم الحساب على غيره من العلوم . (٢٥)

و يعد هذا الترتيب انعكاساً للنظام التعليمى عند العرب المسلمين ، حيث يبدأ الطلاب بدراسة العلوم الأهم ، ثم العلوم التى توصلهم إلى فهم العلوم الأخرى . و العلم الأهم حدده العرب المسلمون فى العلوم التى تعد فرض عين ، و التى يجب على

المسلم تعلمها أولاً ، و التى تمثلت فى العلوم الدينيه و أحيانا يبدأ الطالب تعلم العلوم التى تعد وسيلة لفهم غيرها من العلوم ، مثل العلوم الأدبيه التى توصله إلى فهم العلوم الدينية أو العلوم الرياضية التى توصله إلى فهم العلوم العقلية ، و من ثم أطلق عليها علم التعاليم . و يتولى الشيخ القائم على التدريس تحديد و ترتيب العلوم التى يبدأ بها طلابه .

و هذا الارتباط الذى نجده فى التصانيف العربيةبين ترتيبها للعلوم و ترتيب تدريس هذه العلوم هو ما نادى به مصنفو العصر الحديث من ضرورة ارتباط التصنيف بالنظام التربوى التعليمى .

طرق التقسيم التى تتبعها التصانيف العربية :

تتبع التصانيف العربية الإسلامية تقسيمات تختلف باختلاف فلسفة أصحابها و نظرتهم إلى العلوم ، كما تتأثر بالهدف الذى وضعت من أجله ، سواء أكان هدفاً تعليمياً ، أم هدفاً دينياً ، أم فلسفياً ، و من ثم تنحصر التقاسيم فيما يلى :

التقسيم الأول :

هو التقسيم المشهور ، حيث تقسم العلوم فيه إلى علوم نظرية ، غير متعلقة بكيفية العمل ، وعملية ، وهى المتعلقة بالعمل . والعلوم النظرية التى أطلق عليها تسمية علوم الحكمة النظرية هى العلوم التى تطلب المعرفة فيها لذاتها ، و البحث فيها عن الموجودات ، و لذلك تقسم إلى ثلاثة أقسام حسب حال الموجود و تعلقه بالمادة ، فالعلم الإلهى للبحث فى أمور مجردة عن المادة ، و من ثم يطلق عليه علم أعلى ، والعلم الرياضى يبحث فى أمور مجردة عن المادة فى الذهن فقط ، و من ثم أطلق عليه العلم الأوسط ، و العلم الطبيعى يبحث فى أمور متعلقة بالمادة فى الذهن و فى الخارج ، و من ثم أطلق عليه العلم الأدنى . و العلوم العملية هى العلوم المتعلقة بكيفية العمل للوصول إلى منفعة . (٢٦) و يطلق عليها علوم الحكمة العملية لأنها متعلقة بالسلوك ، سواء السلوك الشخص أو الجماعى ، للحصول على السعادة الدنيوية أو الأخروية ، و من ثم تقسم إلى ثلاثة أقسام ، هى

- علم الأخلاق ، المتعلق بمصالح شخص مفرد

- علم تدبير المنزل ، المتعلق بمصالح اسره
- علم السياسه . المتعلق بمصالح جماعه مشتركه في المدينه او في مجتمع

و هذا التقسيم تتبعه التصانيف المتأثرة بالفلسفه اليونانيه . و خاصه تصنيف ارسطو و هو يطبق على العلوم العقلية

التقسيم الثاني :

هو تقسيم العلوم إلى علوم آلية و علوم غير آلية و العلوم غير الآلية هي العلوم التي تقصد فيها المعرفة لذاتها ، و تعرف بالمقاصد ، و تمثلها مجموعة العلوم الشرعية و علوم الحكمة النظرية . و العلوم الآلية هي العلوم التي لا تقصد فيها المعرفة لذاتها ، و إنما لغاية منها تحصيل غيرها من العلوم .

و ليس معنى كون العلم آلة أنه آلة في نفسه ، و إنما هو آلة بالقياس إلى علم آخر ، لكون الآخر يحتاج إليه . (٢٧) مثل العلوم العربية ، فهي آلة للعلوم الشرعية لتوقف فهم الثانية على الأولى ، كما أن علم المنطق آلة لغيره من العلوم حيث إنه يحتوي على القوانين المنظمة للفكر ، و من ثم تساعد الإنسان على تحصيل العلوم الأخرى .

التقسيم الثالث :

هو تقسيم العلوم إلى علوم عربية و علوم غير عربية ، أو أجنبية ، و العلوم العربية هي نتاج الفكر الحضاري العربي الإسلامي ، و بذلك تمثله العلوم الدينية و العلوم اللغوية و الأدبية العربية ، بما فيها علم التاريخ . و العلوم غير العربية أو العلوم الأجنبية ، هي كل العلوم المنقولة عن الأمم الأخرى . و هذا التقسيم اتبعه الخوارزمي في كتابه : '' مفاتيح العلوم '' .

التقسيم الرابع :

هو تقسيم العلوم إلى علوم شرعية و علوم غير شرعية ، و يعنى بالعلوم الشرعية ما يستفاد من الأنبياء ، و تنقسم إلى أربعة ، و هى : الأصول ، و الفروع ، و المتقدمات ، و المتممات . و الأصول هى كتاب الله و سنة رسوله ، و ما أثر عن الصحابة لأنهم شاهدوا الوحى و التنزيل ، و من ثم رأى بعض العلماء الاقتداء بهم ، و إجماع الأمة ؛ أى ما أجمع عليه علماء الأمة . و الفروع هى الفقه و التصوف . والمقدمات هى الآلات التى تعين على فهم كتاب الله و سنة رسوله ، و يعنى بها اللغة و النحو و مجموعة العلوم العربية . و المتممات ما يتعلق باللفظ ، و هى علم القراءة و علم مخارج الحروف ، و ما يتعلق بالمعنى، و هو علم التفسير، وما يتعلق بالأحكام، و هو علم الناسخ و المنسوخ، و علم أصول الفقه، و علم الأخبار و الآثار. (٢٨) والعلوم غير الشرعية منها ما يرشد إلى العقل ، و هى علم الحساب. ومنها ما يكون باستخدام التجربة ، مثل علم الطب ، و منها ما يكون بالسماع ، مثل علم اللغة ، وعلم التاريخ ، و من هنا اختصت العلوم الشرعية بالعلوم الدينية و العلوم العربية و العلوم غير الشرعية هى مجموعة العلوم العقلية بما فيها المنطق ، لأنه من وضع الفلاسفة قبل ظهور الإسلام ، و من ثم يطلق على العلوم غير الشرعية العلوم العقلية، فى مقابل العلوم الشرعية . (٢٩)

التقسيم الخامس :

هو تقسيم العلوم إلى علوم حقيقية و علوم غير حقيقية . والعلوم الحقيقية هى العلوم الثابتة على مر الدهور و الأعوام ، و هى العلوم الحكمية ؛ أى العلوم العقلية التى لا تتغير بتغير الأزمنة و الأمكنة ، و لا تتبدل بتبدل الدول و الأديان ، مثل : علم الهيئة . و العلوم غير الحقيقية هى العلوم المنتمية إلى الوحى ، و مستفادة من الأنبياء – عليهم السلام – من غير أن يتوقف على تجربة أو سماع . (٣٠) و هذا التقسيم تعكسه التصانيف الحديثة ، فنجد أن تصنيف العلوم العقلية متشابه بينها ، و لكن ما يجعل كل تصنيف يختلف عن الآخر هو إبراز العلوم القومية التى تتمثل فى العلوم الدينية التى يدين بها أصحاب هذا التصنيف أو العلوم التى تمثل فكر الأمة ، سواء علم أدبى أو علم لغوى ، أو علوم اجتماعية أو تاريخية ترتبط بثقافة الأمة التى يتبعها

واضعو التصنيف ، و هذا ما وجدناه فى تصنيف ديوى العشرى الـــذى أبـــرز ديـــن أمريكا و لغتها و أدبها و تاريخها ، أو تصنيف الكولون لرانجاناثان .

التقسيم السادس :

هو تقسم العلوم إلى علوم عقلية و علوم نقلية وضعية ، و العلوم العقلية هـــى علوم الحكمة التى يهتدى إليها الإنسان بفكره ، و العلوم النقلية هى العلوم المستندة إلى الخبر عن الوضع الشرعى و لا مجال فيها للعقل إلا فى إلحاق الفروع من مســـائلها بالأصول . (٣١)

التقسيم السابع :

هو تقسيم العلوم إلى علوم جزئية و علوم غـــير جزئيـــة ، و العلـــوم التـــى موضوعاتها أخص من موضوع علم آخر تسمى علوماً جزئية ، كعلم الطـــب ، فـــإن موضوعه ـــ و هو الإنسان ـــ أخـــص مـــن موضـــوع العلـــم الطبيعـــى . و التـــى موضوعاتها أعم تسمى بالعلم الأقدم ؛ لأن الأعم أقدم للعقل من الأخص ، فـــإن إدراك الأعم قبل إدراك الأخص . (٣٢)

و تتبع التصانيف العربية الإسلامية واحداً من هذه التقاسيم ، و أحيانـــاً تتبـــع التصانيف التقسيم الأول لمجموعة العلوم العقلية إلى جانب أحد التقاسيم السابقة ، وهذا ما سوف تعالجه الباحثة فى الفصول القادمة .

أنواع التصانيف العربية الإسلامية

تميزت التصانيف العربيةالإسلامية بثلاثة اتجاهات فى التصنيف ، هى :

الاتجاه الأول : التصنيف الفلسفى :

تمثل هذا الاتجاه فى الخطط التصنيفية التى وضعها الفلاسفة و العلماء العـــرب المسلمون لعرض تصورهم للمعرفة و أقسامها ، و مثّل هذا الاتجاه الفارابى فى كتابه: '' إحصاء العلوم '' ، و ابن سينا فى رسالته : '' أقسام العلوم العقلية '' . و يمثّـــل هذا الاتجاه فى العصر الحديث أصحاب المدرسة العلمية الذيـــن يـــرون أن تصنيـــف الكتب ما هو إلا تصنيف للمعرفة ، و يركز أصحاب هذه المدرسة اهتمامـــهم علـــى الترتيب العلمى لأقسام الخطة التصنيفية و علاقة الموضوعات بعضها ببعض ، و قـــد

نادى بآراء المدرسة العلمية كل من ريتشاردسون ، و سايرز ، و بليس . (٣٣)

الاتجاه الثاني : تصنيف الكتب :

يقوم هذا الاتجاه على تقسيم المعرفة من خلال الإنتاج الفكرى الفعلى ، فيحصر الكتب المؤلفة ، و يقوم على تقسيمها من واقع ما تشمله من معرفة ، و تحديد العلاقات بين الموضوعات بناء على الإنتاج الفكرى الفعلى ، و يمثل هذا الاتجاه أحسن تمثيل تصنيف ابن النديم فى كتابه :'' الفهرست '' . و يمثل هذا الاتجاه فى العصر الحديث المدرسة العملية التى يتزعمها عالم التصنيف البريطانى '' وندهام هلم'' الذى ينادى بتصنيف الكتب اعتماداً على الإنتاج الفكرى الفعلى و ليس على تصنيف مجرد للمعرفة و هو ما عرف بنظرية السند الأدبى '' *Literary Warrant*'' ، و يمثل هذا الاتجاه حديثاً تصنيف مكتبة الكونجرس .

الاتجاه الثالث : التصنيف البيبليوجرافى :

يجمع هذا الاتجاه بين الاتجاهين السابقين ، فهو يقسم المعرفة بناء على تصور فلسفى لصاحب الخطة التصنيفية مع الإشارة إلى الإنتاج الفكرى فى كل علم ، والتعريف بهذه الكتب و مؤلفيها ، و هو ما يعرف فى العصر الحديث باسم التصنيف البيبليوجرافى ، و يمثل هذا الاتجاه تصنيف ابن الأكفانى فى كتابه : '' إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد '' ، و تصنيف طاشكبرى زادة : '' مفتاح السعادة و مصباح السيادة '' . و حديثاً يتمثل هذا الاتجاه فى تصنيف ديوى العشرى الذى قسم صاحبه المعرفة على أساس تصور فلسفى مستنداً إلى الإنتاج الفكرى الفعلى ، فلا يتم تسجيل رءوس موضوعات إلا إذا كان لها إنتاج فكرى فعلى لا يقل عن عشرين كتاباً.(٣٤)

هوامش الفصل الأول

(١) ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم . لسان العرب . ــ طبعة بيروت . ــ دار صادر (د.ت) . ــ مج٩ ص ١٩٨ . و الجوهري ، إسماعيل بن حماد . الصحاح . ــ ط٢ . ــ القاهرة ، ١٤٠٢هـ . ــ ج٤ ص ١٣٨٨ .

2- Kumar , Krishan . Theory of classification .-2nd ed . -New Delhi : Vikas publishing House , 1981.-p.

3- Latta and Mackbeeth , the elemants of logic.-London: the Engbst universities press , 1986 .- P154 .

4- Langridge , Derek .Eges of classification in Knowledge and communication .- edited by A.J.Meadews .- London : L.A, 1991 .- P5 .

5- Hirst, Paul. Knowledge and the curiculum.-London : Rootledge , 1974 .- P 6 .

6- Sayers , W.C. Berwick . op cit .- P47 .

٧ــ شعبان عبد العزيز خليفة و محمد عوض العايدى . التصنيف العشرى القياسى للمكتبات المدرسية و العامة . ــ القاهرة : المكتبة الأكاديمية ، ١٩٩١. ــ ص ٨.

٨- **عبد الوهاب أبو النور و كامل بكرى . مقدمة تحقيق كتاب مفتاح السعادة ومصباح السيادة لطاشكبرى زادة . ــ القاهرة : دار الكتب الحديثة ، ١٩٦٨ . ــ ج١ ، ص٦٥.**

٩ــ طاشكبرى زادة . مفتاح السعادة و مصباح السيادة / تحقيق عبد الوهاب أبو النور و كامل بكرى . ــ القاهرة : دار الكتب الحديثة ، ١٩٦٨ . ــ ج١ ص ٣٢٤ .

١٠ــ التهانوى . كشاف اصطلاحات الفنون / تحقيق لطفى عبد البديع . ــ القاهرة : المؤسسة المصرية العامة للتأليف و النشر ، ١٩٦٣ . ــ ج١ ص ١٦ .

١١ــ ابن سينا . البرهان / تصدير و مراجعة إبراهيم مدكور / تحقيق أبو العلا عفيفى . ــ القاهرة : وزارة التربية و التعليم ، ١٩٥٦ . ــ ص ١٦٥ .

١٢ــ حاجى خليفة ، مصطفى بن عبد الله . كشف الظنون عن أسامى الكتب و الفنون.ــ اسطانبول : وكالة المعارف ، ١٩٤١م . ــ

١٣ــ شعبان عبد العزيز خليفة و محمد عوض العايدى . مرجع سابق . ــ ص ٩٣ .

١٤ــ عبد الوهاب أبو النور . الإطار العام للخطة و نظرية المسلمين فى تنظيم المعرفة . ــ ط١ . ــ القاهرة : عالم الكتب ، ١٩٦٦ . ــ ص ٩٨ .

١٥ـ محمد أبو عليان الشافعي . اللؤلؤ المنظوم في مبادىء العلوم . ــ القاهرة : مطبعة الحسينية ، (د . ت) . ــ ص ٨٢ .
١٦ـ حاجي خليفة . مصدر سابق . ــ ج ١ ع ٢٣ .
١٧ـ محمد أبو عليان الشافعي . مصدر سابق . ــ ص ٨٣ .
١٨ـ حاجي خليفة . مصدر سابق . ــ ج١ ع ٢٣ .
١٩ـ الغزالي ، أبو حامد (ت ٥٠٥ هـ) . كتاب فاتحة العلوم . ــ ط١ . ــ القاهرة: المطبعة الحسينية ، ١٣٢٢هـ . ــ ص ٣٨ .
٢٠ـ حاجي خليفة . مصدر سابق . ــ ج١ ع ٢٤ .
٢١ـ الغزالي . مصدر سابق . ــ ص ص ٣٨ـ٣٩ .
٢٢ـ حاجي خليفة . مصدر سابق . ــ ج١ ع ٢٤ .
٢٣ـ محمد أبو عليان الشافعي . مصدر سابق . ــ ص ٨٢٨ .
٢٤ـ حاجي خليفة . مصدر سابق . ــ ج١ ع ٢٣ .
٢٥ـ نفس المصدر السابق . ــ ج١ ع ٢٣ .
٢٦ـ نفس المصدر السابق . ــ ج١ ع ٦٧٦ .
٢٧ـ التهانوي . مصدر سابق . ــ ج١ ص ٦ .
٢٨ـ الغزالي . الرسالة اللدنية . ــ القاهرة : مطبعة كردستان العلمية ، ١٣٢٨هـ . ــ ص ٢٠ .
٢٩ـ محمد أبو عليان الشافعي . مصدر سابق . ــ ص ٨٣ .
٣٠ـ الشرواني (ت ١٠٣٦هـ) . الفوائد الخاقانية . ــ دار الكتب الظاهرية بدمشق، مخطوط رقم ٥٧١٨ . تصوير ميكروفيلمي رقم ١١٩٩ . ــ ص ٩ .
٣١ـ حاجي خليفة . مصدر سابق . ــ ج١ ع ٣٩ .
٣٢ـ التهانوي . مصدر سابق . ــ ج١ ص ٧ .
٣٣ـ عبد الوهاب أبو النور . نظم التصنيف في الوطن العربي . ــ ط١ . ــ القاهرة: عالم الكتب ، ١٩٦٦ . ــ ص ٤٩ .
٣٤ ــ نفس المرجع السابق . ــ ص ٥١ .

الفصل الثانى
الحياة الفكرية و الثقافية
فى الحضارة العربية الإسلامية

مقدمة

يعد هذا الفصل تمهيداً لدراسة التصانيف العربية العربية الإسلامية ، و فى هذا الإطار تتناول الدراسة إسهامات العلماء العرب المسلمين فى فروع المعرفة المختلفة.

لم يكن للعرب فى الجاهلية إلا نصيب محدود من الثقافة و الحضارة ، فكانت معارفهم بسيطة تتناسب مع حياتهم البدوية المتنقلة فكانوا يعنون بأنسابهم عناية كبرى، و يهتمون بأيامهم و وقائعهم و حروبهم ، كما كان لديهم بعض مبادىء الطب العملى القائم على التجربة ، و وجدت بعض الملاحظات الفلكية الممزوجة بكثير من الخرافة و التنجيم ، و لم يكن عندهم سجلات مدونة أو مكتبات أو كتب ، و عندما أشرف نور الإسلام بمكة لم يكن فى قريش من يحسن القراءة و الكتابة سوى بضع عشر نفراً ، وهذا يدل على تفشى الأمية بينهم ، و لم تمض سوى سنوات قليلة حتى تبدل حال العرب فأصبحوا أمة قوية موحدة ، و اهتم المسلمون الأوائل بالعلم و التعليم ، و حثوا عليه ، و راح المسلمون يسعون إلى تكوين حضارة جديدة قوية تضيف إلى التراث العلمى الكثير فى مختلف فروع العلم .

إسهامات العرب المسلمين فى كافة فروع المعرفة

تنقسم العلوم الإسلامية إلى علوم نقلية متصلة بالقرآن الكريم ، أهمها علم التفسير و القراءات و الحديث و الفقه و علم الكلام و النحو و اللغة و البيان و الأدب، و أخرى عقلية أهمها الفلسفة والهندسة والنجوم والموسيقى والجغرافيا. وقد اشتغل الناس فى البداية بالعلوم الدينية ، و ظهر المتكلمون ، و تكلم الناس فى مسألة خلق القرآن ، و ظهر العديد من الفرق الإسلامية . و فى العصر العباسى الأول ظهر

نوعان من العلماء : الأول يغلب على ثقافتهم النقل و الاستيعاب ، و يسمون أهل علم. والثانى يغلب على ثقافتهم الابداع و الاستنباط ، و يسمون أهل عقل .

أولاً : العلوم النقلية

١. التفسير

هو من العلوم النقلية التى اشتغل بها المسلمون لفهم معانى القــرآن الكريــم ، وقد دعت الحاجة إليه مع اتساع الدولة العربية ، و دخول العجم فى الإسلام . و قــد فسر بعض الصحابة : على بن أبى طالب ، و عبد الله بن عباس ، و عبـــد الله بــن مسعود ، اعتماداً على ما سمعوه من الرسول ــ صلى الله عليه و سلم ــ أو بحسب ما وصل إليه فهمهم . و يعتبر هؤلاء الصحابة مؤسسى مدرسة التفسير فى الإســلام ، و لكن نظر بعض الاتقياء من المسلمين إلى القرآن الكريم نظرة إجلال و تقديس حتـــى عدوا البحث فى تفسيره ضرباً من الخرق فى الدين . و قد استمرت هذه النظرة حتـى العصر الأموى . و على الرغم من ذلك فقد حاول بعض المســلمين تفســير القــرآن متخذين اتجاهين ، عرف الأول باسم التفسير بالمأثور ، و هو ما أثر عن الرســول ــ صلى الله عليه و سلم ــ و كبار الصحابة ، و الثانى باسم التفسير بالرأى ، و هو مــا كان يعتمد على العقل أكثر من اعتماده على النقل . و لــم يتخــذ التفســير الطريقــة المنظمة إلا فى العصر العباسى الثانى . (١) و من أشهر المفســرين بالمــأثور ابــن جرير الطبرى ، و ابن عطية الأندلسى ، و القرطبى . و قد امتاز ابن جرير الطــبرى فى تفسيره الذى يقع فى ثلاثين مجلداً بتحرى الدقة فى النقل عن الرسول ــ صلــى الله عليه و سلم ــ و الصحابة و التابعين ، و معارضته أصحاب الرأى لأنهم كثــيراً مــا يتبعون هواهم . وقد شغف المعتزلة بالتفسير بالرأى ، و كذلك الباطنية، ومن أشـــهر مفسرى المعتزلة أبو بكر الأصم (ت٢٤٠هـــ) ، و أبو مسلم محمد بن بحر الأصفهانى (ت ٣٢٢هـــ) .

٢. القراءات

يعتبر هذا العلم المرحلة الأولى لتفسير القرآن الكريم ، و يرجع الســبب فــى ظهوره إلى خاصية الخط العربى ، إذ إن الرسم الواحد للكلمة الواحدة يقــرأ بأشــكال مختلفة تبعاً للنقط فوق الحروف أو تحتها . و قد وجدت على مر الزمن سبع طرق فى

القراءات تمثل كل طريقة منها مدرسة معترف بها ترجع قراءتها إلـى إمـام ترتبـط باسمه ، و تستند إلى أحاديث موثوق بها ، و عليها يقتصر فى قـراءة المصحـف . وأول من حاول نقد القراءات المختلفة و بحث وجوه النظر التي تقوم عليها ، و نقـد الأسانيد التى تستند إليها هو هارون بن موسى البصرى اليـهودى (ت بيـن سـنتى ١٧٠ـ١٨٠هـ) . (٢) و يرجع أغلب الاختلافات فى القراءات إلى رجال موثوق بهم ممن عاشوا فى القرن الأول : ابن عباس و السيدة عائشة و عثمان صاحب القـراءة ، و من أشهر أصحاب القراءات فى العصر العباسى الأول يحيى بن الحارث الزمـارى (ت ١٤٥هـ) ، و حمزة بن حبيب الزيات (ت ١٥٦هـ) .

٣ـ الحديث

هو ما أثر عن النبى ـ صلى الله عليه و سلم ـ من قول أو فعل أو تقريـر لشىء رآه ، و يأتى فى الأهمية بعد القرآن . و عند وفاة الرسول ـ صلى الله عليه و سلم ـ لم يكن السواد الأعظم من المسلمين يستطيعون القراءة و الكتابة ، و قـد روى بعضهم الأحاديث عن بعض فتأثرت بشىء غير قليل من التبديل و التحريف ، فشوهت معانيها و الظروف التى أحاطت بوقوعها و قولها ، حتـى إذا جـاء القـرن الثـانى الهجرى أخذ العرب يدونون الأحاديث النبوية ، و ذلك فى حدود عام (١٤٣هـ) ، وتبع ذلك ظهور طائفة من أئمة الحديث الذين اشتهر منهم الإمام مالك ، و الإمامـان محمد بن إسماعيل البخارى ، و مسلم بن الحجاج القشيرى ، صاحبا الصحيحين فـى الشام ، ثم ظهر بعدهما أبو داود السجستانى (٢٧٥هـ) صاحب السنن ، و ابو عيسـى محمد الترمذى (٢٨٧هـ) صاحب الجامع ، والنسائى و ابن ماجه صاحبا السـنن ، و كلهم ممن ألف فى السنن كتاباً نسب إليه . (٣) و تعد هذه الكتب أشهر كتب السـنن ، كما تحتل مكانة سامية بين مصادر التشريع الإسلامى .

٤ـ الفقه

نشأ الفقه عن دراسة القرآن الكريم و الحديث ، و يرجع اختلاف أئمة الفقه فى فهم بعض النصوص الفقهية ، و استنباط الأحكام منها إلى تعدد المذاهب . و اشـتهر من تلك المذاهب أربعة : مذهب الإمام مالك إمام أهل الحجاز ، و زعيم الفقهاء الذيـن يأخذون بطريقة أهل الحديث . و مذهب أبى حنيفة إمام أهل العراق ، و زعيم الفقـهاء

الذين يأخذون بطريقة الرأى و القياس . و مذهب الإمام الشافعى الذى كان يسير على طريقة أهل الحجاز ، ثم جعل مذهبه وسطاً بين الطريقتين . و مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، و كان من كبار المحدثين . و من ثم ظهرت فى ميدان الفقه مدرستان : مدرسة أهل الحديث فى المدينة ، و على رأسها الإمام مالك . و مدرسة أهل الرأى فى العراق ، و على رأسها الإمام أبو حنيفة . (٤) و قد ظهر فى العصر العباسى الثانى بعض أعلام الفقه الذين كونوا مذاهب فى الفقه لم يقدر لها الاستقرار و الذيوع أمام المذاهب الفقهية الأربعة ، و من هؤلاء أبو سليمان داود بن على بن خلف القاشانى ، المنسوب إلى قاشان القريبة من أصبهان (ت٢٧٠هـ) . و من أصحاب المذاهب الفقهية المجتهدين أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى . كما ظهرت مذاهب أخرى ثم انقرضت ، كمذهب سفيان الأوزعى (ت١٦١هـ) و مذهب إسحاق بن راهويه (ت٢٤٠هـ) . ومع مر الزمن أصبحت السيادة للمذاهب الفقهية الأربعة المعروفة ، و وقف الاجتهاد عندها .

٥ـ علم الكلام

هو علم يتضمن الدفاع عن العقيدة الإسلامية بالأدلة و البراهين العقلية ، والرد على المبتدعة المنحرفين الخارجين على مذاهب أهل السنة فى الاعتقاد . و يقول دى بور " إن ظهور الكلام فى الإسلام كان بدعة من أكبر البدع ، و قد أنكر هذا العلم أهلُ الحديث الذين كانوا يرون أن البحث فى الأحكام الفقهية ابتداع ، لأن الإيمان عندهم هو الطاعة لا كما يذهب إليه المرجئة و المعتزلة من أنه هو العلم " . (٦) كما أن بعض أهل الحديث كانوا يعيبون على المتكلمين ردهم على أهل البدع بحجة أن فى ذلك الرد ترويجاً لعقائد هؤلاء المبتدعين ، و قد نجح المتكلمون فى استخدام أسلحة خصومهم فى الرد عليهم . و كان للمعتزلة أثر كبير فى تطور علم الكلام ، فقد تم على ايديهم القول بخلق القرآن ، و نادوا بنفى الصفات ، مخالفين فى ذلك جمهور أهل السنة . واستمر الصراع و الجدل بين أهل السنة والمعتزلة حتى ظهر أبو الحسن الأشعرى فتوسط بين الفريقين . ومن أشهر متكلمى المعتزلة : أبو الهذيل العلاف (ت ٣٢٥هـ)، و أبو الحسين عبد الرحيم بن محمد بن عثمان الخياط ، الذى تنسب إليه طائفة الخياطية ، و قد عاش فى النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى ، ومات

فى أوائل القرن الرابع الهجرى . و أبو على محمد بن عبد الوهاب الجبائى المعتزلى (ت ٣٠٣هـ) . (٧) و كان أبو الهذيل العلاف متكلماً مشهوراً قوى الحجة واسع الاطلاع ، اشتغل بالفلسفة اليونانية، و أفاد منها. ويعد من أوائل المفكرين الذين فسحوا للفلسفة المجال لتؤثر فى مذاهبهم الكلامية . (٨)

٦ـ النحو

نشأ النحو العربى فى الكوفة و البصرة اللتين صارتا من أهم مراكز الثقافة فى القرن الأول الهجرى . و قد وضعت فى هاتين المدينتين العقائد و الفقه ، و نشأ مدارس النحويين و اللغويين . وكان يقيم فى الكوفة و البصرة جالية تنسب إلى قبائل عربية مختلفة ذات لهجات متعددة ، و آلاف من الصناع و الموالى الذين كانوا يتكلمون الفارسية ، و من ثم تعرضت اللغة العربية إلى شىء غير قليل من اللحن ، فدعت الضرورة إلى تقويم اللسان حتى لا يتعرض القرآن الكريم لشىء من اللحن والتحريف . (٩) و يعد ابو الأسود الدؤلى أول من اشتغل بالنحو فى عهد الأمويين ، و قيل إنه تلقى أصول هذا العلم عن على بن أبى طالب . و كان أبو الأسود أول من وضع أساس مدرسة البصرة التى تعتبر أقد م من مدرسة الكوفة و أشهر منها . و قد تأثرت هذه المدرسة بالمنطق أكثر من غيرها ، و يرجع ذلك إلى أن تأثير المذاهب الفلسفية قد ظهر فى البصرة قبل ظهوره فى غيرها ، و من أهم علمائها : الخليل بن أحمد واضع علم العروض ، و صاحب معجم العين . و سيبويه صاحب كتاب النحو المشهور '' الكتاب '' ، أو '' كتاب سيبويه '' . (١٠) و من أشهر علماء الكوفة : الكسائى ، وتلميذه الفراء ، و المفضل الضبى . (١١)

و يعتبر القرن الثالث الهجرى عصر انتقال فى اللغة ، فقد استكمل لغويو القرن الثالث ما فات الخليل فى كتاب العين ، فوضعوا المعاجم الأوسع ، و لكنها كانت على طريقة الخليل نفسها ، من حيث ترتيب حروف المعجم على المخارج الصوتية ، و الابتداء بحرف الحلق ، و أولها حرف العين ، وعلى هذا النظام وضع ابن دريد (ت ٣٢١هـ) كتاب '' جمهرة اللغة '' ، و أبو على القالى البغدادى (ت٣٥٦هـ) ، صاحب كتاب '' الأمالى '' فى اللغة و الأدب كتاب '' البارع فى اللغة '' ، و هو أول من أسس علوم اللغة و آدابها فى الأندلس ، و عليه تخرجت

الطبقة الأولى من اللغويين و كبار الأدباء فى تلك البلاد . كما ألف علماء اللغة فى الصرف و الاشتقاق و أصول النحو و اللغة، فقد ألف ابن جنى (ت٣٩٢هـ) كتاب ''الخصائص'' الذى يعد من أعظم الكتب فى أصول اللغة والنحو . (١١)

٧ـ الشعر

كان الأمويون يؤثرون الشعر الجيد و الخطبة البليغة على الفلسفة ، و أجاد بعض خلفائهم نظم الشعر : يزيد بن معاوية ، و عبد الملك بن مروان . و قد نبغ من الشعراء فى العصر الأموى : جرير والأخطل والفرزدق، وغيرهم ، وفى العصر العباسى ظهر كثير من الشعراء الذين أحدثوا تغيرات فى الشعر فى شكله و فى مضمونه . و قد مهد لذلك عوامل عديدة ظهرت فى العصر العباسى ، منها : اختلاف صور الحياة و قيمها و تطورها فى العصر العباسى عنها فى العصر الجاهلى ، إلى جانب انتشار الشعوبية التى قامت على الخط من شأن العرب و نقد اشعارهم ومعانيهم، و تأثير الثقافات الأجنبية ، و خاصة الفارسية ، فى الأدب فى العصر العباسى . (١٢) واعتماد الشعراء على تشجيع الخلفاء و الأمراء و كبار رجال الدولة، فلم يكن لهم مصدر رزق سوى عطاياهم ، و لهذا كثر شعر المديح .

٨ـ الأدب

كان حظ الأدب فى صدر الإسلام من الاهتمام قليلا، لاشتغال العرب بالفتوحات الإسلامية وتنظيم دولتهم التى اتسعت أرجاؤها، و اشتغالهم بالحروب الأهلية التى استنفدت أكثر مجهودهم، وفى هذه الفترة لم يتعد الأدب دائرة الشعر تقريبا . (١٣) ثم علا شأن النثر الأدبى فى العصر الأموى ، و تطور فى العصر العباسى ، مع تنوع الكتابة لكثرة العلوم و تنوع الفنون ، و أصبح لكل فن كتاب ، فللمتكلمين كتاب و للفقه كتاب ، و للفلسفة كتاب ، و للنثر كتاب يجيدون الكتابة فى فنه، و قد اهتم الأدباء بدراسة البيئة التى تحيط بهم ، فألف القاضى محمد بن إسحاق الصميرى (ت ٣٧٥هـ) كتاب '' مساوى العوام و أخبار السفلة و الأغنام '' . ووصف الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) الحياة فى المدن ، و هو يعد أبا النثر العربى ، وأعظم كتاب النثر أثرا . (١٤) كما يعد الصاحب إسماعيل بن عباد (ت ٣٨٥هـ)، وزير فخر الدولة بن ركن الدولة البويهى فى أصبهان و الرى و همذان ، من أشهر

رجال الأدب فى عصره ، و قد صنف كثيراً من الكتب منها كتاب المحيط فى اللغـة ، و كتاب الأعيان و فضائل النيروز و كتاب الإمامة و كتاب الوزراء . وقد حدد ابـن خلدون أصول هذا الفن و أركانه فى أربعة ديوان ، هى : أدب الكاتب لابن قتيبـة وكتاب الكامل للمبرد و كتاب البيان والتبيين للجاحظ و كتاب النوادر لأبى على القـالى البغدادى، وما سوى هذه الأربعة فتبع لها و فروع عنها . (١٥)

ثانياً : العلوم العقلية

١. التاريخ

يتطلب فهم اللغة العربية دراسة أنساب العـرب و أخبـارهم التـى تؤديـها أشعارهم، وكان هذا محل عناية كبيرة من النحاة و اللغويين ، و قد اقتربت هذه العناية من نمو الكتابة التاريخية ، وهو نمو ارتبط بالسيرة النبوية وعلم الحديث ، ولذلك نشـأ علم التاريخ فى الحضارة الإسلامية فى أحضان العلوم الشـرعية . (١٦) و اشـتغل المسلمون فى البداية بتدوين السيرة النبوية التى كانت مثبوتة فيما يروى من الأحـاديث فأخذوا يستخلصونها منها ، و فى أواخر القرن الثانى الهجرى اقترن تصنيف الحديـث بطريقة تقوم على تخليص الحديث من الفقه ، مما جعل أصحابها يوزعون الحديث فى مصنافاتهم على أساس رواته من الصحابة ، و هى الطريقة المعروفة باسم المسـاند ، إذ يسند المؤلف لكل صحابى ما روى عنه من الأحاديث ، و من أوائـل مـن ألـف المسانيد الربيع بن حبيب الإباضى البصرى (ت ١٧٠هـ)، ثـم أخـذ المحدثـون يعرضون رواة الحديث على نقد شديد حتى يحيطوه بسياج متين من الصحة و الثقـة ، مما أدى إلى نشوء علم الرجال . ومن هنا نشأ علم التاريخ الذى كانت بدايتـه تـدور حول السيرة النبوية ثم انضمت مادة من تاريخ الرسل و من تاريخ العرب ، ثم تـاريخ الأمم المجاورة للجزيرة ، و خاصة الفرس ، و يعد عبيد بن شريه اليمنى أول من تكلم فى التاريخ، وألبس القصص ثوب التاريخ ثم جاء من بعده وهب بن منبه (ت١١٠هـ) فتصدى للمغازى و هى الفتوح الإسلامية ، و وضع أساسها ، و عنه روى المؤرخون المتقدمون . و يعد عروة بن الزبير (ت ٩٤هـ) اقدم من ألف فى السيرة النبويـة ، و كذلك أبان بن عثمان بن عفان (ت ١٠٥هـ) ، فقد جمع له تلميذه عبد الرحمـن بـن المغيرة كتاباً فى سيرة الرسول . ومن أشهر من اشـتغل بالمغـازى ابـن إسـحاق

(ت١٥١هـ) وتلميذه ابن هشام (ت٢١٨هـ) صاحب سيرة النبى ـ صلى الله عليه و سلم ـ . و من المؤرخين الذين عنوا بكتابة السيرة و المغازى النبوية محمد بن عمر الواقدى قاض المأمون (ت٢٠٧هـ) . وفى القرن الثالث الهجرى تطور علم التاريخ و اتسعت مصادره و أخذ المؤرخون يوفقون بين المواد المستمدة من السيرة النبوية و غيرها من المصادر ابتغاء ادماجها فى رواية تاريخية متماسكة . (١٧) وقد ذخر التاريخ الإسلامى بمجموعة كبيرة من المؤرخين ، فكان منهم محمد بن جرير الطبرى ، صاحب كتاب '' تاريخ الأمم و الملوك ''، و أبو الحسن على المسعودى، صاحب كتاب '' مروج الذهب و معادن الجوهر '' . ومن أهم مصادر التاريخ الإسلامى الذى يؤرخ للدولة العباسية كتاب '' تاريخ بغداد أو مدينة السلام '' للحافظ أبى بكر أحمد بن على الخطيب البغدادى .

٢.الجغرافيا

كان لاتساع نطاق التجارة فى العصر العباسى الأول و اتصال مدينة بغداد حاضرة العباسيين براً و بحراً بالبلدان القاصية ، ثم لتعبيد الطرق و جعلها آمنة ، أثر كبير فى تسهيل الأسفار و تمهيد السبل أمام الكاشفين والرحالة ، فقام كثير منهم برحلات مهمة و وضعوا فى وصفها الكتب والأسفار، وقد وصلت رحلات المسلمين فى عهد الرشيد إلى الهند و سيلان ، و إلى شبه جزيرة ملقا والصين . و يقال إنهم وصلوا بحراً إلى كوريا . و لم تظهر الثروة الجغرافية التى خلفها جغرافيو المسلمين ظهوراً جلياً إلا فى العصر العباسى الثانى . و يعتبر ابن خرداذبة الفارسى الأصلى ، الذى عاش فى النصف الأول من القرن الثالث الهجرى ، من أقدم جغرافى المسلمين و صاحب كتاب المسالك والممالك ، الذى يعتبر من أقدم الكتب الجغرافية التى ظهرت فى اللغة العربية ، و من أشهر جغرافى المسلمين اليعقوبى (ت٢٨٢هـ) صاحب كتاب البلدان ، و ابو إسحاق الأصطخرى الفارسى (١٨) . و فى إسهامات العرب فى الجغرافيا ربطهم هذا العلم بالفلك ، فسبقوا بذلك العلماء المحدثين ، و هم كذلك أول من وضع اصول الرسم على سطح الكرة . (١٩) و أول من أوجد بطريقة علمية طول درجة من خط نصف النهار . (٢٠)

٣. علم الفلك

يعرف أيضاً بعلم الهيئة ، و لم تكن معرفة العرب بهذا العلم سوى رصد بعض الكواكب والنجوم و حركاتها و أحجامها ، بالنظر إلى الخسوف و الكسوف والمطر و الظواهر الطبيعية ، و قد سموا هذا العلم بعلم التنجيم ، و قد وصل هذا العلم إلى العرب مختلطاً بأوهام التنجيم ، و قد تقدم هذا العلم كثيراً في العصر العباسي، و يرجع اهتمام المسلمين بهذا العلم إلى حاجتهم إليه في معرفة أوقات الصلاة و ظهور هلال رمضان و هلال الأشهر العربية ، بالإضافة إلى شغف الناس و بخاصة الخلفاء بالتنجيم . و يعد كتاب '' مفتاح النجوم '' المنسوب إلى هرمس الحكيم أول كتاب يترجم في علم الفلك ، كما ترجم كتاب '' السندهند '' من الهندية إلى العربية في عهد المنصور . و قد نقل العرب كثير من مؤلفات الأمم الأخرى في الفلك ، و لم يقفوا عند النقل بل صححوها و أضافوا إليها ، و لم يقفوا عند النظريات كما في الفلك اليوناني ، و إنما تعدوها إلى العمليات و الرصد . و من إضافات العرب في علم الفلك أنهم أول من أوجد بطريقة علمية طول درجة من خط نصف النهار . كما استطاع العرب ضبط مركز أوج الشمس . (٢١) و تداخل فلكها في أفلاك أخرى، و كان من ابحاثهم تقدير محيط الأرض ، و قالوا باستدارة الأرض ، و الأزياج الكبيرة . (٢٢) كما أنشأوا العديد من المراصد ، فقد اقتنى المأمون مرصدين على جبل قيسون في دمشق ، و في الشمالية ببغداد ، و أنشأ الفاطميون مرصداً على جبل المقطم عرف باسم مرصد الحاكمي . و من أشهر المراصد و أكبرها مرصد المراغة الذي أنشأه نصير الدين الطوسي (٢٣) ، و من أشهر علماء الفلك المسلمين و العرب ثابت بن قرة ، و البتاني ، و البيروني، و الخازن، و غيرهم .

٤. الرياضيات

حظيت الرياضيات بكثير من اهتمام العرب ، و قد برعوا فيها و أضافوا إليها إضافات كثيرة ، فلم تكن للعرب في جاهليتهم أية رياضيات ، و لكن بعد الإسلام والفتوح الكثيرة التي تمت لهم واختلاطهم بالدول الأخرى، ومع تقدم الحضارة اشتدت حاجتهم إلى الأعداد لضبط حساباتهم وتنظيم السياسات المالية و الشئون الاقتصادية ، و أخذوا عن الإغريق النظريات الرياضية الكثيرة ، وبخاصة الهندسة، و لكنهم اهتموا

بتطبيقها عملياً ، و فى القرنين التاسع و العاشر الميلاديين قفزت الرياضيات على يد العرب قفزات مذهلة ، و قد سمى العرب هذا العلم باسم علوم التعليم. وبرع العرب فى جوانب متعددة من الرياضيات و كانت لهم الابتكارات العديدة فيها . (٢٤)

٥ـ الحساب

نقل العرب علم الحساب عن اليونان و الهنود ، و لكنهم اهتموا بالجانب العملى للأرقام وأدركوا أهميتها و كيفية استخدامها ، و قد عبرت الأمم السابقة عن الأرقام بحروف الهجاء ، فكان يرمز لكل رقم بحرف هجاء . و يرجع للعرب الفضل فى وضع الرموز الحديثة للأعداد ، و كونوا مجموعتين للأرقام ، عرفت إحداهما باسم الأرقام الهندية ، و الثانية باسم الأرقام الغبارية ، و قد شاعت الأولى فى المشرق العربى ، و الثانية فى المغرب العربى و الأندلس . (٢٥) و عن طريق الأندلس دخلت إلى أوروبا ، و عرفت باسم الأرقام العربية . و من إسهامات العرب فى الحساب استخدام الصفر الذى يدل على الشيء الفارغ . كما كونوا مراتب الآحاد و العشرات والمئات و الألوف ، كما عرف العرب الكسر العشرى ، و قد استطاع أحد العلماء العرب ، و هو غياث الدين الكاشى من رجال القرن الخامس عشر الميلادى أن يستخرج نسبة محيط الدائرة إلى قطرها ، و هى : ٣,٣١٤١٥٩٦٥٣٥٨٩٨٧٣٢ ، فسبق بذلك الأوروبيين . (٢٦)

٦ـ الجبر

كان اشتغال العرب بعلم الجبر من أعظم مآثرهم ، فهم الذين أعطوه هذا اللفظ، وانتقل من العربية إلى لغات العالم الأخرى . و أول من ألف فى هذا العلم هو محمد بن موسى الخوارزمى ، واضع كتاب الجبر و المقابلة . و تكمن جهود المسلمين في فصلهم علم الجبر عن علم الحساب ، حيث جعلوه علماً مستقلاً قائماً بذاته ، و أن حلُّوا معادلات فى الدرجة الأولى و الثانية و الثالثة و الرابعة، واستعملوا الأساليب الجبرية فى حل العمليات الهندسية، والطريقة الهندسية فى حل الأعمال الجبرية. (٢٧)

٧ـ الهندسة

أخذ العرب الهندسة عن اليونان و الأمم التى سبقتهم و أضافوا إليها إضافات مهمة . و قد ترجم العرب كتاب إقليدس فى الهندسة ، و سموه الأصول ، و قد ألف

العرب كتاب على نسقه ، وأدخلوا فيها قضايا جديدة لم يعرفها القدماء ، كما كتبوا في المساحات و الحجوم و تحليل المسائل الهندسية و استخراج المسائل الحسابية بجهتي التحليل الهندسي والتقدير العددي ، و من أشهر علماء المسلمين في الهندسة الحسن بن الهيثم الذي سخر الهندسة بنوعيها المستوية و المجسمة لبحوث الضوء و تعيين نقطة الانعكاس في أنحاء المرايا المختلفة . (٢٨)

٨ـ علم الحيل (الميكانيكا)

اهتم العرب بعلم الحيل (الميكانيكا) فاشتغلوا بهذا العلم و استنبطوا بعض المبادىء و القوانين الأساسية التي كان لها الأثر في تقدمه ، و قد كتب العرب في هذا العلم، و منهم أولاد موسى بن شاكر . و قد قسم العرب هذا العلم قسمين ، الأول يبحث في جر الأثقال بالقوة اليسيرة ، و الثاني يبحث في آلات هذه الصناعة . ويعد الخازن من أعظم من كتب في هذا العلم ، و من أهم كتبه '' ميزان الحكمة '' الذي يعد من أكثر الكتب استيفاءً لبحوث الميكانيكا . و من علماء العرب أيضاً أبو سهل الكوفي ، و ابن الهيثم ، و بنو موسى بن شاكر . و لولا العرب ما كان علم حساب المثلثات على ما هو عليه ، فإليهم يرجع الفضل في وضعه بشكل منظم مستقل عن الفلك . (٢٩) وقد استعمل العرب (الجيب) بدلاً من وتر ضعف القوس الذي كان يستعمله اليونان ، و كان لهذا أهمية في تسهيل حل الأعمال الرياضية ، و هم أول من أدخل المماس في عداد النسب الهندسية . كما مهد العرب لاكتشاف اللوغاريتمات ، فقد عرف ابن حمزة ببحوثه في المتواليات العددية و الهندسية ، و لذلك كان من الذين مهدوا السبيل إلى إكتشاف اللوغاريتمات . (٣٠)

٩ـ الموسيقى

ترجم العرب كتب الموسيقى عن اليونان و الهنود و الفرس ، و استنبطوا ألحاناً جديدةلم تكن معروفة ، كما اخترعوا آلات موسيقة جديدة : العود ، الذي اخترعه مزراب في الأندلس ، و زاد على أوتار العود الأربعة وتراً خامساً . كما اخترع الفارابي آلة القانون ، و اصطنع (الزلام) و هي آلة موسيقية مصنوعة من الخشب تعرف بالناي أو المزمار الزلامي . (٣١) وقد وضع العرب العديد من المؤلفات في الموسيقى ، منها : كتاب الإقاعات ، و كتاب الموسيقى للفارابي ، و

كتاب الموسيقى الكبير ، و كتاب الموسيقى الصغير للسرخسى ، و مختصر فى فن الإيقاع للبوزجانى .

١٠.علم الطبيعة

نقل العرب عن اليونان العديد من كتب الطبيعة ، و منها كتاب الطبيعة لأرسطو ، و كتاب الحيل الروحانية ، و كتاب رفع الأثقال لأيرن ، و كتاب هيرون الصغير فى الآلات الحربية ، و غيرها . و قد درس العرب هذه المؤلفات و وقفوا على محتوياتها ، ثم أخذوها و أدخلوا عليها تغييرات بسيطة على بعضها ، و توسعوا فى البعض الآخر ، فقد ألف العرب فى علم مراكز الأثقال ، و هو علم يتعرف منه على كيفية استخراج ثقل الجسم المحمول . كما اخترع الخازن آلة لمعرفة الوزن النوعى لأى سائل ، كما استعمل بعض علماء العرب قانون '' أرخميدس '' فى معرفة مقدار الذهب و الفضة ممزوجة منهما من غير حلها . كما كان للعرب بحوث فى الجاذبية ، فقد توصل ثابت بن قرة إلى أن المدرة تعود إلى اسفل لأن بينها و بين كلية الأرض مشابهة فى كل الأعراض ، و يعنى بالأعراض البرودة و الكثافة ، و الشىء ينجذب إلى أعظم منه . (٣٢) و كان للعرب بحوث نفيسة فى الروافع كلها مبنية على قواعد ميكانيكية ، و منها : اللولب و الأسفين و البيرم . كما اخترع ابن يونس الخطار بندول الساعة ، كما كان للعرب بحوث فى الصوت ، و قسموا الأصوات إلى أنواع ، منها الجهير والغليظ و الخفيف و الحاد ، و عزوا ذلك إلى طبيعة الأجسام المصوتة ، و إلى قوة تموج الهواء . كما كان لهم بحوث عظيمة فى البصريات ، و يعد الحسن بن الهيثم فى مقدمة العلماء الذين اضافوا إلى هذا العلم الكثير ، و يعد كتابه '' المناظر '' من أعظم الكتب التى ظهرت فى العصور الوسطى ، و فيه كتب عن أقسام العين ، و هو أول من رسمها بوضوح تام ، و بين كيف ننظر إلى الأشياء بالعينين فى آن واحد . (٣٣) كما بحث العرب فى قوس قزح، و قد شرح هذه الظاهرة قطب الدين الشيرازى فى كتابه نهاية الإدراك . كما كان للعرب بعض التجارب الأولية فى المغناطيسية و فى بيان أجزاء المغناطيس ، و يعد العرب أول من استعمل بيت (٣٤) الإبرة المغناطيسية فى القرن الحادى عشر الميلادى فى الأسفار البحرية و البرية .

١١ـ الكيمياء

يعد خالد بن يزيد بن معاوية أول من اشتغل بعلم الكيمياء ، و قد تعلمه من راهب رومى اسمه مريانوس ، استقدمه من الإسكندرية . (٣٥) وهذا يعد أول عهد للعرب للعلوم العقلية أو الدنيوية، وفى البداية اهتم العرب بتحويل المعادن الخسيسة إلى ذهب ، و لكنهم لم يتوصلوا إلى الأمر و أنكروه بعد ذلك. ولكنهم توصلوا إلى حقائق مهمة فى هذا العلم و منها التأكيد على دور التجربة، وأهمية استخدام المنهج التجريبى فى الكيمياء الذى مارسوه بالفعل ، و قد اكتشفوا مركبات عديدة ، منها القلويات و النشادر و نترات الفضة و حامض الطرطير ، و عرفوا عمليات التقطير والترشيح والتبلور و التكليس . (٣٦) و يعد جابر بن حيان أول من كشف عن الصودا الكاوية ، و أول من استحضر ماء الذهب ، و أول من أدخل طريقة فصل الذهب عن الفضة بواسطة حامض ، و هى الطريقة المتبعة حتى الآن . كما أن له أبحاثاً فى التكليس و تحسين أساليب التبخير و التقطير . وقد استطاع العرب تحضير حامض الكبريتيك و الماء الملكى (النيتروهيدروكلوريد) . كما كشف العرب عن الحامض الأزوتى . كما تفنن العرب فى صناعة الزجاج و تحسين صناعة الورق التى انتقلت عن طريقهم إلى أوروبا . (٣٧)

١٢ـ الطب

كان الطب قديماً ينظر إلى الأمراض على أنها أرواح شريرة قد حلت فى الأبدان و لا أمل فى الشفاء إلا بالسحر، ولذلك ارتبطت مهنة الطب بالسحر ، و ظل الأطباء فى أوروبا يمارسون السحر فى علاج مرضاهم ، و كان الطب عند اليونان مصبوغاً بالصبغة الفلسفية النظرية . ومع بداية العصر الإسلامى العربى استقدم الخلفاء الأطباء من كل مكان و نقلوا معظم كتب تالطب فى مختلف الألسنةبكل ما فيها من نظريات فلسفية و سحر و تجارب مفككة ، و استوعبوا كل ذلك و زادوا عليه بإضافات مبتكرة قائمة على المشاهدة و الملاحظة و التجربة . و من إسهامات العرب فى الطب أنهم أول من استخدم البنج فى العمليات الجراحية ، و قد برعوا فى إجرائها مستخدمين الأدوات و الآلات المختلفة ، و استعملوا أمعاء القطط و الحيوانات فى

خياطة الجروح ، و أضافوا إلى العقاقير عصائر الليمون و البرتقال و القرنفل لتخفيف حدة طعمها . وقد أنشأ العرب المستشفيات ، فكان منها الخاص بمرض معين ، مثل مستشفيات علاج المجزومين و المجانين و العميان ، و منها ما كان عاما لجميع الأمراض . كما كان منها الثابت فى مكانه الذى أقيم فيه ، و منها ما كان متنقلا من مكان إلى آخر لخدمة المرضى فى الأماكن البعيدة أو المناطق الريفية ، أو متنقلا حسب ظروف انتشار الأمراض أو الأوبئة . (٣٨) كما دعوا إلى عقد المؤتمرات الطبية فى موسم الحج ، حين يجتمع أطباء العالم الإسلامى و كل منهم يعرض نتائج أبحاثه ، و نباتات بلاده ، و يصفون خواصه الطبية . ومن أشهر علماء المسلمين فى الطب '' ابن سينا '' صاحب كتاب '' القانون فى الطب '' الذى ترجم إلى اللاتينية ، و صاحب الابتكارات فى الطب النسوى ، و الوصف الدقيق للبواسير البولية ، و حمى النفاس ، والعقم . كما وصف التهاب السحايا الأولى و الثانوى ، كما فرق بين الالتهاب الرئوى و الالتهاب البلورى ، كما وصف مرض الفيل و الحمرة الخبيثة . ومن أشهر أطباء الأندلس '' الزهراوى ''(ت١٠١٣م) الذى وضع موسوعة طبية عظيمة أسماها كتاب '' التصريف لمن عجز عن التأليف '' ، و قد وضع فى هذا الكتاب قسما خاصا عن الجراحة ، شرح فيه العمليات و الأدوات التى كان يستعملها فى عملياته ، و هو أول من ربط الشرايين . (٣٩) و قد رفع الزهراوى من شأن الجراحة وجعلها فرعا من فروع الطب .

١٣ـ الصيدلة

يعد العرب المؤسسين الحقيقيين لمهنة الصيدلة التى رفعوها عن مستوى تجارة العقاقير ، و قد أخضع العرب صناعة الصيدلة لرقابة الدولة لمنع الغش ، فلم تكن تمارس إلا بترخيص . كما فتح العرب الصيدليات العامة فى أواخر القرن الثامن الميلادى ، كما ألحقوا بكل بيمارستان صيدلة خاصة به . ويرجع السبب فى تقدم العرب فى علم الصيدلة أنها كانت نابعة من علم الكيمياء الذى نضج على أيديهم.(٤٠) و من أشهر علماء الصيدلة ابن البيطار صاحب كتاب '' الجامع لمفردات الأدوية و الأغذية '' .

١٤. علم الحيوان

درس العلماء العرب المسلمون الحيوان ، و وصفوا الكثير من الحيونـات و الطيور ، و الحيوانات المائية و البرية ، و الحشرات ، و قاموا بتشريحها و وصفوا سلوكها . (٤١) و من أهم من كتب عن الحيوان الجاحظ فى كتابه '' الحيوان '' ، و الدينورى فى كتابه '' حياة الحيوان الكبرى '' .

١٥. علم النبات

أضاف العرب الكثير إلى علم النبات ، فقد اكتشفوا مواد نباتية كثيرة كان يجهلها اليونان ، كما زودوا علم الصيدلة بالكثير من البناتات النافعة التى تستخدم فى العلاج . ومن أشهر مؤلفاتهم فى علم النبات كتاب '' حراشة الأرض '' لأبى زكريا الأشبيني ، و كتاب فى النبات لابن البيطار أوضح فيه ملاحظاته فى دراسة النباتات والأعشاب ، و وصف فيه أكثر من ١٤٠٠ عقار بين نباتي حيواني و معدني . كما بين فوائدها الطبية و كيفية استعمالها كأدوية و أغذية . كما درسوا أمراض النبات وطرق علاجها مما دفع بعلم النبات و الزراعة خطوات إلى الأمام و النمو و الازدهار.

١٦. الفلسفة

تأثر المسلمون بالفلسفة اليونانية بعد أن ترجمت كتبهم إلى العربية فى عهد الرشيد و المأمون ، و اشتغل كثير من المسلمين بدراسة الكتب التى ترجمت إلى العربية و عملوا على تفسيرها و التعليق عليها و تصليح أغلاطها . ومنهم يعقوب بن إسحاق الكندى ، و الفارابى الذى يعد من أكبر فلاسفة المسلمين ، و ترجع شهرته إلى شروحه الكثيرة لفلسفة أرسطو فلقّب بالمعلم الثانى ، كما أن له رسائل كثيرة فى علم النفس و الإلهيات ، و من أشهر فلاسفة العصر العباسى الثانى ابن سينا الذى تأثر بأرسطو فى الإلهيات و المنطق ، و قد ألف فى موضوعات متعددة مقتفياً أثر الفارابى.

هوامش الفصل الثانى

١ــ شوقى ضيف . العصر العباسى الثانى . ــ القاهرة . ــ دار المعارف . ــ ط٢ ، ١٩٦٦. ــ ص ١٦٢

٢ــ حسن إبراهيم . تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى .- ط٧.- القاهرة .- مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٤ .- ج٢ ص ٣١٩ .

٣ــ نفس المرجع السابق . ــ ج٣ ص ٣٤٩ .

٤ــ نفس المرجع السابق . ــ ج١ ص ٣٢٥ .

٥ــ ابن خلكان . مصدر سابق . ــ ج١ ص ٢٧٥ .

٦ــ دى بور ، ت . ح . تاريخ الفلسفة فى الإسلام / ترجمة محمد عبد الهادى أبو ريدة . ــ طبعة منقحة و مهذبة . ــ القاهرة . ــ لجنة التأليف و الترجمة و النشر ، ١٩٥٤. ــ ص ٥٦ .

٧ــ ابن خلكان ؛ أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان/ تحقيق احسان عباس .- بيروت : دار صادر، ١٩٧٢. ــ ج٣ ص ٣٤٨ .

٨ــ دى بور ، ت . ح . مرجع سابق . ــ ص ١١٩ .

٩ــ شوقى ضيف . العصر العباسى الأول ط٧ . ــ القاهرة : دار المعارف، ١٩٧٨.- ص ١١٩ .

١٠ــ دى بور ، ت . ح . مرجع سابق . ــ ص ٣٩ .

١١ــ حسن إبراهيم . مرجع سابق . ــ ج٣ ص ٢٥٣ .

١٢ــ شوقى ضيف . العصر العباسى الأول . ــ ص ١٤٨ــ١٤٩ .

١٣ــ شوقى ضيف . العصر العباسى الثانى . ــ ص ٤٤٣ .

١٤ــ ابن خلدون . مصدر سابق . ــ ص ٥٠٩ .

١٥ــ ابن خلدون . مصدر سابق . ــ ص ٥٠٨ــ٥٠٩ .

١٦ــ شوقى ضيف . العصر العباسى الأول . ــ ص ١٢٥ .

١٧ــ حسن إبراهيم . مرجع سابق . ــ ج٢ ص ٣٤٥ .

١٨ــ أحمد أمين . ضحى الإسلام .- بيروت : دار الكتاب العربــــى، ١٩٦٤.- ج٢ ص ٣٥٧ .

١٩ــ قدرى حافظ طوقان . العلوم عند العرب . ــ القاهرة . ــ مكتبة مصــــر ، د . ت . ــ ص ٧٣ .

٢٠ــ خط نصف النهار ، خط وهمى على سطح الأرض حين تكون الشمس عموديــة عليه وقت الزوال .

٢١ــ أوج : أقصى حد فى البعد بين الأرض و الشمس .

٢٢ــ الأزياج ، مفردها زيج ، و هو عند العرب صناعة حسابية على قوانين عدديــة فيما يخص كل كوكب من طريق حركته ، و ما أدى إليه برهان الهيئة فى وضعـه من سرعة و بطء و استقامة ورجوع ، و يعرف به مواضع الكواكب فى أفلاكها ، وفائدة الإنزياح فى معرفة الشهور و الأيام والتواريخ الماضية .

٢٣ــ محمد عبد الرحمن مرحبا . موجز فى تاريخ العلوم عند العرب.- تقديم جميــل طليبا.- بيروت : دار الكتاب اللبنانى، ١٩٧٨ . ــ ص ١٣٦ .

٢٤ــ نفس المرجع السابق . ــ ص ١٢١ .

٢٥ــ قدرى حافظ طوقان . العلوم عند العرب.- القاهرة: مكتبة مصــر.- د. ت . ــ ص ٦١ .

٢٦ــ عبد الحليم منتصر . تاريخ العلم و دور العلماء العرب فى تقدمه . ــ القاهرة . ــ دار المعارف ، ١٩٦٦م . ــ ص ٩٦ .

٢٧ــ محمد عبد الرحمن مرحبا . مرجع سابق . ــ ص ١٣٠ .

٢٨ــ دى بور ، ت .ج . مرجع سابق . ــ ص ١١١ .

٢٩ــ قدرى حافظ طوقان . مرجع سابق . ــ ص ١٣١، ٦٤ .

٣٠ــ عبد الحليم منتصر . مرجع سابق . ــ ص ٩٧ .

٣١ــ قدرى حافظ طوقان . مرجع سابق . ــ ص ٤٤ .

٣٢ــ محمد عبد الرحمن مرحبا . مرجع سابق . ــ ص ١١٥ .

٣٣ــ قدرى حافظ طوقان . مرجع سابق . ــ ص ٤١ .

٣٤ــ عبد الحليم منتصر . مرجع سابق . ــ ص ١٥٢ .

٣٥ــ تعد الإسكندرية فى العالم القديم المركز الذى نشأ فيه علم الكيمياء ، ففيها تكونت نواة علم الكيمياء ، و توسع الكهنة فى هذا العلم ، و زعموا أنهم حولوا المعـــادن إلى ذهب و فضة : قدرى حافظ طوقان . مرجع سابق . ــ ص ٥٥ .

٣٦ــ قدرى حافظ طوقان . مرجع سابق . ــ ص ٣٣ .

٣٧ــ عبد الحليم منتصر . مرجع سابق . ــ ص ١٢٥،١٤٧ .

٣٨ــ قدرى حافظ طوقان . مرجع سابق . ــ ص ١٩، ٢٠ .

٣٩ــ عبد الحبيم منتصر . مرجع سابق . ــ ص ١٢٣ .

٤٠ــ محمد عبد الرحمن مرحبا . مرجع سابق . ــ ص ١٠٤ .

٤١ــ عبد الحليم منتصر . مرجع سابق . ــ ص ١٥٣ .

٤٢ــ دى بور ، ت .ج . مرجع سابق . ــ ص ١٨ .

الفصل الثالث
التصانيف العربية الإسلامية
فى العصر العباسى الأول
(١٣٢-٢٣٢هـ)

مقدمة

يمتد العصر العباسى الأول من عام ١٣٢هـ ، و هى السنة التى تولى فيها أبو العباس السفاح الخلافة ، إل عام ٢٣٢هـ ، و هى السنة التى تولى فيها المتوكل الخلافة ، و يعد هذا التاريخ بداية العصر العباسى الثانى . و قد تميز هذا العصر بقوة الدولة العباسية و بسياستها الممزوجة بالدين و الملك ، كما تميز هذا العصر بانحياز الخلفاء إلى العنصر الفارسى الذى قامت على أكتافه الدولة العباسية ، و كان لاختلاط العرب بهم – و هم أصحاب حضارة – أثر كبير فى أسلوب الحياة و تنظيمها ، فقد أخذ العرب عنهم كثيراً من مظاهر الحضارة من اللباس و الشراب و الطعام ، و كثيراً من وسائل تنظيم الحياة السياسية . كما كان للعنصر الفارسى و غيره من العناصر الأجنبية أثر كبير فى الحياة العملية ، فقد عملوا على نقل علومهم و آدابهم إلى اللغة العربية ، و ذلك بتشجيع من الحكام الذين كانوا يقدرون العلم و العلماء ، مما كان له أثره البالغ فى تشجيع الحركة العلمية و ازدهار حركة الترجمة والتأليف، وإنشاء المكتبات، وازدهار حركة الوراقة ، و نتيجة كل هذه الحركات بما أفرزته من إنتاج علمى فى مختلف المجالات ظهرت الحاجة إلى وضع تقسيم للمعرفة .

وقد ظهر فى هذا العصر مصنفان يعدان من أوائل ، أو أهم ، المصنفين العرب المسلمين ، حيث وضعا البذور الأولى فى تقسيم المعرفة التى سارت عليها التصانيف اللاحقة لهما ، و هما : جابر بن حيان الذى وضع تصنيفين مختلفين ، هما: '' السباعية '' ، و '' الحدود '' . و الكندى الذى وضع رسالة فى : '' كمية كتب أرسطوطاليس '' .

و يتناول هذا الفصل دراسة تلك التصانيف من عدة اتجاهات : نوع التصنيف، و الهدف من وضع التصنيف ، و إعداد خريطة تصنيفية للعمل التصنيفى ، و توضيح المنطق الكامن وراء ترتيب العلوم فى التصنيف ، و القواعد التصنيفية و المفاهيم التى استخدمت فى التصنيف ، و أهم الملاحظات على التصنيف ، مع توضيح المميزات و العيوب ، و تأثير البيئة الثقافية و الفكرية على التصنيف ، و الاتجاه الفلسفى لصاحب التصنيف ، و تاثره بمن سبقه ، و تأثيره فيمن لحقه ، و تأثير الفكر التصنيفى الأرسطى فى تصنيفه ، نظراً لما يتردد من أن التصانيف العربية الإسلامية ما هى إلا نقل حرفى عن تصنيف أرسطو ، و مستوى المعالجة فى التصنيف ، و مدى التماسك و الاتساق فى العمل التصنيفى .

أولاً : تصنيف جابر بن حيان (ت ٢٠٠ هـ-٨١٤ م)

يعد جابر بن حيان (١) واضع اقدم تصنيف للعلوم فى الحضارة العربية الإسلامية ، إلا أن هذا التصنيف قد ضاع ضمن ما ضاع من تراث العرب نتيجة الحروب و الفتن و النكبات التى منيت بها الأمة الإسلامية ، و لا يعرف من تصانيفه إلا السباعية ، و الحدود . و لم تشر المصادر إلى تاريخ إعدادهما ، و هنا يطرح سؤال : أيهما وضع أولاً ، السباعية أم الحدود ؟ . و من استقراء التصنيفين نرجح أن جابر بن حيان قد وضع السباعية أولاً ، حيث يعرض فى السباعية العلوم التى تمثل الفكر العقلى لعصره الذى جاء نتيجة حركة الترجمة الواسعة التى سبقت حركة التأليف ، ثم وضع تصنيفه الثانى بعد أن تبلورت حركة التأليف التى كانت بدايتها فى العلوم الدينية ، و هنا برز اتجاهان فى الحركة العلمية ، أحدهما يتجه نحو الأمور الدينية ، و الثانى نحو الأمور العقلية ، و هذا ما دفع جابر ابن حيان إلى أن يضع تقسيماً جديداً يبرز فيه الفكر الدينى الذى أخذ مكاناً واضحاً فى المجال المعرفى . و ما يؤكد تأخر تصنيف الحدود عن تصنيف السباعية أن الحدود قد هدف إلى وضع حد (تعريف مانع جامع) لكل علم ، و لذلك يشار فى بدايته إلى وجود كتب فى موضوعات متعددة ، و أن الحدود تجميع لحدود كل هذه العلوم بأقسامها و فروعها .

التصنيف الأول : '' السباعية ''

عرض جابر بن حيان تصنيف السباعية فى كتاب '' إخراج ما فى القوة إلى الفعل '' ، و قد نشر هذا الكتاب ضمن مختار رسائل جابر بن حيان التى نشرها '' بول كراوس '' ، و يشمل هذا التصنيف الصفحات من ٤٧ إلى ٩٥ من الكتاب المختار . (٢) و يتميز هذا التصنيف بجمعه بين الصفة الفلسفية و الصفة العلمية للتصنيف ، فالأولى تعنى تأثير الفكر الفلسفى لابن حيان فى تصوره لتقسيم العلوم وترتيبها . و يقصد بالصفة العلمية أن تقسيمه لكل علم جاء وفقاً للخطوات المتبعة فى العلم للوصول إلى الهدف المرجو منه ، و لم يقسم العلم إلى علوم جزئية تندرج تحت كل علم ، و هذا ما يتضح للقارىء من خلال التعليق على التصنيف .

الهدف من وضع السباعية

يهدف جابر بن حيان من وضع السباعية إلى تقسيم العلوم السبعة و ترتيبها و التعريف بها ، و هى التى أشار إليها فى كتابه : '' إخراج ما فى القوة إلى الفعل '' ، و من ثم جاءت السباعية عملاً تصنيفياً يعكس وجهة نظر جابر فى تقسيم المعرفة و ترتيبها .

خطة التصنيف فى السباعية : (٣)

الطب

- نظر
  - أول فى العقل '' المداخل ''
  - ثان فى الجسم '' مكونات الجسم ''
- عمل
  - النفس
  - الجسم
  - التشريح
  - العلل و الأمراض
  - القول فى العلاج

علم الصنعة '' الكيمياء ''

القول فى الكيفية

القول فى المزاج

القول فى الطرح

علم الخواص

علم الطلسمات

القول فى الطلسمات و عملها

القول فى الصورة

استخدام العلويات

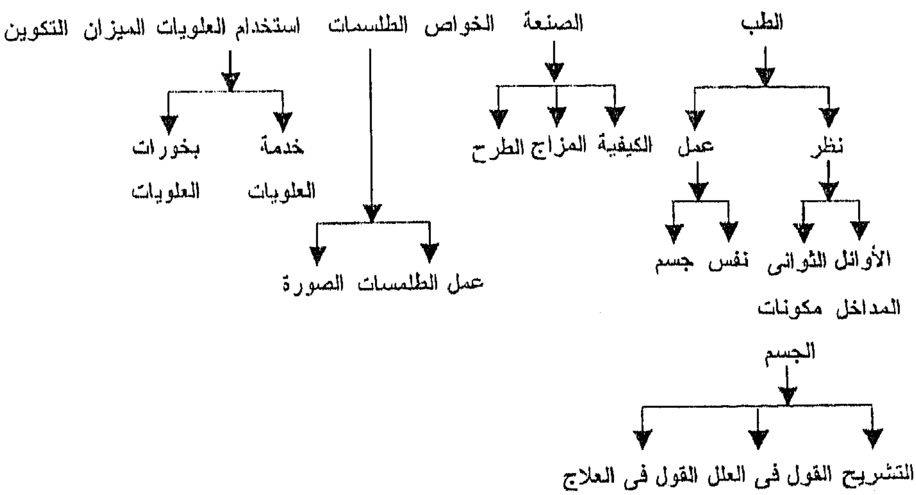
القول فى خدمة العلويات

القول فى بخورات الكواكب

علم الميزان '' علم الطبيعة ''

علم التكوين '' علم الصورة '' .

مخطط هيكلى لتصنيف جابر بن حيان (السباعية)



منطق تصنيف العلوم لدى جابر بن حيان فى السباعية :

يتناول جابر بن حيان فى تصنيفه السباعية سبعة علوم ذات أهمية خاصة لـه من جهة ، و بنفس الأهمية لعصره من جهة أخرى ، و من ثم كان الطب على رأس العلوم الأخرى باعتباره أهم العلوم الطبيعية و أشرفها ، لأن موضوعه جسم الإنسان ، كما ترجع أهمية هذا العلم فى عصر جابر إلى اهتمام الحكام به للمحافظة على الصحة التى بدأ يعتريها العلل نتيجة تغير طبيعة حياة العرب ، فمن الملاحظ أن عصر جـابر يعد من أزهى عصور الترجمة ، و تعد الكتب الطبية من أوائل أنواع الكتـب التـى حظيت بعناية الحكام و اهتمامهم ، و لذلك نلاحظ بروز علم الطب فـى قمـة العلـم الطبيعى فى تصنيف جابر بن حيان ، و فى التصانيف اللاحقة عليه ، و يلـى علـم الطب علم الصنعة '' علم الكيمياء '' ، الذى يعد أهم العلوم عند جابر بن حيـان ، و من ثم قدمه على بقية العلوم الأخرى ، و يليه علم الخواص ، و قد قدمه علـى بقيـة العلوم الأخرى لأنه يعد مدخلاً لها ، فهو العلم الـذى يرصـد صفـات الطبيعـة و خصائصها ، مثل الجاذبية فى حجر المغناطيس ، أو الخصائص الخاصـة بـالنجوم والكواكب ، و يلاحظ ارتباط العلوم اللاحقة بهذا العلم ، و تبـدأ بعلـم الطلسـمات ، واستخدام العلويات ، ويقدمهما على ما يليهما من العلوم لبحثهما فى الأجرام السماوية ، و يقدم علم الطلسمات على علم استخدام العلويات ، باعتباره العلم الجزئى من العلـم الكلى ، و هنا نراه يطبق قاعدة من قواعد ترتيب العلوم عند العرب ، و هـى تقديـم الجزء على الكل . (٤) كما يرجع تقديم هذين العلمين على علم الميزان الذى يليـهما لسببين ، الأول : أنهما يعدان من علوم التنجيم ، و هو العلم الذى شغل الحكام ، و نال قسطاً كبيراً من اهتمامهم ، حتى إنه يقال إن الخليفة المنصور ما كان يقدم على عمـل إلا بعد استشارة المنجمين ، فتقديم ابن حيان لهما يرجع لأهميتهما بالنسبة لعصـره ، و لذلك نجده يصنف علم الطلسمات بأنه العلم العظيم الباطل فى زماننا . (٥) فعظمتـه بالنسبة لجابر و هو من المشتغلين بهذا العلم و لحكام عصره ، و بطلانه مـن جهـة الشرع ، حيث ينكره الإسلام و يحرم العمل به ، لخوضه فى معرفة المستقبل و الغيب . و الثانى : أن هذين العلمين قائمان على فن المشاهدة و الملاحظة بينما علم المـيزان و هو علم الطبيعة قائم على فن التجربة التى تلى مرحلتى المشاهدة و الملاحظـة ، و

يأتي علم التكوين في نهاية العلوم السبعة و هو علم الخلق ، و يعني الصورة و الهيئة التي تتخذها الأشياء ، ولتكتمل هذه الصورة لابد من علوم تمهد لها ، و هي العلوم التي سبق الحديث عنها : علم الطب ، وعلم الصنعة، والطلسمات، واستخدام العلويات، وعلم الميزان. ثم يتناول تقسيم كل علم من العلوم السبعة إلى أجزاء تمثل مكونات العلم و طريقة ممارسته للوصول إلى الهدف المرجو من العلم، وهو بذلك يختلف عن غيره من التصانيف التي تقسم العلم إلى علوم أخص تندرج تحته ، فنجده يقسم علم الطب إلى أصول و فروع ، و الأصول هي المداخل و المبادىء اللازمة لممارسة مهنة الطب ، ثم الفروع ، و هي العلوم الجزئية التي تندرج تحت علم الطب. و تنقسم أصول علم الطب إلى نظر وعمل ، و يعني بالنظر عملية تشخيص المرض ، التي تتم عن طريق النظر في معرفة الأمور الطبيعية، و النظر في أسباب المرض ، و النظر في دلائل أعراض المرض (٦) ، فتشخيص المرض يتم من خلال التعرف على أعراضه ، و من التعرف على أعراض المرض و أسبابه يمكن الاهتداء إلى الدواء بعد الاستدلال على المرض ذاته . و يعني بالعمل الأمراض الناتجة عن العمل العوامل المؤثرة في إحداث المرض ، مثل عامل البيئة و طبيعة عمل الشخص ، والعامل النفسي ، و الأخير هو ما أبرزه جابر ابن حيان في تقسيم العمل إلى النفس والجسم ، و يعني بالنفس تأثير العوامل النفسانية في إحداث الأمراض الجسمانية ، وهو ما يعرف حديثاً بـ '' الأمراض السيكوسوماتية *Psychosomatic diseasis*'' ، أي الأمراض التي تنتج عن العوامل النفسانية ، و تترك أثرها على الجسم . و يعني بالجسم ما يظهر على الجسم من أعراض المرض ، سواء كانت من داخله أو كانت أعراضاً خارجية تعين على تشخيص المرض للوصول إلى الدواء، ثم يأتي ذكر فروع علم الطب ، و هي علم التشريح ، و أنواع العلل أو الأمراض .

و يقسم علم الصنعة (علم الكيمياء) إلى ثلاثة أقسام تمثل مكونات هذا العلم ، ويبدؤها بالتعريف بالمواد المستخدمة في صناعة الكيمياء ، و يطلقون عليها '' الآلات'' من الكبريت و الزئبق و النشادر و النحاس و الفضة ، ثم القول في الكيفية، و يطلق عليها تدبير الصنعة ، أي التجارب الكيميائية و عملياتها ، مثل : التصعيد ، و التقطير ،و ثم القول في المزاج ، و يعني بها تسجيل المشاهدات

والملاحظات فى أثناء إجراء التجربة ، و يأتى الطرح بعد التدبير ، أى الوصول إلى نتائج التجربة.

و يقسم علم الطلسمات حسب سير العمل فيها أيضا إلى قسمين ، الأول القول فى الطلسمات و عملها ، و يعنى بهذا الجزء طريقة استخدام البروج ، مثل الحمل ، و الأسد ، و القوس ، و كيفية استدعائها لفعل شيء معين تظهر نتيجته فى شكل هيئة مرسومة على الطلسم ، و هو الجزء الثانى من علم الطلسمات (القول فى الصورة). و يبدأ القول فى استخدام العلويات بتعريف العلويات المستخدمة فى عمل السحر ، وهى ثمانية و ستون كوكبا ، ثم يقسم هذا العلم إلى قسمين ، الأول : فى كيفية القيام بعمل السحر الذى يكون عن طريق الرصد ، و هو النظر فى نزول الكواكب المراد بفعل السحر عن طريقه إلى درجة معينة . و البخور لأن لكل كوكب بخورا خاصة به لفعل أمر ما . و الثانى فى بخورات الكواكب حيث يشرح المواد المستخدمة فى عمل البخور اللازمة لكل كوكب ، فمثلا بخور زحل : الكافور ، و الكركم ، و حب البلسان ، و المسك ، و هكذا يحدد لكل كوكب المواد المستخدمة لعمل البخور الخاص به .

<u>مفاهيم التصنيف و قواعده فى السباعية :</u>

نجد فى تصنيف جابر عددا من العلاقات بين العلوم ، و منها :

- علاقة الاشتمال أو التبعية ، و خير مثال لها : تقسيم علم الطب الذى يعد علما عاما إلى عدد من العلوم تندرج تحته ، مثل : علم التشريح ، و العلل أو الأمراض.
- علاقة تجاور و ترابط ، مثل ذكر علم الطلسمات ، و استخدام العلويات ، متجاورين لانتمائهما إلى مجال معرفى واحد ، و هو علم التنجيم .

<u>أثر الموقف الفلسفى لجابر بن حيان فى تقسيمه العلوم :</u>

تميزت الفترة التى عاش فيها جابر بن حيان بظهور الفرق الإسلامية المتعددة التى تنتمى إلى اتجاهات فلسفية : أهل السنة و المعتزلة و الشيعة و غيرها ، و كان لها من الآراء و الاتجاهات و العلوم التى تحاول بثها بشكل بعيد عن أعين السلطة ، ولذلك استخدموا الألفاظ الغامضة و العبارات غير الواضحة ، و هذا ما انعكس على

طريقة ابن حيان فى تقسيمه العلوم ، حيث استخدم ألفاظا مبهمة لا تعبر بوضوح عن الموضوع الذى يقصده ، و من ثم جاء تصنيفه فى عمومه غير واضح أو سهل الفهم، و يعود ذلك إلى انتماء ابن حيان إلى فرقة الشيعة الباطنية التى كانت تحاول بث أفكارها بأساليب غير واضحة . (٧) و الأساس الفلسفى الذى بنى عليه تصنيف جابر بن حيان فى السباعية هو الأساس الأنطولوجي ؛ أى دراسة الوجود ، حيث قدم ابن حيان تصنيفا للعلوم متوازيا مع تصوره للكون ، ويعنى ذلك أنه إذا كانت الموجودات كلها فى الكون قد صدرت عن أصل واحد فكذلك العلوم كلها قد صدرت عن أساس واحد و أصل واحد ، وهو الوجود . و من ثم نجده يربط بين جزئيات العلوم والعناصر الطبيعية ، وهى الماء و الهواء و الأرض و النار ، كما نجده يربط المعادن بالكواكب السبعة ، فالرصاص يطبع زحل ، و الذهب يطبع الشمس ، و الحديد يطبع المريخ ، و هكذا . (٨)

تقييم محاولة جابر بن حيان التصنيفية فى السباعية :

يلاحظ على تصنيف السباعية ما يلى :

- اتباعه التقسيم السباعى للعلوم فى تصنيفه الذى يماثل به تقسيم الكواكب إلى سبعة.
- اقتصاره على مجموعة العلوم التى تمثل فروع العلم الطبيعى فى التصانيف العربية الإسلامية الأخرى .
- يربط جابر تصنيف العلوم بالطبيعة من حوله ، و لذلك نجده يوازى بين أعضاء الإنسان و الوجود و الطبيعة ، فالدماغ يوازى الماء ، و هو من العناصر الأربعة (٩) ، و الشتاء من الأزمنة . و قد ذكر أن السباعية عنده هى العلوم ذات الصبغة الطبيعية التى تعد انعكاسا لمذهبه ، و هو المذهب الصوفى ، مذهب أصحاب العلوم السرية الباطنية الذين يرون أن تقسيم العلوم يقف بشكل مواز لتصورهم الكون و الطبيعة . (١٠)

مميزات تصنيف السباعية وعيوبه

يتميز تصنيف ابن حيان بعدة مميزات ، منها :

- يعد من المحاولات الرائدة التى وضعت أسسا لترتيب العلوم ، اتبعتها التصانيف اللاحقة عليها ، سواء كان ذلك فى عملية الترتيب التى قامت على أساس تقديم

العلم المهم ، فقدم علم الطب على سائر العلوم الأخرى ، و هو ما سارت عليه التصانيف اللاحقة ، بل نجد في التصانيف الحديثة ، مثل تصنيف ديوى ، تقديم علم الطب على سائر العلوم التطبيقية الأخرى ، أو فى تقديم الجزء على الكل ، مثل تقديم علم الطلسمات على استخدام العلويات ، و هو من مبادىء ترتيب العلوم التى أشار إليها حاجى خليفة . (١١)

- اتبع التقسيم العلمي للعلوم ، و هذا ما لم نجده عند غيره من المصنفين اللاحقين عليه ، بل إن ما وضعه من تقسيم بعض العلوم سارت عليه التصانيف اللاحقة عليه ، مثل علم الكيمياء الذى أخذه عنه الخوارزمى فى التقسيم الخاص به .

و من عيوب تصنيف السباعية لجابر بن حيان :

- تعظيمه لعلوم التنجيم و السحر ، مثل : علم الطلسمات و استخدام العلويات ، و قد يرجع هذا إلى شغف حكام عصره بهذه العلوم .
- ذكره موضوعات لم يتحدث عنها أو يعرف بها ، مثل تقسيمه لعلم الطب إلى علم التشريح ، و القول فى العلل ، و القول فى العلاج . و قد شرح العلم الأول والثانى، و لكنه لم يشر بالتعريف و الشرح إلى العلم الثالث و هو القول فى العلاج .

أثر الحياة الفكرية فى تصنيف السباعية :

تعد السباعية انعكاسا للعلوم التى شاعت و سادت فى عصر جابر بن حيان الذى عاش خلال النصف الثانى من القرن الثانى الهجرى ، و قد كان معاصرا لأواخر الدولة الأموية وأوائل الدولة العباسية ، و عاش أزهى ايام حياته فى ولاية هارون الرشيد ، و تميزت هذه الفترة بانتعاش حركة الترجمة التى ركزت على علوم معينة مثل الطب و علم الصنعة و التنجيم ، و من ثم انحصرت العلوم التى عرضها جابر بن حيان في تصنيفه على هذه العلوم التى كان يراها علوم العالم بأسره .

تصنيف السباعية بين التاثير و التاثر

لم تصل إلينا تصانيف سابقة على تصنيف السباعية، و من ثم يعد هذا التصنيف من المحاولات الرائدة فى علم التصنيف عند العرب. و قد تأثر بتصنيف السباعية العديد من المصنفين اللاحقين، ومنهم الخوارزمى في كتابه " مفاتيح العلوم " ، حيث

أخذ عنه تقسيمه لعلم الكيمياء إلى : الآلات ، و العقاقير المستخدمة ، و التجارب الكيميائية أو العمليات الكيميائية ، كما نقل عنه شرحه لعلم الطب . كما استخدم طاشكبرى زادة التقسيم السباعى الذى نجده عند ابن حيان فى السباعية .

هل تأثر جابر بن حيان فى تصنيفه السباعية بتصنيف أرسطو ؟

يعد تصنيف جابر بن حيان تصنيفا عربيا اصيلا ، يختلف اختلافا جوهريا عن تصنيف أرسطو ، من حيث تقسيمه العلوم إلى سبعة ، و ذكره علوما لم يذكرها أرسطو ، مثل : علم الطب ، و علم الكيمياء . و بالرغم من ذلك فإننا نجد تصنيفه فى السباعية قد جاء وفق الفكرة الأرسطية (إخراج ما فى القوة إلى الفعل) ، و هذا ما انعكس على علومه ، فعلم الكيمياء يقوم على فكرة تحويل المعادن الرخيصة إلى ذهب، و هذه الفكرة مصدرها الأساسى هو أرسطو . (١٢) و هى تعنى أن المعدن المراد تحويله ذهبا يحوى ذهبا بالقوة ، و يحتاج فى جعله ذهبا بالفعل إلى تدابير معينة؛ أى إجراء تجارب وأفعال معينة ليصبح بالفعل ذهبا . كذلك كان إيمانه بنظرية الأخلاط (١٣) ، و العناصر الطبيعية ، التى جعلها أساس المعالجة فى علم الطب . والأخلاط هى البلغم و الدم و الصفراء و السوداء، و هو يقابلها بالعناصر الطبيعية الأربعة، و الأزمنة الأربعة، فالبلغم يقابله الماء، و زمنه الشتاء، و الدم يقابله الهواء، وزمنه الربيع ، و الصفراء تقابل النار ، و زمنها الصيف ، و السوداء يقابلها الأرض، و زمنها الخريف . كما يجب التعرف على الطبائع الأربعة و هى النار حارة يابسة ، و الهواء حار رطب ، و الماء بارد رطب ، و الأرض باردة يابسة . و للعلاج بنظرية الأخلاط يجب أن يحدد الطبيب نوع الخلط للاهتداء إلى العلاج ، فإذا كان الخلط حارا كان العلاج بالبارد . أى أنه إذا كان الجسم محموما فلا يجوز زيادة حرارته ، و إنما يجب إنقاصها بالمبردات لتخفيف حدة الحرارة فى الحميات . و تذور هذه النظرية حول استجابة التركيب الداخلى لجسم الإنسان لمختلف التأثيرات الداخلية، و قد سيطرت نظرية الأخلاط على الطب اليونانى و انتقلت بدورها إلى الطب العربى مما كان له تأثيره على عدم تقدم علم الفسيولوجيا عند العرب(١٤)، وإن كان الأطباء العرب قد رفضوا العديد مما جاء به الطب اليونانى بناء على اختباراتهم الشخصية ، أو بناء على تفكير منطقى .

منهج ابن حيان في السباعية :

يتبع جابر بن حيان المنج الاستنباطي في تصنيفه ، حيث يتدرج بالعلوم مبتدئا بالعلم الكلي إلى العلوم الجزئية التي تندرج تحته ، فهو عندما يتناول كل علم يعرضه عرضا كليا ثم ينتقل إلى العلوم التي تندرج تحته ، كما في علم الطب ، يتحدث عن العلم و طريقة العمل فيه ، ثم يعرض العلوم المتفرعة عنه ، مثل علم التشريح ، والأمراض . و لكنه لم يقف عند المنهج الاستنباطي ، و إنما استخدم المنهج الاستقرائي الذي يتلخص السير فيه إلى مشاهدات توحي بفروض ، ثم استنباط النتائج من تلك الفروض ، ثم مراجعة هذه النتائج على الواقع ، و هذا ما طبقه ابن حيان في السباعية ، حيث يربط العلوم التي طرحها بالكون و مركباته و مكوناته ، و ذلك ناتج عن مشاهدات تؤدي إلى فروض ، و الفروض تؤدي إلى نتائج ؛ ففي قوله : '' الدماغ مثل البلغم من الرطوبات ، و مثل الماء من العناصر ، و مثل الشتاء من الأزمنة '' ، فكيف يصل إلى هذه النتيجة إلا إذا كان هناك مشاهدة للبلغم و صفاته ، و الماء و صفاته ، و الشتاء ، و ملاحظة ما يربط بينهم ، و وضع الفروض التي توصله إلى نتيجة تكشف عن ارتباط طبيعة الدماغ بكل من البلغم و الماء و الشتاء .

مستوى المعالجة في تصنيف السباعية :

قسم جابر بن حيان تصنيف السباعية إلى سبعة علوم رئيسية ، و تناول كل منها بالتفريع إلى عدد من الموضوعات ، و تصل تفريعات علم الطب إلى الصف الرابع ، بينما تقف التفريعات في بقية العلوم إلى الصف الثاني ، و هذا ما يوضحه الجدول التالي :

تصنيف	صف أول	الفروع			الإجمالى
السباعية		الصف الثانى	الصف الثالث	الصف الرابع	
السباعية	الطب	٤	٩	٤	١٧
من كتاب	الصنعة	٣	—	—	٣
" إخراج ما فى	الخواص	—	—	—	—
القوة إلى الفعل	الطلسمات	١	—	—	١
"	استخدام	٢	—	—	٢
	العلويات	—	—	—	—
	الميزان	—	—	—	—
	التكوين				
الإجمالى	٧ = ٧	١٠	٩	٤	٢٣ =

جدول رقم (١) : يوضح أعداد العلوم المفرعة على كل صف فى تصنيف السباعية لجابر بن حيان

و من استقراء الجدول السابق يتضح ما يلى :

ـ ذكر جابر بن حيان فى السباعية سبعة علوم أساسية تقف على الصف الأول ، وفرع من كل منها عددا من العلوم .

ـ لا يوجد توازن بين العلوم المفرعة من كل علم ، فبينما تصل إلى الصف الرابع فى علم الطب ، نقف عند الصف الثانى فى علوم الصنعة و الطلسمات و استخدام العلويات .

ـ أنه لا يذكر فروعا لعلم الخواص ، و الميزان ، و التكوين .

ـ يصل عدد العلوم الأساسية إلى سبعة علوم تقف على الصف الأول .

ـ يصل عدد العلوم المفرعة عن العلوم الساسية السبعة إلى ثلاثة و عشرين علما ، توزع على الصفوف ، على النحو التالى . تبلغ عدد العلوم المفرعة على الصف الثانى عشرة فروع ، و تبلغ على الصف الثالث تسعة فروع ، و على الصف الرابع أربعة فروع .

التماسك و التناسق فى السباعية :

يسير جابر بن حيان فى تقسيم العلوم فى السباعية بشكل منتظم ، حيث ينتقل من العلم العام إلى العلوم الجزئية المتفرعة عنه دون إحداث أية قفزات مخلة بالتنظيم العام لتصنيفه ، و من ثم تميز التصنيف بالتماسك . و قد اختل التناسق بسبب عدم التناسب بين فروع كل علم و آخر ، حيث نجده يذكر علوما لا فروع لها ، و يذكر لعلوم أخرى فرعين ، بينما تصل العلوم المفرعة من موضوع الطب إلى سبعة عشر علما .

التصنيف الثانى : '' الحدود ''

عرض جابر بن حيان تصنيف الحدود فى كتاب '' إخراج ما فى القوة إلى الفعل '' ، و قد نشر هذا الكتاب ضمن المختارات من رسائل جابر بن حيان ، التى نشرها '' بول كراوس '' . و يشمل هذا التصنيف الصفحات من ٩٧ إلى ١١٥ من الكتاب المختار .

و قد عرض جابر بن حيان فى الحدود لموضوعين ، هما : علم الدين و علم الدنيا . و قد اتصف العرض الأول بالصفة الفلسفية فى التقسيم ، و بدا تأثير الفكر الفلسفى فى طريقة تقسيمه لعلم الدين ، كما عرض أجزاء علم الدنيا وفقا للخطوات العملية التى يسير عليها العلم ، و من ثم اتصف بالصفة العلمية ، و لذا جمع فى تصنيفه الحدود الصفة الفلسفية إلى جانب الصفة العلمية .

الهدف من وضع تصنيف الحدود

يهدف جابر بن حيان من وضع تصنيف الحدود إلى التعرف على كل علم من العلوم المعروفة فى عصره ، و لذا لجأ إلى توضيح أقسامه و فروعه ، و بيان انتمائه إلى العلم الأعلى التابع له . و من ثم اضطر إلى وضع تصنيف لكل العلوم ليوضح أماكنها على خريطة المعرفة البشرية ، و من ثم يعطى صورة كاملة للقارىء عن كل علم من حيث إعطاء تعريف جامع مانع يتضح فيه جنس العلم. (١٥) ومن هنا جاء كتاب الحدود ليكون : كتابا فى تقسيم العلوم ، و كتابا فى تعريفها .

خطة جابر بن حيان فى تقسيم العلوم فى كتابه الحدود (١٦)

علم الدين

شرعيا

ظاهر

باطن

عقليا

علم الحروف

طبيعى

حرارة

برودة

يبوسة

رطوبة

روحانى

نورانى

ظلمانى

علم المعانى

فلسفى

إلهى

علم الدنيا

شريف = علم الصنعة

مراد لنفسه

مراد لغيره

عقاقير

عقاقير يدبر بها

بسائط

مركبة

حجر

تدابير

جوانى

أحمر

أبيض

برانى

أحمر

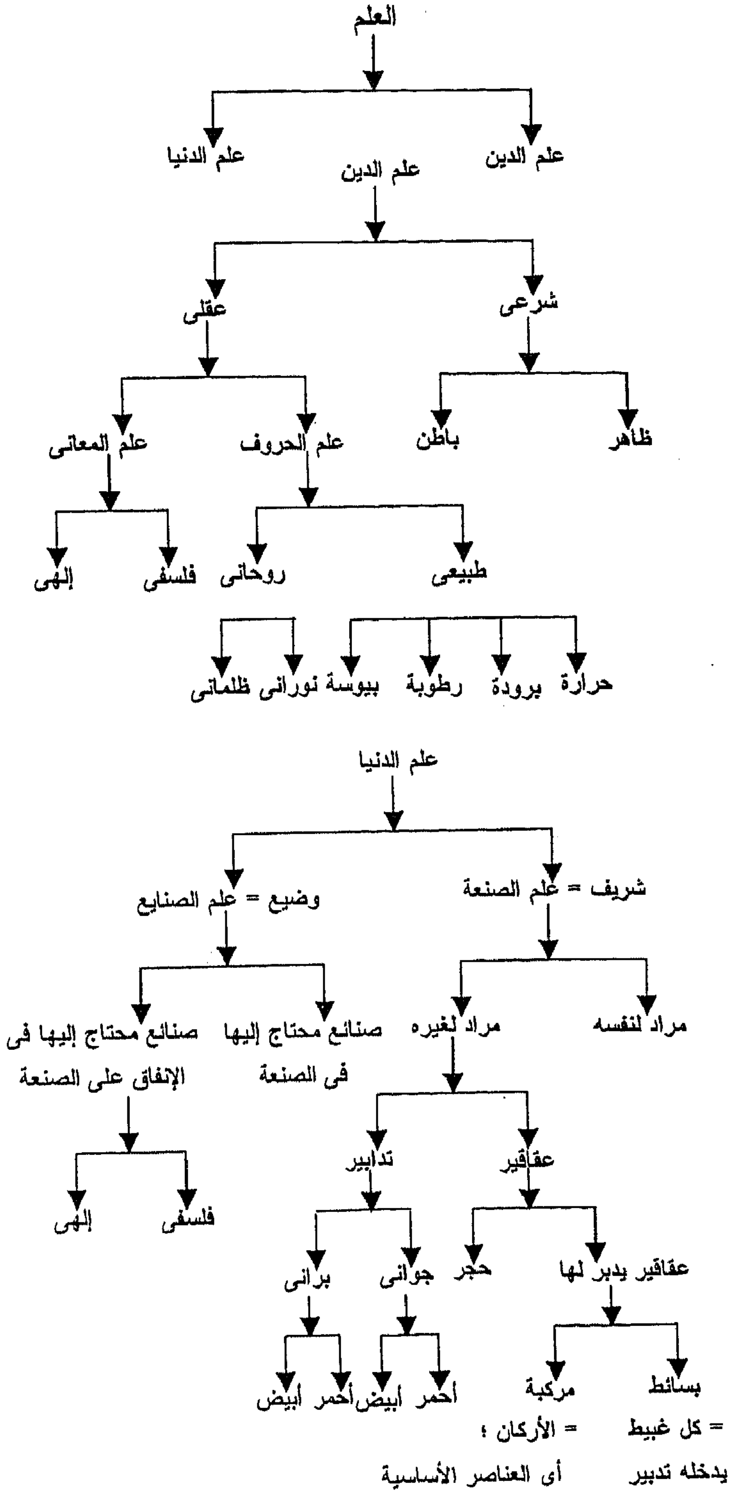
أبيض

وضع = علم الصنايع

صنائع محتاج إليها فى الصنعة

صنائع محتاج إليها فى الكفاية و الإنفاق على الصنعة

مخطط هيكلى لتصنيف جابر بن حيان فى الحدود



اتخذ ابن حيان فى تقسيمه العلوم طريقة القسمة الثنائية ، حيث يميز بين نوعين من العلوم : العلوم الدينية ، و العلوم الدنيوية ، ثم يعود فيقسم كلا منها إلى قسمين ، و هكذا يستمر فى التقسيم الثنائى لكل قسم ، فيقسم العلوم الدينية إلى نوعين من العلوم : العلوم الشرعية ، و العلوم العقلية ، ويقصد بالعلوم الشرعية : السنن والأمور التى يفعلها الإنسان ليصلح بها حال دنياه و آخرته . و يميز فى العلم الشرعي بين العلم الظاهر ، و هى السنن التى تدركها العقول الإنسانية و يفعلها الإنسان، والعلم الباطن ، و هو العلم بما وراء الأعمال الظاهرة من أغراض لا يدركها العقل البشرى ، و إنما هى بحكمة إلهية ، فمثلا ما يقوم به الإنسان من العبادة خمس مرات هى من العلم الدينى الظاهر ، أما العلة و السبب وراء كون الصلوات خمسا ، و حكمة الصلاة فهى من العلم الباطن . و من ثم نستطيع أن نقول إن العلم الشرعى بمثابة علوم الدين ، و هو لم يخص بذلك دينا معينا ، و إنما جعل تقسيمه عاما يصلح لأى دين . و القسم الثانى من علم الدين هو العقلى ، و المقصود بالعقلى الفلسفة بعلومها، ويقسمها بدوره إلى قسمين : علم الحروف و علم المعانى . وعلم الحروف يمثل قضية فلسفية أثارها الفلاسفة قديما ، و ما تزال يثيرها الفلاسفة فى العصر الحديث ، و هى إلى أى حد تعبر اللغة بما فيها من ألفاظ و كلمات و حروف على الأشياء فى الطبيعة من حولنا ، فأى شيء يمكن ترجمته إلى مجموعة من الحروف تكون كلمة تعادل هذا الشيء، مثل: صورة العصفور، فهى في الطبيعة كائن يتحرك، وتترجمه اللغة إلى كلمة من عدة حروف، هى : ع ، ص ، ف ، و ، ر. والقسم الثانى وهو المعانى و المقصود به العلم الذى يدرس الأشياء من حيث أصلها وصفاتها ، و السبب و الهدف من وجودها (١٧) ، بمعنى أن علم المعانى هو جملة العلوم المختلفة التى يعبر لها عن طريق اللغة ، و من ثم نجده يقدم علم الحروف(أى علم اللغة) على علم المعانى (أى جملة العلوم المختلفة) باعتبار أن الأول هو مدخل و وسيلة إلى الثانى ، و هو المبدأ الذى اتبعته التصانيف اللاحقة عليه فى ترتيب العلوم ، ويقسم علم المعانى إلى قسمين يشملان جملة العلوم المختلفة ، و هى : الفلسفى و الإلهى ، فالعلم الفلسفى يدخل فيه جملة العلوم الطبيعية بما تشمله من طب

و علم النجوم و العلم الرياضى بأقسامه المختلفة من : حساب و هندسة و فلك وموسيقى . و العلم الثانى و هو العلم الإلهى الذى يدرس الوجود للوصول إلى الموجود الأول ، و هو الله . و هذا العلم عرف باسم علم ما وراء الطبيعة .

و فى تقسيم جابر بن حيان لعلم الحروف يميز بين نوعين : طبيعى وروحانى، و المقصود بالطبيعى تعبير الحروف عن الموجودات الطبيعية من حيوان و نبات و حجر ، التى تتكون بدورها من عناصر أولية ، هى : النار و الهواء و الماء و الأرض ، و يتألف كل عنصر من اتحاد اثنين من الكيفيات الأربعة ، و هى : الحرارة و البرودة و اليبوسة و الرطوبة ، فمن الحرارة و اليبوسة تتكون النار التى هى عنصر من العناصر المكونة للموجودات الطبيعية ، و من الحرارة و الرطوبة يتكون الهواء ، و من البرودة و اليبوسة تتكون الأرض ، و من الرطوبة و البرودة يتكون الماء . و إذا حددنا الحروف الدالة على العناصر الأربعة أمكن معرفة الحروف الدالة على مختلف الموجودات الطبيعية . و يقسم ابن حيان حروف اللغة الثمانية والعشرين إلى أربعة مجموعات ، و كل مجموعة تمثل إحدى الكيفيات الأربع على النحو التالى . (١٨)

الحرارة : ا هـ ط م ف ش د

البرودة : ب و ى ن ص ت ض

اليبوسة : ج ز ك س ق ث ظ

الرطوبة : د ح ل ع ر خ غ . (١٩)

و هذا يفسر تقسيمه الطبيعى من الحروف إلى الأقسام الأربعة : الحرارة والبرودة و اليبوسة والرطوبة . أما القسم الثانى من علم الحروف و هو روحانى ، فيقسمه إلى : نورانى وظلمانى، والمقصود هنا بلغة العلم الحديث دراسة الأجسام التى تمتص الضوء فتصبح معتمة، والأجسام التى تعكس الضوء فتصبح نورانية.(٢٠) و من ثم نستطيع القول بأن تقسيم ابن حيان لعلم الحروف إلى طبيعى وروحانى هو دراسة الموجودات الطبيعية و الأجسام .

و يمكن القول بأن جابر بن حيان قد قسم العلوم فى الجزء الخاص بعلم الدين تقسيما منطيقيا مبتدئا بالعلوم الدينية التى تمثل عنده العلم الشرعى ، ثم تأتى العلوم العقلية، والتى تمثل الجانب العقلى من علم الدين و يبدؤها بعلم اللغة (علم الحروف)، ثم مجموعة العلوم الفلسفية ، و يمثلها عنده علم اللغات ، و يقسمها إلى ما عرف فى التصانيف العربية بالعلم الطبيعى و العلم الرياضى ، الذى يقابلهما القسم الأول من علم المعانى ، و هو الفلسفى ، ثم يتبعها بالعلم الإلهى أو علم ما وراء الطبيعة الذى يقابله القسم الثانى من علم المعانى و هو العلم الرياضى ، و من هذا فإن علم المعانى عند جابر بن حيان يقابله علوم الحكمة النظرية عند أرسطو ، و عند من لحقه من التصانيف العربية الإسلامية .

أما القسم الثانى من العلم و هو علم الدنيا فيجعل محوره علم الصنعة (علم الكيمياء) ، و يضع تقسيما لعلم الدنيا يحدد فيه الخطوات التى يسير عليها علم الصنعة للوصول إلى الغاية الموجودة منه، وهى الوصول إلى المادة الصابغة التى تحيل الفضة ذهبا ، و النحاس فضة . و يقسمه قسمين : نظرى و علمى ، فالنظرى هو المختص بعلم الصنعة ، حيث يحدد فيه التعريف بعلم الصنعة و الهدف منها ، والتعريف بالمواد المستخدمة فى الصنعة من الأحجار و المعادن المختلفة ، والخطوات التى تسير فيها التجارب للوصول إلى الغرض من علم الصنعة ، و وصف النتائج التى يتوصل إليها من التجارب . أما القسم الثانى و هو العملى ، فيطلق عليه علم الدنيا الوضيع أو علم الصنائع ، و يقصد به الوسائل التجريبية التى لا بد منها فى علم الصنعة ، و من ثم فهو يرى أنها وسيلة موصلة لعلم الصنعة . ويقسم علم الدنيا الشريف أو علم الصنعة الذى يمثل الجانب النظرى من علم الصنعة إلى مراد لنفسه ، و مراد لغيره ، فالمراد لنفسه هو الشىء المراد الوصول إليه من علم الصنعة (أى الوصول إلى تحويل الفضة ذهبا و النحاس فضة) ، و مراد لغيره يتمثل فى الخطوات التى يسير عليها علم الصنعة ، و يقسمه بدوره إلى عقاقير و تدابير والعقاقير (هى الأجسام التى تجرى عليها التجارب) ، و العقاقير ثلاثة أنواع : عقاقير ترابية ، و حيوانية ، و نباتية ، و الترابية مثل النحاس و الفضة و الزئبق و الحديد . (٢١) التى تقسم بدورها إلى نوعين : عقاقير يدبر بها ، و علم الحجر

الذى هو العلم بالمعدن الذى يراد تغيير صفاته ليتحول إلى معدن آخر و هو المـراد من إجراء التجارب عليه . و النوع الثانى و هو العقاقير التى يدبـر بـها ، و هـى المعادن الأخرى المستخدمة فى التجارب (هى ذات خواص معينة تعمل على تغيـير صفات الحجر المراد تحويله إلى معدن آخر) . و يقسم العقاقير التى يدبر بـها إلـى قسمين أيضا : عقاقير بسيطة و عقاقير مركبة ، فالبسائط أو العقاقير البسـيطة هـى العقاقير الخام التى لم يتم إجراء التجارب عليها ، أما المركبة فـهى العقـاقير التـى تستخدم فى العمليات الكيميائية ، و التى يتم إجراء التجارب عليها .

أما التدابير (٢٢) فهى الخطوات و الأعمال التى تتم فى العمليات الكيميائيـة لتحضير العقاقير المطلوبة التى يقسمها إلى قسمين ، هما : العلم الجوانـى ، و العلـم البرانى ، و المقصود بالعلم الجوانى باطن المعدن ، و العلم البرانى ظاهر المعدن . و يتضمن هذان العلمان نظرية جابر بن حيان فى تحويل المعادن ، حيث يرى أن كـل معدن من المعادن يحمل فى ظاهرة كيفيتين من الكيفيات البسيطة ، و هى الحـرارة و البرودة و اليبوسة و الرطوبة ، و يخفى باطنه الكيفيتين الأخريين ، و عـن طريـق الكيمياء نستطيع إظهار باطن المعدن و إخفاء ظاهره فيتحول المعدن إلى معدن آخر ، و بتعبير آخر فإن كل معدن يشمل فى باطنه أو داخله معدنا آخر يناقضه فى صفاتـه الظاهرة أو الخارجية ، فالفضة من الداخل هى نفسها ذهب ، فلو أخرجنا مـا داخـل الفضة و أخفينا ظاهرها تحولت إلى ذهب ، و شرح ذلك أن لكل من الفضة و الذهـب فى الظاهر و الباطن كيفيتين متناقضتين ، و يعطى ابن حيان جدولا يوضح الكيفيـات الباطنة و الظاهرة لكل معدن ، فالذهب حار رطب من الظاهر ، و بارد يـابس مـن الداخل ، و الفضة بارد يابس من الخارج ، و حار رطب من الداخـل ، و لتحويلـها ذهبا يجب أن نظهر ما بداخلها مما يماثل الكيفية الداخلية للذهب ، و نخفى ظاهرهـا ، فنزيح البرودة الظاهرة إلى الداخل لتخرج مكانها الحرارة الكامنـة فيـها ، و نزيـح اليبوسة إلى الداخل لتخرج مكانها الرطوبة الكامنة ، ويصبح ظاهرها حارا رطبا مثـل الذهب ، و من ثم تتحول الفضة إلى الذهب . (٢٣) و هكذا بالنسبة لتحويل معدن إلـى معدن آخر ، و هذا يفسر المقصود بالعلم البرانى و العلم الجوانى ، فالعلم الجوانى هو العلم بحالة المعدن الداخلية أو الجوانية ، أى الكيفيتيـن الداخلتيـن ، لتجـرى عليـه

التجارب ليتحول من حالته إلى حالة أخرى ، أى يتحول إلى معدن آخر . و العلم البرانى هو العلم بالكيفية الظاهر ، أو حالته الظاهرة لتجرى عليه التجارب المناسبة لظاهره لإخفاء ظاهره و إظهار باطنه ، و من ثم يكون الكيميائى على علم بما سيصير إليه أمر المعدن . و يقسم كل من العلم الجوانى و البرانى إلى قسمين : أحمر و أبيض ، و المقصود بالأحمر عملية تحويل الفضة ذهبا ، و الأبيض تحويل النحاس ذهبا .

و يمكن أن نستخلص مما سبق إلى أن المقصود من علم الدنيا علم الصنعة أو الكيمياء التى يقسمها تقسيما علميا حسب مكونات هذا العلم ، حيث يفرق بين نظريات علم الكيمياء (و هو ما يسميه بعلم الصنعة أو العلم الشريف) ، و الجانب العملى ، أى مجموعة التجارب ، أو عملية إجراء التجارب ، و هو ما يمثله علم الصناعة الذى يجعله الوسيلة و الآلة الموصلة إلى علم الكيمياء أو الصنعة، و يحدد مكونات علم الكيمياء فى تحديد أنواع المواد التى تستخدم فى العمليات الكيميائية ، و هى مجموعة المعادن أو مواد نباتية أو حيوانية تستخدم فى إجراء التجارب و هو ما يمثلها علم العقاقير. و الخطوات التى يجب أن تسير عليها التجارب الكيميائية ، و يمثلها علم التدابير، و التعريف بكيفية الوصول إلى المعدن المطلوب للوصول إليه من علم الصنعة .

مفاهيم التصنيف و قواعده فى تصنيف الحدود

يتبع تصنيف جابر فى كتابه الحدود علاقة الاشتمال أو التبعية بين العلوم ، مثل التدرج فى تقسيم علم الدين إلى علم شرعى و عقلى ، ثم يتناول الشرعى بتقسيمه إلى علوم أخص تندرج تحت العلم الشرعى ، و هما علم الباطن و علم الظاهر .

تصنيف جابر و موقفه الفلسفى

تتصف فلسفة جابر بن حيان بأنها الفلسفة الكونية التى جعلها أساس التصنيف عنده ، حيث قسم العلوم على أساس أنطولوجى أو كونى ، فهو يوازى بين الكون والعلوم ، ففى كتاب الحدود يوازى بين اللغة بحروفها و كلماتها و الموجودات الطبيعية ، فدراسة الاسم هى فى الوقت نفسه دراسة للشىء المسمى ، فتركيب الكلام يلزم أن يكون مساويا للموجودات الطبيعية فى العالم من نبات أو حيوان و حجر. ومن

ثم نجده يقسم الطبيعى من علم الحروف إلى العناصر الأربعة التى يتكون منها كل شيء طبيعى ، سواء كان حيوانا أو نباتا أو معدنا ، و هى الحرارة و البرودة و اليبوسة و الرطوبة .

تقييم محاولة جابر التصنيفية فى كتابه الحدود

يلاحظ على تصنيف جابر فى كتابه الحدود ما يلى :

ـ اهتمامه بوضع حد أى تعريف لكل علم ، و قد اتصف هذا التعريف بأنه تعريف بالحد التام ، أى يحدد فيه الجنس القريب و الفصل ، و يتضح مفهوم التعريف بالحد التام فى المثال التالى ، إذا أردنا تعريف الإنسان باستخدام الحد التام قلنا : الإنسان حيوان ناطق ، فحيوان تشير إلى الجنس القريب ، و ناطق تشير إلى الفصل حيث يميز الحيوان (٢٤) و يفصله عن بقية الأنواع الأخرى المندرجة معه تحت جنس حيوان .

ـ عند تعريفه للبسائط أو العقاقير البسيطة يفرعها من العقاقير التى يدبر بها ، و هى الجنس القريب لها ، و يفصلها عن غيرها بقوله إنها العقاقير التى لم يدخلها التدبير(٢٥) ، أى لم تجر عليها أى خطوات أو أعمال فى العملية الكيميائية ، و هو بذلك يفصلها و يميزها على النوع الآخر ، و هى المركبة التى دخلها التدبير .

ـ استخدم جابر فى الحدود القسمة الثنائية التى التزم بها من بداية تصنيفه إلى آخره مما جعله يقسم العلوم إلى قسمين ، و هما علم الدين و علم الدنيا . و لما كان يريد أن يبرز علم الكيمياء لإيمانه به خصص له علم الدنيا ، فقد اضطر إلى إدماج العلوم الشرعية ، و هى العلوم الدينية بالمعنى الصحيح التى تقوم على النص قياما مباشروا ، و العلوم العقلية التى تقوم على الأحكام العقلية .

مميزات و عيوب التصنيف فى الحدود

يعد تصنيف جابر بن حيان فى الحدود من المحاولات الرائدة فى علم التصنيف عند العرب المسلمين ، حيث وضع أساسا للتصنيف مختلفا عما سار عليه التصنيف الأرسطى ، حيث فرق بين العلم الدينى و العلم الدنيوى ، و هو ما سار عليه التصنيف عند الكندى أو الخوارزمى أو ابن خلدون . كما أنه يتميز بإدراكه لأهمية وضع تعريف لكل علم ، و يعد هذا من أهم خطوات البحث العلمى .

و لكن من عيوب التصنيف فى الحدود : استخدامه لمصطلحات مبهمة فى تسمية العلوم ، مثل : العلم الجوانى ، و العلم البرانى ، و أحمر ، و أبيض ، مما جعل تصنيفه محاط بالغموض .

أثر الحياة الفكرية فى تصنيف الحدود

يعكس تقسيم جابر فى كتابه الحدود للعلوم إلى قسمين : علم الدين و علم الدنيا، و طبيعة العلوم السائدة فى عصره ، فنتيجة حركة الترجمة وجدت علوم الحضارات الأخرى من علوم الفلسفة و المنطق و الكيمياء ، و فى مقابل هذه الثقافة الوافدة ظهر مفكرون إسلاميون يبحثون فى علوم القرآن و الحديث ، و من ثم ظهرت العلوم الشرعية القائمة على النص : القرآن الكريم و الأحاديث النبوية ، كما ظهرت المذاهب الفكرية . و نتيجة لهذه الحركة وجدت مؤلفات دينية و مؤلفات فى علوم أخرى تقوم على المنطق و أحكام العقل ، و هذا ما يفسر التقسيم الذى وضعه جابر فى التمييز بين علم الدين و علم الدنيا .

تصنيف الحدود بين التأثير و التأثر

لم تصل إلينا تصانيف سابقة على تصنيف الحدود لجابر بن حيان ، و من ثم يعد تصنيفه من المحاولات الرائدة فى علم التصنيف عند العرب ، و لكن تأثر بتصنيف الحدود عديد من المصنفين اللاحقين عليه ، و منهم الكندى الذى أخذ عنه فكرة التقسيم الثنائى ، و التفرقة بين ما هو علم دينى و علم دنيوى ، حيث أطلق على الأخير الإنسانيات . و الخوارزمى فى كتابه '' مفاتيح العلوم '' ، حيث أخذ عنه فكرة التقسيم الثنائى للعلوم ، ففرق بين علوم الشريعة و العلوم الأجنبية ، أو علوم العجم .

هل تأثر تصنيف جابر بن حيان '' الحدود '' بتصنيف أرسطو ؟

يعد تصنيف الحدود تصنيفا عربيا اصيلا يختلف اختلافا جوهريا عن تصنيف أرسطو ، من حيث اتباع التقسيم الثنائى للعلوم ، كما ذكر علوما لا توجد عند أرسطو ، مثل العلم الشرعى ، و علم الكيمياء الذى لم يذكره التصنيف الأرسطى . و يرد

بعض الباحثين فكرة التقسيم الثنائى إلى أفلاطون ، حيث قسم العالم أو الوجود إلى العالم المحسوس و العالم المعقول .

منهج ابن حيان فى تصنيف الحدود

اتبع جابر بن حيان المنهج نفسه الذى اتبعه فى تصنيف السباعية .

مستوى المعالجة فى الحدود

قسم جابر بن حيان تصنيف الحدود قسمة ثنائية ، حيث قسم العلوم إلى قسمين، هما : علم الدين و علم الدنيا ، و تناول كلا منهما بقسمة ثنائية ، و هكذا يسير فى تقسيم كل علم قسمة ثنائية لتصل التفريعات عنده إلى الصف السادس ، و هو ما يوضحه الجدول التالى :

تصنيف ابن حيان	صف أول	الفروع					إجمالى الفروع
		صف ثان	صف ثالث	صف رابع	صف خامس	صف سادس	
الحدود	علم الدين	٢	٤	٤	٦		١٦
	علم الدنيا	٢	٤	٢	٤	٦	١٨
الإجمالى	٢	٤	٨	٦	١٠	٦	٣٤

جدول رقم (٢) : يوضح أعداد العلوم المفرعة على كل صف فى تصنيف الحدود

من استقراء الجدول السابق يتضح ما يلى :

ـ ذكر ابن حيان فى الحدود علمين كبيرين يقفان على الصف الأول ، و يمثلان رتبتين رئيسيتين فى تصنيفه .

ـ يفرع من كل علم رئيسى عددا من العلوم ، ففى علم الدين يصل تفريع العلوم إلى الصف الخامس ، و فى علم الدنيا يصل التفريع إلى الصف السادس .

ـ يصل إجمالى عدد الفروع أربعة و ثلاثين فرعا توزع على الصفوف على النحو التالى : يبلغ عدد العلوم المفرعة على الصف الثانى أربعة علوم ، و على الصف الثالث ثمانية علوم ، و على الصف الرابع ستة علوم ، و على الصف الخامس عشرة علوم ، و على الصف السادس ستة علوم .

ـ يلاحظ التوازن بين أعداد العلوم المفرعة لكل علم رئيسى ، حيث بلغت فى علم الدين ستة عشر علما ، و فى علم الدنيا ثمانية عشر علما .

يتصف تصنيف الحدود بالتماسك و التناسق ، حيث جاءت بنية التصنيف متماسكة ، فعرض لكل علم بفروعه ، و لم يحدث قفزات تخل بعرض العلوم فى تصنيفه ، كما اتصف بالاتساق لسيره فى التقسيم الثنائى ، و لم يحدث إخلال ، و من ثم حدث توازن بين أعداد العلوم المفرعة من كل علم رئيسى فى تصنيفه .

و على الرغم من صعوبة فهم تصنيف جابر بن حيان '' الحدود '' ، سواء فى السباعية أو فى الحدود ، إلا أنه من الملاحظ أن ابن حيان قد قدم إسهاما عربيا إسلاميا خالصا فى تصنيفه السباعية أو الحدود ، و لم يقدم تقليدا أرسطيا ، كما اتبع بعض المفاهيم التصنيفية التى أخذتها عنه التصانيف العربية اللاحقة عليه ، و هذا ما سنلاحظه فى تصنيف الكندى الذى قدم محاولة جديدة فى التصنيف ترجع إلى القرن الثالث الهجرى .

ثانيا : تصنيف الكندى (ت ٢٥٢ هـ)

يؤرخ بعض الباحثين لتاريخ التصنيف عند المسلمين بالكندى (٢٦) فيعدونه صاحب أول تصنيف عربى (٢٧) ، فقد وضع كتابين فى تصنيف العلوم : كتاب : ''ماهية العلم و أصنافه '' ، وكتاب : '' أقسام العلم الأنسى '' . و قد تتبعت هذين الكتابين فى المكتبات الكبرى بمصر : دار الكتب المصرية ، و مكتبة بلدية الإسكندرية، فلم أجد لهما أثرا ، كذلك راسلت بعض المكتبات العالمية مثل مكتبة الكونجرس ، لعلها تكون ضمن محتويات القسم العربى بها ، و كان الرد بالنفى ، و من ثم اطمأننت إلى آراء الباحثين بضياع هذين التصنيفين و عدم وصولهما إلينا(٢٨) ، و من ثم فقد اعتمدت على رسالة الكندى فى '' كمية كتب أرسطو و ما تحتاج إليه فى تحصيل الفلسفة '' التى تضمنت تقسيمه للعلوم .

تصنيف الكندى

ينتمى تصنيف الكندى فى رسالته فى كمية كتب أرسطو إلى الاتجاه الثانى فى التصنيف عند العرب ، القائم على التعرف على تقسيم المعرفة ، و علاقة العلوم ببعضها ، من خلال ترتيب الكتب ، حيث تنصب الرسالة أساسا على ترتيب كتب أرسطو .

الهدف من رسالة الكندى

تناول الكندى ترتيب كتب أرسطو ، و لكن الترتيب فى حد ذاته لم يكن هدفا ، و إنما كان وسيلة للتعرف على العلوم و ترتيبها ، و الغاية منها ، لذلك نجد بعد عرض الترتيب يتناول كل علم بالتعريف ، و يحدد الغاية منه ، و من ثم فقد جاءت الرسالة لتحقق غرضين : الأول بيبليوجرافى لترتيب كتب أرسطو ، و الثانى تصنيفى، حيث أوضح مذهبه و نظرته فى تقسيم العلوم .

خطة الكندى فى تقسيم العلوم

جاء تقسيم الكندى للعلوم من خلال ترتيب كتب أرسطو على النحو التالى:(٢٩)

العلوم البشرية و الإنسانية

- الرياضيات
  - علم الكمية
    - علم الحساب
    - علم الموسيقى
  - علم الكيفية
    - علم الهندسة
    - علم الهيئة
- المنطقيات
  - قاطوغورياس '' المقولات ''
  - باريارمانياس '' العبارة ''
  - أنولوطيقى الأولى '' القياس ''
  - أنولوطيقى الثانية '' البرهان ''
  - طوبيقا '' الجدل ''
  - سوفسطيقا
  - ريطوريقا '' البلاغى ''

بويطيقا '' الشعرى ''

الطبيعيات

الخبر الطبيعى

السماء و العالم

الكون و الفساد

العالم العلوى

المعادن

النبات

الحيوان

النوع الثالث ، و يشمل كتبه فى النفس ، و هى :

كتاب النفس

الحس و المحسوس

النوم و اليقظة

طول العمر و قصره

النوع الرابع : ما وراء الطبيعة

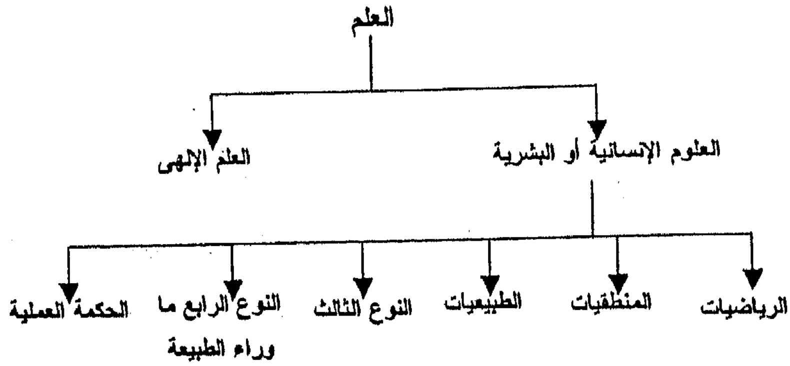
الحكمة العملية

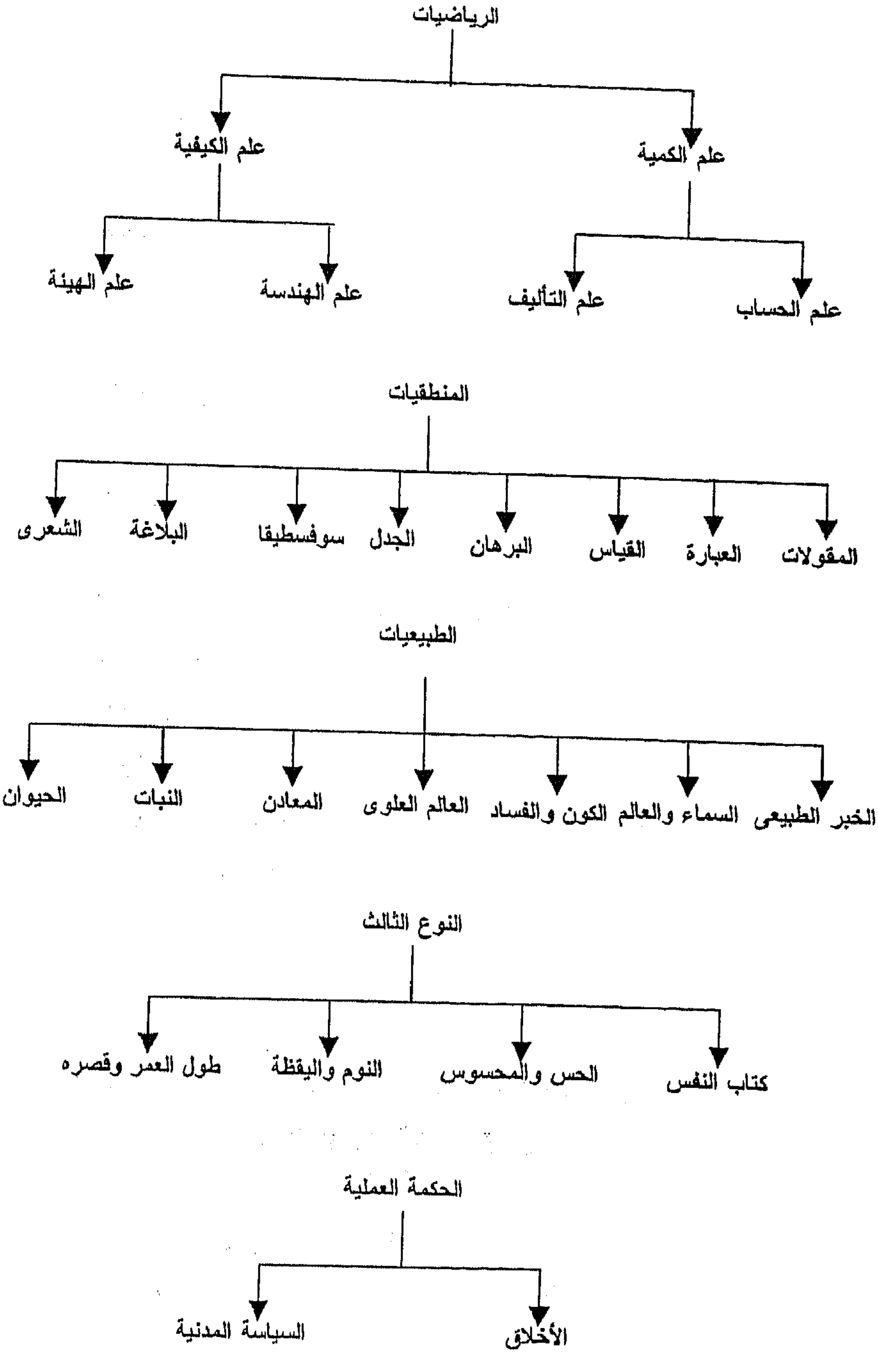
الأخلاق

السياسة

العلم الإلهى ، و جعل محوره العقيدة الإسلامية و علوم القرآن

<u>**مخطط هيكلى لتصنيف الكندى**</u>





منطق تصنيف العلوم لدى الكندى

يبدأ الكندى بعد مقدمة قصيرة يعرض فيها هدفه ، بتقسيم كتب أرسطو إلى أربعة أنواع ، هى : الكتب المنطقية ، ثم الطبيعيات ، ثم الكتب النفسية ، ثم كتاب ما

وراء الطبيعة ، مستعرضا الكتب في كل نوع من هذه الأنواع الأربعة ، ثم يعلق بعد ذلك على العلوم التى تتناولها الكتب و الغاية منها ، و تظهر فى هذا الجزء من الرسالة فلسفته و نظريته فى تقسيم العلوم ، حيث يقسمها إلى قسمين كبيرين ، هما : العلوم البشرية أو الإنسانية ، و العلوم الإلهية . و تدور الأولى حول كتب أرسطو ، و يرتب علومها مبتدئا بالرياضيات باعتبارها مدخلا لكل العلوم لاشتمالها على الأدلة البرهانية التى تحتاجها العلوم الأخرى ، كما أن العلوم الرياضية تدرب العقل على إدراك الحقائق ، و من ثم تعد مقدمة يبدأ منها الإنسان لتدريب عقله على فهم ما يليها من علوم ، و يليها المنطق باعتباره آلة و وسيلة لفهم العلوم لاشتماله على القوانين التى تعصم الذهن من الوقوع فى الخطأ ، و من ثم فعلى الإنسان التسلح به قبل النظر فى العلوم الأخرى ، و من هنا جاء تقديمه على بقية العلوم ، و يليه الطبيعيات ، و نجده يفرق بين قسمين ، الأول يتناول الأجسام المادية المكونة من صورة و مادة ، والثانى ليس بجسم مادى ، و إنما يوجد فى الجسم ، و هو النفس ، ثم يصعد بعد الطبيعيات إلى العلم الأعلى المجرد عن المادة ، و هو العلم الإلهى أو علم ما وراء الطبيعة . أما الثانية و هى العلوم الإلهية التى يعرفها بأنها علوم مغايرة من حيث مصدرها ، و وسائلها عن العلوم الإنسانية العادية فهى فى نظره علوم الأنبياء التى تأتى عن طريق الإلهام الإلهى أو الوحى . و قد تناول كل علم من العلوم الإنسانية بالتقسيم إلى علوم خاصة تندرج تحت كل علم عام ، فقسم الرياضيات إلى علمين هما : علم الكم ، وعلم الكيف. و علم الكم هو العلم الذى يتناول الأرقام من حيث زيادتها أو نقصانها ، و يقسمه إلى علمى الحساب و الموسيقى ، مبتدئا بعلم الحساب الذى يتناول العدد أو الرقم ، و يقدمه على سائر العلوم الرياضية الأخرى ، لأنها تنبنى عليه ، فإن لم يكن العدد موجودا لا نستطيع إيجاد أية نسبة عدد إلى عدد ، و هو موضوع علم الموسيقى ، و لا علم الهندسة الذى يحتاج إلى العدد فى إيجاد أطوال الخطوط أو مساحة السطوح ، و لا علم الهيئة الذى يحتاج إلى العدد فى دراسة الأجرام و الزمن والحركة .

و علم الكيفية هو العلم الذى يتناول عملية التغير و التحول ، و هو ما نجـــده فى علم الهندسة التى تتناول الخطوط و السطوح ، و علم الفلك أو الهيئة الذى يتنـــاول الأجرام السماوية والأرضية، وهى الحركة و التغير . و يقدم الهندسة على علم الهيئة باعتبار الأولى كيفية ثابتة ، و الثانية كيفية متحركة . ثــم يتنـــاول العلـــوم الأخـــرى بتقسيمها إلى أسماء كتب أرسطو ، و تأتى بالترتيب نفسه الذى ورد عند أرسطو .

قواعد التصنيف و مفاهيمه فى تقسيم الكندى للعلوم

اعتمد الكندى فى تقسيمه للعلوم على ما يعرف بـــ '' السند الأدبى *Literary warant* '' الذى دعا إلى استخدامه و ندهام هلم ، و هو يعنى الاعتماد فى التصنيف على الإنتاج الفكرى الفعلى . (٣٠) و من ثم يسجل للكندى السبق فى اســـتخدام هـــذا المفهوم قبل وندهام هلم بقرون عديدة . و قد حافظ الكندى على عدة علاقـــــات بيـــن العلوم ، و منها :

علاقة الاشتمال و التبعية ، و هذا ما نجده فى عرضه لعلوم جزئية تندرج تحت العلم الذى يشملها ، مثل : علم الحساب ، و الموسيقى ، و الهندسة ، و الهيئة ، التى تعـــد علوما جزئية مفرعة من علمى الكم و الكيف ، ثم تفرع كل من علمى الكم و الكيـــف من العلم العام ، و هو الرياضيات .

علاقة التناسب أو التساوى ، حيث نجد أكثر من علم يقف على صف واحد بالرغم من اشتراكهم فى بعض الجوانب و اختلافهم فى البعض الآخر متفرعين من علـــم أعلـــى يشملهم ، و هذا ما نجده فى علمى الحساب و الهندسة ، حيث يختلفان ، فالأول علـــم كمى ، و الآخر علم كيفى ، و لكنهما يشتركان فى استخدامهما للعـــدد ، و مـــن ثـــم يندرجان تحت أمر ثالث ، و هو العلم الرياضى .

ــ تدرجت العلوم فى تصنيف الكندى بشكل منطقى معتمد على أن كل علم وسيلة للعلم اللاحق عليه ، و هو ما يشبه المبدأ الذى سار عليه '' أوجست كونت '' فى تقسيمه للعلوم ، بأن كل علم يبنى على العلم السابق عليه . (٣١) حيث تأتى الرياضيات فـــى قمة العلوم لعدم اعتمادها على غيرها من العلوم ، و اعتماد العلوم الأخرى عليـــها ، حيث تتعامل مع القوانين البرهانية التى تستفيد منها العلوم التالية عليـــها ، ثـــم علـــم المنطق ، و هو أيضا من العلوم التى تعتمد العلوم اللاحقة عليها ، ثم تأتى الطبيعيـــات

التى تستفيد مما سبقها من علوم ، سواء كان ذلك فى الرياضيات بأدلتها البرهانيـــة أو فى قوانين المنطق . و يلاحظ أنه بدأ بعلم الرياضيات ، و وضعها فى قمة العلــــوم ، وهو ما ذهب إليه '' أوجست كونت '' فى تفسيمه للعلوم . (٣٢)

تقييم محاولة الكندى التصنيفية فى رسالته

مما يلاحظ على تصنيف الكندى :

ـ أسبقية الكندى فى استخدام مصطلح العلوم الإنسانية ، و قد عرفه بأنه العلوم التـــى تأتى عن طريق سعى البشر و عقولهم ، و هذا يدل على وضوح المصطلح فى ذهنه ، و قد جعله فى مقابل علوم أخرى تأتى بوحى إلهى بعيدة عن اجتهاد البشر و عقولهم ، و يعد هذا المصطلح من المصطلحات الحديثة التى تحدد معناها حديثا ، و اتخذ عنــد الكندى معنى واسعا فضفاضا . وعلى الرغم من ذلــك فــإن اهتــداء الكنــدى لــهذا المصطلح و تعريفه تعريفا يقترب من معناه الحديث يعد محاولة سابقة لعصره .

ـ عدم الجزم بأن فكرة تقسيم العلوم و تنظيمها قد تبلورت ، و وضحت عند الكندى ، بالرغم من اطلاعه على تصانيف العلوم عند افلاطون و أرسطو باعتباره مــن أهـم المترجمين ـ فى عصره ـ عن اليونانية .

ـ تفريقه بين علم النبى و علم الفيلسوف ، و هو بذلك قد سبق الفارابى فـــى القــول بنظرية النبى الفيلسوف . (٣٣)

مميزات تصنيف الكندى و عيوبه

تميز تصنيف الكندى بوضعه الأساس الذى سارت عليه التصانيف اللاحقة فى التفريق بين العلوم البشرية و علوم العقيدة القائمة على القرآن الكريم و السنة . ويعاب عليه عدم ذكره بعض العلوم المهمة فى عصره ، منها :

ـ علم الكيمياء ، و علم الطب ، و هما من العلوم التى اشتهرت على عصره ، كمـــا كان للكندى نفسه المؤلفات العديدة فيهما ، فضلا عن ممارسته للعلمين ، بل كانت لـــه تجارب متعددة فى علم الكيمياء . و قد يرجع ذلك إلى قيام رسالته على ترتيب كتب أرسطو الذى لم يؤلف كتبا فى هذين العلمين .

ـ العلوم العربية بفروعها المختلفة ، و خاصة أنه قد اســتقرت هــذه العلــوم علـــى عصره، و ظهرت المصنفات العديدة التى قننت قواعدها ، و حددت موضوعاتـــــها ،

سواء فى علم النحو و الصرف أو الشعر ، ففى الفترة التى عاش فيها الكندى ظهر العديد من النحاة المبرزين : سيبويه ، و الكسائى ، و المفضل الضبى صاحب كتاب المفضليات .

ــ العلوم الإسلامية بفروعها ، على الرغم من استقرار التأليف فى علوم الدين الإسلامى على زمن الكندى ، فقد بدأ التفسير من القرن الأول الهجرى ، و بدأت الكتابة فى علم الحديث فى القرن الأول ، و استقرت طرق تدوين علوم الحديث فى النصف الثانى من القرن الثانى الهجرى . (٣٤)

أثر الحياة الفكرية على تصنيف الكندى

عاش الكندى فى أواخر العصر العباسى الأول ، و أوائل العصر العباسى الثانى ، و قد كان معاصرا للمأمون و المعتصم و المتوكل ، و وصفت تلك المرحلة بأنها أرقى مراحل الترجمة ، كما تميزت بأنها مرحلة الإبداع و الأصالة ، و من أهم المعالم المميزة لتلك الفترة وجود المراجعين للترجمات الذين كانوا يقابلونها بالأصل ، و هذا ما كان يوحى بالدقة العلمية و الأمانة . و قد مثل تلك الفترة خير تمثيل أبو يوسف يعقوب الكندى صاحب التصنيف الذى نتناوله الآن ، فهو ناقدا لأصحاب الكتب المترجمة ، بالإضافة إلى سعة إسهاماته الإبداعية قي شتى فروع المعرفة . و فى تلك الفترة اشتغل الناس بالعلوم الدينية ، كما ظهر المتكلمون ، و ظهر العديد من الفرق الإسلامية ، و ميز الكتاب بين علوم الحضارات الأخرى و العلوم الإسلامية ، و هذا ما انعكس فعلا على تصنيف الكندى فى محاولته التمييز بين العلوم البشرية أو الإنسانية التى مثلت الفكر الأجنبى المترجم ، و العلوم الإلهية التى مثلت الفكر الإسلامى الذى كان نتيجة للواقع الحضارى الإسلامى .

تأثير الحضارات الأجنبية فى تصنيف الكندى

كان الكندى أحد أعلام الترجمة فى العصر الذهبى للترجمة ، و لكنه لم يقف عند حد النقل الحرفى ، بل كان شارحا ناقدا لما ينقله ، و قد برع فى الترجمة عن اليونانية و السريانية ، و من ثم فإن الكندى كان مستوعبا لحضارة اليونان ، و هذا ما انعكس على تصنيفه الذى قام على تقسيم كتب أرسطو ، مستخدما أسماء كتب أرسطو نفسها كفروع للعلوم المختلفة ، كما نجد تأثير المدرسة السكندرية فى تقسيمه

للرياضيات ، حيث اختلف عما ذهب إليه أرسطو فى تقسيم العلم الرياضى ، فيرد العلم الرياضى إلى الكم و الكيف ، و على هذا الأساس يأتى ترتيب العلوم الرياضية على النحو التالى : الحساب و الموسيقى و الهندسة و الهيئة ، و هو الترتيب السكندرى نفسه للعلم الرياضى . (٣٥)

منهج الكندى فى تصنيفه

تبنى الكندى التقسيم الثنائى للعلوم ، حيث قسم العلوم إلى قسمين كبيرين : العلوم البشرية و العلوم الإلهية . و قد تناول العلوم البشرية بتقسيمها إلى عدة أقسام رئيسية تعد علوما عامة ، ثم تناول كلا منها بالتفريع إلى علوم أخص تتدرج تحتها ، و هكذا يسير فى عرض علومه بشكل منطقى متدرجا من الكل إلى الجزء ، و هو ما يطلق عليه المنهج الاستنباطى ، و هذا هو المنهج الذى تبناه أرسطو فى تقسيمه للعلوم.

مستوى المعالجة فى تصنيف الكندى

بدأ الكندى رسالته بمقدمة وضح فيها هدفه ، ثم عرض ترتيبه لكتب أرسطو ، ثم أعطى تعليقا بعد ترتيب الكتب ضمنه تقسيمه للعلوم ، حيث قسمها إلى قسمين كبيرين ، متناولا القسم الأول منهما بالتقسيم إلى عدد من العلوم العامة تتفرع منها مجموعة من العلوم الخاصة ، و هذا ما سوف يوضحه الجدول التالى :

تصنيف	الرتبة الرئيسية	الفروع			
الكندى	الصف الأول	الصف الثانى	الصف الثالث	الصف الرابع	الصف الخامس
من خلال رسالة '' فى كمية كتب أرسطو ''	العلوم البشرية أو الإنسانية	الرياضيات	٢	٤	١
		المنطقيات	٨		٨
		الطبيعيات	٧		٧
		الكتب النفسية	٤		٤
		ما بعد الطبيعة	—		—
		الحكمة العملية	٢		٢
	العلوم الإلهية				
الإجمالى	٢	٦	٢٣	٤	٣٣

جدول رقم (٣) : الرتب الرئيسية و الفروع فى تصنيف الكندى

يلاحظ من الجدول السابق أن :

ـ عدد الرتب الرئيسية فى تصنيف الكندى اثنان .

ـ عدد الفروع من الرتب الرئيسية ثلاثة و ثلاثون .

ـ لا يعطى أى تفريع من العلم الإلهى ، و من ثم يقف هذا العلم عند الصف الأول .

ـ وصلت التفريعات عن العلوم البشرية إلى الصف الرابع ، و هـذا بالنسـبة لعلـم الرياضيات لاهتمامه بهذا العلم الذى اعتبره المدخل لفهم العلوم الفلسفية . بينما وقـف التفريع فى بقية العلوم المفرعة عن العلوم البشرية عند الصف الثالث لعـدم وجـود تفريعات لها عند أرسطو .

ـ يوجد نوع من التوازن فى التفريع بالنسبة للموضوعات التى تقـف عنـد الصـف الثالث ، كما فى المنطقيات و الطبيعيات ، حيث يصل عدد العلوم المفرعة عن العلـم الأول ثمانية ، و فى الثانى سبعة .

التماسك و التناسق

ـ يلاحظ على بنية تصنيف الكندى التماسك إلى حد ما ، فقد عـالج كـل موضـوع بتفريعاته دون القفز بتفريعات العلم إلى مكان آخر ، و يلاحظ عدم الالتزام بـالترتيب الذى ارتضاه للعلوم ، فعلى الرغم من أنه يقدم العلم الريـاضى علـى بقيـة العلـوم الأخرى إلا أنه لم يعرف بالعلم الرياضى و فروعه فى البداية ، و إنما بدأ بالمنطقيـات و أخر العلم الرياضى .

ـ يلاحظ عدم التوازن فى تفريعات العلوم ، حيث لا يعطى أيـة تفريعـات لبعـض العلوم، مثل العلم الإلهى ، و بعضها يصل التفريع فيه إلى ثمانية علوم ، و هو العلـم الطبيعى ، ومن ثم فقد جانب التصنيف
التناسق بين تفريعات العلوم .

و يعد تصنيف الكندى من المحاولات الرائدة فى التصانيف العربية الإسلامية، حيث وضع الأساس الذى قام عليه تصنيف العلوم الإسلامية القائمـة علـى القـرآن والسنة ، و هو ما استفادت منه التصانيف اللاحقة ، مثل تصنيف الخوارزمى الـذى يرجع إلى القرن اللاحق للكندى ، و هو القرن الرابع الهجرى ، الذى زخر بالعديد من التصانيف .

هوامش الفصل الرابع

١ــ جابر بن حيان ، هو أبو موسى عامر ابو عبد الله ،و قد اختلف الناس فى حقيقته، فقد أنكره بعضهم ، يذكر ابن النديم أن جماعة من أهل العلم و أكابر الوراقين ينكرون حقيقته و وجوده ، و بعضهم يقول إنه إذا كانت له حقيقة فإن لم يصنف شيئا ، و أن مصنفاته قد ألفها غيره ، ثم نسبوها إليه ، و لكن ابن النديم يؤكد حقيقة جابر بن حيان و وجوده ، و له حجة قوية فى ذلك ، فهو يذكر أن رجلا فاضلا يجلس و يتعب ويصنف كتابا يحتوى على ألفى ورقة ثم ينحله غيره ، إما موجودا أو معدوما ، ضرب من الجهل . فالرجل له حقيقة ، و أمره أظهر و أشهر ، و تصنيفاته أعظم وأكثر ، و إذا كان أنكره بعضهم فقد اختلف بعضهم فى أمره و مذهبه ، فقالت الشيعة إنه كان من كبارهم ، و زعم قوم من الفلاسفة أنه كان منهم ، و زعم أهل صناعة الذهب و الفضة أن الرياسة انتهت إليه فى عصره ، و أن أمره كان مكتوما ، وزعموا أنه كان ينتقل فى البلدان لا يستقر به بلد خوفا من السلطان على نفسه ، كما قيل إنه كان فى حملة البرامكة ومنقطعا إليهم : من شعبان عبد العزيز خليفة ووليد محمد العوزة ــ الفهرست لابن النديم : مج ١ ص ٦٩٨ . و يرجح الدكتور زكى نجيب محمود أن ابن حيان كان من الشيعة مذهبا ، و من الفلاسفة جدلا ، و من الكيميائيين علما ، أما اساتذته فهما خالد بن يزيد بن معاوية (ت ١٠٤هــ) و جعفر الصادق ، فقد أخذ اعلم صناعة الكيمياء عن خالد بن يزيد ، و بكن شهرة جابر فاقت شهرة خالد، و كان جعفر الصادق إماما له فى مذهبه الشيعى : زكى نجيب محمود ــ جابر بن حيان ــ سلسلة أعلام العرب ٢٣ ــ القاهرة ــ المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة و النشر : ١٩٦٧م : ص ٦٢ . و قد ولد جابر بن حيان بطوس ، و يذكر ابن النديم أن أصله من خراسان ، و قد عاش زمنا فى الكوفة فيما بين عامى ١٢٠هــ ــ١٩٨هــ ، و لذلك لقب بالكوفى . و لم تكن الكيمياء علما بالمعنى المعروف ، و لكن جابر وضع لها أسسا و نظريات و قواعد ، و عرف كثيرا من مصطلحاتها ، و له العديد من المصنفات فيها ، و لذلك فهو يعد رائد علم الكيمياء ، وبالإضافة إلى

ذلك فهو رجل موسوعى ، كتب فى موضوعات شتى . و قد حصر ابـــن النديـــم مصنفات ابن حيان التى وصل عددها إلى ٢١٣ كتابا : شـــعبان خليفـــة و وليـــد العوزة ــ مرجع سابق : مج٢ ص ١٠٧ .

٢ــ جابر بن حيان ــ كتاب إخراج ما فى القوة إلى الفعل ، من مختار رسائل جـــابر بن حيان ــ تصحيح بول كراوس ــ القاهرة ــ مكتبة الخانجى : ١٣٥٤هـــ : ص ص ١ــ٩٥ .

٣ــ المرجع السابق : ص ص ١ــ٩٥ .

٤ــ حاجى خليفة ــ مصدر سابق : ج١ ع٢٣ .

٥ــ جابر بن حيان ــ مصدر سابق : ص ٤٨ .

٦ــ جلال محمد عبد الحميد موسى ــ منهج البحث العلمى عند العرب فـــى مجـــال العلوم الطبيعية و الكونية ــ تقديم و تحليل محمد علي أبو ريان ــ بـيروت ــ دار الكتاب اللبنانى : ١٩٧٢م : ص ١٦٦ .

٧ــ أحمد عبد الحليم عطية ــ دراسات فى تاريخ العلوم عند العرب ــ القاهرة ــ دار الثقافة : ١٩٩١م : ص ١٦٠ .

٨ــ جابر بن حيان ــ مصدر سابق : ص ٦٢ .

٩ــ العناصر الأربعة : النار و الهواء و الماء و الأرض .

١٠ــ أحمد عبد الحليم عطية : مرجع سابق : ص ١٦٤ .

١١ــ حاجى خليفة : مصدر سابق : ج١ ع٢٣ .

١٢ــ جلال محمد عبد الحميد موسى ــ مرجع سابق : ص ١٣٥ .

١٣ــ نظرية الأخلاط : ظلت هذه النظرية أساسا لعلم الطب حتى القرن الثامن عشـــر الميلادى ، عندما اسكتشفت الجراثيم ، و نشأ علم البكتريولوجيا والأمراض المعدية ، القائلان بأن كل مرض إنما يحدث نتيجة عدوى خاصة . و يرى غـــاليوجى أن نظرية الأخلاط التى شيدت على تأملات فلسفية أثبتتها البحوث الحديثة فى كيفيـــة احتفاظ الجسم بتركيبه الداخلى ، و استجابة المحور المكون من الجهاز العصبـى و الغدد الصم إلى مختلف التأثيرات الخارجية : جلال محمد عبد الحميد موســـى ــ مرجع سابق : ص ١٧٧ .

١٤ــ نفس المرجع السابق : ص ١٧٧ .

١٥ــ الجنس هو ما يميز حقيقة الشيء ؛ بمعنى إذا قلنا جنس الموضوع هو الموضوع الكلى الذى يندرج تحته موضوعات أخرى ، مثل قولنا : الإنسان حيوان ، فكلمة حيوان هى جنس للإنسان ، حيث يشترك فى كلمة حيوان مع الإنسان موضوعات أخرى مثل الأسد و القرد و غيرها . و الفصل : هى الصفات التى تميز الشيء عن الأشياء الأخرى المندرجة معه تحت الجنس عن الأنواع الأخرى المندرجة ، مثل الإنسان حيوان ناطق ، فالحيوان جنس للإنسان ، و ناطق هى الصفة التى تفصله عن الحيوان .

١٦ــ جابر بن حيان ــ كتاب الحدود ، فى كتاب مختار رسائل جابر بن حيان ــ تصحيح بول كراوس ــ القاهرة ــ مكتبة الخانجي : ١٣٥٤هــ : ص ص ٩٧ــ١١٤.

١٧ــ جابر بن حيان ــ كتاب الحدود : ص ١٠٣ .

١٨ــ زكى نجيب محمود ــ مرجع سابق : ص ص ١١٩ــ١٢٠ .

١٩ــ يلاحظ أن طريقته فى تكوين المجموعات هى أنه أخذ للحرارة الحرف الأول ، و الخامس ، و التاسع ، و الثالث عشر ، و هكذا . وللبرودة الحرف الثانى ، والسادس ، و العاشر ، و الرابع عشر ، و هكذا . ولليبوسة الحرف الثالث و السابع و الحادى عشر ، و هكذا . و للرطوبة الحرف الرابع و الثامن و الثانى عشر ، وهكذا. على أساس أن ترتيب الحروف الأبجدية هو أ ب ج د ، هـ و ز ، ح ط ى ، ك ل م ن ، س ع ف ص ، ق ر ش ت ، ث خ ذ ، ض ظ غ . و هنا نلاحظ التقسيم الرباعى للحروف .

٢٠ــ زكى نجيب محمود ــ مرجع سابق : ص ٩٥ .

٢١ــ جلال عبد الحميد موسى ــ مرجع سابق : ص ١٣٧ .

٢٢ــ التدابير : وتتمثل فى الخطوات أو الأعمال فى التنقية ، و هى عملية مزج المعادن بالزئبق ، ثم التصعيد ، ثم التكليس ، لتحويل المعدن إلى مسحوق رقيق ، ثم التصدية لتطهير المادة من وسائخها ، ثم عملية التشميع ؛ أى إضافة بعض المواد لتليينها لتصبح مثل الشمع حتى يسهل ذوبانها على النار ، ثم الحل ؛ أى

حل الإجسام إلى أجزائها الطبيعية بالتصعيد و التقطير ، ثـم العقـد ؛ أي وضـع المسحوق في إناء ويوقد تحته ليجمد و يعود حجرا : جلال عبد الحميد موسـى ـ مرجع سابق : ص١٣٩ .

٢٣ـ زكي نجيب محمود ـ مرجع سابق : ص ص ١٩٧ـ١٩٩ .

٢٤ـ ماهر عبد القادر ـ المنطق و مناهج البحث ـ الإسـكندرية ـ دار المعرفـة الجامعية :١٩٩٨م: ص٣٣ .

٢٥ـ جابر بن حيان ـ الحدود ـ ص ١١١ .

٢٦ـ هو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق بن الصباح بن عمران بن إسماعيل بن محمـد بن الأشعث بن قيس ، و تاريخ ميلاده غير معروف على وجه اليقين ، و ترجـح ولادته في عام ١٨٥هـ ، و قد توفي والده و هو صغير ، و دفعته والدتـه إلـى الدراسة و العلم ، و بخاصة العلوم الدينية و آلاتها (العلوم العربية و التـاريخ) حيث كانت هي العلوم الرائجة في ذلك الوقت . و قد تعلم علـوم اللغـة و الأدب وشيئا من علوم الدين ، و لما بلغ رشده اتجه إلى الفلسفة و علومها و علم الكـلام والمتكلمين وغير ذلك من العلوم المنقولة عن الحضارات الأخرى . و كان علـى علم ببعض اللغات ، و منها السريانية ، و ترجم العديد مـن الكتـب ، و منـها : المعمور في الأرض لبطليموس ، كما تخصص في علم أحكام النجوم . كما كـانت له مؤلفات عديدة في موضوعات شتى. و قد لقب الكندي بفيلسوف العرب ، ويرى مصطفى عبد الرازق أن الكندي جدير بهذه التسمية لأنه أول عربي مسـلم مـهد للفلسفة سبيل الانتشار بين العرب في ظل الإسلام ، حيث كان أمر الترجمة مـن قبله لغير العرب ، فكانت الترجمة حرفية يستعصى على العربي فهمـها ، فجـاء الكندي وترجم بنفسه، و اصلح ما ترجم ليسهل تناوله ، و لا ينفـر مـن أسـاليبه الذوق العربي : مصطفى عبد الرازق ـ فيلسوف العـرب و المعلـم الثـاني ـ القاهرة ـ دار إحياء الكتب العربية : ١٩٤٥ : ص ٢٤ .

٢٧ـ فؤاد سزكين ـ تاريخ التراث العربي ـ نقلة إلى العربية الدكتور محمود فـهمي حجازي و فهمي أبو الفضل ـ القاهرة ـ الهيئـة المصريـة العامـة للكتـاب : ١٩٧٧م : مج١ ص ٦٢٠ .

٢٨ــ نفس المرجع السابق . ــ مج١ ص ٦٢٠ .
٢٩ــ الكندى ــ كمية كتب أرسطوطاليس و ما يحتاج إليه فى تحصيل الفلسفة : فــى كتاب رسائل الكندى الفلسفية ــ تحقيق و إخراج محمد عبد الهادى أبــو ريــدة ــ القاهرة ــ دار الفكر العربى : ١٩٥٠ : ص ص ٣٦٤ــ٣٧٠ .

30- Langridge , Derek - Classifying Knowledge in Knowledge and communication: essays on the information chain , edited by A.j. Meadows .- London : L.A.1991. P11 .

٣١ــ شعبان عبد العزيز خليفة و محمد عوض العايدى ــ التصنيف العشرى القياســى للمكتبات المدرسية و العامة : ص ٩٣ .
٣٢ــ بريل ، ليفى . فلسفة أوجست كونت ــ ترجمة محمود قاسم و السيد محمد بدوى ــ القاهرة ــ مكتبة الأنجلو المصرية : ١٩٥٢: ص ٤٨ .
٣٣ــ عبد الحليم عطية ــ دراسات فى تاريخ العلوم عند العرب : ص ٧٥ .
٣٤ــ عبد الحليم عطية ــ مرجع سابق : ص ٧٢ .

الفصل الرابع

التصانيف العربية الإسلامية

فى العصر العباسى الثانى

(فى القرنين الرابع و الخامس الهجريين)

(٢٣٢هـ - ٤٤٧هـ)

مقدمة

بدأ العصر العباسى الثانى مع تولى الخليفة المتوكل الخلافة العباسية ، و تعد فترة حكمه بداية الانحلال فى تلك الخلافة ، إلى أن سقطت بسقوط بغداد فى يد التتار عام ٦٥٦هـ . و يرجع ضعف الدولة العباسية إلى عدة عوامل ، منها :

- اعتماد العباسيين على الفرس و على الأتراك ، و إيثارهم بالمناصب المدنية والعسكرية دون العرب .
- فتك العباسيين ببنى أمية و تمثيلهم بهم .
- قيام العلويين فى وجه العباسيين لأن العباسيين استأثروا بالخلافة دونهم .
- ظهور كثير من بدع الملاحدة و الزنادقة كالروانديـة و الخرميـة ، و أصحاب المقالات، وطوائف من المتكلمين، وأدى هذا إلى انقسام المسلمين شيعاً وطوائف يناهض بعضها بعضاً ، و يحاول بعضها القضاء على الدولة نفسها.

وعلى الرغم من الضعف السياسى الذى أصاب كيان الدولة العباسية إلا أننا نلاحظ ازدهار الحركة العلمية و نشاطها ، حتى إن هذا العصر يعد من أزهى العصور العلمية فى حياة الحضارة العربية الإسلامية ، و يرجع ذلك إلى أن الحركات التى بدأت فى العصر الأموى و اكتملت فى العصر العباسى الأول من الترجمة والتدوين و التأليف قد بدأت تؤتى أكلها ، كما أشتهر فى هذا العصر كثير من الخلفاء الذين حاولوا إعادة الدولة العباسية إلى ما كانت عليه من قوة و مجد وعلى الرغم

من الضعف الذى أصاب الدولة العباسية بظهور الدويلات : السامانية و البويهية والحمدانية و الغزنوية والسلجوقية، وغيرها، فقد كان لها اثر كبير فى تقدم الحضارة الإسلامية و تشجيع العلوم و الآداب و الفنون و غيرها . (١)

و قد زخر العصر العباسى الثانى بظهور العديد من التصانيف ، و بخاصة فى القرن الرابع الهجرى ، و لذلك سوف يتناول هذا الفصل أشهر التصانيف العربية الإسلامية التى توضح الاتجاهات المختلفة فى التصنيف ، و هى : تصنيف الفارابى فى : '' إحصاء العلوم '' ، و تصنيف الخوارزمى فى : '' مفاتيح العلوم '' ، وتصنيف ابن النديم فى : '' الفهرست '' ، و تصنيف ابن سينا فى : '' أقسام العلوم العقلية '' .

أولاً : تصنيف الفارابى (ت ٣٣٩هـ)

يعد الفارابى (٢) أول من اعتنى من المسلمين بإحصاء العلوم و تقسيمها ، فى كتابه الشهير : '' إحصاء العلوم '' . و قد ظل هذا الكتاب محل عناية أهل العلم فى الشرق و الغرب ، بل كان له أبلغ الأثر فى تصانيف من أتى بعده من فلاسفة العرب المسلمين ، و نظريات فلاسفة الغرب .

تصنيف الفارابى فى إحصاء العلوم

ينتمى تصنيف الفارابى إلى المدرسة الفلسفية ، حيث بنى تصنيفه بطريقة نظرية جاءت وفق تصوره الفلسفى للمعرفة و تقسيم العلوم . و يعرض الفارابى فى مقدمة كتابه الغرض من وضعه ، ثم يتناول العلوم بأقسامها و تفريعاتها ، متناولاً كل منها بالتعريف و تحديد الموضوع .

الهدف من تصنيف إحصاء العلوم

صرح الفارابى أن من أهم الأهداف التى يسعى إلى تحقيقها من كتابه تقسيم العلوم المشهورة على عصره ، و التعريف بموضوعاتها و فروعها . (٣) و لا شك أن هذا قد أدى إلى وقوع خلاف بين الباحثين ، فبعضهم يرى أنه لم يرم إلى تقسيم العلوم ، بل هو مجرد إحصاء لها ، و التعريف بها . (٤) بينما يؤكد بعض آخر أنه يهدف إلى تقسيم العلوم ، و إن لم يصرح بذلك . (٥) و نرجح الرأى الثانى لأن عرض الموضوعات فى كتاب إحصاء العلوم جاء وفق ترتيب منطقى ، حيث قسم

العلوم إلى أقسام كبيرة ، ثم تدرج بها إلى فروع تتدرج تحت كل موضوع بشكل متناسق ، و هذا ما صرح به الفارابى نفسه فى قوله : '' نعرف جمل ما يشتمل عليه كل واحد منها ، و أجزاء كل ما له أجزاء '' ، فعبارته تشير إلى هدفه فى تعريف الحدود الموضوعية لكل علم ، و علاقاته بالموضوعات الأصغر التى تندرج تحته ، وهذا ما يخص التصنيف . و التزام الفارابى بتعريف العلم و تحديد موقعه بين العلوم الأخرى من الأسس التى يقف عليها أى عمل تصنيفى ، و لذلك فإن كتاب '' إحصاء العلوم '' كتاب فى تصنيف العلوم ؛ حيث لا يمكن لباحث أن ينفذ بفكره فى علوم عصره دون أن تكون لديه فكرة تكاملية عن الترابط الموجود بين هذه العلوم واشتقاقها بعضها من البعض الآخر .

إلى جانب الغرض الأساسي لكتاب إحصاء العلوم ، و هو تقسيم العلوم ، فإن الفارابى يرى لكتابه عدداً من الفوائد ، نجملها فيما يلى :

أولاً : تعريف طالب العلم بالمحتوى الموضوعى لكل علم ، و الغرض منه ، حتى يكون على بينة بحدود العلم الذى يقبل على دراسته ، و هذا يؤكد على الصفة الموسوعية لكتاب إحصاء العلوم .

ثانياً : مساعدة الطلاب على المفاضلة بين العلوم ، فهو يقدم ترتيباً للعلوم يوضح أى العلوم يجب الابتداء بها فى التعليم، و أيها يأتى لاحقاً، وهذا يعكس نظام التعليم الذى ساد فى عصر الفارابى.

ثالثاً : مساعدة الإنسان على الإحاطة بمجموع العلوم كلها ، فإذا تقابل هذا الإنسان مع شخص يدعى العلم و المعرفة يستطيع أن يكشف كذبه أو صحة دعواه .

رابعاً : ينتفع به ــ كما يقول الفارابى ــ المتأدب المتفنن ، فمَنْ يريد أن يكتب فى موضوع ، أو ينشد قصائد ، أو يكتب نثراً ، هو فى حاجة إلى مجموعة معارف تعينه على هذا الأمر ، فلا يكتب معلومات خاطئة ، أو ما يجانبه الصواب ، و هذه نظرة متقدمة ، ففى العصر الحديث لا يستطيع كاتب أو مؤلف أو ناثر أو قصاص أو شاعر الكتابة فى أى موضوع إلا إذا كان محيطاً بمجموعة من المعارف و العلوم . كما يساعد الكتاب كل من يريد الثقافة العامة ، أى يحاول أن يأخذ من كل علم بطرف .

قسم الفارابى المعرفة إلى خمسة قطاعات معرفية ، ثم قسم كل قسم رئيسى إلى عدة علوم فرعية تتدرج تحته ، و قد جاءت خطته التصنيفية على النحو التالى:(٦)

علم اللسان

علم الألفاظ المفردة

علم الألفاظ المركبة

علم قوانين الألفاظ المفردة

الحروف

قوانين أمثلة الألفاظ المفردة

الألفاظ التى عسر النطق بها أول ما وضعت فغيرت حتى سهل النطق بها

علم قوانين الألفاظ المركبة

قوانين أطراف الأسماء و الكلم عندما تركب أو ترتب

قوانين فى أحوال التركيب و الترتيب نفسه فى ذلك اللسان

كيف تتركب الألفاظ و ترتب فى ذلك اللسان حتى تصير أقاويل

التركيب و الترتيب الأفصح فى ذلك اللسان .

علم قوانين الكتابة . ـــــــ (الخط)

علم قوانين تصحيح القراءة . ـــــــ (الإملاء)

علم الأشعار

إحصاء الأوزان المستعملة فى أشعارهم

نهايات الأبيات فى وزن وزن أيما منها عندهم على وجه واحد

ما يصلح أن يستعمل فى الأشعار من الألفاظ عندهم مما ليس يصلح أن يستعمل فى القول الذى ليس بشعر

علم المنطق

المعقولات

العبارة

القياس

البرهان

المواضع الجدلية

الأقاويل السوفسطائية

الأقاويل الخطبية

الأقاويل الشعرية

علم التعاليم

علم العدد

علم العدد العملى

علم العدد النظرى

علم الهندسة

علم الهندسة العملية

الخطوط و السطوح

علم الهندسة النظرى

المجسمات

علم المناظر

الفحص عما ينظر إليه بالشعاعات المستقيمة

علم المرايا و هو يفحص عما ينظر إليه بالشعاعات غير المستقيمة

علم النجوم

علم أحكام النجوم

علم النجوم التعليمى

أشكال النجوم و أوضاع بعضها إلى بعض و مراتبها فـى العالم

حركات الأجسام السماوية ، كم هى

الأرض المعمورة و غير المعمورة

علم الموسيقى

الموسيقى العملية

الموسيقى النظرية

مبادىء الموسيقى و أوائلها

أصول الموسيقى

الآلات الموسيقية

أوزان النغم

تأليف الألحان

علم الأثقال

علم الموازين

الآلات

علم الحيل

الحيل العددية

الحيل الهندسية

صناعة رئاسة البناء

الحيل فى مساحة أصناف الأجسام

الحيل فى صنعة آلات نجومية و آلات موسيقية و أعـــداد آلات لصنائع كثيرة

الحيل المناظرية فى صنعة آلات تسدد الأبصـــــار نحـــو إدراك حقيقة الأشياء

حيل فى صنعة أوان عجيبة و آلات لصنائع كثيرة

العلم الطبيعى

السماع الطبيعى

السماء و العالم

الكون و الفساد

الآثار العلوية : المقالات الأولى الثلاث من كتاب الآثار العلوية لأرسطو .
الآثار العلوية : المقالة الرابعة .
النبات
الحيوان و النفس
العلم الإلهى
يفحص فيه عن الموجودات و الأشياء التى تعرض لها بما هى موجودات
يفحص عن مبادىء البراهين فى العلوم النظرية الجزئية
يفحص فيه عن الموجودات التى ليس بأجسام و لا فى أجسام .
الحكمة العملية
العلم المدنى
الأخلاق
السياسة
علم الفقه
الآراء '' أصول الفقه ''
الأفعال '' عبادات ''
علم الكلام
الآراء
الأفعال

مخطط هيكلى لتصنيف الفارابى

- علم اللسان
- علم المنطق
- علم التعاليم
- العلم الطبيعى والعلم الإلهى
- الحكمة العملية

علم اللسان

- علم الألفاظ المفردة
- علم الألفاظ المركبة
- علم قوانين الألفاظ المفردة
  - ١- الحروف
  - ٢-قوانين أمثلة الألفاظ الأسماء والكلم
  - ٣-الألفاظ التى عسر النطق بها
- علم قوانين الألفاظ المركبة
  - ١-قوانين أطراف
  - ٢-قوانين أحوال التركيب والترتيب
    - كيف تتركب الألفاظ وترتيب اللسان
    - التركيب والترتيب الأفصح فى ذلك اللسان
- علم قوانين الكتابة (الخط)
- علم قوانين القراءة (الإملاء)
- علم الأشعار
  - ١-إحصاء الأوزان
  - ٢-نهايات الأبيات
  - ٣-ما يصلح أن يستعمل فى الأشعار من الألفاظ

علم المنطق

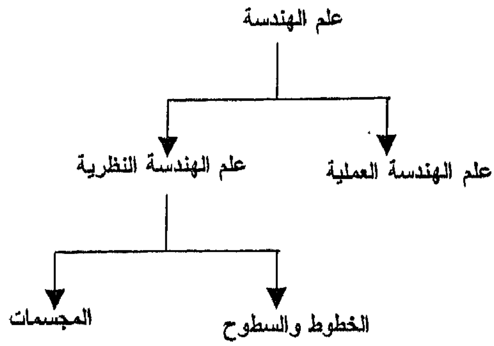
- المعقولات
- العبارة
- القياس
- البرهان
- المواضع الجدلية
- السوفسطائية
- الأقاويل الخطبية
- الأقاويل الشعرية

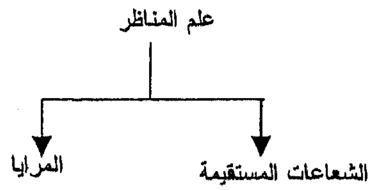
علم التعاليم

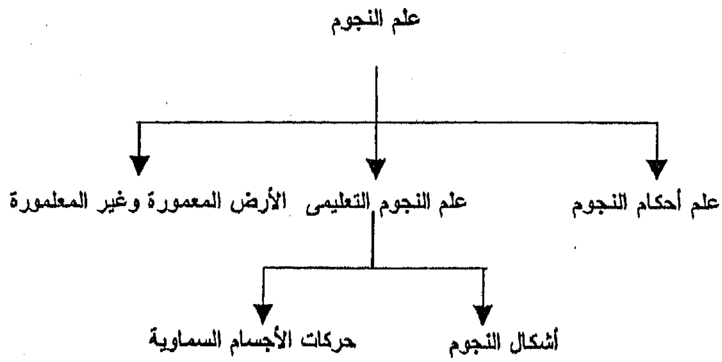
- علم العدد
- علم الهندسة
- علم المناظر
- علم النجوم
- علم الموسيقى
- علم الأثقال
- علم الحيل

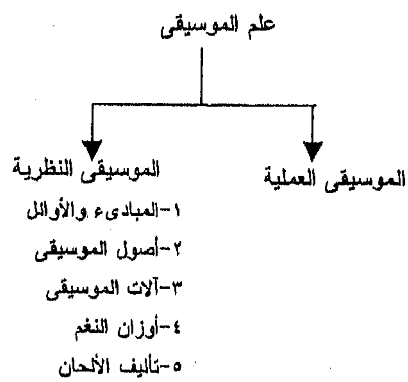
علم العدد

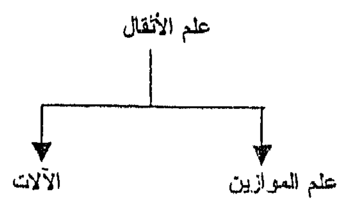
- علم العدد العملى
- علم العدد النظرى


علم الهندسة
علم الهندسة العملية
علم الهندسة النظرية
الخطوط والسطوح
المجسمات


علم المناظر
الشعاعات المستقيمة
المرايا


علم النجوم
علم أحكام النجوم
علم النجوم التعليمى
الأرض المعمورة وغير المعلمورة
أشكال النجوم
حركات الأجسام السماوية


علم الموسيقى
الموسيقى العملية
الموسيقى النظرية
١-المبادىء والأوائل
٢-أصول الموسيقى
٣-آلات الموسيقى
٤-أوزان النغم
٥-تأليف الألحان


علم الأثقال
علم الموازين
الآلات

علم الحيل

- الحيل العددية
- الحيل الهندسية
  - ١-صناعة رئاسة البناء
  - ٢-الحيل فى مساحة أصناف الأجسام
  - ٣-الحيل فى صناعة الآلات
  - ٤-حيل فى صنعة أوانى عجيبة

العلم الطبيعى

- السماع الطبيعى
- السماء والعالم
- الكون والفساد
- الآثار العلوية المقالات الأول الثلاث
- الآثار العلوية المقالة الرابعة من كتاب الآثار العلوية
- المعادن
- النبات
- الحيوان والنفس

العلم الإلهى

- يفحص عن الموجودات والأشياء التى تعرض لها بما هى موجودات
- مبادىء البراهين فى العلوم النظرية الجزئية
- الموجودات التى ليست بأجسام ولا فى أجسام

الحكمة العملية

- العلم المدنى
  - الأخلاق
  - السياسة
- علم الفقه
  - الآراء (أصول الفقه)
  - الأفعال (عبادات)
- علم الكلام
  - الآراء
  - الأفعال

يقسم الفارابى المعرفة إلى خمسة فصول يمثل كل فصل منها قسماً رئيسياً فى المعرفة ، و رتب الأقسام الخمسة الرئيسية ترتيباً منطقياً ، فبدأ تقسيمه للعلــوم بعلـم اللسان فى الفصل الأول ، لأن علم اللسان هو المدخل لدراسة كل العلوم الأخــرى ، فمن أتقن اللغة و السياق اللغوى استطاع أن يستخدم الألفاظ استخداماً سليماً محدداً فـى صياغة أى علم ، و أية مسألة فى اللغة هى الأداة لتصحيح ألفاظ الأمة و عباراتــها ، ولا يستغنى عنها فى دراسة أى علم ، و هذا ما أكده '' بــلاك '' (٧) فـى القـرن العشرين حين أشار إلى أهمية السايق اللغوى فى تمحيص المسائل الفلسفية . ثم يـأتى علم المنطق فى الفصل الثانى ، و يقدمه على بقية العلــوم الأخــرى باعتبــاره الأداة لدراسة العلوم الأخرى . فهو يعطى جملة القوانين التى من شأنها أن تقوم العقل وتسدد الإنسان نحو الصواب ، و يكون بذلك قد فصل المنطق عن الفلسفة متبعاً منهج أرسطو فى ذلك . ثم يضع العلم الرياضى فى مقدمة العلوم العقلية علــى اعتبــار أن العلـم الرياضى من العلوم البرهانية التى تعتمد على العلوم الأخرى لقوة أدلتها ، و من ثــم قدمه على بقية العلوم الفلسفية الأخرى لشرفه بقوة أدلته . و يجمع فى الفصل الرابــع العلم الطبيعى مع العلم الإلهى ، و يؤخر العلم الإلهى عن العلم الطبيعــى ، و يرجــع ذلك إلى اهتمام كل منهما بالموجودات الطبيعية مــع صعــود العلـم الإلــهى بــهذه الموجودات إلى الموجود الأول و الأكمل و البعيد عن كل نقص . و تــأتى الحكمــة العملية فى الفصل الخامس ، و يأتى الترتيب تطبيقاً لنظريته فى تقسيم العلــوم التــى شرحها فى كتابه '' التنبيه على سبيل السعادة '' ، حيث قسم العلــوم إلــى قسـمين كبيرين :

- **القسم الأول :** تحصل به معرفة الموجودات التى ليس للإنسان فعلــها ، و هــى العلوم النظرية .
- **القسم الثانى :** تحصل به معرفة الأشياء التى شأنها أن تفعل ، و القوة على فـعل الجميل منها ، و هى العلوم العملية و الفلسفة المدنية (٨) ، و المقصود هنا السلوك الإنسانى .

ثم يعود فيقسم العلوم النظرية إلى علم التعاليم أو الرياضيات ، و العلـــم الطبيعـــى ، والعلم الإلهى . أما العلوم العملية فتنقسم إلى : صنف يحصل به علم الأفعال الجميلـــة والأخلاق التى تصدر عنها ، والقدرة على أسبابها، و هذا هو علم الأخلاق . و صنف يشتمل على معرفة الأشياء التى تحصل الأشياء الجميلة لأهل المدن ، والقدرة علـــى تحصيلها لهم و حفظها عليهم ، و هذه تسمى الفلسفة السياسية . و إذا طبقنا هذا المنهج على تقسيمه الذى عرضناه فسوف نجد أنه قدم علوم اللسان و علم المنطق للأســـباب التى سبق ذكرها ، ثم بعد ذلك يقسم العلوم إلى قسمين : علوم نظريـــة، أفـــرد لـــها الفصلين الثالث و الرابع ، و هى علوم الرياضيات ، ثم العلـــوم الطبيعيـــة و العلـــم الإلهى. و القسم الثانى و هى العلوم العملية التى جاء ذكرها فى الفصل الخامس، وهى العلوم المدنية .

و كان الفارابى قد قسم العلوم إلى خمسة فصول ، ثم قسم كلاً منها إل علـــوم فرعية تندرج تحت كل قسم رئيسى ، و جاء هذا التقسيم فى ترتيب منطقـــى ؛ فعلـــم اللسان اشتمل على سبعة أجزاء متدرجاً فى الترتيب من علوم اللغة إلى علوم الكتابـــة إلى علوم الأدب ، و هذا تدرج منطقى ، فبداية تعرف الإنسان على العالم من حولـــه عن طريق الألفاظ ، و هو ما تشمله دراسة اللغة ، ثم يبدأ أولى مراحل التعلـــم عـــن طريق الكتابة و القراءة ، ثم ينتقل إلى مرحلة التذوق الفنى للغة ، و بذلك يبـــدأ فـــى كتابة النثر أو الشعر ، و هما مما يشتمل عليه علم الأدب . و يلاحظ معالجة الفـــارابى لموضوعات علم اللسان بشكل عام عند جميع الشعوب دون قصرها على لسان الأمـــة العربية ، و إن كان يورد الأمثلة من اللغة العربية .

و يقسم علم المنطق إلى ثمانية أجزاء متابعاً نفس التقســـيم الأرســـطى لعلـــم المنطق ، و قد جاء عرض علم المنطق مظهراً لشخصية الفارابى المتميزة فى تصوره لهذا العلم ، فقد عرض تعريف علم المنطق و الغرض منه ، و الموضوعـــات التـــى يشملها ، و معنى علم المنطق لغة و اصطلاحاً ، و الجديد عنده فى تحديد أوجه الشبه و الاختلاف بين المنطق و علم النحو ، و ما أخذه علم النحو من المنطق ، و هذا يعـــد انعكاساً لعلوم العصر على زمن الفارابى ، حيث تأثرت نشأة علم النحو بالمنطق ، فقد اتجه النحويون للانتفاع بعلم المنطق فى وضع نظريات و قواعد علم النحو ، و ظـــهر

هذا جلياً فى البصرة قبل ظهوره فى المدن الأخرى ، و من هنا جاءت معالجة الفارابى لعلم النحو و علاقته بعلم المنطق فى هذا الفصل من كتابه .

و يتابع الفارابى التقسيم المنطقى للعلم الرياضى ، فيبدأ بعلم العدد الذى يبحث فى الأرقام ، و الهندسة التى تبحث فى السطوح و المجسمات ، و فيها يعتمد على الأرقام ثم المناظر التى تعتمد بدورها على علم الهندسة لأنها تفحص ما يفحصه علم الهندسة ، و لكن على أنها فى خطوط وسطوح و مجسمات على الإطلاق . و يأتى علم النجوم بعد علم الهندسة ، و هذا أيضاً فى وضعه المنطقى على اعتبار أن علم الهندسة و النجوم يبحثان فى الكيف (و هو الشبيه أو الا شبيه) . و فى تقسيمه لعلم النجوم نجد أيضاً التدرج المنطقى الذى يقدم علم النجوم المعروف بعلم الجغرافيا فى العصر الحديث ، ثم يأتى علم الموسيقى ، و كان من المفروض أن يضعه لاحقاً لعلم العدد ، لأنهما يردان إلى الكم ، فالعلمان يبحثان فى الأرقام . ثم يأتى علم رفع الأثقال، و علم الحيل ، و يرتبط العلمان بالبحث فى القوى المحركة ، فالأول يبحث فى أصول الآلات الرافعة للأشياء الثقيلة ، و الثانى يقوم على مطابقة جميع ما يبرهن وجوده فى العلم الرياضى على الأجسام الطبيعية ، فهذا العلم يعد علماً رياضياً ذا علاقة بعلم الطبيعة ، فهو فى موضعه الصحيح ، لأنه يقف فى مرحلة وسطى بين العلمين ، و من هنا وضع فى آخر العلم الرياضى ، و جاء بعده فى الترتيب العلم الطبيعى الذى يقسمه إلى ثمانية موضوعات متابعاً فيه نفس أجزاء أرسطو للعلم الطبيعى . و تأتى الحكمة العملية فى ترتيبها المنطقى فى الفصل الأخير من تصنيفه ، حيث يرتبط الغرض من التصنيف عند الفارابى بالأساس الفلسفى الذى يقوم عليه تقسيم العلوم ، و هو أن غاية الحياة هى السعادة التى تتحقق بالتأمل و النظر فى الحكمة و علومها ، كما أن الإنسان يسعى للسعادة من وراء ممارساته العملية فى حياته ، و هى الغاية التى يجنيها من المعرفة . وهنا جاءت الحكمة العملية التى تهدف لسعادة الإنسان فى حياته من خلال العلم المدنى و السعادة الأخروية من خلال العلوم الدينية التى عكسها علم الفقه و علم الكلام .

قواعد التصنيف و مفاهيمه فى تقسيم الفارابى للعلوم

يعكس تصنيف الفارابى عدداً من العلاقات بين الموضوعات ، منها :

أولاً : علاقة الاشتمال أو التبعية ، فنجده يعرض للعلم العام الذى يندرج تحته العلوم الخاصة المتفرعة منه ، مثل علم العدد و تقسيمه إلى علم العدد النظرى ، و علم العدد العملى ، و تقسيم علم الحيل إلى قسمين ، و هما : علم الحيل النظرى ، و علم الحيل العملى . و يتفرع علم الحيل النظرى إلى عدد من العلوم الخاصة المتفرعة عنه .

ثانياً : علاقة ترابط أو تجاور ، و هذا نجده فى معالجة موضوعات علم اللسان ، حيث جمع العلوم المتجانسة معاً ، فجمع علم اللغة و علم الكتابة و علم الأدب فى معالجة واحدة ، و يحمد له أنه لم يفرق بين علم اللغة و علم الأدب ، فوضع علم الأدب فى مكان بعيد عن علم اللغة . كما نجد ذلك فى بعض التصانيف الحديثة مثل تصنيف ديوى الذى باعد بين علمى اللغة و الأدب بالرغم من تجانس موضوعيهما .

ثالثاً : علاقة تساو أو تناسب بين الموضوعات ، و لهذه العلاقة نماذج متعددة فى تصنيفه ، مثل : علم الحساب و الهندسة اللذين يندرجان تحت علم ثالث هو العلم الرياضى بالرغم من وقوفهما على صف واحد ، كذلك علمى رفع الأثقال و الحيل اللذين يشتركان فى القوة المحركة التى يعالجها كل منهما بشكل مختلف ، فالأول فى البحث عن أصول الآلات التى ترفع الأشياء الثقيلة ، و الثانى فى وجوه التطبيق فى الأجسام المحسوسة و إظهارها فيها ، و هما يندرجان تحت علم ثالث ، و هو علم الرياضيات .

رابعاً : تحديد مدلولات الألفاظ ، و هى من قواعد التصانيف الحديثة . (٩) و هذا ما يظهر فى عبارته
التالية : '' أما ذاك ـــ يقصد علم أحكام النجوم ـــ فإنه إنما يعد فى القوى و المهن التى بها يقدر الإنسان على الإنذار بما سيكون (١٠) ، مثل عبارة الزجر والفأل والعرافة . (١١)

و يجرنا الحديث عن مدلولات الألفاظ إلى ما يعرف بالجانب الموضوعى فى التصنيف ، و هو ما أكد عليه كل من '' هويل و دوف '' فى القرن التاسع عشر ، وكان محور اهتمام مصنفى القرن التاسع عشر كما يذكر فيكرى ، و هو ما يعنى الفكرة المتضمنة فى كل علم . (١٢) فالفكرة وراء علم الحساب هو الرقم ، و الطب بدن الإنسان ، و إذا بحثنا عن الجانب الموضوعى عند الفارابى فسوف نجد أتصاف

تصنيفه بالموضوعية ، ففى كل علم يعطى الفكرة الموضوعية وراءه ، كما يعطى تعريفاً محدداً واضحاً ليوضح الحدود الموضوعية لكل علم بحيث لا يختلط مفهومه مع علم آخر ، ففى علم العدد يفرق بين علم العدد العملى و النظرى ، و يبنى التفريق على محتواه الفكرى . فعلم العدد العملى يبحث فى الأعداد ، أى الأرقام من حيث هى معدودات ، أى مطبقة على الأجسام من رجال أو أغنام أو دراهم ، أما علم العدد النظرى فيبحث فى الأعداد ، أى الأرقام مجردة فى الذهن عن الأجسام ، و عن كل معدود .

و كان الفارابى ملتزماً بمبدأ التسلسل من أول فصل فى تصنيفه إلى آخر فرع من الفصل الأخير ، و هذا المبدأ يعنى أن كل علم فى الخطة التصنيفية يخدم تابعه ، و له ارتباط بالعلم السابق عليه ، و نراه ملتزماً بهذا المبدأ و قد أكد " كونت " على أهمية مبدأ التسلسل ، و لكنه ذهب إلى أن كل علم مبنى على سابقه ، و ليس على تابعه (١٣) ، و لكن " سبنسر " (١٨٢٠ـ١٩٠٣) الذى تبنى أيضاً فكرة التسلسل قال بأن كل علم يخدم تابعه ، و فى الوقت نفسه هو موضوع بحث للعلم السابق عليه . (١٤) و هذا ما طبقه الفارابى على تتابع العلوم فى تصنيفه ، فيسير فى ترتيب العلوم متدرجاً من العلم العام إلى الأقل عمومية ، فيبدأ بعلم اللسان الذى يعد فى نظر الفارابى أعم العلوم ، لأن دراسة اللغة من حيث دلالات ألفاظها وتراكيبها تمهيد لدراسة كل العلوم ، ثم يليها علم المنطق الذى يبحث فى القوانين العامة للفكر بغض النظر عن الموضوع ، و لذلك فهو يسبق كل العلوم الأخرى لأنه يعد آلة لها ، و فى الوقت نفسه يعطينا القوانين التى تدل عليها الألفاظ . ثم ينتقل إلى العلم الثالث وهو العلم الرياضى ، و يقدمه على بقية العلوم الأخرى لأنه ينفذ بقوانينه فى غيره من العلوم ، سواء الطبيعية أو الدينية التى تليه . و قد استخدم المسلمون علم الحساب فى معالجة بعض المسائل الفقهية ، مثل : علم الفرائض ، و هذا ما ظهر فى التصانيف اللاحقة على الفارابى . و نلاحظ تدرج موضوعات العلم الرياضى من العام إلى الأقل عمومية ، كما يلاحظ اعتماد اللاحق على السابق ، فنجد علم الهندسة معتمداً على علم العدد ، و فى الوقت نفسه يستخدم فى الحسابات الفلكية فى علم الهيئة (الفلك) . و آخر فروع العلم الرياضى علم الحيل الذى يستخدم البراهين الرياضية فى الأجسام

الطبيعية ، فهو إذن يخدم تابعه و موضوع بحث للعلم السابق عليه . ثم ينتقل إلى العلم الطبيعي ، و منه إلى العلم الإلهي ــ و سبق أن أوضحنا صحة هذا الترتيب عنده ــ . ثم ينتقل إلى العلم المدني الذي يعد علماً عاماً لما بعده ، و هو علم الفقه الذي يطبق نظريات في سلوك الفرد المسلم ، فالعلم المدني يعطي شروط المجتمع الفاضل بصفة عامة ، و يأتي علم الفقه بعده ليقنن سلوك الفرد في مجتمع يسوده الشرع ، ثم ينتهي إلى علم الكلام الذي يعد أخص العلوم لاستخدامه الفلسفة ــ المتمثلة فيما سبق عرضه من علوم ــ للدفاع عن العقيدة الإسلامية .

و من هذا العرض يتضح أن مبدأ التسلسل الذي نادى به المصنفون في القرن التاسع عشر له إرهاصات سابقة عند العرب المسلمين ، إذ طبقه الفارابي في تقسيمه للعلوم ــ مما يؤكد أن جذور التصانيف الحديثة لها سبق من الناحية الحضارية في التصانيف العربية الإسلامية .

تصنيف الفارابي انعكاس لموقفه الفلسفي في تقسيمه للعلوم

تأثر تقسيم العلوم للفارابي بآرائه الفلسفية ، فمن آرائه إمكانية قيام مجتمع بدون شرع ، دون أن تغيب عنه معرفة الموجود الأول ؛ أي بإمكان بلوغ المعرفة بهذا الموجود عن طريق العقل . و لذلك لا يبدأ بالعلوم الدينية ، و إنما يبدأ بالعلوم النظرية التي يعتبرها وسائل للوصول إلى المعرفة ، فنجد علمي اللسان و المنطق علمين نظريين لهما الأسبقية في تصنيفه على علم الفقه الذي يعد علماً عملياً ، كما أن معرفة الموجود الأول عند الفارابي ترجع إلى علم نظري أساسه العقل ، و هو العلم الإلهي ، و لذلك يضعه متأخراً بعد فروع الحكمة النظرية (١٥) . كما يعكس تصنيفه نظرته ــ كفيلسوف ــ إلى فضيلة العلوم حيث يرى أن فضيلة العلوم تكون بإحدى ثلاث : إما لشرف الموضوع ، أو باستقصاء البراهين ، و إما لعظم الجدوى الذي فيه ، أو بالثلاث معاً . (١٦) و أما ما يكون لشرف الموضوع فمثل علم النجوم ، و أما ما يكون باستقصاء البراهين فهو علم الهندسة ، و أما ما يكون لعظم الجدوى فيكون للعلوم الشرعية ، و ما تجتمع فيه تلك الصفات فهو العلم الإلهي . ومن النظريات الفلسفية التي آمن بها الفارابي نظرية التوفيق بين الدين و الفلسفة التي انعكست على تصنيفه في جمع علمي الفقه و الكلام مع العلم المدني في فصل واحد ،

و يعد هذا الجمع من عيوب تصنيف الفارابى ، فقد كان من الأفضل تخصيص فصل مستقل بهما ، أو إلحاقهما مع العلم الإلهى ، و يؤيد هذا القول '' لويس جارديه '' الذى اعتبر محاولة الفارابى فى إدماج علمى الفقه و الكلام فى دائرة العلوم العملية ثمرة حقيقية لعملية التوفيق بين الدين و الفلسفة . (١٧) التى اتسمت بها فلسفة الفارابى، و لكنه فى موضع آخر يرى أن هذا الجمع جعل من تصنيفه عملاً مصطنعاً. (١٨) و قد جاء هذا التصنيف لنظرة الفارابى لعملى الفقه و الكلام على أنهما لترشيد السلوك الإنسانى إلى ما يجنيه من خير ،

سواء فى الدنيا و الآخرة ، كما يفعل العلم المدنى الذى يرشد السلوك الإنسانى لخلق مجتمع فاضل .

تقييم محاولة الفارابى التصنيفية

يفرق الفارابى بين ما هو نظرى و ما هو عملى ، و قد اتضح ذلك فى أكثر من موضع ، و نذكر منها على سبيل المثال تفريقه بين علم العدد النظرى و علم العدد العملى ، فالأول ينظر فى الأرقام المجردة فى الذهن ، و الثانى ينظر فى الاستخدام العملى لهذه الأرقام من حيث استخدامها للعمليات الحسابية ، و هو ما يستخدمه الجمهور فى معاملات السوق و المعاملات المدنية . كما فرق بين علم الهندسة النظرى و علم الهندسة العملى ، فالأول ينظر فى الخطوط و السطوح على الإطلاق ، و الثانى فى التطبيق ، أى ينظر إلى هذه الخطوط و السطوح فى الجسم سواء كان خشباً أو حديداً ، و هو ما يمثل المادة المستخدمة فى الصناعة ، و هو فى ذلك يقترب من تقسيم التصانيف الحديثة للعلوم التى تفرق بين العلوم البحتة و العلوم التطبيقية ، فالجانب النظرى هو ما يمثل العلوم البحتة ، و الجانب العملى ما يمثل العلوم التطبيقية، كما نجد هذا التعريف فى الفصل الخامس الذى يخصصه للعلم المدنى وعلمى الفقه و الكلام ، و علم الفقه يعد العلم التطبيقى الذى يدور حول مسائل الفروع، أى حول سلوك الفرد المسلم و ممارسته العملية فى حياته المؤتمرة بالعقائد الإسلامية ، و لذلك نجد فيه مباحث علم الإخلاق و السياسة و الاقتصاد ، و غيرها من العلوم الاجتماعية ، التى تعد بمثابة العلم النظرى لعلم الفقه بما تضعه من الشروط الواجب مراعاتها لتحقيق المجتمع الفاضل .

المميزات و العيوب فى تصنيف الفارابى

تميز تصنيف الفارابى بعدة مميزات منها : قوة عرضه الموضوعات ، و تمكنه منها ، و السيطرة عليها ، فجاءت الموضوعات متسلسلة من العام إلى الخاص فى شكل منطقى سليم ، كما كان فى تقسيمه للعلوم يتعامل معها تعامل الخبير بقواعد التصنيف ، كما تعد محاولة الفارابى من أول المحاولات الجادة لتقسيم العلوم فى الحضارة الإسلامية التى أثرت فى معظم المحاولات التالية له .

و من أبرز العيوب التى ظهرت فى تصنيف الفارابى إغفاله بعض الموضوعات فى تصنيفه على الرغم من استقرارها كعلوم على زمن الفارابى ، و منها العلوم الدينية : علوم التفسير ، و القراءات ، و علوم الحديث ، و كذلك علم الكيمياء ، و الطب ، و هما من العلوم العقلية التى كان للفارابى فيها بعض المؤلفات ، كما كان لهما شهرة كبيرة على زمن الفارابى . كما أغفل علم التاريخ ، و هو من أوائل العلوم التى وضعت فيها المؤلفات .

أثر الحياة الفكرية و الحضارية و العلمية و السياسية فى تصنيف الفارابى

ظهر تأثير الحياة الفكرية فى تصنيف الفارابى سواء بجانبها العلمى العقلى أو جانبها الدينى ، فبالرغم من تأثير الفكر اليونانى متمثلاً فى تصنيف أرسطو فى تقسيم الفارابى للعلوم إلا أن الفكر الإسلامى كان له التأثير الأكبر فى نظرة الفارابى إلى بعض العلوم . ففى حديثه عن العلم الإلهى ، بالرغم من إشارته إلى كتاب أرسطو '' ما وراء الطبيعة '' ، يسير فى عرضه لهذا العلم صاعداً إلى عقيدة التوحيد ، فيشير إلى البراهين العلمية اليقينية التى تؤكد على وجود الله القادر فى أفعاله ، الخالق لجميع الموجودات . (١٩) كما كان للفكر الدينى تأثير فى تقسيمه العلوم الذى أدى إلى إلحاق علمى الفقه و الكلام بالعلم المدنى فى الفصل الخامس ، و هذا ما فصلنا فيه الحديث من قبل . كما جاء إيراده لعلم اللسان بمباحثه المختلفة كنتاج للحركة الفكرية العلمية النشطة فى العلوم العربية التى بدأت فى العصر الأموى و استكملت فى العصر العباسى الأول . و ما أن جاء العصر العباسى الثانى حتى وضعت لهذه العلوم القواعد المحددة الواضحة . و صنفت العديد من المؤلفات فى اللغة و الشعر و الأدب، و قد تمثل الجانب العلمى العقلى فى الحياة الفكرية فى العصر العباسى الثانى فى

الفصل الثانى و الثالث و الرابع والجزء الأول من الفصل الخامس من تصنيف الفارابى كنتاج لحركة الترجمة لعلوم الحضارات الأخرى و بخاصة اليونانية التى أتت ثمارها فى العصر العباسى الثانى فهضمه العرب و استوعبوه و تمثلوه و بدأوا فى تصحيحه و الإضافة إليه ، و قد ظهر هذا التأثير واضحاً فى تقسيم بعض الموضوعات كالعلم الطبيعى على حسب أسماء كتب أرسطو فى هذا العلم .

و بالرغم من النهضة العلمية التى شهدها العالم الإسلامى فى القرن الرابع الهجرى إلا أن المعايير الوضعية للعلم لم تكن قد برزت بمدلولاتها المحددة ، فقد كان ينظر إلى أى معرفة على أنها علم لمجرد وجود موضوع خاص بها (٢٠) و انعكس هذا فى تقسيم الفارابى لعلم النجوم إلى ثلاثة أقسام ، الأول منها يتعلق بدلالات الكواكب على ما سوف يحدث فى المستقبل ، و اعتباره علماً و هذا لا يمكن قبوله علماً فى العصر الحديث . و قد اتسم العصر الذى عاش فيه الفارابى بالانقسام الفكرى و السياسى ، و لم يكن الفارابى بعيداً عن الصراع فى عصره ، و لذلك هداه تفكيره إلى أن توحيد الإمارات لا يأتى إلا من خلال طريقتن هما وحدة الفكر و وحدة المجتمع . و تمثلت وحدة الفكر لديه فى قضية التوفيق بين الفلسفة و الدين . (٢١) وهذا ما انعكس على تصنيفه من معالجة علمى الفقه و الكلام مع العلم المدنى فى الفصل الخامس معاً .

تصنيف الفارابى بين التأثير و التأثر

تأثر الفارابى بالتصانيف السابقة كما تأثرت به التصانيف اللاحقة عليه .

أولاً : التأثر :

تأثر الفارابى بما ذهب إليه الكندى فى رسالته '' أقسام كتب أرسطو '' فى التفرقة بين العلوم الإنسانية أو البشرية و العلوم الدينية ، حيث ألحق العلم الإلهى فى نهاية تقسيمه للعوم ، و هذا ما فعله أيضاً الفارابى ، حيث أبرز العلوم الإلهية (الدينية) فى الفصل الأخير من تصنيفه . كما تأثر بالكندى فى تقديمه علم الرياضى على سائر العلوم العقلية .

ثانياً : التأثير:

ظهر تأثير إحصاء العلوم للفارابى على العديد من أصحاب التصانيف التالية عليه ، فمنهم من نقل عنه الفكرة أو اساس التقسيم أو تعريف العلوم أو تقسيمه لبعض العلوم ، و من هؤلاء ابن سينا فى رسالته أقسام العلوم العقلية (٢٢) ، فبنظرة فاحصة إلى العمل التصنيفى عند كل منهما يلاحظ أن الأساس الذى اتبعه الفارابى فى تقسيم العلوم إلى علوم نظرية و أخرى عملية ، و ما سار عليه ابن سينا فى تقسيم العلوم فى رسالته ، حيث جعل الحكمة على قسمين ، قسم نظرى و قسم عملى ، كما تابعه فى تقسيم الحكمة النظرية إلى ثلاثة أقسام ، و هى العلم الرياضى و الطبيعى و الإلهى ، و قسم الحكمة العملية إلى علم الأخلاق و علم السياسة و علم تدبير المنزل الذى أشار إليه الفارابى ضمنياً مع علم السايسة ، و بمقارنة التقسيم عند كل منهما سوف نلاحظ تطابقاً واضحاً من حيث الجوهر و الأساس ، و إن اختلفت الصيغ و العبارات ، و سوف توضح الباحثة ذلك فى معالجة تصنيف ابن سينا .

كما تأثر ابن الأكفانى فى رسالته " إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد " فى أكثر من موضع ، فبنظرة فاحصة إلى المقدمة نجدها تتفق فى أكثر من موضع مع مقدمة إحصاء العلوم اتفاقاً لا يقتصر على المعنى و إنما يتناول العبارات أيضاً ، كما تأثر به فى تقسيم بعض العلوم ، و منه علم الهيئة و إن زاد ابن الأكفانى فى فروع هذا العلم . (٢٣) و سوف نتناول مثل هذه النقاط بالتوضيح فى معالجة تصنيف ابن الأكفانى .

هل تاثر تصنيف الفارابى بتصنيف أرسطو ؟

إن قضية التاثر بالفلسفة اليونانية التى تثار دائماً حول التصنيفات العربية ، و بخاصة تصنيف الفارابى الذى يشير إليه الكثير (٢٤) من الباحثين العرب من أن تقسيم الفارابى فى معظم مباحثه هو تابع لتقسيم أرسطو ، و تؤكد الباحثة هذه المقولة، فقد ظهر تأثر الفارابى بأرسطو فى عدة مواضع منها أقسام العلم الطبيعى التى كانت أسماء لكتب أرسطو ، و تأثره بتقسيم العلم المدنى إلى علمى الأخلاق و السياسة ، و فصل المنطق عن الفلسفة ، و اعتباره آلة لبقية العلوم . كما قسم العلم الرياضى إلى نفس الأجزاء التى ذكرها أرسطو ، جاعلاً المناظر فرعاً أساسياً و ليس فرعاً مشتقاً

من الهندسة . و ترى الباحثة أن الفارابى لم يقف موقف الناقل فقط و إنما استوعب فى تصنيفه أقسام الفلسفة الوافدة من الحضارات السابقة الأخرى ، و اضاف إليها معطيات البيئة العربية الإسلامية التى نشأ فيها ، و هذا ما نجده فى إضافة علم اللسان و علمى الفقه و الكلام ، و كذلك طريقة معالجته للعلم الإلهى من وجهة نظر إسلامية لا يونانية . و على أية حال فقد كان تمثيله للفكر الإسلامى ضعيفاً .

منهج الفارابى فى تصنيفه

يظهر جلياً من خلال دراسة ''إحصاء العلوم'' إدراك الفارابى لأهمية تصنيف العلوم ، و ارتباط التصنيف بالمنهج العلمى الذى اتضح عنده فى أمرين : الأول تحديد مدلولات الألفاظ والتعريف بكل علم و حدوده ، و موقعه فىخطته التصنيفية . والثانى سير الفارابى فى ترتيب العلوم متدرجاً من العلم العام إلى العلم الخاص ، حيث عرض للقسم الرئيسى ثم أعطى تقسيماته الأولية ، ثم الفروع من هذه التقسيمات ، ومن هنا فقد استخدم المنهج الاستنباطى فى عرضه للعلوم .

مستوى المعالجة فى تصنيف الفارابى

يعرض الفارابى تصنيفه فى خمسة فصول تشتمل على ثمانية علوم، و كل علم منها يفرع إلى أجزاء. و يعرض الجدول التالى موضوعات العلوم فى خطة الفارابى التصنيفية، موضحاً الرتب والفروع، وإلى أى صف يقف التفريع فى تصنيفه:

تصنيف الفارابى	الرتب	الفروع			إجمالى
	الصف الأول	الصف الثانى	الصف الثالث	الصف الرابع	
إحصاء العلوم	علم اللسان	٧	٨	٢	
	علم المنطق	٨			
	علم التعاليم	٧	١٥	١٤	
	العلم الطبيعى	٨			
	العلم الإلهى	٣			
	العلم المدنى	٢			
	علم الفقه	٢			
	علم الكلام	٢			
الإجمالى	٨	٣٩	٢٣	١٦	٧٨

جدول رقم (٤) يوضح توزيع الرتب الرئيسية و الفرعية فى تصنيف الفارابى

بلغ عدد الرتب على السطر الأول ثمانية موضوعات ، بلغ إجمالي عدد الفروع ثمانية و سبعين فرعاً ، منها تسعة و ثلاثون على الصف الثاني ، و ثلاثة وعشرون على الصف الثالث ، و ستة عشر على الصف الرابع ، و نستنتج من هذا الجدول أن التفريعات تصل عنده إلى الصف الرابع ، و هذا ما يحدث بالنسبة لموضوعين فقط ، هما : علم اللسان و علم التعليم ، و فيهما تصل التفريعات إلى الصف الثالث ، أما بقية الموضوعات عنده فتقف عند الصف الثاني بتفريعاتها ، وهي: علم المنطق و العلم الطبيعي و العلم الإلهي و العلم المدني و علم الفقه و علم الكلام ، و يطلق على تفريعات العلوم لفظ أجزاء ، و هذا يدل على تفريقه بين العلم العام و العلوم الجزئية التي تتفرع منه .

التماسك و الاتساق

يلاحظ على خطة الفارابي التصنيفية التماسك ، فلم تحدث أية قفزات مخلة بخطته ، بل سار في التعريف بكل علم من العلوم مع تفريعاته ، حتى إذا انتهى من هذا العلم انتقل إلى علم آخر مستعرضاً تعريف هذا العلم بكل جزئياته . كما اتصف تصنيفه بالاتساق ، فقد وقفت معظم تفريعات العلوم على الصف الثاني .

و في النهاية لا يسعنا إلا أن نثني على كتاب " إحصاء العلوم " للفارابي الذي كان له أكبر الأثر على التصانيف التي تبعته ، سواء على المستوى العربي أو المستوى الغربي ، و هذا ما سوف توضحه الباحثة في البحث . و ننتقل إلى تصنيف آخر ينتمي إلى نفس المدرسة الفلسفية التي ينتمي إليها الفارابي .

ثانياً : تصنيف الخوارزمي (ت ٣٨٧هـ)

يعد تصنيف الخوارزمي (٢٥) محاولة جديدة في تاريخ التصنيف ، حيث قدم تقسيم العلوم في قالب شكلي يختلف عن غيره ، و ذلك من خلال التعريف بمصطلحات كل علم .

تصنيف الخوارزمي من واقع كتابه " مفاتيح العلوم "

ينتمي تصنيف الخوارزمي للجانب النظري الفلسفي في تقسيم العلوم ، فقد عرض تقسيمه للعلوم في إطار موسوعي حرص على إبراز كافة المصطلحات في كل علم ، و هذا ما يتضح من خلال الهدف الذي يعرضه في مقدمة كتابه مفاتيح العلوم .

يشير الخوارزمي في بداية كتابه إلى الهدف من وضع الكتاب ، و يتضح فيه أنه لم يقصد و لم يعمد إلى وضع تقسيم للعلوم ، و إنما جاء هذا التقسيم للعلوم ليعرض من خلاله المصطلحات الخاصة بكل علم ، و من هنا فإن الهدف الأساسي عرض اصطلاحات العلوم و الصناعات ليفيد منه الأديب الذى يقوم على تحصيل العلوم ، أو الكاتب ـ ناسخ الكتب ـ لحاجته إلى مطالعة الفنون و الآداب حتى لا يكون كالأمى . (٢٦) و لذلك لم يحدد الخوارزمي مبادىء معينة أو فلسفية توضح الترابط بين كل علم و كل موضوع ، و إنما جاء التقسيم ليحصر المصطلحات الخاصة بكل علم ، و لكنه بالرغم من ذلك وضع تقسيماً للعلوم سار عليه غيره من اللاحقين .

خطة تصنيف الخوارزمي

سار تقسيم الخوارزمي للعلوم على النحو التالى (٣٣)

المقالة الأولى : العلوم الشرعية و ما يقترن بها من العلوم العربية

الباب الأول : الفقه

الفصل الأول : أصول الفقه .

الفصل الثاني : الطهارة .

الفصل الثالث : الصلاة و الآذان .

الفصل الرابع : الصوم .

الفصل الخامس : الزكاة .

الفصل السادس : الحج .

الفصل السابع : البيع و الشركة .

الفصل الثامن : النكاح و الطلاق .

الفصل التاسع : الديات .

الفصل العاشر : الفريضة ، و المقصود بها (الفرائض)

الفصل الحادى عشر : النوادر .

الباب الثاني : الكلام

الفصل الأول : في مواضعات متكلمي الإسلام فيما بينهم .

الفصل الثاني : في ذكر أرباب الآراء و المذاهب من أهل الإسلام.

الفصل الثالث : في ذكر النصارى و مواضعاتهم .

الفصل الرابع : في ذكر أصناف اليهود و مواضعاتهم .

الفصل الخامس : في ذكر أرباب الملل و النحل .

الفصل السادس : في ذكر عبدة الأوثان من الحرب و أصنامهم .

الفصل السابع : في ذكر وصف الأبواب التي يتكلم فيها المتكلمون من أصول الدين

الباب الثالث : النحو

الفصل الأول : مبادىء النحو و وجوه الإعراب على مذهب النحويين عامة .

الفصل الثاني : في وجوه الإعراب و ما يتبعها على ما يحكى عن الخليل بن أحمد

الفصل الثالث : في وجوه الإعراب على مذهب اليونانيين .

الفصل الرابع : في تنزيل الأسماء .

الفصل الخامس : في الوجوه التي ترفع بها الأسماء .

الفصل السادس : في الوجوه التي تنصب بها الأسماء .

الفصل السابع : في الوجوه التي تخفض بها الأسماء .

الفصل الثامن : في الوجوه التي يتبع بها الاسم ما قبله في وجوه الإعراب .

الفصل التاسع : في تنزيل الأفعال

الفصل العاشر : الحروف التي تنصب الأفعال

الفصل الحادي عشر : في الحروف التي تجزم الأفعال

الفصل الثاني عشر : في النوادر .

الباب الرابع : الكتابة

الفصل الأول : أسماء الذكور و الدفاتر و الأعمال .

الفصل الثانى : كتاب ديوان الخراج .

الفصل الثالث : كتاب ديوان الخزن

الفصل الرابع : كتاب ديوان البريد

الفصل الخامس : كتاب ديوان الجيش .

الفصل السادس : كتاب ديوان الصنايع و النفقات .

الفصل السابع : كتاب ديوان الماء .

الفصل الثامن : كتاب ديوان الرسائل .

الباب الخامس : فى الشعر و العروض

الفصل الأول : جوامع هذا العلم و أسماء أجناس العروض و ذكـر ما يتقدمها و ما يتبعها .

الفصل الثانى : ألقاب العلل و الزحافات

الفصل الثالث : فى ذكر القوافى و ألقابها .

الفصل تالرابع : اشتقاقات هذه الألقاب و المواضعات

الفصل الخامس : نقد الشعر و مواضعات نقاده

الباب السادس : الأخبار

الفصل الأول : ذكر ملوك الفرس و ألقابهم

الفصل الثانى : ذكر الخلفاء و ملوك الإسلام و نعوتهم و ألقابهم

الفصل الثالث : ذكر ملوك اليمن فى الجاهبية و ألقابهم

الفصل الرابع : ذكر من ملك معداً من ملوك اليمن

الفصل الخامس : ذكر ملوك الروم و اليونانيين

الفصل السادس : ألفاظ يكثر جريها فى أخبار الفرس

الفصل السابع : ألفاظ يكثر ذكرها فى الفتوح و المغازى و أخبـار عرب الإسلام

الفصل الثامن : ألفاظ يكثر ذكرها فى أخبار ملوك عرب الجاهلية

الفصل التاسع : ألفاظ يكثر ذكرها فى أخبار ملوك الروم .

المقالة الثانية : فى علوم العجم

الباب الأول : الفلسفة

الفصل الأول : فى أحكام الفلسفة و أصنافها

الفصل الثانى : فى جمل العلم الإلهى

الفصل الثالث : ألفاظ يكثر ذكرها فى الفلسفة و كتبها

الباب الثانى : المنطق

الفصل الأول : إيساغوجى '' المدخل ''

الفصل الثانى : قاطيغورياس '' المقولات ''

الفصل الثالث : بارى أرمينياس '' العبارة ''

الفصل الرابع : أنولوطيقا '' القياس ''

الفصل الخامس : أفودقسطيقى '' البرهان ''

الفصل السادس : طوبيقى '' الجدل ''

الفصل السابع : سوفسطيقى '' السفسطة ''

الفصل الثامن : ريطوريقى '' الخطابة ''

الفصل التاسع : بيوطيقى '' الشعر ''

الباب الثالث : الطب

الفصل الأول : التشريح

الفصل الثانى : ذكر الأمراض و الأدواء .

الفصل الثالث : الأغذية .

الفصل الرابع : الأدوية المفردة .

الفصل الخامس : أدوية مفردة مشتبهة الأسماء .

الفصل السادس : أدوية مركبة .

الفصل السابع : أوزان الأطباء و مكاييلهم .

الفصل الثامن : النوادر

الباب الرابع : الأرثماطيقى

الفصل الأول : الكمية المفردة

الفصل الثانى : الكمية المضافة

الفصل الثالث : الأعداد المسطحة و المجسمة .

الفصل الرابع : العبارات .

الفصل الخامس : حساب الهند و حساب الجمل و مبادىء الجبر والمقابلة .

الباب الخامس : الهندسة

الفصل الأول : مقدمات صناعة الهندسة

الفصل الثانى : الخطوط

الفصل الثالث : البسائط

الفصل الرابع : المجسمات

الباب السادس : علم النجوم

الفصل الأول : أسماء النجوم السيارة و الثابتة و صورهم

الفصل الثانى : تركيب الأفلاك و هيئة الأرض و ما يتبع ذلك

الفصل الثالث : مبادىء الأحكام و مواصفات أصحابها

الباب السابع : الموسيقى

الفصل الأول : أسامى آلات هذه الصناعة و ما يتبعها

الفصل الثانى : جوامع الموسيقى المذكورة فى كتب الحكماء

الفصل الثالث : الإيقاعات المستعملة

الباب الثامن : فى الحيل

الفصل الأول : الألفاظ التى يستعملها أهل الحيل فى جر الأثقال بالقوة

الفصل الثانى : فى صد حركات الماء و صنعة الأوانى العجيبة و ما يتصل بها فى صنعة الآلات المتحركة .

الباب التاسع : الكيمياء

الفصل الأول : آلات هذه الصناعة

الفصل الثاني : عقاقيرهم و أدواتهم من الجواهر و الأحجار

الفصل الثالث : تدبيرات هذه الأشياء و معالجتها .

المخطط الهيكلي لتصنيف الخوارزمي

- المقالة الأولى (العلوم الشرعية)
- المقالة الثانية (علوم العجم)

المقالة الأولى
العلوم الشرعية

الفقه
- أصول الفقه
- الطهارة
- الصلاة والآذان
- الصوم
- الزكاة
- الحج
- البيع والشركة
- النكاح والطلاق
- الديات
- الفريضة
- النوادر

الكلام
- مواضعات متكلمي الإسلام.
- أرباب الآراء والمذاهب من أهل الإسلام .
- أصناف النصارى .
- أصناف اليهود.
- أرباب الملل والنحل.
- عبدة الأوثان من العرب وأصنامهم .
- الأبواب التي يتكلم فيها المتكلمون من أصول الدين.

النحو
- مبادىء النحو ووجوه الإعراب.
- وجوه الإعراب وما يتبعها على ما يحكى عن الخليل بن أحمد.
- وجوه الإعراب على مذهب اليونانيين.
- تنزيل الأسماء .
- فى الوجوه التي ترفع بها الأسماء.
- الوجوه التي تنصف بها الأسماء .
- الوجوه التي تخفض بها الأسماء.
- الوجوه التي يتبع بها الاسم ما قبله.
- تنزيل الأفعال.
- الحروف التي تنصب الأفعال.
- الحروف التي تجزم الأفعال.
- النوادر.

الكتابة
- أسماء الذكور والدفاتر والأعمال.
- كتاب ديوان الخراج.
- كتاب ديوان الخزن.
- كتاب ديوان البريد.
- كتاب ديوان الجيش.
- كتاب ديوان الصنايع والنفقات.
- كتاب ديوان الماء.
- كتاب ديوان الرسائل.

الشعر
- جوامع علم الشعر.
- ألقاب العلل والزحافات.
- ذكر القوافي وألقابها.
- اشتقاقات هذه الألقاب.
- نقد الشعر ومواضعات نقاده.

الأخبار
- ملوك الفرس وألقابهم.
- خلفاء الإسلام وملوكه.
- ملوك اليمن فى الجاهلية.
- ملوك معد من ملوك اليمن.
- ملوك الروم واليونانيين.
- ألفاظ يكثر جريها فى أخبار الفرس.
- ألفاظ يكثر ذكرها فى الفتوح و المغازي.
- ألفاظ يكثر ذكرها فى أخبار ملوك عرب الجاهلية.
- ألفاظ يكثر ذكرها فى أخبار ملوك الروم.

المقالة الثانية

علوم العجم

الفلسفة	المنطق	الطب	الأرثماطيقى	الهندسة	النجوم	الموسيقى	الحيل	الكيمياء
أحكام الفلسفة	المدخل	التشريح	الكمية المفردة	مقدمات صناعة	أسماء النجوم	أسامى آلات	الألفاظ التى	آلات هذه الصناعة.
جمل العلم	المقولات	الأمراض والأدوية	الكمية المضافة .	الهندسة.	السيارة والثابتة.	صناعة	يستعملها أهل	عقاقيرهم وأدويتهم
الإلهى	العبارة	الأغذية	الأعداد المسطحة	الخطوط.	تركيب الأفلاك	الموسيقى.	الحيل فى جر	من الجواهر .
	القياس	الأدوية المفردة		البسائط.	وهيئة الأرض.	جوامع	الأثقال	الأحجار
	البرهان	أدوية مفردة		المجسمات.	مبادىء الأحكام.	الموسيقى	اليسيرة.	تدبيرات هذه الأشياء
	الجدل	متشابهة الأسماء			آلات المنجمين	المذكورة فى	ضد حركة	ومعالجتها
	السفسطة	أدوية مركبة				كتب الحكماء.	الماء.	
	الخطابة	أوزان الأطباء				الإيقاعات.		
	الشعر	النوادر.						

منطق تصنيف العلوم عند الخوارزمى

قسم الخوارزمى العلوم إلى قسمين كبيرين ، أو مقالتين ، الأولى فى العلوم الشرعية وما يتصل بها من العلوم العربية ، و المقالة الثانية فى علوم العجم ، و من هنا قد اقتصرت المقالة الأولى على معطيات الحضارة العربية الإسلامية من العلوم الدينية و العربية . و المقالة الثانية على معطيات الحضارات الدخيلة على العرب من حضارة الفرس أو الهند و اليونان ، و هى ما يطلق عليها علوم الفلسفة ، و العلوم التابعة لها : الفلك و الطب و الرياضيات و الكيمياء . و من هنا تتضح طريقة العرب فى تقسيم العلوم ابتداء من الخوارزمى فى كتابه '' مفاتيح العلوم '' . و يعد تقسيم العلوم إلى قطاعين تقسيما شكلياً للمعرفة ، و إذا حاولنا استقراء طريقة ترتيب المقالات و تتابعها عند الخوارزمى فإننا لا نستطيع أن نجزم بوجود منطق فلسفى تسير على خطاه ، كما وجدنا هذا التتابع و التسلسل عند الفارابى.

وعلى الرغم من أن الخوارزمى رتب الأقسام الرئيسية فى تصنيفه على أساس مرتبة العلم فيما بين العلوم ؛ أى شرف كل علم و فضله بين العلوم . (٢٨) وعلى هذا الأساس يتم تقديمه أو تأخيره . و شرف العلم قد يكون لشرف موضوعه وعموميته ، أو لعظم فائدته . و العلوم بعضها مقاصد وبعضها وسائل ، والأولى أشرف من

الثانية، و على هذا الأساس يرتب الموضوعات فى كل مقالة ، ففى المقالة الأولى يفرق بين العلوم الشرعية و العلوم العربية و التاريخ ، و يقدم العلوم الشرعية على العلوم العربية لشرف موضوعها ، كما أنها علوم مقصودة لذاتها، والعلوم العربية وسائل لها ، فالعلوم العربية وضعت لخدمة الدين و فهمه ، و لذلك فهى من الوسائل . ثم نلاحظ التدرج فى الأقسام الرئيسية ، فيتقدم علم الفقه على علم الكلام و ذلك لشدة الحاجة إليه لأن به ينتظم إصلاح الدنيا والدين . وبالرغم من اعتبار عدد كبير من المصنفين علم الكلام أشرف العلوم الدينية لبحثه فى ذات الله و صفاته إلا أنه يؤخره على اعتبار عمومية علم الفقه الذى يعرفنا بكافة العبادات ، وهو هنا متأثر بالفارابى فى تقديمه علم الفقه على علم الكلام لعموم الأول و خصوصية الثانى ، و يقدم العلوم العربية على علم التاريخ لأن الأول أكثر ارتباطاً بالعلوم الدينية لأنها تساعد على فهم علوم القرآن الكريم والحديث الشريف ، وعند ترتيب العلوم العربية يبدأ بعلم النحو الذى يعد أبا العلوم العربية . (٢٩) ثم الكتابة ثم الأدب ، و هنا تدرج من اللغة إلى الأدب لتوقف الثانى على الأول ، ثم يلحق علم التاريخ بالعلوم العربية و الشرعية .

ويقسم المقالة الثانية (فى علوم العجم) فى تسعة أبواب ، و يبدأ فى الباب الأول بعلم الفلسفة باعتبارها أم العلوم كما كان ينظر إليها قديماً ، ثم المنطق لارتباطه بالفلسفة و اعتباره آلة لكل العلوم ، فهو مقدم عليها ، ثم علم الطب ، و يلاحظ تقديمه على سائر العلوم العقلية التى تتبعه ، و ذلك لشرف موضوعه و الغاية منه ، و ذلك لقيامه على علاج الإنسان ، و هذا ما يفسر تقديم علم الطب و فضله على علم الكيمياء ، و تأخير علم الكيمياء إلى الباب التاسع بالرغم من انتمائهما إلى قطاع معرفى واحد ، و هو العلم الطبيعى . و قد أشير إلى هذا التقسيم فى الفصل الأول من الباب الأول فى معرض حديثه عن تقسيم الفلسفة . ثم يبدأ فى عرض العلوم الرياضية فيبدؤها بعلم العدد ، و يوالى التتابع المتعارف عليه فى فروع العلم الرياضى إلى أن يصل إلى الباب الثامن الذى يخصه لعلم الحيل الذى لا يعتبره أحد فروع العلم الرياضى ، كما فعل غيره من المصنفين ، لأنه لا يدخل فى جملة العلم الرياضى و لا العلم الطبيعى ، و إنما يأخذ براهين العلم الرياضى ليطبقها على الأجسام الطبيعية فى العلم الطبيعى ، و لذلك وضعه بعد الانتهاء من عرض العلوم الرياضية ،و قبل علم الكيمياء الذى يعد

من جملة العم الطبيعى ، ثم يقسم كل باب إلى عدة فصول ، و أحياناً يعطى ترتيباً منطقياً لترتيب بعض الأبواب ، و أحياناً أخرى لا نرى أى ترتيب منطقى .

و من الأبواب التى حظيت بنوع من الترتيب المنطقى الباب الأول من المقالة فى علم الفقه ، و يقسمه إلى فصول ، و يبدأ بأصول الفقه ، لأنه المدخل إلى العلوم الفقهية ثم الطهارة للزومها فى كافة العبادات ، ثم يتدرج فى عرض المباحث الفقهية من الصلاة إلى الزكاة إلى الصوم إلى الحج ، و هذا الترتيب حسب تسلسل العبادات فى أركان الإسلام الخمسة ، ثم يلحق بعلم الفقه عدد من الموضوعات لا ترى الباحثة وجود أى تسلسل منطقى بينها . و فى الباب الثانى فى علم الكلام يفرق بين الديانات السماوية و الديانات الوضعية و ترتيب الديانات السماوية لا نرى ترتيباً تاريخياً و إنما يبدأ بالإسلام باعتباره دين الدولة و هو الأعلى على بقية الديانات السماوية ، ثم الدين المسيحى لقرب عهده من الإسلام ثم اليهودى . ثم يعرض للديانات الوضعية عند العرب و غير العرب ، و يحتل الترتيب المنطقى فى الفصل السابع الذى يخصصه فى أصول الدين التى يتكلم فيها المتكلمون . و كان من المفروض إلحاقه بما يخص الدين الإسلامى . و فى الباب الثانى فى علم النحو نرى ترابطاً للموضوعات مع تسلسل منطقى فيعرض فى البداية المذاهب النحوية المختلفة ، ثم يتناول وجوه الإعراب فى الأسماء ثم فى الأفعال ، و فى ترتيب فصول المقالة الثانية لا نلمح ترتيباً منطقياً إلا فى الباب التاسع فى الكيمياء حيث يبدأ بالآلات المستخدمة فى صناعة الكيمياء ثم المواد المستخدمة فى العمليات الكيميائية ، ثم ينتقل إلى التعريف بالعمليات الكيميائية نفسها من التقطير و التكليس . و من النماذج الدالة على عدم وجود تدرج منطقى فى عرض الموضوعات علم التاريخ فى الباب السادس من المقالة الأولى ، فنلمح تقسيماً شكلياً ، حيث يفرق بين التعريف بالملوك و ألقابهم ، ثم الألفاظ الموجودة فى كل أمة ، و لكن لا نجد أى تتابع منطقى أو زمنى بالرغم من أنه يعالج علماً تتتابع موضوعاته زمنياً ، فنجده يبدأ بأخبار الفرس ثم الإسلام ، ثم عرب الجاهلية و اليمن ، ثم ملوك الروم ، و كان من المفروض أن يذكر ملوك الروم بجوار ملوك الفرس ثم عرب الجاهلية و اليمن ثم ملوك الإسلام ، و قد يرجع تقديمه لملوك الفرس ثم ملوك الإسلام لتعصبه إلى جذور فارسية ثم الإسلام . و يلاحظ على

بقية فصول الأبواب فى المقالتين عدم انتظامهم فى ترتيب منطقى لعرض الموضوعات .

القواعد و المفاهيم المستخدمة فى تصنيف الخوارزمى

لا نجد فى تصنيف الخوارزمى قواعد واضحة للتصنيف كما وجدنا عند الفارابى ، و يرجع ذلك كما أشرنا من قبل إلى أن تقسيم العلوم عنده لم يكن هو الهدف الرئيسى ، و إنما جاء التقسيم لعرض المصطلحات من خلاله ، و لذلك وجدنا عنده جمعاً لموضوعات لا تتسلسل فيما بينها بشكل منطقى أو متتابع للوصول إلى تحقيق غاية أو هدف ، و بالرغم من ذلك نلاحظ أن الموضوعات تسير وفق مبدأ الشمولية أو التبعية حيث يقسمها إلى أقسام رئيسية ، و كل قسم يتدرج تحته عدد من الموضوعات ، فهو بذلك يسير من العام إلى الخاص .

كما نلاحظ على تقسيم العلوم عنده علاقة تجاور حيث يعرض العلوم المتشابهة معاً ، فيعالج العلوم الدينية معاً ، ثم العلوم العربية متجاورة . كما تتجاور عنده العلوم الرياضية . و من العلاقات أيضاً علاقة تساوِ ، و هذا ما نجده فى علم الحساب والهندسة حيث يقفان على رتبة واحدة بالرغم من اشتراكهما فى معالجة المقدار ، فالمقدار فى الحساب أعداد مجردة ، و فى الهندسة نجد المقدار مشخص فى شكل خطوط و سطوح و مجسمات .

تقييم محاولة الخوارزمى التصنيفية

من استقراء تقسيم العلوم عند الخوارزمى نجد أنه ذكر علوماً و موضوعات عند معالجة بعض الفصول فى كل باب ، و لم يتددها و لم يضعها فى إطار تصنيفه، و من أمثلة ذلك يذكر فى علم أصول الفقه فى الفصل الأول من الباب الأول علوماً وموضوعات من الإجماع و القياس . كما يعرض فى الفصل الخامس من الباب الرابع فى علم الحساب عددا من العلوم : علم حساب الخطأين ، و علم الجبر و المقابلة ، وعلم الديباجة ، و علم الوصايا و المواريث . وقد ذكرت هذه الموضوعات كفروع لعلم الحساب فى التصانيف اللاحقة عليه . و يذكر فى الفصل الثانى من الباب السادس (علم النجوم) ، و يذكر عدة موضوعات منها الأرض المعمورة و غير المعمورة ، و الأزياج و هى من العلوم التى ذكرتها التصانيف اللاحقة عليه ، و أبرزتها فى

خططها التصنيفية ، ولم يتطرق فى علم النجوم إلى موضوعـــات التنجيـم و دلالات الكواكب على المستقبل ، كما نجد عند الفـــارابى ، وبذلــك تنحـى بتصنيفـه عــن الخزعبلات .

و من الملاحظات التى تعد انعكاساً حقيقياً لنظرة العلوم فى عصره معالجتـــه العلوم العربية مع العلوم الشرعية ، و يرجع ذلك إلى توقف فهم العلوم الدينية علـــى العلوم العربية ، و لذلك نشأت العلوم العربية لخدمة الدين و فهم معانى القرآن الكريـم و الحديث ، و نتيجة لهذا الارتباط نلاحظ معالجة العلــوم العربيــة ملحقــة بــالعلوم الشرعية عند معظم المصنفين العرب المسلمين ، كما يجعل الخوارزمى علم التــاريخ علماً من العلوم العربية المساندة للعلوم الشرعية ، و يرجع أيضاً إلى ارتباط نشأة علم التاريخ بالعلوم الشرعية ، فقد بدأت الحاجة إلى علم التاريخ فى تدوين الأخبار المتعلقة بالرسول ـــ صلى الله عليه و سلم ـــ و الصحابة ، و الحوادث و المغازى التى حدثت فى أوقاتهم . كما أن علم رواية الحديث قد اقتضى البحث فيه البحث فـــى السـير و الأنساب من أجل التأكد من الشخصيات التى يسند إليها رواية الحديث ، و لذلك فإن ما يستخدمه علم التاريخ من الإسناد هو ما يستخدمه علم دراية الحديث مـــن الإسـناد ، ومن هنا جاءت معالجة الخوارزمى للتاريخ مع العلوم الشرعية أو الدينيـــة ، و هــذا الدمج فى معالجة علم التاريخ مع العلوم الشرعية اقتضته طبيعة المعرفة فـــى ذلــك الوقت و النظرة إلى العلاقات بين العلوم . و نجد ما يماثل هذه النظرة عند مصنفـــى الغرب فى عصر النهضة و منهم '' بيكون '' الذى جمع معالجة التاريخ المدنى مـــع التاريخ الدينى . (٣٠) و يلاحظ بنظرة إجمالية إلى تصنيف الخوارزمى أن تقســيمه للعلوم ينبع من فكرة وحدة العلم الكلى ، فهو يقسم العلوم إلى قطاعات معرفية كبـيرة تتدرج إلى قطاعات معرفية أصغر . كما يلاحظ أيضاً فصل العلوم عن الفلسفة بالرغم من وضعها على رأس المقالة الثانية ، إلا أنه لم يسر على نفس تقسيم الفلسفة للعلوم ، و إنما استخدم تقسيماً مختلفاً سار على مبدأ شرف الموضـــوع و أهميتـه ، و إن أدى ذلك إلى بعد بعض الموضوعات المتقاربة على خريطته التصنيفية ، و لكنـــه يتمـيز بمحاولة جديدة فى تقسيم العلوم .

مميزات تصنيف الخوارزمي و عيوبه

من أهم ما يميز تصنيف الخوارزمى استيعابه لمعظم علوم عصـــرة بطريقـــة جديدة لم يسبقه إليها غيره من المصنفين ، و على الرغم من محاولة كل مــــن سـبقه منهم لإبراز العلوم العربية و الشرعية إلا أن الخوارزمى اسـتطاع أن يحـدد مكانـاً واضحاً لها تميز بالمنطقية ، و اتبعه غيره من المصنفين اللاحقين عليه ، كما تمــيز تصنيفه بالتحديد الواضح و التعريف الجامع المانع لمصطلاحات العلوم فى عصــره . كما تميز تصنيفه بالنظرة المتقدمة لبعض علــوم عصــره ، و منـها علـم الحيـل (الميكانيكا) الذى أخرجه من دائرة العلوم الرياضية ، و لكنه لم يحدد إلى أى قطـــاع معرفى ينتمى هذا العلم ، و قد يرجع ذلك إلى أن الصورة الوضعية لعلم الحيل لم تكن مكتملة ، و هذا العلم أصبح أحد فروع علم الفيزياء فى العصر الحديث ، كمـا تمـيز تصنيفه بإيراد فصل فى آخر معظم أبواب مقالتيه بسمى النوادر يخصصــــه لعــرض موضوعات متناثرة لا يستطيع جمعها تحت عنوان علم . وهذا ما نجده فى التصــانيف الحديثة بتسميات مختلفة ، مثل موضوعات أخرى ، أو معارف متنوعة .

و من أهم عيوب تصنيف الخوارزمـــى عـدم ذكـر العديـد مـن العلـوم والموضوعات المعروفة على عصره ، و منها بعض العلوم الشـرعية ، مثـل علـم التفسير و القراءات و علوم الحديث ، و بعض علوم العلم الطبيعى ، بالرغم من أنـــه أشار إليها فى بداية حديثه عن تقسيم الفلسفة ، و قد يرجع ذلك إلـــى تركـيزه علـــى مصطلحات علوم معينة يستخدمها الكتاب ، و قد كان واحداً منهم ، فكان علـــى علـم بأهم العلوم ذات الصلة بعمل هؤلاء الكتاب . كما أغفل أيضاً علوم الحكمة العمليـــة ، ويرجع ذلك إلى أن الخوارزمى اعتبرها نوعاً من السلوك و التطبيق العملى ، و لـــم يعتبرها علوماً بالمعنى الصحيح ، ومن هنا فهى ليست مجالاً للنظر العلمى ، بل غايـة أو هدف للإنسان عليه تحقيقه . (٣١) و يرجع ذلك إلى شهرتها بين الجمهور ، و هذا ما صرح به الخوارزمى نفسه فى مقدمة كتابه و أكده عند عرضه لأقسام الفلســـفة . ومن العيوب عدم تفريقه بين العلوم حيث يذكر مباحث علم الصيدلة مع مباحث علـــم الطب تحت عنوان واحد ، هو علم الطب ، و يرجع ذلك إلى عـــدم تكويـن تصـور وضعى عن علم الصيدلة ، و وضع حدود فاصلة بين الصيدلة و الطب ، وإنما ارتبط

البحث فى العلمين معاً ، و كان فى العادة الطبيب المعالج هو الصيدلى الذى يحضر الدواء ، و بالرغم من ذلك فإن الإشارة إلى علم الصيدلة تعد إضافة من جانب الخوارزمى فى تقسيم العلوم .

و من العيوب أيضاً إشارته إلى موضوعات فى غير مكانها الصحيح ، و منها إلحاق علم الأغذية بموضوعات علم الطب ، فهذا العلم دخيل على علم الطب حيث لا توجد صلة بينهما ، و هذا واضح فى طريقة المعالجة ، فهو لا يتعرض للأغذية وصلتها بصحة الإنسان ، أو تأثيرها على بعض الأمراض ، و لكنه يتناولها بالوصف و طريقة الإعداد و التعريف بما تدل عليه أسماؤها ، و لكن قد نلتمس له العذر فى ذلك لعدم وجود مكان مناسب على خريطته التصنيفية يمكن أن يوضع فيه هذا العلم بالإضافة إلى أن لجوء العرب فى البداية إلى الترجمة فى علم الطب بسبب اعتلال صحتهم من دخول بعض الأكلات الأجنبية المعقدة التى لم يكن للعرب عهد بها .

و من العيوب أيضاً التباعد بين علمى الطب و الكيمياء بالرغم من انتمائهما إلى قطاع معرفى واحد ، و هو العلم الطبيعى ، و هو ما صرح به فى الفصل الخاص فى تقسيم الفلسفة .

أثر الحياة الفكرية و الثقافية على تصنيف الخوارزمى

لقد عكس تصنيف الخوارزمى للمعرفة فكر المجتمع العربى الإسلامى و حضارته ، فهو يعد من أول المصنفين الذين أبرزوا العلوم الشرعية و العربية بشكل واضح ، و هذا يدل على استقرار هذه العلوم و كثرة المؤلفات فيها ، كما ظهر تأثير العقيدة الإسلامية فى معالجته للعلم الإلهى ، فبعد به عن المفهوم الأرسطى ، و اتجه فى معالجته بالإشارة إلى الله الواحد القهار ، و وجوب توحيده و عبادته . كما أن تعصبه للإسلام جعله يبرزه كأول الديانات عند معالجة علم الكلام ، بالرغم من أنه آخر الديانات ظهوراً ، و هذا لا يعد عيباً يؤخذ على الخوارزمى ، فهذا ما تتبعه التصانيف الحديثة التى تبرز تقدم الفكر الدينى و الثقافى بمجتمعها ، بغض النظر عن تسلسله التاريخى ، مثل تصنيف ديوى الذى وضع الدين المسيحى الذى يدين به فى أول الديانات ، و عالجه معالجة مفصلة .

تصنيف الخوارزمى بين التأثير و التأثر

تأثر الخوارزمى فى تصنيفه ببعض المصنفين قبله ، و أثر فى بعضهم ، ممن جاء بعده :

أولاً : التأثر

تأثر الخوارزمى بتصنيفى جابر بن حيان : السباعية و الحدود ، و تمثل ذلك فى إيراده علم الطب و الكيمياء اللذين ذكرهما جابر فى السباعية ، كما ذكر ابن حيان علم الكيمياء فى الحدود ، فنجد الفصل الأخير من الباب الخاص بعلم الطب يخص فيه ما جاء عند ابن حيان فى علم الطب من الأمزجة و الأخلاط و الأعضاء الرئيسية . (٣٢) و لكن تميز الخوارزمى فى التوسع فى فروع العلمين مع وضوح المعالجة والألفاظ فى كل منهما . كما تأثر بفكرة التقسيم الثنائى فى كتاب الحدود ، فى علم الدين و علم الدنيا ، و لكنه استخدم تسمية مختلفة مع التوسع فى فروع العلوم ، وهذا نابع من استقرار العلوم و نضجها فى عصره .

عدم تأثر الخوارزمى بالفارابى فى التصنيف ، و اختلاف معالجة الخوارزمى للعلوم عن معالجة الفارابى . (٣٣) و هذا صحيح من خلال الإطار العام للتصنيف ، لكن التأثر قد ظهر فى جوانب متعددة ، منها : معالجة العلوم الشرعية التى لم يذكر منها سوى علمى الفقه و الكلام ، و تقديمه علم الفقه على علم الكلام فى الترتيب ، و هذا كما فعل الفارابى . كذلك طريقة ترتيب العلوم العربية التى بدأها بعلم النحو ، ثم الكتابة ، ثم الأدب الذى تمثل فى الباب الخاص بالشعر . كما أن تقسيم الشعر عنده هو نفسه عند الفارابى ، فهو يتدرج من العروض إلى القوافى إلى نقد الشعر الذى ذكر عند الفارابى فى الجزء الثالث من الشعر ، بما يفحص عما يصلح أن يستعمل فى الأشعار من الألفاظ . و هنا نجد المعالجة نفسها مع اختلاط التسميات .

ثانياً : التأثير

كان للطريقة التى نظم بها الخوارزمى العلوم فى الفصل بين العلوم النقلية و العلوم العقلية تأثير على كثير من المصنفين العرب المسلمين اللاحقين عليه ، و على رأسهم ابن خلدون الذى استخدم القسمة الثنائية نفسها . كما تأثر ابن الأكفانى بالخوارزمى فى أكثر من موضع فى تصنيفه ، و منها طريقته فى تقسيم المذاهب

الإسلامية المختلفة ، كما نقل عن الخوارزمي كثير من العلوم التي ذكرها الخوارزمي إجمالاً في بعض العلوم دون إعطائها مكاناً محدداً على خريطته التصنيفية ، و منها علم الجبر و المقابلة ، و علم حساب الخطأين ، ضمن فروع علم الحساب ، كما استخدم نفس تقسيم الخوارزمي لعلمي الحساب و الهندسة ، و عد هذا التقسيم أصولاً لتلك العلوم .

هل تأثر الخوارزمي في تصنيفه بتصنيف أرسطو ؟.

يلاحظ على تصنيف الخوارزمي تحرره من الفكر الأرسطي و النظريات الفلسفية الإغريقية ، فقد ميز بين العلوم العربية الإسلامية الصرفة و العلوم الأجنبية مستخدماً القسمة الثنائية في مقابل التقسيم الثلاثي عند أرسطو . كما أنه أعطى تسميات أخرى للعلوم غير الحكمة النظرية و الحكمة العملية بتقسيم مباشر للمعرفة إلى علم المنطق و الطب و الحساب و الهندسة ، و لذلك جاءت بنية تصنيف الخوارزمي مخالفة تماماً لما وجد عند أرسطو أو غيره من المصنفين من أصحاب الحضارات السابقة عليه .

و قد ذكر العديد من الموضوعات التي لم ترد في تصنيف أرسطو أو غيره من المصنفين ، مثل علم التاريخ و علم الطب و علم الكيمياء ، و مجموعة العلوم الشرعية و العلوم العربية التي هي معطيات المجتمع الإسلامي الجديد . و من الاختلافات الأساسية بين الخوارزمي و أرسطو أن الأخير يذكر الشعر ضمن علوم الفلسفة الإنتاجية ، بينما يذكره الخوارزمي في المكان الصحيح ضمن العلوم العربية ، و هو بذلك قد تنحى به عن أقسام الفلسفة . و لكن للفكر الأرسطي بعض التواجد على الخريطة التصنيفية للخوارزمي ، و من ذلك تقسيم الخوارزمي علم المنطق إلى تسعة فصول ، هي تقسيمات أرسطو نفسها لعلم المنطق ، و التي تحمل عناوين كتب أرسطو في المنطق . كما تأثر بالفكر الأرسطي في نظرته إلى علم الفلسفة على أنها أم العلوم ، و من هذا المنطلق وضعها في الباب الأول من المقالة الثانية الخاصة بعلوم العجم . كما تأثر الخوارزمي بتقسيم أفلاطون للعلم الرياضي إلى أربعة أقسام فقط ، مستبعداً علم الحيل من فروع العلم الرياضي ، بعكس أرسطو الذي ذكر هذا العلم ضمن فروع العلم الرياضي .

منهج الخوارزمى فى التصنيف

اتبع الخوارزمى طريقة القسمة الثنائية ، و ذلك فى تقسيمه المعرفة إلى قطاعين هما العلوم الشرعية و ما يتعلق بها من العلوم العربية ، و علوم العجم . ويظهر المنهج الاستنباطى بصورة واضحة فى طريقة تقسيم العلوم عند الخوارزمى ، حيث يستند فى تقسيمه إلى ذكر العلوم التى موضوعها أخص من موضوع علم آخر ، و التى تسمى علوماً جزئية تحت العلم العام ، و من ثم يسير بطريقة منطقية فى تقسيم العلوم متدرجاً من العلم العام إلى العلوم الجزئية التى تندرج تحت العلم العام .

مستوى المعالجة فى تصنيف الخوارزمى

يبدأ الخوارزمى كتابه بمقدمة مختصرة يعرض فيها الدافع أو الهدف من وضع الكتاب ، كما يعرض المنهج المتبع فى تجميع المصطلحات و عرضها ضمن مجموع العلوم التى حصرها فى الكتاب . و يعرض الجدول التالى محموع الرتب و الفروع التى تضمنها تصنيف الخوارزمى :

إجمالى	الفروع		الرتب	تصنيف
	الصف الثالث	الصف الثانى	على الصف الأول	الخوارزمى
	١١	الفقه	المقالة الأولى فى العلوم الشرعية و ما يتعلق بها من العلوم العربية	مفاتيح العلوم
	٧	علم الكلام		
	١٢	النحو		
	٨	الكتابة		
	٥	الشعر و العروض		
	٩	الأخبار		
	المجموع = ٥٢			
	٣	الفلسفة	المقالة الثانية فى علوم العجم	
	٩	المنطق		
	٨	الطب		
	٥	الحساب		
	٤	الهندسة		
	٤	علم النجوم		
	٣	الموسيقى		
	٢	الحيل		
	٣	الكيمياء		
	المجموع = ٤١			
=١٠٨	٩٣	١٥	٢=٢	الإجمالى

جدول رقم (٥) : يوضح توزيع أعداد العلوم المفرعة على كل صف فى الخريطة التصنيفية للخوارزمى

- قسم الخوارزمى المعرفة إلى رتبتين كبيرتين ، هما العلوم الشرعية و العربيـــة ، وعلوم العجم . و فرع من كل منهما عدداً من الموضوعات بلغـــت فـــى المقالـــة الأولى ستة علوم ، و فى المقالة الثانية تسعة موضوعات . ثم عاد ففرع من كـــل موضوع عدداً من التفريعات ، و هو يقف بالتفريع إلى الصف الثالث ، و لم يـــزد عليه ، بالرغم من إمكان زيادة التفريع إلـــى الصـــف الرابـــع لاشـــتمال بعـــض الموضوعات على الصف الثالث على علوم يمكن إعطائها تفريع علـــى الصـــف

الرابع ، و لكنه عالجها مدمجة مع الموضوعات الرئيسية لها على الصف الثالث ، كما فى بعض فصول علم الفقه ، و هذا ما عرضناه سابقاً . و بلغ عـــدد الفــروع على الصف الثانى خمسة عشر علماً ، و على الصف الثالث ثلاثة و تسعين علماً، و بذلك يبلغ إجمالى عدد العلوم عنده مائة و ثمانية علوم .

- تتفاوت التفريعات من علم لآخر ، فبعض العلوم تصل إلى أقصى تفريـــع لـــها ، حيث يبلغ عدد التفريعات اثنى عشر علماً ، و تقل فى بعض الموضوعات ، كمـــا فى علم الحيل لتصل إلى علمين فقط .
- كما يلاحظ زيادة عدد العلوم المفرعة من موضوعات المقالة الأولى فـــى العلـــوم الشرعية و العربية ، وهذا يعكس اهتمام الخوارزمى بـــإبراز العلـــوم الشـــرعية والعربية ، وإمعانه فى الإحاطة بكل تفريعاتها . كما أن له تفسيراً حضارياً يعكـس مدى تقدم هذه العلوم على زمن الخوارزمى ، و خاصة أن تصنيفه يعد انعكاســـاً للحياة الفكرية و الحضارية فى المجتمع الإسلامى .
- يمثل علم المنطق ، و هو من علوم المقالة الثانية ، أعلى تفريع ، حيـــث يبلـــغ تسعة علوم . و يليه علم الطب ، حيث يصل التفريع فيه إلى ثمانية علـــوم . و إذا كان فى العلم الأول ناقلاً نفس عدد العلوم المفرعة عند أرسطو ، فإنه يعكس فـــى العلم الثانى مدى اهتمام المسلمين بعلم الطب ، و ما وصل إليه من تقدم . و هـــذا أمر طبيعى لأن علم الطب أول العلوم التى اهتم بترجمتها المسلمون ، و شـــجعوا على البحث فيه لما اقتضته متطلبات الحياة الحضارية الجديدة للعرب .
- يتفاوت التفرع فى علوم المقالة الثانية ما بين ثلاثة إلى خمسة علوم مفرعة مـــن كل موضوع .

التماسك و الاتساق

يلاحظ التماسك على الخطة التصنيفية للخوارزمى ، فهو لم يحدث أية قفـــزات مخلة بتصنيفه، وإنما سار فى التصنيف معالجاً كل موضوع بتفريعاته دون القفز مـــن موضوع إلى آخر ، و العودة لمعالجة الموضـــوع الأول . و لكـــن يعيـــب تصنيـــف الخوارزمى عدم معالجة علم الطب و الكيمياء متتاليين لأنـــهما ينتميـــان إلـــى العلـــم الطبيعى كما أشار فى الفصل الأول عن الفلسفة و تقسيماتها .

و يلاحظ الاتساق فى تفريع كل الموضوعات التى تقف كلها بشكل متوازن على الصف الثالث ، كما أن أعداد التفريعات لكل موضوع على الصف الثانى كانت متقاربة فيما عدا عدد قليل من الموضوعات ، مثل علم النحو ، حيث يلاحظ الزيادة فى عدد الفروع ، أو علم الحيل الذى يقل عدد العلوم المفرعة منه .

و أخيراً يمكن القول بأن الخوارزمى قدَّم رؤية تصنيفية جديدة تختلف عن تصنيفات من سبقه من المصنيفين ، كما كانت له إضافات سواء فى طريقة التقسيم أو ما ذكره من علوم أخذها عنه من أتى بعده من المصنفين .

و ننتقل إلى تصنيف جديد يعد حلقة أضافت الكثير إلى علم التصنيف ، و هو تصنيف ابن النديم .

ثالثاً : تصنيف ابن النديم (ق ٤هـ)

يرى بعض الدارسين و الباحثين أن أعظم كتابين أنتجتهما الثقافة العربية الإسلامية ، هما : كتاب الفهرست لابن النديم ، و كتاب صبح الأعشى فى صناعة الإنشا للقلقشندى، فالمطالع لكتاب الفهرست يرى أنه كتاب جامع لتاريخ الأدب العربى(٣٤)

الهدف من تصنيف ابن النديم

يوضح ابن النديم (٣٥) الهدف من كتابه فى عبارة موجزة فى بداية كتابه ، وفيها ذهب إلى أن هدفه الرئيسى هو حصر الكتب المؤلفة باللغة العربية أو المترجمة إلى العربية التى ورقت (نشرت) بالعالم الإسلامى فى مختلف العلوم و تسجيلها مع التعريف بمؤلفيها . و قد تطلب ذلك تصنيف الإنتاج الفكرى ، أى توزيع الكتب على فروع المعرفة البشرية ، مع التعريف بكل فرع من فروعها و شرحه ، و من هنا فابن النديم لم يعمد مباشرة إلى تصنيف المعرفة ، و إنما جاء تقسيم المعرفة لتقسيم الكتب من خلالها ، و لذلك فإننا لا نجد فلسفة بعينها تقف وراء التقسيم ، و إنما برزت مدرسة جديدة فى التصنيف .

تصنيف ابن النديم

قدم ابن النديم تصنيفه للمعرفة من خلال كتابه الفهرست ، و ينتمى تصنيفه إلى المدرسة الثانية فى التصنيف ، و هى التى تعتمد على تقسيم المعرفة بناء على

الإنتاج الفكرى الفعلى ، فقد حصر الإنتاج الفكرى الذى من خلاله قام بتقسيم المعرفة، و هو بذلك قد اعتمد السند الأدبى الذى قال به ويليام هالم . (٣٦)

خطة ابن النديم فى التصنيف

قسم ابن النديم المعرفة على عشرة مقالات ، و كل مقالة إلى عدة فنون على النحو التالى : (٣٧)

المقالة الأولى :

الفن الأول : وصف لغات الأمم من العرب و العجم ، و نعوت أقلامها و أنواع خطوطها و أشكال كتاباتها .

الفن الثانى : أسماء كتب الشرائع المنزلة على مذاهب المسلمين و مذاهب أهلها .

الفن الثالث : فى نعت الكتاب الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، و أسماء الكتب المصنفة فى علومه ، و أخبار القراء.

المقالة الثانية : فى النحو و اللغويين

الفن الأول : فى ابتداء النحو و أخبار النحويين البصريين و فصحاء العرب.

الفن الثانى : فى أخبار النحو و النحويين و اللغويين الكوفيين .

الفن الثالث : فى ذكر قوم من النحويين خلطوا المذهبين .

المقالة الثالثة : فى الأخبار و الآداب و السير و الأنساب

الفن الأول : فى الأخباريين و الرواة و النسابين و أصحاب السير و الأحداث.

الفن الثانى : فى أخبار الملوك و الكتاب و المترسلين و عمال الخراج وأصحاب الدواوين .

الفن الثالث : فى أخبار الندماء و الجلساء و الأدباء و المغنين و الصفادسة و الصفاعنة و المضحكين .

المقالة الرابعة : فى الشعر و الشعراء

الفن الأول : فى طبقات الشعراء الجاهليين و الإسلاميين ممن لحق الجاهلية و صناع دواوينهم .

الفن الثانى : فى طبقات الشعراء الإسلاميين و المحدثين إلى عصرنا هذا (ابن النديم) .

المقالة الخامسة : فى الكلام و المتكلمين

الفن الأول : فى ابتداء الكلام و المتكلمين من المعتزلة و المرجئة .

الفن الثانى : فى أخبار متكلمى الشيعة و الإمامية و الزيدية .

الفن الثالث : فى أخبار متكلمى الجبرة و الحشوية .

الفن الرابع : فى أخبار متكلمى الخوارج و أصنافهم .

الفن الخامس : فى أخبار السياح الزهاد و العباد و المتصوفة و المتكلمين على الوساوس والخطرات .

المقالة السادسة :

الفن الأول : فى أخبار مالك و أصحابه .

الفن الثانى : فى أخبار أبى حنيفة النعمان و أصحابه .

الفن الثالث : فى أخبار الإمام الشافعى و أصحابه .

الفن الرابع : فى أخبار داود و أصحابه .

الفن الخامس : فى أخبار فقهاء الشيعة .

الفن السادس : فى أخبار فقهاء اصحاب الحديث و المحدثين .

الفن السابع : فى أخبار أبى جعفر الطبرى و أصحابه .

الفن الثامن : فى أخبار فقهاء الشراة .

المقالة السابعة : فى الفلسفة و العلوم القديمة .

الفن الأول : فى أخبار الفلاسفة الطبيعيين و المنطقيين

الفن الثانى : فى أخبار أصحاب التعاليم : المهندسين ، و الأرثماطيقيين ، والموسيقيين ، و الحساب ، و المنجمين ، و صناع الآلات ، و أصحاب الحيل والحركات .

الفن الثالث : ابتداء الطب ، و أخبار المتطببين من القدماء و المحدثين .

المقالة الثامنة : فى الأسماء و الخرافات و العزائم و السحر و الشعوذة .

الفن الأول : فى أخبار المسامرين و المخرفين و المسطورين .

الفن الثانى : فى أخبار المعزمين و المشعبذين و السحرة .

الفن الثالث : فى أسماء الكتب المصنفة فى معان شتى .

المقالة التاسعة : فى المذاهب و الاعتقادات.

الفن الأول : فى مذاهب الحرانية و الكلدانيين المعرفين فـــى عصرنـــا بالصابئـــة، ومذاهب الثنوية من المنانية و الديصانية و الخرمية و المرقيونية والمزدكية.

الفن الثانى : فى وصف المذاهب الغريبة الطريقة كمذاهب الهند و الصين .

المقالة العاشرة : فى أخبار الكيميائيين و الصنعويين من الفلاسفة القدماء و المحدثين .

مخطط هيكلى لتصنيف ابن النديم يوضح المقالات العشر و الفنون المفرعة عنها

المقالة الأولى	المقالة الثانية	المقالة الثالثة	المقالة الرابعة
	فى النحويين و اللغويين	الأخبار و الآداب والأنساب و السير	الشعر و الشعراء
الفن الأول : لغات الأمم من العرب و العجم	الفن الأول : النحو و النحويون البصريون	الفن الأول : الإخباريون و الرواة و النسابون و السير	الفن الأول : الشعراء الجاهليون و الإسلاميون ممن عاصر الجاهلية
الفن الثانى : كتب الشرائع الأخرى	الفن الثانى : النحو والنحويون الكوفيون	الفن الثانى : الملوك والكتاب والمترسلين وعمال الخراج	الفن الثانى الشعراء الإسلاميون
الفن الثالث : القرآن الكريم وكتب علومه	الفن الثالث : النحويون ممن خلط المذهبين	الفن الثالث : الندماء والجلساء والأدباء	الفن الثالث : لا يوجد
الفن الرابع: لا يوجد	الفن الرابع: لا يوجد	الفن الرابع : لا يوجد	الفن الرابع : لا يوجد

تابع المخطط الهيكلى لتصنيف ابن النديم

المقالة الخامسة فى الكلام والمتكلمين	المقالة السادسة فى الفقه والفقهاء والمحدثين	المقالة السابعة فى الفلسفة والعلوم القديمة	المقالة الثامنة فى الأسماء والخرافات والسحر والشعوذة
الفن الأول : الكلام والمتكلمون المعتزلة والمرجئة	الفن الأول : أخبار مالك وأصحابه	الفن الأول : الفلسفة والعلوم القديمة	الفن الأول : المسامرون والمخرفون والمصورون
الفن الثانى : الشيعة الإمامية والزيدية	الفن الثانى : أبو حنيفة وأصحابه	الفن الثانى : التعاليم	الفن الثانى المعزمون والمشعبذون والسحرة
الفن الثالث : متكلمى المجبرة والحشوية	الفن الثالث : الإمام الشافعى	الفن الثالث : الطب والمتطببون	الفن الثالث : الكتب المصنفة فى معان شتى
الفن الرابع: متكلموا الخوارج	الفن الرابع: أخبار داود	الفن الرابع : لا يوجد	الفن الرابع : لا يوجد
الفن الخامس : السياح والزهاد والعباد والمتصوفة	الفن الخامس : فقهاء الشيعة		
الفن السادس : لا يوجد	الفن السادس : فقهاء أصحاب الحديث والمحدثين		
الفن السابع : لا يوجد	الفن السابع : أبو جعفر الطبرى		
الفن الثامن : لا يوجد ٤	الفن الثامن : فقهاء الشراة		

تابع المخطط الهيكلى لتصنيف ابن النديم

المقالة التاسعة

فى المذاهب والاعتقادات

الفن الأول :

مذاهب الحرانية والكلدانيين (الصابئة)

الفن الثانى :

مذاهب الهند والصين

الفن الثالث :

لا يوجد

الفن الرابع :

لا يوجد

المقالة العاشرة

فى الكيميائيين والصنعويين من الفلاسفة

الفن الأول :

لا يوجد

الفن الثانى :

لا يوجد

منطق تصنيف العلوم عند ابن النديم

أشار بعض الباحثين إلى أنه لا توجد أية فكرة فلسفية وراء تصنيف ابن النديم للكتب على المنوال السابق ، و أننا لا نستطيع أن ندعى أن هناك ترتيبا تاريخيا وراء هذا التقسيم . (٣٨) و عقب عليه بأن ابن النديم قد أولى التسلسل التاريخى لظهور الموضوعات و تأليف الكتب فيها عناية كبيرة ، كما رأى تقدم الموضوع الأكثر أهمية من وجهة نظره فيما لم يلتزم فيه بالترتيب التاريخى . (٣٩) و لكن تقسيم العلوم عند ابن النديم تقسيم منطقى معتمد على الأسلوب العلمى ، حيث نلاحظ أن تتابع المقالات قد جاء بصورة منطقية ، فكل مقالة تخدم ما بعدها ، و المقالة اللاحقة مستفيدة مما سبقها ، و هذا يشبه مبدأ الاعتماد فى العلوم *Dependence* الذى نادى به '' أوجست كونت '' وتبعا لمنطق عصره و نظرته للمعرفة نجده يفرق بين العلوم الشرعية و العربية ، و العلوم العقلية الأجنبية ، فيخصص المقالات الست الأولى للعلوم الشرعية و العربية ، و الأربع مقالات الأخيرة تمثل الفكر الأجنبى أو الإنتاج الفكرى فى المجالات العقلية .

تبدأ المقالة الأولى فى وصف لغات الأمم جميعا ، و طريقة الكتابة فيها ، وهذه المقالة بداية صحيحة ، فبداية الإنسان مع المعرفة كان عن طريق اللغة ، فهى

وسيلة الاتصال المعرفية التى عن طريقها بدأ الإنسان فى صياغة تجاربه و معارفه ، كما أنها تعد وسيلة للتواصل الحضارى و الفكرى عبر العصور ، و تعد دراسة الكتابة عند كل أمة المدخل لما يأتى بعدها من علوم ، لأن المعرفة كلها تعتمد فى صياغتها و نقلها على اللغة و الكتابة ، و ألحق فى هذه المقالة الكتب السماوية ، و قد كان هذا موضع نقد من الباحثين لجمعه علم اللغة مع علم دينى ، و لكن ما فعله هو فعل مصنف مدرك لموقع كل علم ، فاللغة و العلوم الدينية يستفيد كل منهما من الآخر، و هذا ما يسمى بتبادل الاعتماد بينها ، كما أن تقديمه للكتب المقدسة يرجع إلى قدسيتها و أهميتها ، فإذا كان عمله يقوم أصلا على حصر الكتب فأهم الكتب وأعظمها هى الكتب السماوية التى أنزلها الله على أنبيائه . و هو يتدرج بها من آدم إلى الإنجيل، و هو هنا يمهد للدين الإسلامى و القرآن الكريم الذى هو أكمل الديانات . فهذه المقالة بداية صحيحة و تمهيد لما يأتى بعدها من علوم ، و تليها المقالة الثانية فى النحو و اللغة العربية ، و إذا كان الدكتور عبد الوهاب أبو النور يرى أنه كان من الواجب أن يستكمل ابن النديم فى المقالات التالية علوم الدين ثم اللغة ثم التاريخ والأخبار ، و لكنه لم يفعل . فإننا نرى أن ابن النديم كان موفقا فى جعل المقالة الثانية فى النحو و اللغة العربية ، فقد استخدم مبدأ تبادل الاعتماد ، فالقرآن الكريم ، الذى ورد فى المقالة الأولى قبل النحو مباشرة ، هو المصدر الأصلى لجامعى اللغة العربية، و ألفاظه الكريمة و تراكيبه اللغوية معينا للغويين و النحويين ، كما ان أساليبه البلاغية لها تأثير كبير فى الدراسات البلاغية . (٥٢) و من هنا فالمقالة الثانية فى موضعها الصحيح من حيث اعتمادها على ما سبقها من علوم القرآن ، و هى تعد علما خاصا جاء فى ترتيبه المنطقى بعد العلم العام ، و هو علم اللغة الذى عالجه عند كل الأمم فى الفن الأول من المقالة الأولى . و تعد هذه المقالة بما يتبعها من علوم عربية المقدمة لدراسة العلوم الدينية التى تليها ، فعلوم الدين يتوقف فهمها على تعلم اللغة العربية ، ثم تأتى المقالة الثالثة فى علم الأخبار . و قد نرى فى ذلك كسرا فى الوحدة الموضوعية ، و كان من الواجب عليه أن يأتى بالشعر لارتباطه المباشر بالنحو ، ولكن تقديمه علم الأخبار الذى يدرس فيه الأسانيد و التراجم مقدمة مهمة للمقالة الرابعة فى الشعر و الشعراء لمعالجتها جامعى الأشعار ، و ليس الشعر نفسه، و هنا

فعلم الأخبار يتقدم تاريخيا على حركة جمع الشعر ، كما تحتاج مسألة جمع الشعر إلى التحقيق فى سند من ينسب إليه الشعر ، و هذا ما يقدمه علم التاريخ بالإضافة إلى أنه يعطينا ترجمة للشاعر و القائم على جمع الشعر . كما لا تخلو أسبقية علم الشعر للعلوم الدينية من المنطقية ، فقد استخدم الشعر أحيانا فى تفسير القرآن الكريم ، وممن اتبع ذلك عبد الله بن عباس ــ رضى الله عنه ــ ثم يعرض العلوم الدينية فيقدم علم الكلام على الفقه لأنه يختص بإثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ودفع الشبه ، ويبحث موضوعه فى إثبات وجود الله و صفاته . فمن المنطق تقديمه على علم الفقه الذى يبحث فى العبادات و وجوه التحريم و الحلال ، و لذلك فإن اتباع الأحكام الشرعية التى يدور حولها علم الفقه لا يبحث عنه الإنسان إلا بعد ثبوت العقيدة ، و هو ما يدور حوله علم الكلام . وجاء تأخير علم الفقه عن كل العلوم الدينية لأنه العلم الذى تصب فيه العلوم الدينية جميعا .

ثم ينتقل إلى مجموعة العلوم الأجنبية ، و يبدؤها بالمقالة السابعة التى هى فى الفلسفة و العلوم القديمة ، و التى جاء ترتيبها طبيعيا بالنسبة إلى القسم الثانى من العلوم ، حيث نلاحظ الترتيب المنطقى لعلومها ؛ فقد بدأ بمجموعة العلوم الفلسفية ذات الأهمية الكبرى التى تحظى بعدد أكبر من المؤلفات ، فقد بلغت ١٣٣٣ بنسبة ٢٠,٦٢% من جملة الكتب المحصورة فى الفهرست (٤٢)، و تلتها المقالة الثامنة فى الأسمار و الخرافات و العزائم التى تأتى بعدها فى الأهمية . ثم المقالة التاسعة فى الديانات الوضعية ، و قد وضعها تالية بعد المقالة الثامنة ، و ذلك لارتباط موضوعيهما ، حيث توجد علاقة متداخلة بين المعتقدات الدينية الوثنية القديمة والمعتقدات الممارسة فى السحر ، و هذا الموضوع محل بحث علماء الأنثربولوجيا منذ القرن التاسع عشر . (٤٣) و قد عكس هذه العلاقة فهرس مكتبة معبد إدفو فى الحضارة الفرعونية القديمة الذى تناول الأعمال فى السحر إلى الكتب الخاصة بالمعبد و الكهنة ، فقد كان للسحر دور بارز فى الديانة المصرية القديمة التى تمثل نوعا من الديانات الوضعية ، ثم تأتى المقالة العاشرة فى علم الكيمياء ، و مكان هذا العلم على خريطته التصنيفية غير مقبول ، فكان من الأفضل معالجة هذا العلم مع فنون المقالة السابعة الخاصة بالعلوم العقلية باعتباره ينتمى إلى العلم الطبيعى ، و لكن قد يكون

هناك مبرر خاص لدى ابن النديم فى نظرته إلى هذا العلم ، فالبعض لم يعترف بــهذا العلم ، و عدوه قرينا للسحر و الطلسمات مثل ابن خلدون . (٤٤) حتى إننا نجد ابــن النديم فى حديثه عن بعض من يترجم لهم فى المقالة العاشــرة يشــير إلــى اشــتغاله وشهرته فى السحر و الشعوذة إلــى جــانب اشــتغاله بالكيميــاء ، و مثــل ابــن وحشية.(٤٥) و نتيجة هذه النظرة إلى علم الكيمياء جعلت ابن النديم يرجح وضعه بعد علوم السحر و الشعوذة باعتباره امتدادا له ، و قد يرجع إلى شهرة هذا العلم و أهميته على عصر ابن النديم ، و اهتمام الناس به ، و إقبال القراء و الكتاب على طلب كتــب هذا العلم ، و ما يدل على ذلك كثرة التأليف فى هذا العلم ليصل عدد كتبه إلى ثلاثمائة و سبعين . و بخاصة أن مهنة الوراقة مكنته من الإحاطة بشهرة هذا العلم ومدى إقبال العلماء و القراء على كتب الكيمياء . هذا عن طريقة ابن النديم فى ترتيــب الأقســام الرئيسية فى كتابه ، التى يمثل كل منها مقالة . أما عن طريقة ترتيب الفروع من هــذه الأقسام أو الفنون داخل كل مقالة ، فقد اتبع ابن النديم طريقة التسلسل التاريخى مــع استخدام المنطق أحيانا أخرى . عالج ابن النديم فى المقالة الأولى ثلاثة فنون ، اختص الأول منها بنشأة اللغة و تطورها بشكل عام ، سواء فى الأمة العربية أو غيرهــا من الأمم المعروفة للعرب فى ذلك الوقت ، وهى تعد مدخلا طبيعيا للتصنيف ، فــأول معرفة الإنسان تكون عن طريق اللغة ثم الكتابة ثم الكتاب ، و بذلك تعد هى بداية كــل المعرفة ، و يأتى الفن الثانى و الثالث فى الكتب المقدسة ، ويعــرض الموضوعــات فيهما حسب التسلسل التاريخى ، فلا يقدم الدين الإسلامى ، و هــو آخــر الديانــات السماوية على غيره من الديانات ، و إنما يعرض للكتب السماوية من أول آدم وصولا إلى الدين اليهودى ثم المسيحى ، ثم يخصص الفن الثالث للقرآن الكريم . وفى المقالــة الثانية يعرض لثلاثة فنون ، نلاحظ أيضا الترتيب التاريخى لظهور العلوم فيها، فــالفن الأول فى اللغة و النحويين البصريين ، ثم الفن الثانى للكوفيين ، و الفن الثالث فيمــن خلط المذهبين . و نلاحظ هنا التقسيم التاريخى المنطقــى ، فقــد سـبق البصريــون الكوفيين فى النحو ، ثم ظهر من العلماء الذين خلطوا المذهبين معا ، و هو يصــرح بالسبب فى تقديمه البصريين على الكوفيين فى قوله : " إنما قدمنا البصريين أولا لأن علم العربية أخذ عنهم ، و لأن البصرة أقدم بناء من الكوفة " . (٤٦) و مــن هنــا

يصرح باتباعه التقسيم التاريخي المنطقي لموضوعات هذه المقالة . و يعرض في المقالة الثالثة ثلاثة فنون ، و نلاحظ فيها التسلسل التاريخي المنطقي للموضوعات ، فظهور الرواة و النسابين سابق على الملوك في الدولة الأموية ، ثم ظهر الملوك وكتابهم . ثم ظهر الندماء و الجلساء و الأدباء و المضحكين في مجالس الملوك. ونجد ابن النديم يتابع التسلسل المنطقي في فنون المقالة الرابعة ، فيبدأ بشعراء الجاهلية والإسلاميين الذين لحقوا بالجاهلية ، ثم الشعراء المحدثين إلى زمن ابن النديم . ويتابع التسلسل التاريخي لعرض موضوعات المقالة الخامسة ، فيبدؤها بالمعتزلة و المرجئة لأنهم خرجوا في أواخر القرن الأول الهجري و أوائل القرن الثاني الهجري ، فقد اعتزلوا مجلس الحسن البصري عام ١١٠هـ . و يخصص الفن الثاني للشيعة ، وتاتي في تسلسلها التاريخي بعد المعتزلة لأن أشهر مؤلفي الشيعة ، و هو هشام بن الحكم توفي في أواخر القرن الثاني الهجري . (٤٧) و قد قدم المعتزلة و الشيعة لاهتمامه بالمذهبين ، كما زعم البعض أنه كان منهم . و يأتي الفن الثالث لأهل السنة، و الرابع للخوارج . و قد أخر الخوارج بالرغم من ظهورهم في القرن الأول الهجري لاهتمامه بالمعتزلة و الشيعة . و يأتي الفن الخامس في تسلسله التاريخي نظرا لأن الزهاد و المتصوفة و العباد ظهروا في العصر العباسي ، الأول كاتجاه مضاد لحياة البزخ و الترف التي عاشها العباسيون ، و يقسم فنون المقالة السادسة في الفقه إلى ثمانية ، و يرتب فنونها حسب الأهمية ، و بعضها حسب التسلسل التاريخي ، فبدأ بالمذاهب ذات الأهمية و هي المشهورة ، فقدم مذهب الإمام مالك و ثني بالإمام أبي حنيفة بالرغم من معاصرتهما بعضهما ، إلا أن تقديم الإمام مالك لكونه من أهل البيت الذي يتشيع له ابن النديم . ثم يأتي الفن الثالث في الإمام الشافعي و أصحابه ، و هو في تسلسله التاريخي ، ثم الفن الرابع لداود بن علي وأصحابه ، و قد كان في عام ٢٧٠هـ و هو هنا في تسلسله التاريخي ، ثم الفن الخامس في فقهاء الشيعة ، وبالرغم من تقدمهم تاريخيا إلا أنه قدم المذاهب المشهورة عليهم . ثم الفن السادس في فقهاء المحدثين ، و هم في تتابعهم التاريخي أيضا . والفن السابع للطبري و أصحابه عام ٣١٠هـ ، و هم في موضعهم الطبيعي . ثم الفن الثامن في الفقهاء الشراة ، و بالرغم من معاصرتهم فقهاء الشيعة إلا أنه قد أخرهم لقلتهم و عدم شهرة مذهبهم . و يرتب

فنون المقالة السابعة ترتيبا يذكرنا بتقسيم المعرفة عند أرسطو ، فهو يبدأ بالمنطق الذى يسبق غيره من العلوم لكونه آلة لها ، ثم علوم الرياضيات ، ثم علم الطب الذى يمثل العلم الطبيعى ، و هذا الترتيب هو ما وجدناه عند كل المصنفين المتأثرين بفلسفة أرسطو ، مثل الفارابى و ابن سينا ، فهو هنا قد استخدم الترتيب المنطقى لعلوم هذه المقالة ، و هو فى المقالة الثامنة يوازى بين فنونها فى الأفضلية ، فيقدم المسلمرين و المخرفين لأنهم أفضل عملا من المشعوذين و السحرة و أصحاب الحيل و الطلسمات الذين يعد عملهم باطل ينكره الإسلام . ثم يخصص الفن الثالث لمعان شتى ، و يجمع فيه كل علم لا نجد له مكانا على خريطته التصنيفية ، حيث يعرف مجموعة من الموضوعات معا ، بعضها ينتمى إلى مجال الترفيه ، مثل كتب فى الخرافات أو الباة (الجنس) . و بعض الموضوعات تنتمى إلى الحروب ، و هذا الموضوع لم يفطن إليه غيره من المصنفين سوى طاشكبرى زادة . كما أورد كتبا تنتمى إلى العلم الطبيعى مثل كتب البيطرة وعلاج الدواب ، و صفات الخيل ، و إن كانت تعالج فى العصر الحديث ضمن العلم البيطرى . كما ذكر كتبا فى المواعظ و الآداب و الحكم ، و هى تدخل فى العلم المعروف فى عصرنا الحديث بعلم الاتيكيت . كما ذكر موضوع الطبيخ الذى يعالج ضمن علوم التدبير المنزلى حديثا ، و قد سبق ذكره عند الخوارزمى تحت علم الطب، و هو يدل على عدم اكتمال الصورة الوضعية لهذا العلم. كما أورد كتبا تنتمى إلى علم الصيدلة و أسماها كتبا مؤلفة فى السموم و عمل الصيدلة ، و هو بذلك قد عرض موضوعات تنتمى لعلوم مختلفة ، و يرجع ذلك إلى :

١ــ عدم نضج هذه الموضوعات ، و الدليل على ذلك أن مجموع الكتب التى يعرضها تحت كل موضوع قليل ، و هذا يدل على أن محاولات التأليف فيها بدائية و ضعيفة .

٢ــ عدم قدرة ابن النديم من إيجاد مكان مناسب لها على خريطته التصنيفية ، أو إمكانية جعلها فرعا من فروع علم آخر ، و لكن يحمد له إبرازها و إعطاؤها اسم موضوع تنتمى إليه . و يمكن أن نطلق على هذا الفن اسم معارف أخرى أو موضوعات متنوعة ، كما يتم فى تصانيف العصر الحديث من إعطاء عنوان لمجموعة من المعارف الجديدة لم يتضح انتماؤها المعرفى ، و لم يظهر فيها إنتاج فكرى ، و هذا ما حدث فعلا فى تصنيف ابن النديم ، فهو بذلك سابق لعصره . و

ننتقل إلى المقالة التاسعة حيث يرتب فنونها على أساس شهرتها و مدى قربها أو بعدها عن الأمة الإسلامية ، فيبدأ بالحرانية و الكلدانية لقربهم من بلاد الإسلام ، بل إن بعضهم يعيش فى بلاد المسلمين . ثم ديانات الهند و الصين لبعدها وعدم شهرتها بالنسبة إلى العرب و المسلمين .

قواعد التصنيف المستخدمة عند ابن النديم

من استقراء تقسيم ابن النديم للعلوم نلاحظ استخدامه لقاعدة أساسية فى تصنيفه، و هى علاقة التبعية أو الشمول ، فهو يقسم العلوم إلى مجموعة من الأقسام الرئيسية ، و هى المقالات العشر ، ثم يتدرج بها إلى أقسام فرعية ؛ أى ينتقل من العام إلى الخاص . كما أنه يحافظ على علاقة التجاور بين الموضوعات ، فيعالج الموضوعات المتشابهة إلى جانب بعضها ، و لو أدى إلى كسر قاعدة الترتيب ، و هو التسلسل التاريخى للعلوم الذى غلب على أساس التقسيم ، فنجده يجمع موضوعات العلوم العربية متجاورة ، ثم موضوعات العلوم الشرعية ، و يعالج مجموعة العلوم الفلسفية فى مقالة واحدة .

كما عكس تصنيف ابن النديم ما يعرف فى التصنيف الحديث بالفئة المفضلة *Fevoured Categry* . (٤٨) أى تقديم الموضوعات التى تهتم بها الأمة ؛ أى الموضوعات ذات الصبغة المحلية ، وهذا ما وجدناه فى تقديم الأقسام الخاصة بعلوم الدين الإسلامى و العلوم العربية ، وهذا ما تفعله التصانيف الحديثة ، حيث يأتى ترتيب الأقسام عندها انعكاسا لفكرها ، ففى تصنيف ديوى يقدم دراسة اللغة الإنجليزية و الأدب الأمريكى و الإنجليزى على غيره من اللغات أو الآداب الأخرى ، كذلك فى الدين يبرز الدين المسيحى و يعطيه سبعة أقسام من مجموع الأقسام العشرة المخصصة للديانات . كما يعكس التصنيف الهندى الكلاسيكيات الهندية و الكتب المقدسة مع أسمائها الخاصة سواء فى الطب أو فى التجربة الروحية و السحر ، أو فى الفنون الجميلة أو الآداب أو اللغة أو الدين أو الفلسفة الهندية . كما نجد التصنيف السوفيتى يبدأ بالماركسية اللينينية ، باعتبارها عقيدة السوفيت حلت عندهم محل الدين، ثم يصيغ أقسامه بعد ذلك بالتفسير المادى للمعرفة و الماركسية اللينينية . و هكذا لو

تتبعنا التصنيف عند كل أمة فسوف نجد لكل أمة و لكل عصر خصوصيات في التصنيف تعكس فكر الأمة ، و هذا ما وجدناه عند ابن النديم .

تقييم محاولة ابن النديم في التصنيف

يلاحظ على تصنيف ابن النديم أنه جمع في المقالة الأولى موضوع لغوي مع موضوع ديني ، وكان من الأفضل تخصيص المقالة الأولى لعلم اللغة ، و فصل موضوع الكتب السماوية و الديانات السماوية و جعله في مقالة أخرى . و قد يكون حرصه على التقسيم العشري لموضوعات المعرفة أدى إلى هذا الجمع ، و لعدم إيجاد مكان آخر على خريطته التصنيفية مناسب في نظره لموضوع اللغة و الكتابة ، واعتبارها مقدمة مباشرة للكتب السماوية ، و هذا يعكس مدى الارتباط بين دراسة اللغة و دراسة القرآن الكريم ، و يعكس هذا الترتيب النشأة التاريخية للعلوم عند العرب ، فأول العلوم التي انبثقت عن الإسلام هي دراسة علم اللغة ، و تلتها دراسة علوم القرآن الكريم . و يلاحظ على موضوعاته إدراج علم التاريخ في مجموعة العلوم العربية لا الشرعية ، و هذا يعكس طبيعة هذا العلم كعلم مساعد للعلوم الشرعية، و لا يعد أحد علومها .

و يفرد ابن النديم مقالتين لموضوعات لا تدخل في جملة العلوم ، و منها موضوعات يرفضها الإسلام ، و هما المقالة الثامنة التي في السحر ، و المقالة التاسعة التي في الديانات الوضعية ، و قد يبرر ذلك كون تصنيفه من التصانيف البيبليوجرافية التي تتصف بالشمولية لكل المعرفة بغض النظر عن موقف البعض منها من حيث كونها صحيحة أو مزيفة ، علوم باطلة أو محرمة ، فما دام لهذا العلم كتب فلا بد من الإشارة إليها و تصنيفها ، و يجرنا ذلك إلى ملاحظة أخرى ، و هي فصله الديانات السماوية عن مجموعة الديانات الأخرى الوضعية ، فهو بالرغم من ذكره الديانات الوضعية لا يعد ذلك اعترافا منه بها ، أو من عصره بها ، و لهذا جاء الفصل بينها لتمييز الصحيح من الزائف ، فنجده يقدم الديانات السماوية في المقالة الأولى ، و يؤخر الديانات الوضعية ، و يجعلها لاحقة للعلوم الزائفة والباطلة: علوم السحر و الطلسمات .

يعالج الفهرست تحت كل فن العلم أو الموضوع ، و أول من ألف فيه ، ثم يسرد المؤلفين ، و تحت كل منهم الكتب التى ألفها كل واحد منهم فى هذا العلم . و إذا كان للمؤلف تخصصات عديدة فإنه يوزع كتبه على التخصصات المختلفة ، كما فعل مع إبان اللاحقى فى الفن الثانى من المقالة الثالثة . فقد ذكره و ذكر مجموعة من الكتب التى ألفها ، و هى :

- كتاب كليلة و دمنة .
- كتاب سيرة أردشير .
- كتاب سيرة أنو شروان .
- كتاب بلوهر و برداست .
- كتاب رسائل .
- كتاب حلم الهند .

كما ورد ذكر إبان اللاحقى فى الفن الثانى من المقالة الرابعة ، و ذكر معه مجموعة من كتبه فى هذا الفن ، و هى :

- كليلة و دمنة .
- كتاب بلوهر و برداست .
- كتاب سندباد .
- كتاب مزدك .
- كتاب الصيام و الاعتكاف .
- كتاب مردوك .

و هنا نرى اختلاف مجموعة الكتب ، فلم يكرر سوى كتابين يراهما مشتركين فى الفنين . و كذلك مع إبراهيم بن المهدى بن محمد بن على بن عبد الله ، ورد ذكره مع كتبه فى الفن الثانى من المقالة الثالثة ، و عاد فذكره بدون كتبه فى الفن الثانى من المقالة الرابعة ، و مرة ثالثة ذكره مع كتاب واحد له ، و هو كتاب آداب إبراهيم بن المهدى فى الفن الثالث من المقالة الثامنة . وفى حالة ترجمته للشخص الواحد فى موضوعين يذكر موضوعاته فى أحدهما ، كما فى ترجمته للكسائى فى موضوعين،

ذكر كتبه فى أحدهما ، أو يذكر مؤلفاته الخاصة بكل فن فى موضعها . وكما فعل فى ترجمة الصولى مع الآدباء ، فذكر كتبه فى الأدب ، و عاد وترجم له مع الشطرنجيين فذكر رسائله فى الشطرنج . وهذا أمر طبيعى لمن يلتزم بالترتيب الموضوعى . و قد يحدث تكرار بعض الكتب ، نتيجة اشتمال الكتاب على أكثر من موضوع كما سبق أن عرضنا فى كتب إبان اللاحقى . ويغلب على تصنيف ابن النديم ترتيبه للمؤلفين حسب تاريخ الوفاة ، فلو أننا تتبعنا الفنون داخل المقالات لوجدناه يبدأ بنشأة العلم ، و يسرد المؤلفين من بدايتهم إلى عصره ، و قد يكون من بينهم من لم يذكر له تاريخ وفاة ، فإنه يحاول وضعه فى مكان اقرب إلى الصواب ، و ذلك على سبيل التخمين . وبالنسبة إلى ترتيب الكتب فلم يخضعه إلى أى نوع من الترتيب .

مميزات تصنيف ابن النديم و عيوبه

يتميز تصنيف ابن النديم ببعض المميزات ، و تؤخذ عليه بعض المآخذ :

أولا : المميزات

يرى بعض الباحثين أن تصنيف ابن النديم لا يرقى إلى مرتبة تصنيف العلوم ، حيث اقتصر على ذكر العلوم الموجودة فى عصره دون أن يقدم أى تصور واضح عن العلاقات بينها . (٥١) وهذا الحكم فيه كثير من التجنى على ابن النديم ، فقد تميز تصنيفه بالأسلوب العلمى البعيد عن أى تعصب دينى أو جنسى ، فقدم الدين اليهودى على المسيحى ثم الإسلامى . كما حافظ على الوحدة الموضوعية التى تجمع الموضوعات المتشابهة إلى جوار بعضها . و تعد محاولة ابن النديم تجربة رائدة فى تقسيم المعرفة ، حيث استند فى تقسيم المعرفة على الإنتاج الفكرى الفعلى ، و هو ما عرف بالسند الأدبى . و بالرغم من ذلك لم يفتقر إلى الجانب المنطقى العلمى فى إبراز العلاقة بين الموضوعات ، و هذا ما نادى به '' بليس '' صاحب التصنيف البيبليوجرافى فى بداية القرن العشرين ، فقد أنكر أى صراع بين التصنيف المنطقى العلمى و التصنيف البيبليوجرافى العملى ، و نادى بوجوب الربط بينهما و توحيد هدفهما ، بحيث نجعل هذا التصنيف فى خدمة النواحى التعليمية . (٥٢) و قد جاء تصنيف ابن النديم بالفعل انعكاسا للمنهج التعليمى التربوى فى العصور الإسلامية ، فبداية التعلم معرفة القراءة و الكتابة و حفظ القرآن الكريم ، ثم الدراسات اللغوية

والنحوية ، لتكون مدخلا للتعمق فى العلوم الدينية بمباحثها المختلفة ، و بعد إتقان الطالب مجموعة العلوم الشرعية و العربية يبدأ فى البحث فى فروع المعرفة المختلفة بجوانبها الفلسفية و الرياضية و غيرها ، و قد سار تصنيف ابن النديم بنفس التدريج المتبع للتعليم فى هذه الفترة .

و لم يكن تصنيف ابن النديم تصنيفا فلسفيا تجريديا ، و لكنه وضع لخدمة الحقيقة الدينية والحياة الفكرية الإسلامية، وهذه تعد نقطة الانطلاق عند ابن النديم فى محاولة استيعاب فكر وحضارة الإسلام و العلوم الوافدة من الثقافات الأجنبية المترجمة إلى اللغة العربية ، و تنظيمه حسب خطة تصنيفية موضوعية تعكس علوم عصره .

ثانيا : العيوب

يعيب تصنيف ابن النديم فصل علم الكيمياء فى مكان بعيد عن علم الطب بالرغم من انتمائهما إلى مجال واحد هو العلم الطبيعى .

أثر الحياة الفكرية و الثقافية فى تصنيف ابن النديم

يعكس تصنيف ابن النديم صورة واقعية عن الحياة الفكرية فى تلك الفترة (ق ٤ هـ) ، فهو يعطى مؤشرات مهمة و واقعية حول اتجاهات الفكر و مجالات التأليف ، كما أعطى صورة عن مدى الاعتماد على الإنتاج الفكرى المترجم و نسبته فى كل مجال . و قد قام الدكتور شعبان خليفة بإعداد دراسة قيمة عن الفهرست لابن النديم ، و أعطانا مؤشرات للإنتاج الفكرى فى الفهرست ، فيذكر أن أعداد الكتب فى كل مقالة كالآتى : (٥٣)

المقالة	المجال الفكرى	عدد الكتب
الأولى	الدين اليهودى و المسيحى	٤٥
	علوم القرآن	٣٢٦
الثانية	اللغة و النحو	١١٢٧
الثالثة	تاريخ و جغرافيا و تراجم	١٧٢٤
الرابعة	الشعر و الشعراء	٦٩٨
الخامسة	علم الكلام	١١٩٧
السادسة	الفقه	١٠٣٠
السابعة	علوم بحتة و تطبيقية	١٣٣٣
الثامنة	فنون و ترفيه	٤٢٨
التاسعة	ديانات وضعية	٨٢
العاشرة	الكيمياء	٣٧٠
المجموع	١٠	٨٣٦٠

و إذا حاولنا إعادة التنظيم لهذه المقالات ، لتجميع الموضوعات التى تنتمى إلى مجال معرفى واحد ، فسوف نجد أن أعلى مجال فى الإنتاج الفكرى لعلوم الدين الإسلامى ، حيث يبلغ عدد الكتب فيها ٢٥٥٣ ، بنسبة ٣٠,٥٣% ، متدرجة من علم الكلام إلى علوم الفقه إلى الكتب المتعلقة بالقرآن الكريم و علومه . وهذا يعكس التوجه العام للتأليف فى هذه الفترة لخدمة الدين و الحقيقة الدينية ، ولذلك فإن علوم التاريخ و الجغرافيا و التراجم التى وضعت فى خدمة الدين قد احتلت المرتبة الثانية فأعداد الكتب المؤلفة فى هذا الموضوع قد بلغت ١٧٢٤ ، بنسبة ٢٠,٦٢% ، واقترب من هذه النسبة الإنتاج الفكرى فى العلوم البحتة و التطبيقية بما فيها الكيمياء . و قد وصلت أعداد الكتب فيها إلى ١٧٠٣ ، بنسبة ٢٠,٦٢% تقريبا ، و هذا يعكس اهتمام العرب بالعلوم العقلية و اشتغالهم بها . ثم تأتى فى المرتبة الرابعة علوم اللغة و النحو حيث تبلغ نسبتها ١٣,٤٣% ، و ارتفاع التأليف فى علوم اللغة و النحو يعكس أهمية تلك الموضوعات التى كانت تعد بمثابة مقدمات أو آلات لدراسة العلوم الدينية ، ويأتى

الشعر العربى فى المرتبة الخامسة بنسبة ٨,٣٤% ، ثم الفنون و الترفيه فى المرتبة السادسة بنسبة ٤,٨٦% ، و تحتل الديانات الوضعية المرتبة السابعة بنسبة ٠,٩٨% ، ثم علوم الدين اليهودى فى المرتبة الثامنة بنسبة ٠.٤٤% ، ثم علوم الدين المسيحى بنسبة تصل إلى ٠,١% . كما يعكس لنا الفهرست صورة للفكر المترجم حيث بلغت حوالى ٦٣٢ ، بنسبة تقترب من ٧,٥٥% . وهذه النسبة تعنى وجود فكر عربى أصيل فى المجالات المعرفية المختلفة فى القرن الرابع الهجرى تصل نسبته إلى ٩٢,٤٥% . كما يعطينا الفهرست مؤشرات عن المجالات التى تم النقل فيها إلى العربية ، والحضارات التى تم النقل منها ، فأعلى عدد للكتب المترجمة فى مجال الطب ، حيث بلغت أعداد الكتب ١٧٠ كتابا من مجموع الكتب المنشورة فى العالم الإسلامى التى بلغت ٤٢٦ كتابا . وتركز النقل من الحضارة اليونانية و القبطية و عدد قليل من الهندية و الفارسية ، تلتها علوم الرياضيات و الفلك و الميكانيكا ليبلغ عدد الكتب المترجمة ١٣١ كتابا من مجموع ٤٧٦ كتابا منشور فى العالم الإسلامى . و تركز النقل من الحضارتين اليونانية و الهندية . وتأتى فى المرتبة الثالثة الفلسفة فقد بلغت أعداد الكتب المترجمة ١١٨ كتابا من ٤٣١ كتابا منشورا فى العالم الإسلامى . و تم النقل من الحضارة اليونانية ، و هذا يشير إلى تأثير الفلسفة اليونانية فى الفكر العربى أكثر من أية فلسفة أخرى . كما بلغت أدنى كتب مترجمة فى موضوعات السحر والشعوذة ، حيث بلغت أعداد الكتب المترجمة ستة كتب من مجموع تسعة كتب منشورة ، و هذا يشير إلى رفض العرب لهذا الفكر ، و زيفه فى نظرهم . كذلك فى تفسير الأحلام وصل عدد الكتب المترجمة إلى أربعة كتب من عشرة كتب مؤلفة ، وفى السموم إلى كتابين من تسعة كتب منشورة فى العالم الإسلامى .

و من هذا العرض نصل إلى نتائج مؤداها : تميز الفكر العربى فى القرن الرابع الهجرى بالأصالة وظهور المؤلفات التى فاقت الكتب المترجمة ، مما يدل على أن هذا القرن هو قرن الإبداع العربى فى مختلف المجالات ، كما يشير إلى أن توجه العلوم المختلفة كان لخدمة الدين الذى احتل مكانة بارزة فى الإنتاج الفكرى .

تصنيف ابن النديم بين التأثر و التأثير

تأثر ابن النديم فى تصنيفه ببعض المصنفين قبله ، و أثر فى بعضهم بعده :

التأثر

بالرغم من أن تصنيف ابن النديم يختلف كثيرا عمن سبقه فى طريقة التقسيم أو عرض العلوم ، ولكن من الواضح تماما تأثره بالاتجاه العام فى تقسيم العلوم الذى ورد عند الخوارزمى فى التفريق بين العلوم الشرعية و العربية من جهة ، والعلوم العقلية أو الأجنبية من جهة أخرى ، و لذلك فإننا نلاحظ أن تدرج المقالات عنده يتبع الاتجاه نفسه عند الخوارزمى ، فالمقالات الست الأولى تركزت فى العلوم الشرعية والعربية ، و المقالات الأربع الأخيرة فى العلوم العقلية و الأجنبية .

التأثير

تأثر بالطريقة التى ابتدعها ابن النديم فى تقسيم المعرفة كل من : الأنصارى فى رسالته '' إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد '' ، و طاشكبرى زادة فى '' مفتاح السعادة و مصباح السيادة '' ، فقد اتبع كل منهما طريقته فى تقسيم المعرفة بناء على الإنتاج الفكرى مع التقسيم المنطقى للمعرفة ، كما أبرز طاشكبرى زادة العديد من العلوم التى ذكرها ابن النديم فى الفن الثالث من المقالة الثامنة ، و حدد لها مكانا واضحا على خريطته التصنيفية فى كتابه '' مفتاح السعادة و مصباح السيادة '' ، ومنها علم الباه و علم الطبيخ وعلم الشطرنج ، كما أخذ عنه البدء بالعلوم العربية كمدخل لما يأتى بعدها من العلوم .

هل تأثر تصنيف ابن النديم بتصنيف أرسطو ؟

جاءت خطة ابن النديم التصنيفية فى الفهرست مختلفة تماما عما سبقه من تصانيف الأمم السابقة ، فقد استخدم التقسيم العشرى ، و هذا ما لم نجده فى التصانيف الأجنبية ، و إنما جاء متأثرا بالعقيدة الإسلامية ، و يرد هذا التقسيم إلى مكانة الرقم (١٠) عند العرب ، و وروده فى القرآن الكريم فى تسعة مواضع لها علاقات معهمة بالبشر و التشريع . (٥٤) و قد يرجع ذلك أيضا إلى تأثر ابن النديم بطريقة تقسيم ابن قتيبة فى كتابه '' عيون الأخبار '' حيث قسمه إلى عشرة كتب ، كل منها يمثل موضوعا . و تأثر ابن النديم فى تقسيم فنون المقالة السابعة التى تتدرج من علم المنطق إلى العلم الرياضى إلى علم الطب الذى يمثل العلم الطبيعى بطريقة أرسطو

فى تقسيم المعرفة إلى علم المنطق ثم الحكمة النظرية لما فيها من العلم الرياضى ثـــم العلم الطبيعى .

منهج ابن النديم فى الفهرست

يمثل تصنيف ابن النديم المنهج الاستقرائى التجريبى ، حيث يقدم تصنيفه مـــن خلال جهد تجميعى استقرائى للإنتاج الفكرى فى مختلف العلوم ، و قد اعتمد فى جمع مادته العلمية على ثلاث خطوات ، هى : (٥٥) القراءة ، و المشاهدة ، و السماع .

و قد اعتمد ابن النديم على القراءة ليجمع معلوماته بنفسه ، فيقول فى أكثر من موضوع '' قرأت '' ، كما فى الفن الأول من المقالة الأولى يقول : '' قرأت بخـــط ابن سعد على هذه الصورة وبهذا الإعراب ابجد هوز '' . و ما يدلنا على اعتمـــاده على السماع فى جمع مادته على ما ورد فى المقالة الأولى فى الفن الأول : قال محمد بن إسحاق : '' و أما الذى يقارب الحق و تكاد النفس تقبله فذكـــر الثقـــة أن الكـــلام العربى بلغة حمير و طسم و جديس و أرم و حويل . (٥٦) و هنا يقر أنه سمع مـــن الثقة ، أى أنه متأكد من صحة ما سمعه من معلومات . و فى حديثه عن الكلام علـــى القلم الحميرى يقول : '' زعم الثقة أنه سمع مشايخ أهل اليمن يقولون أن حمير كـــانت تكتب بالسند على خلاف أشكال ألف و باء و تاء ، و رأيت أن جزءا من خزانـــة المأمون ترجمته ما أمر بنسخه أمير المؤمنين المأمون '' . (٥٧) و هنـــا فـــى هـــذه العبارة يعتمد على السماع و ينسبه إلى من سمع عنه ، و المشـــاهدة فـــى قولـــه '' رأيت'' . و فى الحديث عن الكلام على السودان يقول : '' و قال لى من رأى ذلـــك وشاهده قال إذا حزبتهم الأمور و لزتهم الشدائد جلس خطيبهم علـــى مـــا عـــلا مـــن الأرض و أطرق و تكلم بما يشبه الدمومة و الهمهمة فيفهم عنه الباقون . قال : و إنما لهم فى تلك الخطابة الرأى الذى يريدونه فيعملـــون عليـــه ، و الله أعلـــم '' . (٥٨) ويتضح من هذه العبارة أنه اعتمد على السماع فى إيراد هذه المعلومة ، كما تتضـــح أمانته العلمية فى نسبة الكلام إلى من قاله ، كذلك يشير إلى عـــدم روايتـــه بنفســـه ، وتأكده بنفسه ، ولذلك يقول : الله أعلم .

مستوى المعالجة فى تصنيف ابن النديم

يعرض ابن النديم فى مقدمة كتابه الهدف ، ثم يتناول تقسيمه للمعرفة البشـــرية الذى نعرضه فى الجدول التالى :

تصنيف ابن النديم	الصف الأول	الصف الثانى
الفهرست	المقالة الأولى	٣ فنون
	المقالة الثانية	٣ فنون
	المقالة الثالثة	٣ فنون
	المقالة الرابعة	فنان
	المقالة الخامسة	٥ فنون
	المقالة السادسة	٨ فنون
	المقالة السابعة	٣ فنون
	المقالة الثامنة	٣ فنون
	المقالة التاسعة	فنان
	المقالة العاشرة	فن واحد
المجموع	١٠	٣٣

جدول رقم (٦) يوضح تقسيم ابن النديم للمعرفة البشرية

قسم ابن النديم المعرفة إلى عشر مقالات تقف على الصف الأول ، و قسم كل مقالة إلى عدة فنون تقف على الصف الثانى ، و لم يعط أى تفريع من الصف الثانى . و بلغ عدد الموضوعات على الصف الأول عشرة موضوعات ، و على الصف الثانى ثلاثة و ثلاثين موضوعا .

و تفاوت التفريع عنده فى كل مقالة على الصف الأول ، فقد بلغت التفريعات فى خمس مقالات ثلاثة فنون ، و بلغ أعلى تفريع فى المقالة السادسة إلى ثمانية فنون ، و تلتها المقالة الخامسة الخاصة بعلم الكلام التى بلغت خمسة فنون ، و يرجع ذلك إلـــى أنهما يمثلان موضوعات الدين الإسلامى ، كما أن اتساع التفريع فيهما يدل على مـدى اتساع التأليف و الاهتمام بهذه الموضوعات . و بلغ عدد الفنون فى المقالـــة الرابعـة فنين فقط ، و بالرغم من أهمية فن الشعر لدى العرب و اتساع التأليف فيه إلا أنه قسم

هذا العلم إلى فنين فقط ، و يرجع ذلك إلى طريقته فى التقسيم التى ميز فيها بين الشعر الجاهلى و الحديث ، و لم يعط تقسيما أكثر ، فكان من المفروض أن يميز بين الشعر الجاهلى و شعر صدر الإسلام و الشعر الأموى و شعر العصر العباسى على أساس تميز كل فترة بمميزات خاصة اثرت فى الشعر ، و لكن عدم تمييزه يرجع إلى تأخر جمع العرب لأشعارهم ، و عدم نضج الدراسات التى تبرز هذا التميز على زمن ابن النديم . كما قسم المقالة التاسعة فى الديانات الوضعية إلى فنين على أساس إقليمى، فقد حصر فى الفن الأول الديانات الوضعية القريبة من الأمة الإسلامية ، وفى الفن الثانى الديانات البعيدة فى الهند و الصين ، فكان التوزيع على أساس إقليمى . أما المقالة العاشرة فلم يعطها أى تفريع و إنما خصصها لموضوع واحد هو علم الكيمياء، و يلاحظ هنا تفاوت التفريع بين علم وآخر ؛ أى مقالة و أخرى . كما يلاحظ عدم الالتزام بالتقسيم العشرى لكل موضوع ، أو الالتزام بعدد معين من الفنون ، ولكن جاء التفريع فى كل مقالة تمثل موضوعا معينا حسب اتساع هذا الموضوع ونضجه بما يفرزه من معلومات و موضوعات محددة .

التماسك و الاتساق فى تصنيف ابن النديم

جاء تصنيف ابن النديم تصنيفا منطقيا ، حيث يأتى العام قبل الخاص ، و هذا ما لاحظناه فى معالجة علم اللغة قبل علم النحو الذى خصه لمعالجة نحو اللغة العربية، كذلك عمل على تجميع موضوعات العلم الواحد و معالجتها بشكل متكامل مع بعضها البعض ، و لذلك جاءت خطوات التقسيم متقاربة و متوازية دون إحداث أية قفزات مخلة فى هيكل النظام التصنيفى ، و لذلك جاءت خطته متكاملة دون إحداث أى خلل فى هيكلها التصنيفى . كما يلاحظ وقوف التفريع فى كل المقالات التى على الصف الأول إلى الصف الثانى ، و لم يزد فى التفريع لأية مقالة ، و لذلك جاءت خطته متماسكة و متسقة و متناسقة . و يعد هذاا الجهد المحمود لابن النديم مظهرا لمدى إلمامه بالموضوعات فى عصره .

و إذا انتقلنا إلى القرن الخامس الهجرى الذى يعد امتدادا للقرون الأربعة الهجرية الأولى فى الأصالة و الإبداع نجد ابن سينا و تصنيفه الفلسفى فى رسالة أقسام العلوم العقلية .

رابعا : تصنيف ابن سينا (ت ٤٢٨ هـ)

عاش ابن سينا (٥٧) في أواخر القرن الرابع الهجرى و الربع الأول من القرن الخامس الهجرى الذى يعد بداية تأصيل الفلسفة ، فقد استقر كثير من العلوم و برزت الشخصية العربية الإسلامية فيها ، و ظهر إبداع المفكر الإسلامى ، و إضافته ، وتصحيحه للعلوم و ابتكاره لها . هذا و يعد ابن سينا صاحب أشهر تصانيف العلوم التى ظهرت فى القرن الخامس الهجرى نادرة عصره فى علمه و زكائه ، فقد برع في معظم علوم عصره من طب و فلسفة و موسيقى و حساب و هندسة و فلك ، و قد صنف ما يقارب من مائة مصنف ما بين مطول و مختصر ، و قد مكنته هذه الصفة الموسوعية فى المعرفة من وضع تقسيم للمعرفة ضمنه العديد من الكتب ، و لكن سوف نركز الاهتمام على رسالته فى أقسام العلوم العقلية ، لأنها تعكس بشكل فعلى طريقته فى تقسيم المعرفة .

تصنيف ابن سينا من واقع رسالته فى أقسام العلوم العقلية

ينتمى تصنيف ابن سينا إلى المدرسة الفلسفية فى التصنيف ، حيث بنى تصنيفه بطريقة نظرية جاءت وفق تصوره الفلسفى لمعرفة العلوم و تقسيمها ، و فى بداية الرسالة يعرض للهدف و الغرض منها .

الهدف من تقسيم العلوم فى رسالة أقسام العلوم العقلية

يشير ابن سينا إلى هدفه من رسالته فى أقسام العلوم العقلية فذكر أن تأليفها جاء استجابة لطلب أحد الاشخاص لتعريفه بأقسام العلوم العقلية ، و هو هنا يصرح بأنه عمد إلى تقسيم العلوم ؛ أى تصنيف العلوم مقتصرا على العلوم العقلية لا النقلية (الشرعية و العربية) ، و قد رسم لنفسه منهجا يعتمد على الإيجاز مع الكمال فى عرض العلوم ، و بعد تعريف القارىء بهدفه من هذه الرسالة ، و قبل أن يعرض تصنيفه يعرف الحكمة بأنها صناعة نظر يستفيد منها الإنسان تحصيل ما عليه الوجود كله فى نفسه و ما عليه الواجب مما ينبغى أن يكسبه فعله لتشرف بذلك نفسه ، و تستكمل و تصير عالما معقولا مضاهيا للعالم الموجود ، وتستعد للسعادة القصوى بالأخرة ، و ذلك بحسب الطاقة الإنسانية . (٥٨) و قد ضمن ابن سينا فى هذا التعريف العلوم النظرية المجردة إلى جانب العلوم العملية كما جاء فى خطة تصنيف

أرسطو ، و لكن الجديد عند ابن سينا إضافة العلوم الشرعية إلى قسم العلوم العمليـة ، وهذا الذى يفهم من إشارته فى تعريف الحكمة بقوله : '' لأن كمال النفـــوس لا يتـم بطلب ما هو معقول فحسب بل إن الاستعداد للآخرة ؛ أى لعالم المعاد ، هو أمر متمـم لسعادة الإنسان ، بل لحصوله على السعادة القصوى فى الآخرة '' ، و هذا لا يتضمنه قسم العلوم العملية عند أرسطو التى تشتمل على الأخلاق و السياسة و تدبير المـنزل .

و من هنا نتعرف أساس تقسيم العلوم عند ابن سينا إلى قسمين كبيرين همـــا الحكمـة النظرية و الحكمة العملية ، و قد سارت خطته التصنيفية على النحو الآتى . (٥٩)

الحكمة

الحكمة النظرية

العلم الطبيعى

العلم الرياضى

العلم الإلهى

الحكمة العملية

الأخلاق

تدبير المنزل

السياسة

العلم الطبيعى (الأقسام الأصلية)

القسم الأول : المادة و الصورة و الحركة .

القسم الثانى : السماء و العالم

القسم الثالث : الكون و الفساد

القسم الرابع : الآثار العلوية

القسم الخامس : المعادن

القسم السادس : النبات

القسم السابع : الحيوان

القسم الثامن : النفس و الحس و المحسوس

العلم الطبيعى (الأقسام الفرعية)

الطب

علم النجوم

علم الفراسة

علم التعبير

علم الطلسمات

علم النيربجات

علم الكيمياء

العلم الرياضى

علم العدد

علم الجمع و التفريق

علم الجبر و المقابلة

علم الهندسة

علم المساحة

علم الحيل المتحركة

علم جر الأثقال

علم الأوزان و الموازين

علم الآلات الجزئية

علم المناظر و المرايا

علم نقل المياه

علم الهيئة

علم الزيجات و التقاويم

علم الموسيقى

اتخاذ الآلات الغريبة و العجيبة

العلم الإلهى (الأقسام الأصلية)

النظر فى معرفة المعانى العامة لجميع الموجودات من الهوية و الوحدة و الكثرة .

النظر فى الأصول و مبادىء العلوم .
النظر فى إثبات الحق الأول و توحيده و الدلالـة على تفرده و ربوبيته
النظر فى إثبات الجواهر الأولى الروحانيـــة و الملائكة
تسخير الجواهر الجسمانية السماوية و الأرضية لتلك الجواهر الروحانية
العلم الإلهى (الأقسام الفرعية)
معرفة كيفية نزول الوحى
علم المعاد

المنطق

المدخل
المقولات
العبارة
القياس
البرهان
الجدل
سوفسطيقا
الخطابة
الشعر

مخطط هيكلى لتقسيم ابن سينا للعلوم

- **الحكمة النظرية**
  - **العلم الطبيعى**
    - الأقسام الأصلية
    - الحس والمحسوس
    - الحيوان
    - النبات
    - المعادن
    - الآثار العلوية
    - الكون والفساد
    - السماء والعالم
    - المادة والصورة
    - الأقسام الفرعية
    - الكيمياء
    - النيرنجات
    - الطلسمات
    - التعبير
    - الفراسة
    - علم النجوم
    - الطب
  - **العلم الرياضى**
    - علم العدد
    - علم الجمع والتفريق
    - علم الجبر والمقابلة
    - علم الهندسة
    - علم المساحة
    - علم الحيل المتحركة
    - علم جر الأثقال
    - علم الأوزان والموازين
    - علم الآلات الجزئية
    - علم المناظر والمرايا
    - علم نقل المياه
  - **العلم الإلهى**
    - المعانى العامة
    - مبادىء العلوم
    - إثبات الحق الأول
    - الجواهر الأولى والملائكة
    - تسخير الجواهر الجسمانية والسماوية والأرضية للجواهر الروحانية
    - نزول الوحى
    - علم المعاد
- **الحكمة العملية**
  - الأخلاق
  - تدبير المنزل
  - السياسة
- **المنطق**
  - المدخل
  - المقولات
  - العبارة
  - القياس
  - البرهان
  - الجدل
  - سوفسطيقا
  - الخطابة
  - الشعر

منطق تصنيف العلوم عند ابن سينا

يقسم ابن سينا الحكمة (العلوم) إلى قسمين كبيرين ، هما ك الحكمة النظرية والحكمة العملية ، و يجعل المنطق آلة للعلوم ، و هو هنا يتابع أرسطو و الفارابى فى هذا التقسيم للعلوم ، و يجعل الغاية من الحكمة النظرية الوصول للمعرفة ذاتها دون النظر إلى أى منفعة عملية . أما القسم العملى (الحكمة العملية) فالغاية منه الوصول إلى خير الإنسان فى دنياه و آخرته ، و هذا التقسيم هو تقسيم أرسطو نفسه للعلوم العملية . و يتناول كلا من الحكمة النظرية و العملية بالتقسيم فيقسم الحكمة النظرية إلى أقسامها الثلاثة ، و هى نفس أقسام الحكمة النظرية عند الفارابى و أرسطو ،

ويرجع تقسيمه الثلاثى للحكمة النظرية و ترتيبها على أساس الموضوعات التى تدرسها، فالعلم الإلهى و هو العلم الأعلى عنده لدراسة موضوعات لا ترتبط بالمادة المحسوسة ابدا ، ثم العلم الرياضى الذى يجعله هو العلم الأوسط لدراسته موضوعات غير قادرة على الانفصال عن المادة انفصالا تاما و لكن الخيال يكون قادرا على تصويرها دون إرجاعها إلى المادة ، و هذه حالة الأعداد و الأشكال ، ثم العلم الطبيعى و هو العلم الأسفل الذى يبحث فى موضوعات غير قابلة للانفصال عن المادة و الحركة أبدا ، بحيث لا يمكن تصويرها بدونها . و هو بذلك يجعل العلم الطبيعى علما وضيعا ، و العلم الرياضى علما برهانيا ، فالأول استقرائى لأنه يقوم على النظر فى المادة ، و الثانى قياسى ، و هذا هو أساس التفريق فى طريقة النظر فى كل منهما ، فالعلم الرياضى يعتمد على التصور الذهنى بالإضافة إلى النظر فى المادة و لهذا يقدمه على العلم الطبيعى . و يقسم كل قسم من أقسام الحكمة النظرية إلى أقسام أصلية ، ثم أقسام فرعية ، فالعلم الطبيعى يقسمه إلى ثمانية أقسام أصلية ، وكل قسم منها يرجعه إلى اسم من أسماء كتب أرسطو ، و يلاحظ الترتيب المنطقى لهذه الأقسام ، ففى البداية يحدد المفاهيم الكبرى التى ينبغى تحديدها بوضوح كمقدمة لدراسة العلم الطبيعى ، و لا يخلو منها جسم طبيعى هو مجال دراسة العلم الطبيعى . و المفاهيم الكبرى هى الطبيعة التى يعنى بها الموجودات التى هى فى آثار الطبيعة ، مثل الحيوانات والنباتات و العناصر ، و هذه الموجودات الطبيعية التى هى مجال دراسة العلم الطبيعى تشترك فى مبدأ الحركة ، و هو أيضا المادة ، و يعنى بها ما يتركب منه الشىء ، مثل الخشب للسرير ، ثم يتناول الموجودات الطبيعية ، فيبدؤها بأبسطها و هى الأركان الأربعة أو العناصر الأربعة التى أطلق عليها العرب اسم الاسطقسات و هى الماء و الهواء و التراب و النار التى خلق منها جميع ما على وجه الأرض من النبات و الحيوان ، ثم يتناول ما يعرض للأجسام الطبيعية من الفناء والنمو ، و هو ما يضمه القسم الثالث ، و فى القسم الرابع يتناول الظواهر الجوية المختلفة من البرق والرعد و الأمطار و غيرها . ثم يتدرج فى دراسة الموجودات الطبيعية من المعادن إلى النبات إلى الحيوان ليصل فى النهاية إلى دراسة النفس ، و هو التدرج نفسه عند

أرسطو . حيث تؤلف الموجودات الطبيعية سلما تصاعديا تقع الأجسام البسيطة (العناصر الأربعة) فى دركه ، ثم يليها بالمعادن فالنبات فالحيوان فالإنسان .

و تبدأ الأقسام الفرعية عنده بالطب ، و هو يقدمه على سائر العلوم ، ويرجع ذلك إلى أنه مجال الاهتمام الأول عند ابن سينا . كما يرجع إلى شرف موضوعه لبحثه فى بدن الإنسان الذى يعد أعلى الموجودات الطبيعية ، و يليه علم النجوم الذى يقدمه على سائر الموضوعات التى تليه لأن موضوعه أشرف و أعلى قدرا منها . وهو هنا متأثر بأرسطو الذى يرى أن الأجرام السماوية تقع فى ذروة سلم الموجودات لأنها أرفعها قدرا ، كما أنه متأثر أيضا بالفارابى الذى يفاضل بين الصناعات و العلوم على اسس منها شرف الموضوع الذى يخص به علم النجوم . (٦٠)

و يتدرج ابن سينا بالموضوعات حسب أهميتها ، فيقدم علم الفراسة و علم التعبير على علوم السحر من الطلسمات و النيرنجات ، و لكنه يؤخر علم الكيمياء ويجعله لاحقا لعلوم السحر ، و هنا يتابع ابن النديم فى تأخير علم الكيمياء و تقديم علم الطب ، و قد يرجع ذلك إلى النظرة التى قرنت علم الكيمياء بعلم السحر . و يقسم العلم الرياضى إلى أقسامه الأربعة المعروفة ، و هى الموجودة عند أفلاطون ، و هذا تدرج طبيعى منطقى ، فيبدأ بالعدد الذى فى المقادير من حيث هى كم مجرد ثم الهندسة التى تبحث أيضا فى المقادير ، و لكنه كم مشخص فى شكل خطوط وسطوح، فهما مشتركان فى دراستهما لموضوع واحد ، و هو المقدار ، ثم علم الهيئة الذى يشترك مع الهندسة فى الكيف الذى يعنى التحول و التغير من حال إلى أخرى ، ثم علم الموسيقى الذى يعد العلم التطبيقى لموضوع النسب العددية و الهندسية ، فأصوات النغم الموسيقية منها الخفيف و منها الثقيل ، و هما متنافران متباينان لا يمكن أن يجمع بينهما إلا بمركب أو مؤلف يؤلفهما ، و يكون ذلك على النسبة التى تكون منهما ائتلافا و نغمة واحدة لا يميز السمع بينهما و تستلذهما الطبيعة . (٦١)

و فى الأقسام الفرعية للعلم الرياضى نلاحظ التدرج المنطقى للعلوم كعلم العدد الذى يقسم إلى علم نظرى يبحث عن العدد بإطلاق و ما يلحقه من الجمع و الطرح . ثم علم الجبر و المقابلة الذى يستخدم الرموز فى العمليات الحسابية لإخراج المجهولات ، و يفرع الهندسة لعلوم متعددة وردت فى تصنيف الفارابى كعلوم أصلية،

و هى علم الحيل و علم المناظر و علم جر الأثقال وعلم الأوزان واستخدمها ابن سينا كفروع مشتقة للعلم الرياضى .

و يلاحظ على الأقسام الأصلية و الفرعية للعلم الإلهى التأرجح بين الفكر اليونانى و العقيدة الإسلامية التى يكون لها الغلبة فى أول قسمين أصليين متأثرين بالفكر اليونانى ، و بقية الأقسام الأصلية و الفرعية متأثرة بالفكر الإسلامى ، و يدخل فى هذا العلم مباحث علم التوحيد المختلفة سواء الكلامية أو الفلسفية أو صفات مثل الكثرة و العلة و المعلول و الكلية و الجزئية . أما القسم الثانى للحكمة ، وهو الحكمة العملية نجد تدرجا من المستوى الشخصى إلى المستوى العام ، فالفضيلة التى تبحث عنها الأخلاق و هو ما يكون بشخص واحد مرتبط بسلامة النظام السياسى الذى يعيش فيه الإنسان ، وسلامة هذا النظام مرتبطة بمكارم الأخلاق التى يتحلى بها الأفراد الذين تتألف منهم الدولة ، ولذلك تسن القوانين لما يقترن منها من قسر وإلزام. و على هذا الأساس يسير فى تقسيم الحكمة العملية من الأخلاق على مستوى الفرد إلى تدبير المنزل على مستوى الأسرة إلى مستوى الدولة ، و ينظر إلى هذه الأقسام على أنها أصول الحكمة العملية و لكنه يشير إلى موضوعات إسلامية يربطها بالحكمة العملية ، و منها وجوه النبوة و حاجة نوع الإنسان فى وجوده و بقائه إلى الشريعة ، و هو بذلك يفتح المجال لفروع عملية أخرى متصلة بالدين، وهنا يتضح الطابع لفلسفته الى تقوم على التوفيق بين الدين والفلسفة . و فى المنطق يتابع أرسطو فى تقسيمه إلى تسعة أقسام هى كتب أرسطو فى علم المنطق .

القواعد و المفاهيم التصنيفية التى عكسها تقسيم ابن سينا

وضع ابن سينا دراسة عن اختلاف العلوم و اشتراكها ضمنها أسسا و قواعد توضح طرق تقسيم العلوم على رتبة واحدة أ, على رتبتين ، أو تدرج العلوم من العام إلى الخاص . (٦٢) و قد عكس تصنيفه مجموعة من العلاقات بين الموضوعات ، ومنها ؟

- **علاقة تجاور أو ترابط** ، حيث يوجد تشابه بين الموضوعات يجعلها تقرب من بعضها ، و هذا ما لاحظناه فى ترتيب فروع العلم الطبيعى ، فعالج كل من علم الطلسمات و علم النيرنجات متاليين لتشابه موضوعيهما ، فالغرض فى كل منهما

تمزيج القوى السمائية مع بعض الأجرام أو الجواهر الأرضية ليحدث عنها قوة تفعل فعلا غريبا ، وهما بذلك ينتميان إلى علوم السحر باستخدام الكواكب والأجرام السماوية ، و في فروع علم الهندسة في العلم الرياضى تتقارب الموضوعات التى تنتمى إلى علم الحيل ، منها : علم الحيل المتحركة و علم جر الأثقال و علم الأوزان و الموازين و علم الآلات الجزئية .

- **علاقة التساوي أو التناسب** ، و هى اشتراك العلوم فى مبدأ واحد يجعلها تقع على رتبة واحدة ، و من الأمثلة على ذلك : اشتراك علم الحساب و الهندسة فى دراسة موضوع واحد هو المقدار ، ولكن تختلف نظرة كل منهما إلى المقدار ، فالمقدار فى الحساب كم مجرد ، و فى الهندسة كم مشخص فى شكل خطوط وسطوح ، و لذلك نجدهما يقفان على رتبة واحدة لوجود علاقة التساوى بينهما .
- **علاقة الاشتمال أو التبعية** ، التى عبر عنها ابن سينا باشتراك العلوم فى موضوع واحد ، و لكن كل منهما ينظر فى الموضوع من جهة مخالفة للآخر ، و هذا ما نلاحظه فى العلم الرياضى الذى يبحث الأعداد و الأشكال ، و نجد أن علم الحساب يشترك معه فى دراسة العدد ، و لكن من حيث هو كم مجرد ، ولذلك اندرج تحت العلم الرياضى الذى يعد علما عاما له ، ثم يقسم الحساب إلى علمى الجمع و التفريق الذى يبحث فى العدد ، و لكن من حيث الإضافة أو النقص ، و لذلك اندرج تحت علم الحساب ، و هنا تتضح علاقة التبعية والاشتمال فى التدرج من العام إلى الخاص .

تقييم محاولة ابن سينا التصنيفية

يلاحظ على تقسيم ابن سينا قصره على العلوم العقلية متجاهلا العلوم العربية و العلوم الشرعية ، بالرغم من استقرار هذه العلوم و نضجها على زمن ابن سينا ، و قد يرجع ذلك إلى أن عنوان الرسالة محدد بأقسام العلوم العقلية ، و قد يكون قد تطرق لها فى كتب أخرى لم تصل إلينا فى تقسيم العلوم ، و منها : رسالة فى الصنائع العملية ، و الدر النظيم فى أحوال العلوم و التعليم ، و موضوعات العلوم ، و مقاله فى تقاسيم الحكمة و العلوم . (٦٣)

مميزات تصنيف ابن سينا و عيوبه

يتميز تصنيف ابن سينا ببعض المميزات ، و تؤخذ عليه أيضا بعض المآخذ :

أولا : المميزات

تميز تصنيف ابن سينا بوجود مبدأ فلسفى يقف وراء عملية التقسيم ، و هو الوصول إلى السعادة ، و بينما تتحقق السعادة فى المعرفة النظرية عن طريق المعرفة الخالصة و بلوغ اليقين ، فإن السعادة تتحقق فى نطاق المعرفة العملية عن طريق المنفعة العملية من تحصيل العلوم . كما تميزت خطته التصنيفية بأنها خطة مفتوحة لموضوعات قد تستجد من واقع المجتمع الإسلامى ، و ذلك من خلال جعل الأقسام الأصلية للحكمة العملية مستفيدة من الشريعة الإسلامية ، و هو بذلك يكون قد فتح المجال أمام فروع أخرى تتفرع من هذه الأصول .

ثانيا : العيوب

من عيوب خطة ابن سينا ذكره موضوعات على خريطته التصنيفية فى أماكن غير مناسبة ، مثل وضع موضوع حاجة الإنسان إلى النبوة ضمن أقسام الحكمة العملية و كان من الأفضل ذكره مع فروع العلم الإلهى ، و لكن محاولته الفلسفية فى التوفيق بين الفلسفة و الدين جعلته يشير إلى هذا الموضوع فى سياق حديثه عن السياسة . و ترى الباحثة أن ابن سينا نفسه غير راض عن وجود هذا الموضوع ضمن أقسام الحكمة العملية فى تصريحه فى بداية الحديث عن أقسام الحكمة العملية بأنها ثلاثة ، و لم يذكر أنها أربعة . كما جعل علم أحكام النجوم من أقسام العلوم الطبيعية بالرغم من قرب هذا الموضوع من العلوم الرياضية ، و هذا واضح من تعريف العلم ، حيث يقول : '' علم تخمينى والغرض منه الاستدلال من شكل الكواكب بقياس بعضها إلى بعض ، و بقياسها إلى درج البروج ، وبقياس جملة ذلك إلى الأرض . (٦٤) و يلاحظ إدراج هذا العلم ضمن العلوم الرياضية فى التصانيف العربية الأخرى ، كفرع لعلم الهيئة . و يدرج فى العلم الإلهى أقساما هى أقرب إلى المبادىء و ليست علوما (٦٥) ، ولذلك سماها بالأقسام و لم يسمها الأصول أو العلوم، كما فعل فى العلم الرياضى أو العلم الطبيعى . ومنها : النظر فى المعانى العامة لجميع الموجودات من الهوية و الوحدة و الكثرة والوفاق والخلاف والتضاد، وكذلك

القسم الثانى : النظر فى الأصول و المبادىء مثل علم الطبيعيين و الرياضيين و علم المنطق، والقسم الثالث فى إثبات الحق الأول و توحيده . وعالج علم تدبير المنزل (من فروع الحكمة العملية) من وجهة النظر اليونانية للمجتمع على أنه مجموعة من الأسر الكبيرة يبرز فيها عليه القوم دون العبيد و المهجنين ، و هذا ما يخالف حياة المجتمع الإسلامى التى تساوى بين أفراده و طبقاته ، و لذا فابن سينا بهذا التعريف الأرسطى لتدبير المنزل قد بعد تماما عن صورة المجتمع الإسلامى فى عصره الذى كان يجب إبرازه و بخاصة قيام فلسفته على أساس الربط بين الدين و الفلسفة .

تصنيف ابن سينا انعكاس لموقفه الفلسفى

قامت فلسفة ابن سينا متابعة الفارابى على أساس التوفيق بين الدين و الفلسفة ، و قد انعكس فى ارتباط الغرض من تصنيفه بالأساس الفلسفى القائم على الوصول إلى السعادة القصوى فى الآخرة مخالفا التصور الأرسطى للسعادة . كما جعل مبدأ العلوم العملية مستفادا من الشريعة الإسلامية ، فالغرض من الأخلاق الوصول إلى السعادة فى الدنيا و الآخرة ، و العلوم السياسية تدرس حاجة النوع الإنسانى إلى النبوة التى هى مطلب طبيعى له فى كل مكان و زمان ، و هذا ربط أساسى بين الدين والأخلاق من جهة و الفلسفة السياسية من جهة أخرى . و فى نهاية رسالته ينتهى إلى القول بعدم مخالفة أى قسم من أقسام الحكمة عن منهاج الشرع . (٦٦)

أثر الحياة الفكرية و الثقافية على تصنيف ابن سينا .

إن وجود الثقافة الإسلامية إلى جانب الثقافة العقلية قد جعل ابن سينا يدخل موضوعات إسلامية فى خريطة تقسيم العلوم العقلية ، و لكنه لم يوفق فى إيجاد أماكن مناسبة ، و هذا ما نلاحظه فى ذكر حاجة الإنسان إلى النبوة مع العلوم السياسية فى الحكمة العملية . ظهر تقدم العلوم فى عصره مما أدى إلى ذكر علوم مفرعة من أقسام العلم الرياضى كانت تعد فى التصانيف السابقة أقساما أساسية للعلم الرياضى ، و منها علم المناظر و الموازين و جر الأثقال الذى ورد عند الفارابى فروعا أساسية مباشرة من العلم الرياضى .

تصنيف ابن سينا بين التاثير و التاثر

تأثر ابن سينا فى تصنيفه ببعض المصنفين قبله ، كما أثر فى بعضهم بعده :

أولا : التاثر

ظهر واضحا تأثر ابن سينا بتصنيف الفارابى فى تقسيمه المعرفة ، حيث تطابق تقسيم ابن سينا مع الفارابى من حيث الجوهر و الأساس ، و إن اختلفت الصيغ والعبارات ، فقد جعل المنطق آلة للعلوم ثم قسم العلوم إلأى العلوم النظرية التى جعل الغاية منها الوصول إلى اليقين و العلوم العملية والغاية منها الوصول إلى الخير، وهذا ما نجده عند الفارابى . كما أن الأقسام الأصلية للعلوم النظرية والعملية متطابقة عند كل منهما .

ثانيا : التاثير

تأثر بابن سينا العديد من المصنفين الذين أتوا مَن بعده ، و من أبرزهم الطوسى فى رسالته '' فصل فى أقسام العلوم العقلية ، و ابن الأكفانى فى كتابه '' إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد '' ، وطاشكبرى زادة فى كتابه مفتاح السعادة ومصباح السيادة ، و سوف نتعرض لوجوه التأثير و النقل عند دراسة كل منهما .

هل تاثر تصنيف ابن سينا بتصنيف أرسطو ؟

يتفق تقسيم ابن سينا مع تقسيم أرسطو للمعرفة فى عدة وجوه فى التقسيم الأساسى ، و منها جعل المنطق آلة للعلوم و ليس قسما من أقسام الفلسفة أو العلم ، كما أن الأقسام التسعة التى يتفرع إليها علم المنطق هى نفسها كتب أرسطو فى هذا

العلم . كما جاء تقسيم الفلسفة أو الحكمة إلى قسمين : الحكمة النظرية و الحكمة العملية ، والتقسيم الثلاثي للحكمة النظرية مطابق لتقسيم أرسطو و الأقسام الرئيسية للعلم الطبيعي هي نفسها أسماء كتب أرسطو في هذا العلم ، ولكن إضافته جاءت في فروع العلم الطبيعي نتيجة لتطور العلم الطبيعي على أيدي العرب . وعلى الرغم من مطابقة التقسيم الثلاثي للحكمة الطبيعية عنده لأرسطو إلا أن الترتيب اختلف ، فذكر علم السياسة في المرتبة الثالثة بعد تدبير المنزل ، و جاء تعريف كل من علمي الأخلاق و السياسة نابعا من الشريعة الإسلامية ، و قد استخدم تقسيم أفلاطون للعلم الرياضي إلى أربعة أقسام أصلية ، كما جاء القسم الرابع من العلم الإلهي ، و هو النظر في الجواهر الأولى الروحانية التي هي مبدعاته و أقرب مخلوقاته منزلة عنده ، و الدلالة على كثرتها و اختلاف مراتبها ، و طبقاته قريبة إلى التصور الأفلاطوني في نظرية الفيض التي شاعت عند الفلاسفة المسلمين . (٦٧)

المنهج العلمي في تصنيف ابن سينا

يعد ابن سينا من رجال المنهج الاستقرائي التجريبي ، فإن له العديد من التجارب في مجال الطب والكيمياء ، كما نلمح استخدامه لهذا المنهج في تصنيفه من خلال عبارة ذكرها في نهاية الرسالة ، قال فيها : '' و قد دللت على أقسام الحكمة هذه و ظهر أنه ليس شيء منها يشتمل على ما يخالف الشرع ''. (٦٨) و من هذه العبارة نستنتج أن إيراده للعلوم في تصنيفه قام على تقييم العلوم العقلية واستقرائها من خلال تعليمات الشريعة الإسلامية ليرى ما يوافقها و ما يخالفها ، و قد جاء ترتيب العلوم في رسالته معتمدا على المنهج الاستنباطي الذي يسير في خطوات منظمة من العام إلى الخاص .

مستوى المعالجة في تصنيف ابن سينا

يقسم ابن سينا الحكمة إلى قسمين كبيرين و يتناول كل منهما بالتعريف ، ثم يقسم كل منهما إلى أقسام أصلية و أقسام فرعية ، و هذا ما يتضح من الجدول التالي :

تصنيف ابن سينا	رتبة رئيسية صف أول	صف ثان	أقسام أصلية صف ثالث	أقسام فرعية صف رابع	الجملة
" رسالة فى أقسام العلوم العقلية "	الحكمة النظرية	طبيعى	٨	٧	
		رياضى	علم العدد	٢	
			علم الهندسة	٧	
			علم الهيئة	١	
			علم الموسيقى	١	
		إلهى	٥	٢	
	الحكمة العملية	الأخلاق			
		تدبير المنزل			
		السياسة			
	المنطق	٩			
الإجمالى	٣=٣	١٥	١٧	٢٠	٥٢

جدول رقم (٧) يوضح تقسيم ابن سينا للعلوم على الصفوف

يقسم ابن سينا الحكمة إلى قسمين كبيرين ، و المنطق آلة لها ، و تقف هذه العلوم الثلاثة الكبيرة على الصف الأول ، ثم يقسم كل منهما إلى أقسام ؛ فالحكمة النظرية تقسم إلى أقسام ثلاثة تقف على الصف الثالث ، ثم يقسمها إلى أقسام فرعية تقف على الصف الرابع ، و بذلك يبلغ عدد الأقسام على الصف الثانى من الحكمة النظرية ثلاثة علوم ، و على الصف الثالث سبعة عشر ، و على الصف الرابع عشرين . أما الحكمة العملية فيقسمها إلى ثلاثة أقسام تقف على الصف الثانى ، و لا يعطى أى تفريع منها ، و يقسم المنطق إلى تسعة أقسام تقف على الصف الثانى ، وبذلك يبلغ عدد العلوم على الصف الأول التى تعد عنده رتبة رئيسية ثلاث علوم ، والعلوم المفرعة منها على الصف الثانى يبلغ إجمالا خمسة عشر علما ، و عدد العلوم على الصف الثالث سبعة عشر علما ، و على الصف الرابع عشرين . و بذلك تبلغ جملة العلوم المفرعة من الرتبة الرئيسية على الصف الأول اثنين و خمسين علما ، بينما يعدها ابن سينا ثلاثا و خمسين علما ، و يرجع ذلك إلى أنه عند تقسيمه للحكمة

العملية أشار إلى موضوع جديد فرعه من علم السياسة و ربطه بالدين هو حاجة الإنسان إلى النبوة ، و لكنه لم يشر إليه صراحة عند تقسيمه الحكمة العملية ، حيث يذكر أن العلوم العملية كانت ثلاثة ، و لم يصرح بأنها أربعة .

و يلاحظ على التفريعات عدم التوازن ، فبينما تصل الفروع في الحكمة النظرية إلى الصف الرابع نجدها في علم المنطق و الحكمة العملية تقف على الصف الثاني ، و يرجع ذلك إلى تأثره في تقسيم علم المنطق بتقسيم أرسطو الذي يقف على الصف الثاني ، و كذلك الحكمة العملية بالرغم من أنه ربطها بالدين ، و بذلك أعطى الفرصة لعلوم تفرع منها ، و لكن قد يكون عدم اكتمال نضج هذه العلوم بالشكل الكافي لإعطاء تفريعات أكثر منها ، بعكس العلوم الطبيعية ذات النضج الدائم .

التماسك و الاتساق

يلاحظ على خطة ابن سينا التصنيفية للمعرفة التماسك ، فلم يحدث فيها أية قفزات ، وإنما سار في معالجة كل موضوع بشكل متكامل ، ثم ينتقل إلى العلم الذي يليه ، فقد عرض للحكمة النظرية ثم أقسامها الأصلية و انتقل إلى أقسامها الفرعية ، وبعد أن انتهى منها استعرض الحكمة العملية بفروعها الثلاثة ، ثم المنطق ، أما الاتساق فلم يسر في التفريعات بنسب ثابتة ، فبينما تصل التفريعات عنده في فروع الحكمة النظرية إلى الصف الرابع نجده في الحكمة العملية و المنطق يقف على الصف الثاني دون أي تفريع ، و قد يعود ذلك إلى عدم النضج الكافي لهذه الموضوعات بحيث يسمح بزيادة التفريع .

هوامش الفصل الخامس

١ـــ حسن إبراهيم حسن . تاريخ الإسلام السياسى و الدينى و الثقافى و الاجتمـــاعى : الجزء الثالث / العصر العباسى الثانى . ـــ ط٢ . ـــ القاهرة : مكتبة نهضة مصـــر ، ١٩٦٠م . ـــ ص ١ ـــ ٢ .

٢ـــ الفارابى : هو أبو نصر محمد بن نصر بن أوزلغ بن طرخان ، و لد فى مدينـــة فاراب فى بلاد الترك من أرض خراسان ، إلا أنه رحل عنها صغيرا إلـــى بغـــداد و اتخذها موطنا له ، و هناك اتيحت له الدراسة فعكف على دراسة الطب و الموســـيقى والعلوم ، و لا سيما الفلك و الرياضيات ، و تعلم اللغة العربية حتى اتقنـــها ، و درس الفلسفة دراسة عميقة ، و تلقى علوم الحكمة و المنطق على يد يوحنا بـــن جيـــلان ، وتتلمذ على يد متى بن يونس الذى انتهت إليه صناعة المنطقيين فى عصره حتى برع فى تلك العلوم و سلح نفسه بسلاح المنطق ، كما قرأ النحو على ابن السراج ، و كـــان عارفا بالفارسية و اليونانية و السريانية و التركية بالإضافة إلى العربية : عـــن ابـــن خلكان ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد . وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان/ تحقيق إحسان عباس . ـــ بيروت : دار صادر ، ١٩٧٢م . ـــ ج ٤ ص ٢٤٠ . و قد وضع الفارابى عددا كبيرا من الرسائل العلمية و الفلسفية ، و ألف فى بغداد عديدا من الكتب ، منها : آراء أهل المدينة الفاضلة ، و الموسيقى الكـــبرى ، و إحصـــاء العلوم ، كما ألف فى مختلف العلوم و الفنون و المنطق و الفلسفة و الطب ، والكيمياء و الفلك و الإلهيات ، والطبيعة و الرياضيات ، و بعد أن قضى فى بغداد نحو ثلاثيـــن عاما غادرها متوجها إلى دمشق عام ٣٢٩هـــ ، و عاش فى كنف الأمير سيف الدولـــة الحمدانى إلى أن توفى عام ٣٣٩هـــ عن عمر يناهز الثمانين عاما : عـــن مصطفـــى عبد الرازق . فيلسوف العرب و المعلم الثانى . ـــ القاهرة : دار إحياء الكتب العربية، ١٩٤٥م . ـــ ص ٦٤ . و قد لقب الفارابى بالمعلم الثانى ، و قـــد تضـــاربت الآراء حول هذه التسمية ، فيذكر حاجى خليفة أن تلقيب الفارابى بالمعلم الثانى يرجـــع إلـــى ترجمته كتاب أرسطو أطلق عليه التعليم الثانى : عن حاجى خليفة . مصدر ســـابق . ـــ ج١ ع٢٣٥ . و يذهب دى بور و عثمان أمين إلى أن الفارابى هو المعلم الثانى بعد أرسطو الذى يعد المعلم الأول ، و ذلك لشهرة الفارابى بكتابه إحصاء العلـــوم ، كمـــا

اشتهر أرسطو بالكتابة فى تصنيف علوم زمانه : انظر : دى بور ، ت . ج . تاريخ الفلسفة فى الإسلام . ــ ص ١٣٢ . و عثمان أمين . مقدمة تحقيق كتاب إحصاء العلوم . ــ القاهرة : دار الفكر العربى ، ١٩٤٨م . ــ ص ٣ . و مما يؤكد هذا الرأى الدور الكبير الذى قام به الفارابى فى النهضة الفلسفية الإسلامية ، و إثراء الدراسات الفلسفية ، و ما قام به من نقل الفلسفة اليونانية إلى العربية ، سواء بالشرح أو التحليل أو النقد ، أو بالتحليل و التعليق و التفسير .

٣ــ الفارابى . إحصاء العلوم / تحقيق و تقديم و تعليق عثمان أمين . ــ ص ص ٤١ــ٤٢ .

٤ــ عثمان أمين . المرجع السابق . ــ ص ٥ .

٥ــ عبد الوهاب أبو النور . مقدمة مفتاح السعادة و مصباح السيادة . ــ ص ٣١ . و محمد على أبو ريان . التصنيف بين الفارابى و ابن خلدون . ــ مجلة عالم الفكر ، ١٩٧٨م . ــ مج ٩ ع١ . ــ ص ١٢ .

٦ــ الفارابى . مصدر سابق . ــ ص ص ٤٣ــ١١٣ .

٧ــ ماكس بلاك ، استاذ الفلسفة المعاصر بجامعة كورنيل بالولايات المتحدة .

-خالد الحديدى . مرجع سابق . ــ ص ٥٥ .

٨ــ الفارابى . التنبيه على سبيل السعادة . ــ حيدر آباد ، ١٣٤٦ . ــ ص ص ١٥ــ٢٦ .

٩ــ خالد الحديدى ــ مرجع سابق : ص ٥٨ .

١٠ــ الفارابى . إحصاء العلوم . ــ ص ٨٤ .

١١ــ العرافة : الاستدلال على بعض الحوادث الآتية بمناسبة أو مشابهة خفية أو ارتباط بينهما .

12- Vikery , B.C. Classification and indixing in science .- P167 .

١٣ــ بريل ، ليفى . مرجع سابق . ــ ص ٥٧ .

14- Vikery , B.C . op cit .- P166 .

١٥ــ محمد وقيدى . المبادىء المعرفية و الخلفيات الفلسفية للتصنيفات الإسلامية العربية للعلوم . ــ دراسات عربية : ع٥ ــ السنة ١٨ ــ مارس ١٩٨٢م . ــ ص ٨٣ .

١٦ـ الفارابى . رسالة فى فضيلة العلوم و الصناعـــات . ـ ط١ . ـ حيـدر آبــاد الدكن. ـ دائرة المعارف النظامية بالهند ، ١٣٤٠هـ . ـ ص ٢ .
١٧ـ لويس جارديه . التوفيق بين الدين و الفلسفة عند الفارابى ، فى مجلد الفــارابى و الحضارة الإنسانية . ـ مهرجان الفارابى . ـ بغداد ، ١٩٧٥. ـ ص ١٢٩ .
١٨ـ لويس جارديه و جورج شحاتة قنواتى . فلسفة الفكر الدينى بيـــن الإســلام و المسيحية . ـ بيروت ، ١٩٧٦. ـ ص ١٩٢ .
١٩ـ الفارابى . إحصاء العلوم . ـ ص ١٠١ .
٢٠ـ محمد وقيدى . مرجع سابق . ـ ص ٨١ .
٢١ـ زينب عفيفى شاكر . الفلسفة الطبيعية و الإلهية عند الفارابى / إشراف محمـــد عاطف العراقى و عامر يس النجار . ـ جامعة أسيوط . ـ كليـة الآداب ، ١٩٨٩م . ـ ص ١٦ .
٢٢ـ ابن سينا . رسالة فى أقسام العلوم العقلية ، من كتابه : تسع رسائل فى الحكمـة و الطبيعيات . ـ ط١ . ـ قسطنطينية . ـ مطبعة الجوائب ، ١٢٩٨هـ .
٢٣ـ ابن الأكفانى . إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد فى أنواع العلوم . ـ القاهرة . ـ دار الفكر العربى ، ١٩٩٠ . ـ ص ص ٩١ـ٩٢ .
٢٤ـ انظر معالجة هذه القضية : محمد عبده صيام . رأى فى قضية تـــأثير خطـة تصنيف أرسطو على خطط التصنيف للفلاسفة و العلماء المســلمين فــى العصــور الوسطى . ـ مجلة المكتبات و المعلومات العربية . ـ س١١ ع٢ ، ٣ ـ أبريــل ـ يوليو ١٩٩١م .
٢٥ـ الخوارزمى ، أبو عبد الله محمد بـــن محمــد بــن يوســف الكــاتب البلخــى الخوارزمى، ت ٣٨٧هـ ـ ٩٩٧م . و قد ولد ببلخ ، و عاش بنيسابور فـــى بــلاط الساسانيين ، فهو من أهل القرن الرابع الهجرى الذى يعد فــترة ازدهــار المعــارف المختلفة فى الحضارة العربية الإسلامية ، و قد وضع كتابه مفاتيح العلوم للشيخ أبـــى الحسن عبيد الله بن أحمد العتبى وزير نوح بن منصور السامانى : عن حاجى خليفة . كشف الظنون . ـ مج٢ ع ١٧٥٦ .
٢٦ـ الخوارزمى ـ مفاتيح العلوم ـ القاهرة ـ مطبعة الشرق (د . ت) : ص ٢ .

٢٧ــ نفس المصدر السابق .
٢٨ــ محمد أبو عليان الشافعي ــ كتاب اللؤلؤ المنظوم فى مبادىء العلوم ــ القــاهرة ــ المطبعة الحسينية (د . ت) : ص ٨٢ .
٢٩ ــ نفس المصدر السابق . ــ ص ٣٧ــ٤٠ .
٣٠ــ حبيب الشاروني . فلسفة فرانسيس بيكون . ــ الدار البيضاء . ــ دار الثقافــة ، ١٩٨١م . ــ ص ٤١ .
٣١ــ الخوارزمي . مصدر سابق . ــ ص ٨٠ .
٣٢ــ نفس المصدر السابق . ــ ص ١٣١ .
٣٣ــ عثمان أمين . مرجع سابق . ــ ص ١٥ .
٣٤ــ شعبان عبد العزيز و وليد محمد العوزة . مرجع سابق . ــ مــج ١ ص ٣ . و فؤاد سزكين . مرجع سابق . ــ ج١ ص ٢٦٤ .
٣٥ــ ابن النديم ، هو محمد بن إسحاق بن محمد بن إسحاق النديم ، و يكنــى بــأبى الفرج . و قد لقب أبوه بالنديم ربما لأنه كان من ندماء الخلفاء أو الأمــراء و عليــة القوم، أو ربما لأنه كان حلو الحديث حسن المعاشرة كثير الســمر مــع الإخــوان و الخلان . و يرجع الدكتور شعبان خليفة اسبب الأول بالاستناد إلى تحيلات الفهرســت لمعنى المنادمة . و ترجح ولادة ابن النديم بين عامى ٣١٥هــ ، و ٣٢٠هـــ ، أمــا تاريخ وفاته فهو محل خلاف بين الباحثين ، فالبعض يرجح أنه كان عام ٣٨٠هــــ ، ومصادر أخرى تحدده بسنة ٣٨٥هــ ، و هناك اقوال أخرى ، و أيا كان تاريخ وفاتــه فإن أهم ما يشير إليه أنه عاش فى القرن الرابع الهجرى الذى تميز بأنه قرن النضــج الفكرى و العقلى فى العالم الإسلامى ، على الرغم من ضعف الدولة العباسية والتفكك السياسى للأمة الإسلامية ، فقد استقلت أجزاء كثيرة منها عــن الخلافــة العباســية، فظهرت الدولة الغزنوية فى أفغانستان و الهند ، و الدولة الحمدانية فى الشام ، والدولة الفاطمية فى مصر ، و الدولة الأموية في الأندلس ، و بنى بويه فى العراق و فــارس و خراسان . و قد عرف عن حكام العالم الإسلامى فى تلك الحقبة من الزمن حبــهم للعلم و العلماء ، و إنشاؤهم المكتبات و المساجد و المدارس ، و تنافسهم على جــذب العلماء و الشعراء والأدباء إلى بلاطهم . و كان لهذا المناخ الفكرى الذى ساد العــالم

الإسلامى تأثير كبير على فكر ابن النديم ، و كان ممهدا و مساعدا له علـــى تـأليف كتاب الفهرست . و قد ولد ابن النديم و عاش فى بغداد ، و استفاد من مكتبـــة بيـت الحكمة التى كانت فى أوج ازدهارها فى القرن الرابع ، كما استفاد من غيرهــا مـن المكتبات الرسمية فى إعداد كتابه الفهرست ، حيث اقتنت تلك المكتبات أعدادا كبــيرة من الكتب يصل بعضها إلى عدة ملايين ، كما هو الحال فى مكتبة بيت الحكمة . و قد عمل ابن النديم بالوراقة ، فقد ورث دارا للوراقة ، كما تؤكد بعض المصادر أنه كـان كاتبا ، و يرجح أنه كان ينسخ الرسائل فى ديوان الإنشاء ، و قد هيأت له هذه المهنـة الاطلاع على العديد من الكتب فى مختلف العلوم ، فزودته بالمعلومات التى سـاعدته على إعداد كتابه ، كما أتاحت له مهنة الوراقة الالتقاء و الاحتكاك و الاتصال بعــدد كبير من المؤلفين و المثقفين ، كما أتاحت له زيارة المكتبات الشخصية التى كانت من عوامل توفير مادة علمية ساعدته على تأليف الفهرست : شعبان عبد العزيــز خليفـة ووليد محمد العوزة . مرجع سابق . ـ مج١ . ـ صفحات متفرقة .

36- Langridge , Derek . Op cit .- P11.

٣٧ـ شعبان عبد العزيز خليفة و وليد محمد العوزة . الفهرست .

٣٨ـ خالد الحديدى . مرجع سابق . ـ ص ١١٨ .

٣٩ـ عبد الرحمن بن محمد العقيان . مرجع سابق . ـ ص ١١٣ .

٤٠ـ عبد الوهاب أبو النور . مرجع سابق . ـ ص ٩٤ .

٤١ـ على الصالحى المالكى . رسالة تحقيق مبادىء العلوم الأحد عشر . ـ القـاهرة . ـ مطبعة السعادة . ـ ط١ ، ١٣٢٥هـ ـ ١٩٠٧م . ـ ص ٢٨ ، ٥٣ .

٤٢ـ شعبان عبد العزيز خليفة و وليد محمد العوزة . مرجع سابق . ـ ص ٤٨ .

43- Christain , Clerk : Magic in: Academic american Encyclopedia Danburg . Grobier incorporated , 1995 .-vol 2, P41 .

٤٤ـ ابن خلدون . مقدمة ديوان العبر : ص ٤٦٥ .

٤٥ـ شعبان خبيفة و وليد العوزة . مرجع سابق . ـ مج١ ص٧٩ .

٤٦ـ نفس المرجع السابق . ـ مج١ ص ١٠٩ .

٤٧ـ عبد الرحمن العقيان . مرجع سابق . ـ ص ١١٩ .

٤٨ــ عبد الوهاب أبو النور . الإطار العام للخطة و نظرية المسلمين في تنظيم المعرفة . ــ ص ٩٦ .

٤٩ــ شعبان خليفة و وليد العوزة . الفهرست . ــ مج١ ص ٧٩ .

٥٠ــ نفس المرجع السابق . ــ مج١ ص ٢٠٨ ، ٢٩٧ ، ٦٣٦ .

٥١ــ محمد وقيدى . مرجع سابق . ــ ص ٩١ .

52- Vikery , B.C. Classification and indixing in science .- P170 .

٥٣ــ شعبان خليفة و وليد العوزة . مرجع سابق . ــ مج١ ص ٤٨ .

٥٤ــ عبد الرحمن محمد العقيان . مرجع سابق . ــ ص ص ١١٤ــ١١٥ .

٥٥ــ شعبان خبيفة و وليد العوزة . مرجع سابق . ــ مج١ ص ٨١ .

٥٦ــ نفس المرجع السابق . ــ مج١ ص ١٢ .

٥٧ــ ابن سينا ، هو أبو علي الحسين بن عبد الله المشهور بابن سينا ، و قد ولد عام ٣٣٠هــ في إحدى قرى بخارى ، و انتقل مع أسرته إلى بخارى و هو في الخامسة من عمره ، و حفظ القرآن الكريم ، و درس الأدب و أصول الدين و الحساب و الهندسة و الجبر و هو لم يجاوز العاشرة من عمره ، ثم درس على أبي عبد الله الناتلي الفلسفة و المنطق ، و درس وحده الطبيعيات و الإلهيات مستعينا في ذلك بمؤلفات الفارابي ، ثم درس الطب ، و نبغ فيه ، و لم يكن جاوز السابعة عشرة من عمره ، و لما اضطربت أحوال الدولة السامانية خرج ابن سينا من بخارى و قصد خوارزم شاه علي بن مأمون بن محمد ، ثم انتقل إلى نيسابور و طوس و غيرها من البلاد ، و تقلد الوزارة لشمس الدولة بن فخر الدولة (٣٨٧ــ٤١٢هــ) و ظل فيها إلى أن مات شمس الدولة ، و تولى تاج الدولة فلم يستوزره فتوجه إلى أصبهان ثم إلى همذان ، و توفي بها عام ٤٢٨هــ ــ ١٠٢٦م . و قد خلف ابن سينا كتبا كثيرة في مختلف فروع العلم ، و لعل من أشهرها كتاب القانون في الطب ، الذي ظل يدرس في مدارس الطب في ءسيا و أوروبا أكثر من ستة قرون ، و خاصة ما يتعلق بعلم الصحة والرضاع : عن ابن خلكان . مصدر سابق . ــ ج١ ص ١٥٢ــ١٥٤ .

٥٨ــ ابن سينا . مصدر سابق . ــ ص ٧١ .

٥٩ــ نفس المصدر السابق . ــ ص ص ٧١ــ٨٠ .

٦٠ــ الفارابى . رسالة فى فضيلة العلوم و الصناعات . ــ ص ٢ .
٦١ــ رسائل إخوان الصفا و خلان الوفا . ــ ج١ ص ١٨٩ .
٦٢ــ ابن سينا . الشفاء ، المنطق ، البرهان ، تحقيق أبو العلا عفيفى ، و تصديــر و مراجعة إبراهيم بيومى مدكور . ــ القاهرة . ــ وزارة التربية و التعليــم ، ١٩٥٦م . ــ ص ١٥٩ ، ١٦٥ .
٦٣ــ القفطى . تاريخ الحكماء / تحقيق جوليوس ليــبرت . ــ ليبســك . ــ د . ن ، ١٩٠٣ . ــ ص ٤١٨ .
٦٤ــ ابن سينا . رسالة فى أقسام العلوم العقلية . ــ ص ٧٥ .
٦٥ــ أحمد عبد الحليم عطية . دراسات فى تاريخ العلوم عند العرب . ــ ص ٨٨ .
٦٦ــ ابن سينا . مصدر سابق . ــ ص ٨٠ .
٦٧ــ أحمد عبد الحبيم عطية . مرجع سابق . ــ ص ٨٩ .
٦٨ــ ابن سينا . مصدر سابق . ــ ص ٨٠ .

الفصل الخامس

التصانيف العربية الإسلامية

فى العصرين الثالث و الرابع العباسيين

(من القرن السادس إلى أواخر القرن التاسع الهجريين)

مقدمة

يلقى هذا الفصل الضوء على أهم التصانيف التى أنتجتها الحضارة العربية للإسلامية إبان العصرين الثالث و الرابع العباسيين ، ذلك لأننا سوف نلتقى بتصانيف الطوسى و ابن الأكفانى و ابن خلدون و السيوطى و غيرهم . و سوف نتناول تلك التصانيف من عدة اتجاهات ، منها :

- الترجمة لصاحب التصنيف .
- إلى أى مدرسة تصنيفية ينتمى .
- الهدف من وضع التصنيف .
- إعداد خريطة تصنيفية للعمل التصنيفى .
- توضيح المنطق الكامن وراء ترتيب العلوم فى التصنيف .
- أهم الملاحظات على الخريطة التصنيفية .
- أهم مميزات التصنيف و عيوبه .
- تأثير البيئة الثقافية و الفكرية على التصنيف .
- الاتجاه الفلسفى لصاحب التصنيف .
- تأثر صاحب التصنيف بمن سبقه ، و تأثيره فيمن أتى بعده .

- تأثير الفكر الأرسطى فى تصنيفه نظراً لما يتردد من أن التصانيف العربية الإسلامية ما هى إلا نقل حرفى عن تصنيف أرسطو .
- مستوى المعالجة فى التصنيف .
- مدى التناسق و التماسك فى العمل التصنيفى .

أولاً : تصنيف الطوسى (٦٧٢هـ)

يتناول نصير الدين الطوسى (١) موضوع تصنيف العلوم فى مقدمة كتابه '' أخلاق ناصرى '' ، كما أفرد له رسالة مختصرة بعنوان '' أقسام الحكمة '' (٢) ، وهذه الرسالة هى التى نتناولها بالدراسة فى هذا البحث ، للتعرف على تصنيف العلوم فيها ، و الإسهام الذى قدمه المصنف فى مجال التصنيف ، مما كان له أثره على تصنيف العلوم فى القرن السابع الهجرى .

تصنيف الطوسى '' فصل فى أقسام الحكمة على سبيل الإيجاز '' من واقع حالته :

ينتمى تصنيف الطوسى إلى المدرسة الأولى فى التصنيف ، و هى المدرسة الفلسفية ، فقد بنى تصنيفه بطريقة نظرية تبنى فيها التصنيف الأرسطى ، و خضع لتصنيف ابن سينا ، و لكن اختلف عنهما فى أمور كثيرة من تصنيفه بما يتوافق مع تجربته الفلسفية و نمو استقلاله الذاتى .

الهدف من تصنيف الطوسى

لم يذكر الطوسى هدفاً من وضع تقسيم العلوم فى رسالته ، و إنما عمد مباشرة إلى التعريف بالحكمة ، و بيان أقسامها ، و أغلب الظن أن الطوسى قد هدف مباشرة إلى إعطاء تقسيم للعلوم بناء على تصوره الفلسفى ، و إن لم يصرح بذلك .

خطة الطوسى التصنيفية

جاء تقسيم الطوسى الحكمة على النحو التالى : (٣)

الحكمة

الحكمة النظرية

العلم الطبيعى

العلم الرياضى

العلم الإلهى

الحكمة العملية

علم الأخلاق

علم تدبير المنزل

علم السياسة

العلم الطبيعى

الأمور العامة للأجسام الطبيعية

أركان العلم

الكون و الفساد

الآثار العلوية

المعادن

النبات

الحيوان

الحس و المحسوس

فروع العلم الطبيعى

الطب

أحكام النجوم

علم الفراسة

علم التعبير

علم الطلسمات

علم النيرنجات

علم الكيمياء

العلم الرياضى

علم العدد

علم الهندسة

علم الهيئة

علم الموسيقى

الفروع

علم الجمع و التفريق

علم الجبر و المقابلة

علم المساحة

جر الثقيل

علم الزيجات و التقويم

علم الآلات الغريبة

العلم الإلهى

الأمور العامة

مبادىء العلوم

إثبات العلة الأولى

إثبات الجواهر الروحانية الأمور

كيفية ارتباط المنفعلة الأرضية بالقوى الفعالية السماوية

الفروع

كيفية الوحى

علم المعاد الروحانى

المنطق

إيساغوجى (المدخل)

قاطيغورياس (المقولات)

بارى ارمينياس (العبارة)

أنالوطيقا (تركيب القضايا)

أنالوطيقا الثانية (البرهان)

سوفسطيقا (المغالطة)

الخطابة

الشعر

ينفذ الطوسى مباشرة إلى تقسيم الحكمة (العلوم) دون تعريف واضح و محدد للحكمة ، فى رسالته ، و لكن نتعرف على تعريفه الحكمة و فلسفته فى تقسيمها من مقدمة كتابه '' أخلاق ناصرى '' ، فيعرف الفلسفة أو الحكمة بأنها : '' معرفة الأشياء على ما هى عليه و توجيه أفعالنا بقدر الإمكان فى الطريق الصحيح لتصل النفس إلى الكمال الذى تتوق إليه '' (٤) و من هنا فالحكمة على شقين ، الأول : حصول الإنسان على المعرفة لذاتها ، و الثانى : عملى يرتبط بتحقيق خير الإنسان ، بناء على العمل الصحيح السليم ، و من ثم فالحكمة أو الفلسفة عنده تنقسم إلى جزئين ، الأول : الحكمة النظرية ، و هى إدراك حقائق الأشياء و تأملها على ما هى عليه دون الارتباط بسلوك الإنسان و إرادته ، و الثانى : الحكمة العملية ، و هى تعتمد على إرادة الإنسان و سلوكه للوصول إلى تحقيق الخير ، و من ثم يتفق تقسيمه للحكمة و الغرض منها مع ابن سينا ، و لكن الأخير يجعل الغرض من الحكمة العملية تحقيق الخير الدنيوى و الأخروى ، فينطلق بها من مفهوم إسلامى ، على عكس الطوسى الذى يتبنى المفهوم الأرسطى فيقسم الحكمة العملية إلى أقسامها الثلاثة المعتادة دون تقديم أى جديد فيها ، متابعاً أرسطو و ابن سينا ، و يربط تقسيم الحكمة النظرية بالمادة ، فيميز بين قسمين ، أحدهما يتناول الأشياء التى لا يلزم لوجودها المادة ، و يمثلها العلم الإلهى أو الميتافيزيقيا ، و الثانى يتناول الأشياء التى لا يكون لها وجود إلا فى المادة ، و تنقسم بدورها إلى قسمين ، الأول يتناول الأشياء التى لا تعرف إلا من خلال تجسدها فى مادة ، مثل علم الأجرام و السماوات و الأرض و الحيوان و النبات ، و هو ما يشمله العلم الطبيعى ، و الثانى يتناول الأشياء التى لا يكون الفهم والتجسد المادى جوهرياً أو ضرورياً ، مثل الأعداد ، و هو ما يشمله العلم الرياضى ، و بناء على ذلك يأتى العلم الإلهى فى قمة العلم الطبيعى . و العلم الرياضى هو العلم الأوسط ، و العلم الطبيعى هو العلم الأسفل ، و يتناول كل قسم منها بالتقسيم إلى علوم أصلية ، ثم علوم فرعية ، و يتفق فى تقسيمه لها مع التقسيم السينوى ، فالأقسام الأصلية للعلم الطبيعى هى نفسها أسماء كتب أرسطو فى هذا العلم، و يرتبها ترتيباً تصاعدياً مبتدئاً بالشروط الأولية للأشياء ، و ثم العناصر

البسيطة و المركبة ، و هى الماء و الهواء و النار و التراب ، ثم عملية التحول للمادة، من حيث النمو و الفناء ، ثم ينتقل إلى الظواهر الجوية لما لها من آثار على بقية الموجودات ، و هو ما يمثله الكتاب الرابع (الآثار العلوية) . وبعد دراسة المفاهيم المكونة و المؤثرة على الأجسام الطبيعية يتدرج فى دراسة الموجودات الطبيعية مبتدئاً بالجماد منها ، و يسمى علم المعادن ، ثم الأجسام التى تشملها الظواهر الحيوية ، وهى النبات ، ثم دراسة الأجسام التى تتحرك بإرادتها الخاصة ، و ما لها من ظواهر حيوية ، و يسمى علم الحيوان ، إلى أن يصل إل قمة الموجودات ، و هو دراسة العقل البشرى و استخدام قواه ، سواء كان ذلك داخل الجسم أو كان خارجه ، و هو ما يسمى بعلم النفس .

لقد اتفقت الأقسام الأصلية عند الطوسى مع أقسام أرسطو للعلم الطبيعى ، إلا أن الطوسى يتفوق عليه بإعطاء علوم مشتقة من العلم الطبيعى ، و منها علم الطب والزراعة و النجوم . (٥) و يلاحظ أن علم النجوم الذى وجد عند أرسطو كأحد العلوم الأصلية يذكره الطوسى كأحد العلوم المشتقة . و يتابع الطوسى التقسيم السينوى لفروع العلم الطبيعى ، فيبدأ بعلم الطب لشرف موضوعه ، و هو دراسة بدن الإنسان، ثم علم أحكام النجوم المقدم على سائر الموضوعات الأخرى لدراسته الأجرام السماوية التى تقع فى ذروة الموجودات . و يتفق هنا مع نظرة أرسطو لها . و يجعل علم الكيمياء فى آخر العلوم الطبيعية بعد علوم السحر . و يبدو اتفاق كل التصانيف على هذا الموضع لعلم الكيمياء ، فقد سبقه إلى ذلك ابن النديم و الخوارزمى و ابن سينا . ويتفق مع ابن سينا فى تقسيم العلم الرياضى إلى أربعة اصول ، و فى الوقت نفسه يختلف مع أرسطو فى هذا التقسيم ، و يستند تقسيمه الرباعى للرياضيات إلى الفيثاغورية التى تقسم الرياضيات استناداً إلى علم الكم وعلم الكيف ، و كل منهما قسمة ثنائية ، فالكم يكون لدراسة الأعداد مطلقة ، وهو علم الحساب ، أو دراسة نسب الأعداد بعضها لبعض ، و هو ما يعرف بعلم التأليف أو الموسيقى ، حيث ترد الأعداد بعضها لبعض ، و علم الكيف الذى يقوم على دراسة التغير و التحول ، فيقسم إلى : علم الهندسة باعتباره كماً متصلاً بقدر ما هو ثابت أو غير متحرك ، و هو ما يوجد فى الأشكال و الخطوط ، و علم الفلك باعتباره كما متصلاً بقدر ما هو طبيعة متحركة

بذاتها ، و هو ما يوجد في الأجرام السماوية والأرض . (٦) و أغلب الظن أنـــه إذا كان الطوسى قد تأثر بتقسيم أرسطو للحكمة ، أو التقسيم الفيثاغورى للرياضيــات إلا أنه اضاف علوماً مشتقة من العلم الرياضى لا توجد فى التقسيم اليونانى للعلوم ، و قد أشاد بذلك فيكرى فمدح إضافة الطوسى علم الجبر إلى العلوم الرياضية (٧) ، و هــو ما لم يكن موجوداً عند أرسطو ، و تطور هذا العلم على يد العلماء العرب . و لكــن يؤخذ عليه أنه جعل علم الجبر من فروع علم الحساب متابعاً ابن سينا الـــذى ســبقه بحوالى قرنين من الزمان ، و قد تطور خلالهما علم الجبر ، فكان من الأحرى بـــه جعل هذا العلم مستقلاً عن علم الحساب ، و جعله قسماً أساســياً للعلــم الريــاضى . ويلاحظ عدم توسعه فى فروع العلم الرياضى ، و هو يعد من علماء الرياضيات فـــى الحضارة الإسلامية . و ينطلق فى تقسيمه للعلم الإلهى من مفهوم إســـلامى ، حيــث تناول موضوعات مختلفة لها اتصال وثيق بالعقيدة الإسلامية : علم النبوة ، و مراتــب الولاية ، و شروط العالم الآخر . كما تناول كيفية نزول الوحى و تعريف الإلهامات ، وعلم المعاد الروحانى ، و من ثم فإنه يختلف تماماً مع أرسطو فى تقسيمه للميتافيزيقا، وعلى الرغم من اتفاقه إلى حد ما مع ابن سينا إلا أنه يختلف عنه فى مســألة وضــع النبوة ملحقة بالعلم السياسى من الحكمة العملية .

و ينظر الطوسى إلى المنطق على أنه آلة للعلوم ، و خادم لها ، و لكن يضعــه فى آخر تصنيفه و لا يقدمه على أقسام الحكمة ، كما يفعل الفارابى الذى ينظــر إلــى علم المنطق على أنه آلة العلوم و يضعه فى مقدمة أقسام الحكمة ، و يتبنى الطوســى التقسيم الثمانى مستبعداً الجدل أو الطوبيقا ، بعكس ابن ســينا الــذى يتبنــى التقســيم التساعى فى رسالته '' أقسام العلوم العقلية '' . و أقسام المنطق عنده هى أسماء كتب أرسطو ، و من هنا يتضح أن تصنيف الطوسى يعكس فلسفته التى نراه يتبعها متــأثراً بأرسطو ومن اتبعه من الفلاسفة المسلمين ، سواء الفارابى أو ابن سينا ، و إن اختلف معهما فى بعض مواقع تصنيفه ، كما فى العلم الإلهى ، نتيجة تأثير العقيدة الإسلامية .

القواعد و المفاهيم التى عكسها تقسيم الطوسى للمعرفة

تميز تصنيف الطوسى بالمنطقية و اتباعه عدداً من العلاقات بين الموضوعــات ، منها :

- **علاقة الاشتمال و التبعية** فى موضوعات عامة يتفرع عنها موضوعات خاصة ، مثل العلم الرياضى الذى يندرج تحته أربعة أقسام أصلية ، ثم يتفرع عنه عدد من الموضوعات الفرعية ، كذلك العلم الطبيعى الذى يقسم إلى عدد من الأقسام الأصلية ، ثم عدد من العلوم الفرعية .
- **علاقة تساو** ، و هذا ما يلاحظ فى ظهور عدد من الموضوعات على رتبة واحدة، مثل علم الحساب و علم الهندسة اللذان يشتركان فى دراسة المقدار ، و لكن يختلفان فى نظرتهما إليه ، من حيث هم كم مجرد فى الحساب ، و كم مشخص فى الهندسة ، و هما بالتالى يندرجان فى الحكم تحت أمر ثالث و هو العلم الرياضى ، و لذلك نرى علاقة التساوى بينهما ، كذلك علم الحساب و علم الموسيقى اللذان يشتركان فى الكم المنفصل (الأعداد) ، و لكنه فى الحساب كم مجرد ، وفى الموسيقى يعتمد على علاقة التناسب بين الأعداد ، و هما فى ذلك يرجعان إلى أمر ثالث وهو العلم الرياضى ، و من ثم فهما متساويان .

و تتضح علاقة التساوى أيضا بين علم النيرنجات و علم الطلسمات لاشتراكهما فى استخدام الجواهر الأرضية ، و لكن الطلسمات تمزج مع القوى السماوية ، و فى النيرنجات تمزج القوى فى جواهر العالم الأرضى ، و هما فى الوقت نفسه نوعان من العلم الطبيعى ، لذلك فهما يندرجان تحت أمر ثالث ، لذلك يقفان على رتبة واحدة ، أى بينهما علاقة تساو .

تقييم محاولة الطوسى التصنيفية

- يلاحظ على تصنيف الطوسى للعلوم اقتصاره على العلوم العقلية متجاهلا العلوم العربية و الشرعية بالرغم من استقرارها و نضجها فى عصره ، و لكن قد يكون عمله تحت إمرة المغول (٨) قد جعلته يتجنب هذه العلوم القومية التى تدين للإسلام و العرب على خريطته التصنيفية .
- كما تميز تصنيف الطوسى بعدة مميزات ، منها التفريق بين العلوم البحتة والعلوم التطبيقية، و هو ما وجد فى العلوم الفرعية من العلم الطبيعى . التى تعد بمثابة الجانب التطبيقى فى العلوم الطبيعية . و لكن يعيبه عدم التوسع فى فروع العلم

الرياضى على الرغم من تقدم هذا العلم فى عصره ، وعلى الرغم من زيادة عـــدد العلوم المفرعة عند ابن سينا السابق عليه .

انعكاس الحياة الفكرية على تصنيف الطوسي

جاء تصنيف الطوسى مقلداً لتقسيم ابن سينا للعلوم فى رسالته '' أقسام العلــوم العقلية '' ، حيث سادت روح النقل و التقليد فى معظم كتابات القرن الســابع ، و لــم تظهر العقلية الإبداعية التى وجدت فى القرن الرابع الهجرى ، و لذلك جاء تصنيـــف الطوسى مقلداً من سبقه ، و لم يقدم جديداً .

تصنيف الطوسي بين التأثير و التأثر

اتبع الطوسى فى تقسيمه العلوم فى هذه الرسالة ما كان متبعاً عنــد الفـــارابى وابن سينا ، حيث قسم الحكمة إلى قسمين : حكمة نظرية و حكمة عمليــة ، و جعــل المنطق آلة العلوم . كما اتفقت أصول هذه العلوم و فروعها مع ما اتبعه ابن سينا فـــى تقسيم العلوم فى رسالته '' أقسام العلوم العقلية '' و إن اختلف معه فى التقسيم الثمانى للمنطق مقابل التقسيم التساعى عند ابن سينا . و قد أثر تصنيف الطوسى فـــى ابــن الأكفانى فى كتابه '' إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد '' ، فقد نقــل عنــه الأقســام الأصلية و الفرعية للحكمة النظرية و العملية .

مدى تأثر تصنيف الطوسي بالتصانيف اليونانية

تأثر الطوسى بالفيثاغورية فى تقسيمه الرباعى للرياضيات ، كما اتبع تقســيم أرسطو للحكمة ، فقد قسمها إلى قسمين : النظرية و العملية ، كما تابعه فـــى اعتبــار المنطق آلة العلوم و خادمها . و على الرغم من توسعه فى العلـــوم الفرعيــة للعلــم الطبيعى إلا أن أصول هذا العلم هى كتب أرسطو نفسها فى هذا العلم ، و مـــن هنــا يتضح استمرار التأثير الأرسطى على التصنيف إلى القرن السابع الهجرى .

المنهج العلمى فى تصنيف الطوسى

يسير الطوسى فى تصنيفه متدرجاً من العام إلى الخاص ، حيث نجده يعـوض الأقسام الرئيسية لكل من الحكمة النظرية و الحكمة العملية ، ثم يتدرج فى التقسيم مـن الأقسام الأصلية إلى الفرعية .

مستوى المعالجة فى تصنيف الطوسى

يعرض الطوسى فى رسالته '' أقسام الحكمة '' لتقسيم الحكمة إلـى نظـرى وعملى مباشرة ، دون الإشارة إلى أى هدف أو تعريف للحكمة ، ثم يتناول الحكمـة النظرية و العملية بالتقسيم ، ثم يقسم أقسام الحكمة النظرية إلى أصول و فروع ، وهو فى تقسيمه يقف إلى الصف الرابع ، و هذا ما سوف يوضحه الجدول الآتى :

تقسيم الطوسى	صف أول	صف ثان	صف ثالث (أقسام أصلية)	صف رابع (أقسام فرعية)	الجملة
فى رسالة (أقسام الحكمة)		علم طبيعى	٨	٧	١٥
		علم رياضى	علم العدد	٢	
	الحكمة النظرية		الهندسة	٢ ٦	١٠
			الهيئة ٤	١	
			الموسيقى	١	
		علم إلهى	٥	٢	٧
	الحكمة العملية	الأخلاق			
		تدبير المنزل			٣
		السياسة			
	المنطق	٨			٨
الإجمالى	٣=٣	١٤	١٧	١٥	٤٦

جدول رقم (٨) : يوضح توزيع العلوم فى تصنيف الطوسى على الصفوف

من استقراء الجدول السابق يتضح ما يلى :

- تقسيم الطوسى الحكمة إلى قسمين كبيرين ، هما : الحكمة النظريـــة و الحكمـــة العملية . و أنه يجعل المنطق آلة لهما . و تقف هذه الموضوعات الثلاثـــة علـــى الصف الأول .
- يقسم الطوسى الحكمة العملية تقسيماً ثلاثياً يقف على الصف الثانى .
- يقسم المنطق إلى ثمانية أقسام تقف على الصف الثانى .

- يمتد التفريع من علوم الحكمة النظرية إلى الصف الرابع .
- يبلغ إجمالى الفروع فى تصنيف الطوسى ستة و أربعون علماً موزعة على ثلاثة صفوف ، فيبلغ عدد العلوم المفرعة على الصف الثانى أربعة عشر علماً ، و يبلغ عدد العلوم المفرعة على الصف الثالث سبعة عشر علماً ، و يبلغ عدد العلوم المفرعة على الصف الرابع خمسة عشر علماً .
- يلاحظ زيادة أعداد العلوم المفرعة من الحكمة النظرية عن علوم الحكمة العملية و المنطق ، و يرجع ذلك إلى النمو الدائم لعلوم الحكمة النظرية التى تقابلها من علوم العصر الحديث العلوم البحتة والتطبيقية أكثر من علوم الحكمة العملية والمنطق اللذين تقابلهما من علوم العصر الحديث العلوم الاجتماعية ، و هذا ما يؤكده '' جيفونس '' ، حيث يرى اختلاف نمو كل من العلوم التطبيقية والبيولوجية و الاجتماعية ، حيث لا توجد نسبة ثابتة لنموهم جميعاً ، فالعلوم التطبيقية والبيولوجية أسرع فى النمو من العلوم الاجتماعية التى يكون بها ثبات نسبى . (٨) و هذا ما يفسر عدم وجود موضوعات مفرعة من أقسام الحكمة العملية تقف على الصف الثالث و الرابع ، كما فى أقسام الحكمة النظرية .
- يرمز الطوسى للعلوم الأصلية بألفاظ مثل : الأول ، الثانى ، الثالث . و يرمز للأقسام الفرعية بحروف أبجدية ، مثل : أ : الطب . ب : أحكام النجوم . ويختلف الأمر بالنسبة للعلم الإلهى الذى يرمز للأصول بألفاظ ، و الفروع بنفس الألفاظ ، حيث يطلق على الأصول : الأول، الثانى، وهكذا . والفروع أيضاً : الأول ، الثانى .

التماسك والاتساق أو التناسق فى تصنيف الطوسى

يلاحظ على تصنيف الطوسى التماسك ، فلم تحدث أية قفزات مخلة بتسلسل عرض العلوم وترتيبها ، إنما سار فى معالجة كل موضوع بشكل متكامل ، متنقلاً للموضوع الذى يليه ، فقد عرض الحكمة النظرية بأقسامها الأصلية ، و انتقل إلى أقسامها الفرعية ، و بعد الانتهاء منها استعرض علم المنطق بكل تفريعاته ، و لكن اختل اتساق و تناسق عرض العلوم ، حيث لم يسر بنسب ثابتة فى تفريعات كل علم ، فبينما تصل التفريعات فى الحكمة النظرية إلى الصف الرابع ، و يبلغ عدد العلوم

المفرعة عنها إلى اثنين و ثلاثين ، تقف التفريعات فى الحكمة العملية إلى الصف الثانى ، و يبلغ عدد العلوم المفرعة عنها ثلاثة ، كما تقف التفريعات فى علم المنطق إلى الصف الثانى ، و يبلغ عدد العلوم المفرعة عنها ثمانية .

و إذا كان الملاحظ على القرن السابع الهجرى قلة تصانيفه و سطحيتها ، إلا أننا نجد الموقف يختلف فى القرن الثامن الهجرى ، حيث قدم عدداً من التصانيف كانت بمثابة إضافة جديدة فى علم التصنيف .

ثانياً : تصنيف ابن الأكفانى (ت ٧٤٩هـ)

يعد كتاب '' إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد '' لابن الأكفانى (٩) بداية تأليف الموسوعات المختصرة ، و قد اقتفى أثره عدد من العلماء فى هذا النوع من التأليف ، منهم السيوطى و طاشكبرى زادة .

تصنيف ابن الأكفانى من واقع كتاب '' إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد ''

ينتمى تصنيف ابن الأكفانى إلى المدرسة الثالثة فى التصنيف ، التى تجمع بين الجانب الفلسفى فى عرض الموضوعات ، فتعرف نحدود كل علم ، و السند الأدبى ، حيث تعرف بأهم الكتب فى كل علم . و هو بذلك حقق ما نادى به '' بليس '' فى القرن العشرين من ضرورة الربط بين الطريقة المنطقية العلمية و الطريقة البيبليوجرافية فى التصنيف ، بحيث يتفق التصنيف مع المنهج التعليمى التربوى السائد فى عصره . وهذا ما يتضح للقارىء من خلال استعراض تصنيف ابن الأكفانى .

الهدف من تصنيف ابن الأكفانى

أوضح ابن الأكفانى فى مقدمة كتابه أن غرضه من تأليفه هو غرض تعليمى تربوى ، و قد اقتضى ذلك من المؤلف ذكر أنواع العلوم و بيان مراتبها ، والتعريف بأهم الكتب فى كل علم، ومن هنا جاء كتابه دليلاً مصنفاً للعلوم، وقائمة بيبليوجرافية مختارة بأهم الإنتاج الفكرى فى كل علم ، ودائرة معارف تعرف بحدود كل علم ومجاله و أهميته، ولكنه لم يقف عند هذا الغرض من كتابه، و إنما أراد به أن يساعد كل طالب علم أو إنسان على عدة أمور :

- أى العلوم يبدأ بها فى الدراسة و التعليم .
- التعرف على الحدود الموضوعية لكل علم .

- المقايسة بين العلوم للتعرف على تدرجها حسب شرفها .
- التفريق بين الشخص العالم و الجاهل الذى يدعى العلم ، و يساعده على ذلك حصيلته المعرفية .
- مساعدة الكاتب الأديب المتفنن بما يتكون لديه من معرفة إجمالية من كل علم .
- تمكين من أراد من ذوى المناصب من الإحاطة بجملة المعارف ، ليرفع من قدر نفسه أمام أهل العلم . (١٠)

و تتفق هذه المقدمة مع ما ورد فى مقدمة الفارابى (١١) مع اختلاف فى الغرض الأساسى لكل منهما. وعلى الرغم من أن القصد فى إحصاء العلوم علمى فلسفى و فى تصنيف ابن الأكفانى تعليمى تربوى إلا أن الأمور المستفادة من وراء هذا الغرض متفقة تماماً ، سواء كان ذلك فى الجوهر أو فى استخدام بعض الألفاظ والعبارات أو ترتيبها . كما أن وسيلة تحقيق هذا الغرض واحدة ، و هى تقسيم العلوم، و إن زاد ابن الأكفانى عليه بما قدمه من ببيليوجرافيا مختارة لأهم الكتب فى كل موضوع .

و بعد بيان غرضه من وضع كتابه يقدم ابن الأكفانى الجديد فى بداية تصنيفه الذى جعله مختلفاً عمن سبقه من المصنفين، وهى مقدمة فى التعليم والتعلم وشروطهما مستعرضاً فيهما القواعد والنظريات التربوية التى كانت سائدة عند المسلمين فى عصره (ق٨ هـ)، و ترجع أهميتها باعتبارها وثيقة مهمة تؤرخ للعملية التربوية والتعليمية عند المسلمين ، و تثبت هذه المقدمة أن ابن الأكفانى لا يعد مقلداً أو تابعاً لغيره، و إنما نجده عالماً يهتم بوضع النظريات العلمية و الوسائل العملية التى تكفل تحقيق الغرض التعليمى التربوى الذى يصبو إليه من وضع كتابه هذا. ويعرض فيه مسالك ثلاثة يتبعها العلماء والباحثون فى طلب العلم، وهى :

- مسلك الباحثين الذى يقوم على إدراك العلم بالبحث والملاحظة والوصول إلى النتائج بالدليل والبرهان .
- مسلك النساك الذى يقوم على الرياضة الروحية لتصفية النفس والوصول إلى أمور وجدانية لا يقوم عليها دليل أو برهان .

• مسلك جماعة الصوفية الذى يبدأ بالبحث و الملاحظة و ينتهى إلى تصفية النفس.(١٢)

و لا يكتفى ابن الأكفانى بذكر هذه المناهج الثلاثة فى طلب العلم، وإنما يبدى رأيه مرجحاً أحدها و هو طريق الباحثين ، و من ثم فهو يدعو إلى المنهج العلمى القائم على الملاحظة والتجربة وإعمال العقل . و يقف ابن الأكفانى موقفاً مناصراً للكتاب ، و يشيد بفائدته للطالب الذى يلزمه اختيار الكتاب الجيد، و يحدد للكتاب الجيد المواصفات التى يجب أن تتوفر فيه، وفى حديثه عن التعليم و التعلم يحدد منهجاً تربوياً للطالب و الأستاذ يحصره فى عشر نقاط يجمل فيها المنهج التربوى الإسلامى.

و يستعرض ابن الأكفانى بعد المقدمة خطته فى تقسيم العلوم ، و يبدؤها بالقول فى حصر العلوم ، حيث يوضح الأقسام الأساسية فى تصنيفه ، ثم يعرض كل قسم منها متدرجاً فى توضيح العلوم المتفرعة عنه :

مرتبة أولى فى التصنيف :

ما كان مقصوداً لذاته (العلوم الحكمية)

ما لا يكون مقصوداً لذاته ، و إنما آلة لغيره من العلوم

مرتبة ثانية فى التصنيف :

ما كان مقصوداً لذاته

الحكمة النظرية

الحكمة العملية

ما لا يكون مقصوداً لذاته

علم الأدب

علم المنطق

مرتبة ثالثة فى التصنيف :

الحكمة النظرية

العلم الأعلى " العلم الإلهى "

العلم الأوسط " العلم الرياضى "

العلم الأدنى " العلم الطبيعى "

الحكمة العملية

السياسة

الأخلاق

تدبير المنزل

علم الأدب

علم اللغة

علم التصريف

علم المعانى

علم البيان

علم البديع

علم العروض

علم القوافى

علم النحو

قوانين الكتابة

قوانين القراءة

علم المنطق

إيساغوجى '' المدخل ''

قاطيغورياس '' المقولات ''

باديرمينياس '' العبارة '' : يطلق عليها فى بعض التصانيف '' بارميناس أو باريرمينياس

أرنولوطيقى '' القياس ''

باديبطيقى '' البرهان ''

طوبيقى '' الجدل ''

ريطوريقى '' الخطابة ''

طوريقى '' الشعر ''

سوفسطيقى '' القياسات المغالطية ''

مرتبة رابعة فى التقسيم :

العلم الإلهى

النظر فى الأمور العامة ، مثـــل الوجـــود و الماهيـــة و
الوحدة و الكثرة

النظر فى مبادىء العلوم

النظر فى إثبات وجود الإله الحق و الدلالة على وحدانيته

النظر فى إثبات الجواهر المجردة من العقول و النفوس و
الملائكة

أحوال النفوس البشرية بعد مفارقتها الهياكل الإنســـانية و
حال المعاد

علم النواميس

علم القراءات

علم رواية الحديث

علم التفسير

علم دراية الحديث

علم أصول الدين

علم أصول الفقه

علم الجدل

علم الفقه

مرتبة رابعة فى تقسيم العلم الطبيعى إلى أقسام أصلية :

العلم الطبيعى

السماع الطبيعى

السماء و العالم

الكون و الفساد

الآثار و العلوية

المعادن

النبات

الحيوان

الحس و المحسوس

مرتبة خامسة فى تقسيم العلم الطبيعى إلى أقسام فرعية :

علم الطب

البيطرة و البيزرة

الفراسة

تعبير الرؤيا

أحكام النجوم

السحر

الطلسمات

السيميا

الكيميا

الفلاحة (الزراعة)

الرمل

مرتبة رابعة فى تقسيم العلم الرياضى :

الأوسط '' العلم الرياضى ''

الهندسة

الهيئة

العدد

الموسيقى

يقسم الأقسام الأصلية فى العلم الرياضى إلى أقسام أصلية ثم فرعية :

الهندسة

أحوال الخطوط المستقيمة

الدوائر و القسى

حال الخطوط المنحنية التي تسمى الزائد والناقص

الأشكال المستقيمة الخطوط

مرتبة خامسة في تقسيم الهندسة في العلم الرياضي :

النسب الكلية الإجمالية و التفصيلية

الخواص العددية

الأشكال الحادثة عن الدوائر الواقعة على الكرة

أحوال المجسمات المستوية السطوح

أحوال المجسمات الكرية و الأسطوانية و المخروطية

حال الكرة المتحركة و خواصها

مرتبة سادسة في تقسيم الهندسة :

علم عقود الأبنية

علم المناظر

علم المرايا المحرقة

علم مراكز الأثقال

علم المساحة

علم إنباط المياه

علم جر الأثقال

علم البنكامات

علم الآلات الحربية

علم الآلات الروحانية

الهيئة

جملة الأفلاك و وضع بعضها إلى بعض ، وبيان أنها متحركة والأرض ساكنة

حركات الأجرام السماوية

الأرض المعمور منها و المعمور و الخراب

مقادير أجرام الكواكب و أبعادها

مرتبة سادسة فى تقسيم علم الهيئة :

علم الزيجات و التقاويم

علم المواقيت

علم كيفية الأرصاد

علم تسطيح الكرة و الآلات الحادثـــــة عنه

علم الآلات الظلية

مرتبة خامسة فى التقسيم :

علم العدد

لواحق الأعداد كالزوجية و الفردية

لواحق الأعداد عند إضافة بعضها إلى بعـــــض كالتساوى و التفاضل و التناسب

مرتبة سادسة فى تقسيم العدد :

الحساب المفتوح

حساب التخت و الميل

حساب الجبر و المقابلة

حساب الخطأين

حساب الدور و الوصايا

حساب الدرهم و الدينار

علم الموسيقى

المبادىء الموسيقية و كيفية استنباطها

النغم و أحوالها

الإيقاع

تأليف الألحان

منطق ابن الأكفانى فى تقسيم العلوم

تكمن فلسفة ابن الأكفانى فى تقسيم العلوم و ترتيبها على أساس شرف كل علم و فضله بين العلوم ، حيث تتفاوت العلوم ، و ترتب تصاعدياً و ترتقى حتى تصل إلى أشرفها الذى يقع فى قمة التصنيف ، و هى عادة العلم الإلهى ، أو قد يكون علم الكلام، أو علم التصوف ، حسب نظرة كل مصنف و تقييمه لشرف العلم ، و شرف العلم قد يكون حسب الغاية أو الحاجة أو الموضوع . (١٣) ويقدم ابن الأكفانى تقسيمه العلوم بمقدمة يوضح فيها مراتب العلوم المختلفة و نصيبها من الشرف ، فيرى أنه على الرغم من اشتراك العلوم كلها فى الشرف ، إلا أن هذا الشرف يختلف من علم إلى آخر ، فمن العلوم ما يكون الشرف فيه بحسب الموضوع كالطب ، فإن موضوعه بدن الإنسان ، وبعضها بحسب الغاية مثل علم الأخلاق ، فإن غايته معرفة الفضائل الإنسانية، و منه ما هو بحسب الحاجة إليه كالفقه، ومنها ما يجتمع فيه كل هذه الأمور، مثل العلم الإلهى ، فإن موضوعه شريف، وغايته فاضلة ، و الحاجة إليه مهمة. (١٤) ومن مبادىء ترتيب العلوم حسب الشرف تقسيمها إلى مقاصد (١٥) ووسائل . (١٦) و الأولى أشرف من الثانية . و فى الترتيب تتقدم الوسائل على المقاصد لكونها آلة و مقدمة للقاصد . (١٧)

و هذا ما يذهب إليه الغزالى فى أن نسبة العلم إلى غيره من جهة كون غيره مقدمة له أو تتمة له . (١٨) وعلى هذا الأساس جاء تقسيم ابن الأكفانى للعلوم وترتيبها ، ففرق بين قسمين من العلوم، الأول ما يكون مقصوداً لذاته، وهى العلوم الحكمية التى تعد مقاصد ، و الثانى ما لا يكون مقصوداً لذاته ، و يكون آلة لغيره من العلوم ، و هو ما يعرف بالوسائل ، و لذلك فهى تتقدم على العلوم الحكمية .

و يستمر فى التقسيم و الترتيب حسب الشرف ، فما كان آلة لغيره يقسمه قسمين : علم الأدب ، و علم المنطق . و فى الترتيب يتقدم علم الأدب على المنطق ، لكونه يدرس ما نصل به إلى الإحاطة بالمعانى (و هو علم المنطق) من اللفظ والخط. ويقول ابن الأكفانى : '' إنما ابتدأت به لأنه أول أدوات الكمال ، و لذلك من عرى عنه لم يهتم بغيره '' (١٩) ، فعلم الأدب هو الوسيلة الأولى الممهدة لدراسة

بقية العلوم ، و من ثم عده المدخل الذى ينفذ إلى دراسة العلوم الأخرى ، و ثنى بعلم المنطق لاشتماله على القوانين التى تعصم الذهن من الخطأ ، و من هنا فعلى الدارس التسلح به لدراسة العلوم الأخرى ، و يتماثل هذا الترتيب مع ما جاء فى إحصاء العلوم للفارابى ، حيث بدأ بعلوم اللسان (علوم الأدب) ، و ثنى بالمنطق باعتبارهما آلتين ووسيلتين لما يأتى بعدهما من العلوم. وينتقد ابن الأكفانى الفارابى و ابن سينا والطوسى لاعتبارهم المنطق آلة لغيره من العلوم لا علماً فى نفسه .

و يرى ابن الأكفانى أن كون المنطق آلة لغيره لا ينفى كونه علماً فى نفسه ، و هذا يعد نظرة متقدمة من ابن الأكفانى لعلم المنطق . ثم ينتقل إلى العلوم الحكمية التى هى المقاصد فتقسم إلى قسمين : حكمة نظرية ، و الغاية منها الوصول إلى المعرفة ذاتها . و القسم الثانى : الحكمة العملية ، و الغاية منها وصول الإنسان إلى الخير باقتفاء الفضيلة و اجتناب الرذيلة ، و هى نفس الغاية عند ابن سينا، ومن قبله أرسطو ، و لكن ابن سينا ينطلق بمفهوم الخير من منطلق إسلامى ، فيجعله خيراً دنيوياً وأخروياً . (٢٠) و يتابع ابن الأكفانى أرسطو و الفارابى و ابن سينا و الطوسى فى ذكر الأقسام الثلاثة للعلم الطبيعى ، و لكن يختلف الترتيب ، فيأتى العلم الإلهى فى البداية لأنه يمهد الذهن للعلم الطبيعى والرياضى بما يشمله من مبادىء للعلوم ، ويثنى بالعلم الطبيعى مباشرة بعد الإلهى لارتباط مباحثه مباشرة به ، و هذا ما يقوله ابن الأكفانى ، و بالنسبة للعلم الإلهى فإنه يمهد الذهن لمباحثه (يقصد العلم الطبيعى) ولذلك قدم عليه فى التعليم . ثم العلم الرياضى لاعتماد علمى الهندسة و الهيئة على بعض مبادىء العلم الطبيعى لتعامله مع مواد حسية ، مثل الخطوط و الأجسام فى الهندسة و الأجرام العلوية و السفلية فى علم الهيئة لاشتراكهما فى مبدأ الكيف ، أى الحركة و التغير التى نجدها فى الأصل الأول من العلم الطبيعى . و يسير تقسيمه للحكمة العملية متدرجاً من الخاص إلى العام فيقسمها إلى ما يكون خاصاً بشخص واحد ، و هو علم الأخلاق ، و غير الخاص ، و إنما يتم بالشركة التى تكون بحسب اجتماع منزلى ، فهو علم تدبير المنزل ، أو بحسب اجتماع مدنى ، و هو الأعم ، فيكون علم السياسة .

و يتناول ابن الأكفاني في كل قسم من الأقسام الأساسية بالتفريع إلى علوم أصلية و علوم فرعية ، و يفرق بينهما على أساس الموضوع ، فالعلم الأصلي يتناول موضوعاً كلياً أو ما يمثله من الموضوع العام ، أما العلم الفرعي فيمثل موضوعاً جزئياً من الموضوع الكلي ، فمثلاً يعد موضوع علم الطب موضوعاً جزئياً (بدن الإنسان) ، و هو مندرج تحت موضوع العلم الطبيعي الذي يتناول موضوعاً كلياً هو الأجسام المادية بشكل مطلق و لواحقها . و على هذا الأساس يفرع كل قسم إلى موضوعات أصلية ثم موضوعات فرعية ترتيب بطريقة منطقية . فيبدأ بالعلوم الأدبية(٢١) فيقسمها و يرتبها في تسلسل منطقي مستنداً إلى مبدأ اعتماد العلم اللاحق على السابق ، فيقسمها إلى قسمين : علوم تعتمد على اللفظ و علوم تعتمد على الخط ، و الأولى تسبق الثانية لأن اختراع اللفظ و الكلمة سبق اختراع الكتابة ، والكتابة علم يعرف به أحوال حروف الهجاء التي يتركب منها اللفظ ، و من ثم فهي لاحقة على العلوم التي تتناول اللفظ لاعتمادها عليها . و يقسم الموضوعات التي موضوعها اللفظ إلى ثلاثة أنواع ، الأول : علوم تعتمد على اللفظ المفرد ، و يمثله علوم اللغة في علم اللغة والصرف ، و الثاني في المركبات اللفظية . و تضم علوم المعاني والبيان و علم البديع وعلم العروض و علم القوافي . و الثالث ما يعتمد على اللفظ المفرد و المركب و يمثله علم النحو . وهنا نلاحظ التقسيم المنطقي للأنواع الثلاثة ، كما جاء تسلسل العلوم معتمداً على مبدأ الاعتماد ، أي أن كل علم يخدم تابعه فهو مبني على سابقه ، و في الوقت نفسه هو موضوع بحث للعلم السابق له ، فنجد ابن الأكفاني يوضح في كل علم يعرضه احتياج هذا العلم إلى سابقه ، و ارتباطه بالعلم اللاحق عليه ، فيذكر مثلاً ــ أن علم المعاني يحتاج إلى اللغة و التصريف ، و هي العلوم السابقة عليه ، وعلم النحو، و هو العلم اللاحق عليه ، و هذا ما سوف يتناوله البحث بتوضيح في عرض العلوم الأدبية العشرة . وقد نادى '' أوجست كونت '' في القرن التاسع عشر بمبدأ التسلسل ، و بنى عليه تصنيفه الوضعي، ولكنه اقتصر على أن لكل علم مبني على سابقه و ليس على تابعه ، و زاد عليه '' سبنسر *Spancer*(١٨٢٠ــ١٩٠٣) '' بأن كل علم يخدم تابعه ، و في الوقت نفسه موضوع بحث للعلم السابق له . (٢٢)

و يبدأ ابن ألأكفاني العلوم بعلم اللغة الذي يعد علماً عاماً لا يعتمد على غيره ، و إنما تعتمد بقية العلوم عليه ، فموضوعه مفردات الألفاظ من حيث دلالتها على معانيها ، و يثني بعلم الصرف لبحثه في اللفظ المفرد من حيث بنية الكلمة . و هنا نلاحظ اعتماد علم الصرف بشكل مباشر على ما في علم اللغة من الألفاظ ، و هذا ما يذكره ابن الأكفاني في احتياج علم الصرف إلى علم اللغة والقوافي، ثم على علم المعاني ، و هو الأول في المجموعة الثانية و العلوم الأدبية التي تبحث في الألفاظ المركبة ، فمكانه مناسب لأنه يعد أفضل العلوم الأدبية لأن به يعلم إعجاز القرآن الكريم الموصول للفوز بسعادة الدارين . (٢٣) و هنا يراعي الترتيب حسب فضيلة العلم و شرفه ، كما يراعي مبدأ الاعتماد من حيث اعتماده على ما سبقه من علم اللغة و الصرف ، و اعتماد علم البيان (العلم اللاحق له) عليه ، فيقول محمد بن عمر الجركسي : '' **يقدم علم المعاني على علم البيان لكونه منه بمنزلة المفرد من المركب، لأن رعاية المطابقة التي هي ثمرة علم المعاني معتبرة في علم البيان مع شيء آخر وهو إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة كالتعبير عن اتصاف زيد بالكرم بزيد كثير الرماد** '' . (٢٤) ثم علم البديع الذي يأتي في ترتيبه الطبيعي لأنه يعتمد على كل ما سبقه من العلوم الأدبية ، فيذكر ابن الأكفاني أن علم البديع يحتاج إلى علوم اللغة والنحو و التصريف و المعاني و البيان و الاستكثار من مختار الشعر . و هو يقدم كل هذه العلوم الأدبية على ما بعدها لأنها وسائل إلى فهم كتاب الله المنزل و كلام الرسول ـ عليه الصلاة و السلام ـ ، و هنا نلاحظ استخدام مبدأ شرف العلوم وفضيلتها في تقديم العلوم السابقة على العلوم اللاحقة لها .

و يعرض للعلوم الخاصة بالشعر و يبدأ بالعروض ثم القوافي ، و ذلك على عادة الكتاب في علوم اللغة و الأدب في دراسة علم القوافي و معالجته بعد العروض ، و لكونه متصلاً بعلم العروض و أجزاء منه ، و كما يذكر الجركسي من أن عادة العروضيين قد جرت بذكر علم القوافي بعد العروض لكون أحدهما شبكاً بالآخر.(٢٥)

يعرض القسم الثالث من العلوم التي تختص بالألفاظ و هو علم النحو الذي يأتي في ترتيبه المنطقي لكونه يتناول اللفظ المفرد و المركب معاً ، ثم يعرض لعلوم الخط و يبدؤها بعلم الكتابة، ويثني بعلم القراءة، و ذلك لتوقف الثاني على الأول،

فالقراءة تتبع الكلمات المكتوبة نظماً و نطقاً ، فهي إذن تعتمد على الكتابة، وهو ما يخص العلم السابق لها ، كما يتلازم علما الكتابة و القراءة في غاية واحدة ، و هي معرفة دلالة الخط على اللفظ، ومن هنا كانت معالجة علم القراءة تالية لعلم الكتابة .

و يقسم المنطق تقسيماً تساعياً مبتدئاً بالمدخل و منتهياً بالسوفسطيقي ، فجعل الشعر و الخطابة تسبقان السوفسطيقي مختلفاً عن ابن سينا الذي اتبع التقسيم التساعي للمنطق ، فجاء السوفسطيقي سابقاً للشعر و الخطابة .

و بعد الانتهاء من العلوم التي تعد وسيلة و آلة لغيرها يبدأ بالعلوم التي هي المقاصد و يبدؤها بالعلم الإلهي لكونه أشرف العلوم ، و العلم الأعلى من علوم الحكمة النظرية على اعتبار أنه يقع في أعلى الموجودات فيسيران بالعلوم تصاعدياً للوصول إلى الذات الإلهية . و يفرق ابن الأكفاني بين أصول هذا العلم و فروعه و الأصول منها ما هو مأخوذ من الفلسفة اليونانية مثل الأول و الثاني والرابع الذي يفرع منه فروع العلم الإلهي و كلها تمثل علوم الشريعة الإسلامية (٢٦) التي يقسمها إلى ثمانية فروع. و يحدد ابن الأكفاني فلسفته و نظريته في تقسيم العلوم الشرعية ، فهي إما متعلقة بالنقل ، أو لفهم المنقول ، أو لتقريره و تشييده بالأدلة ، أو باستخراج الأحكام المستنبطة . فهو هنا يحدد أربعة وسائل يسير عليها في تقسيمه للعلوم الشرعية، فالعلوم النقلية منها ما نزل على الرسول بواسطة الوحي ، و هي '' علم القراءات''، و منها ما صدر عن الرسول ، و هي '' علم رواية الحديث ''، والثاني لفهم المنقول، فمنها ما هو متعلق بكلام الله تعالى ، و هو '' علم تفسير القرآن الكريم ''، و إما متعلق بكلام الرسول ، و هو '' علم دراية الحديث '' ، و الثالث للتقرير فيختص به ثلاثة علوم : إما للآراء ، و هو '' علم أصول الدين '' ، و إما للأفعال ، و هو '' علم أصول الفقه '' ، و إما لما يستعان به على التقرير ، و هو '' علم الجدل '' ، والرابع لمعرفة الأحكام المستنبطة ، و هو '' علم الفقه '' .

و يلاحظ ترتيب العلوم على أساس شرف الموضوع ، فيقدم ما يختص بكلام الله '' القرآن الكريم '' على ما يختص بكلام الرسول '' الحديث '' ، كما يقدم ما هو خاص بإثبات وحدانية الله '' علم أصول الدين '' على ما يختص بالعبادات '' علم الفقه '' . و قد جاء تقسيمه هذا على أساس شكلي منهجي أكثر منه على أساس

موضوعى ، فأدى به إلى الفصل بين موضوعات وثيقة الصلة ، مثل علم القـــراءات الخاص بعلوم القرآن ، و هو أوثق اتصالاً بالتفسير منه بعلم رواية الحديث . والأخير أوثق اتصالاً بعلم دراية الحديث ، كما أنه أخر علم أصول الدين الذى يأتى فى معظم التصانيف من جهة شرفه فى قمة العلوم الشرعية لاتصالها بالبحث فى الذات الإلهية . و كان من الأفضل أن تسير علوم الشريعة الإسلامية لتحـــافظ علـــى مبـــدأ تجـــاور الموضوعات المتشابهة ، فيبدأ بعلم أصول الدين ، ثم علم القراءات ، ثم علم التفسير ، ثم علم رواية الحديث ، ثم علم دراية الحديث ، ثم علم أصول الفقه ، ثم علم الفقه ، ثم علم الجدل .

ثم يأتى العلم الطبيعى (٢٧) فى المرتبة الثانية من الحكمة النظرية ، و كـــان من الأفضل ، أى يثنى بالعلوم الرياضية باعتبارها العلم الأوسط ، كما حدد فى بدايـــة تقسيمه للحكمة النظرية ، و يفرق بين الأصول و الفروع لهذا العلم ، و فى عرضـــه للأصول يتابع أرسطو و من اتبعه من الفلاسفة المسلمين أمثال الفارابى و ابن ســـينا والطوسى فى إيراد ثمانية أجزاء هى نفسها كتب أرسطو فى هذا العلم، وهو يسير بها تصاعدياً للوصول إلى أعلى الموجودات و هو الإنســـان و مـــا ينســـب إليـــه مـــن موضوعات النفس و الحركة و الإدراك و النوم و اليقظة . و يقـــرر فـــى الأصـــول الأساس الذى يبنى عليه دراسة الأجسام الطبيعية من التعرف على أحـــوال الأجســـام وموادها و صورها ، و التفريق بين الجسم البسيط و المركب ، و العام ، و هـــو مـــا يشمل البسيط و المركب معاً . فالأجسام البســـيطة : أحكـــام النجـــوم والطلســـمات ، والأجسام المركبة : علم السيميا و الكيميا و الفلاحة ، و ما يكون بذى النفس العاقلـــة وهى العلوم المتعلقة بالإنسان ، و هى علم الطب و ما يماثله عند الحيوان مـــن علـــم البيطرة و البيزرة ، و ما يخص أحوال الإنسان من علم الفراسة ، و علـــم تعبـــير الرؤيا ، ثم العام ، و هو علم السحر .

و يلاحظ أن تقسيمه لفروع العلم الطبيعى أساسه شكلى منهجى ، و لكن جـــاء ترتيبه للفروع على أساس موضوعى متبعاً مبدأ شرف العلم و فضيلته فبدأ بمجموعـــة العلوم التى تخص الإنسان مبتدئاً بعلم الطب لشرف موضوعه ، وهو البحث عن بـــدن الإنسان من جهة ما يصح و يمرض ، و يثنى بعلم البيطرة و البيزرة لما بينهما مـــن

تناسب حيث يتناول أجسام الحيوانات و الطيور من جهة الصحة والمرض ، فهو للحيوان كالطب للإنسان ، و يستكمل الموضوعات الخاصة بالإنسان ، و يتدرج بها من الذى يعالج أحواله الظاهرة الدالة على أحواله الباطنة ، و هو علم الفراسة ، ثم ما يخص نفسه فى حالة غيبته عن جهة ، وهو '' علم تعبير الرؤيا '' ، ثم علم أحكام النجوم لشرف موضوعها عما يليها من العلوم لتعلقها بالأجرام السماوية ، و هو متأثر بنظرة أرسطو لها باعتبارها تقع فى ذروة سلم الموجودات ، ثم يتناول العلوم المتعلقة بالسحر ، و يبدؤها بالعلم العام و هو السحر الذى يتناول الأجسام البسيطة و المركبة ، و يتبعه بالعلوم المرتبطة به ، و المتفرعة عنه ، و هى علم الطلسمات الذى أخره عن علم أحكام النجوم بالرغم من تعلقهما بالجسم البسيط ، إلا أن موضوع علم الطلسمات يرتبط بعلم السحر لأن مبادئه و أسبابه مأخوذة من علم السحر . و يتبعه علم السيميا لارتباطه أيضا بعلم السحر ، و يأتى فى آخر العلوم الطبيعية علم الكيمياء الذى جرت العادة فى التصانيف العربية الإسلامية على ذكره بعد علوم السحر . و أغلب الظن أن رفض بعض العلماء له و اعتباره تابعا لعلوم السحر مما أدى إلى وضعه فى آخر التصانيف ، كما عند ابن النديم و الخوارزمى ، ثم استمر الوضع لهذا العلم بتأخيره إلى آخر العلوم ، سواء عند معالجة فروع العلم الطبيعى أو معالجة العلوم العقلية ككل . و يضيف ابن الأكفانى علما جديدا و هو علم الفلاحة ، و يضعه بعد علم الكيميا ، و كان من الأفضل أن يلحق به علم البيطرة و البيزرة ، فقد جرت عادة الكتاب على معالجة الموضوعين معا ، و هذا واضح من كتاب '' الفلاحة '' لابن العوام الذى يعالج فيه علم البيطرة و البيزرة . (٢٨)

و يأتى ترتيبه لفروع العلم الرياضى (٢٩) مختلفا عمن سبقه ، فيبدأ بعلم الهندسة لما لها من اتصال مباشر بالعلم الطبيعى لاستمدادها بعض المبادىء منه ، ويقدمها على بقية الأقسام الأساسية للعلم الرياضى لأنه يمهد الذهن لدراسة بقية الأقسام الرياضية بما تكسبه من حدة و نفاذ و ترويض للفكر ، و يستفاد من علومه الفرعية فى بقية العلوم الرياضية من علم الهيئة و الحساب و الموسيقى . و يثنى بعلم الهيئة بعد الهندسة لكونه آلة لعلم الهيئة . ويقدمه على بقية العلوم الرياضية وذلك لشرف موضوعه لما جاء فى التنزيل الإلهى من الحث على النظر فى هذا العلم

وموضوعاته و للاحتياج إليه فى ضبط أحوال الأزمة المتعلقة بالعبادات و المعاملات، و يليه فى الشرف علم الحساب لدخوله فى حساب بعض المعاملات الشرعية ، مثل حساب الدور و الوصايا ، و قد قدمه على علم الموسيقى باعتباره آلة لها ، فعلم الموسيقى يعتمد على الأعداد المتناسبة ، كما أنه يعد آخر العلوم الرياضية فى الشرف لانحصار منفعته فى اللذة و السرور ، و فى كل قسم من الأقسام الرياضية يفرق بين الأصول و الفروع ، و يأتى ترتيب الفروع فى كل قسم حسب منهج معين يقوم على أساس وجود فكرة معينة متضمنة فى كل علم ، و قد أسماها كل من '' هويل ودوف'' (ق١٩م) : الطبيعة الجوهرية للعلوم . (٣٠) فيقسم فروع علم الهندسة على نهج يفرق فيه بين العلوم على أساسين ، أحدهما عن إيجاد المطلوب من الأصول الكلية لعلم الهندسة ، و الثانى الباحث عما ينظر إليه ، أو لا ينظر إليه. والأخير يتناول موضوعات علم عقود الأبنية ، ثم علم المناظر ، ثم ما يخص المنظور إليه إن اختص بانعكاس الأشعة ، و هو علم المرايا المحرقة ، و الباحث عن إيجاد المطلوب فى الأصول الكلية يقسم شكلياً بدوره إلى قسمين : الأول من جهة التقدير ، فإن اختص بالنقل فهو علم مراكز الأثقال ، و إن كان ثابتاً فهو علم المساحة . و الثانى من حيث إيجاد الآلات أو ما يستخدم الآلات . و الأخير هو علم إنباط المياه . أما العلوم الخاصة بالآلات فيفرق بينها على أساس نوع الآلة ، فإما أن تكون تقديرية أو غير تقديرية ، و التقديرية تقسم بدورها إلى قسمين : آلات ثقيلة ، و هو علم جر الأثقال ، أو زمانية و هى علم البنكامات ؛ أى الآلات المقدرة للوقت ، التى ليست تقديرية ، وهى إما آلات حربية أو آلات روحانية .

و يفرق بين الأصول فى علم الهيئة و الفروع ، و يرتب الأخير على أساس فكرة متضمنة لكل علم ، فيفرق بين العلوم على أساس حساب الأعمال ، أو ما يتوصل إليها بالآلات ، فالأول إن اختص بالكواكب المتحيرة فهو علم الزيجات والتقاويم ، و إن اختص بتقدير الأزمنة فهو علم المواقيت . أما ما يتوصل إليه بالآلات فيقسم على أساس نوع الآلات ، فإن كانت آلات رصدية فهو علم كيفية الأرصاد ، و إن كانت آلات شعاعية فهو علم تسطيح الكرة ، و إن كانت آلات ظلية فهو علم الآلات الظلية .

و يستمر استخدامه للمنهج القائم على فكرة معينة فى ترتيب فروع علم الحساب على أساس التفريق بين البحث عن الأعداد المعلومة و الأعداد االمجهولة ، فالأول منها يقسم إلى قسمين ، ما يبحث فى الأعداد مجردة ، و هو علم الحساب المفتوح ، أو ما يتقيد برقوم خطية ، و هو علم حساب التخت و الميل . و الثانى يقسم على أساس تناسب الأعداد أو عدم تناسبها ، فالأول إن كان غير محدد بعدد معين من الأعداد فهو علم الجبر و المقابلة ، و إن اختص بأربعة أعداد متناسبة فهو علم حساب الخطأين ، و الثانى إما يخص الدور و هو علم الدور و الوصايا ، أو علم حساب الدرهم و الدينار ، و على هذا الأساس يتم ترتيب فروع علم الحساب .

القواعد و المفاهيم التصنيفية التى عكسها تقسيم ابن الأكفانى للمعرفة

تميز تقسيم ابن الأكفانى للمعرفة بالمنطقية و الترابط بين أقسامه ، فقد عكس عدداً من العلاقات التصنيفية ، بل تضمن عدداً من المفاهيم التى نادى بها مصنفو العصر الحديث ، و من هذه العلاقات :

- **علاقة الاشتمال و التبعية** التى سارت عليها كل الأقسام الرئيسية فى تصنيفه ، حيث قسم المعرفة إلى أقسام رئيسية ، مثل تقسيمه للعلوم كمقاصد ، و كآلة ، وكل منهما بدوره قسمه إلى أقسام رئيسية ، فالمقاصد ميز بين قطاعين كبيرين للمعرفة، و هما معرفة نظرية و أخرى عملية ، و تناول كلاً منهما بالتقسيم ، فالمعرفة النظرية إلى قطاعاتها الثلاثة ، و كل قطاع منها إلى عدد من الأقسام الرئيسية ، و كل قسم مقسم إلى أصول و فروع .
- **علاقة تساو** ، و قد عكس تصنيفه نماذج متعددة أدت إلى وقوف علوم متباينة فى موضوعاتها على صف واحد لا ندرجها تحت أمر ثالث يضمهم ، فنجد علم الطب الذى يتناول بدن الإنسان، وعلم أحكام النجوم الذى يتناول الأجرام السماوية، وعلم السحر وعلم الكيمياء ، فبالرغم من التباين بينهم إلا أنهم يشتركون فى معالجة موضوع واحد هو الجسم الطبيعى موضوع العلم الأعم الذى يضمهم و هو العلم الطبيعى ، و من هنا وجدت علاقة التساوى أو التناسب بينهم .

و ظهر فى تصنيف ابن الأكفانى عدد من مبادىء التصنيف التى نادى بها مصنفو الغرب فى القرنين التاسع عشر و العشرين ، و من هذه المبادىء :

• مبدأ تسلسل العلم الذى نادى به '' كونت '' فى القرن التاسع عشر ، على أساس أن كل علم بنى على سابقه ، و ليس على تابعه ، و زاد عليه '' سبنسر '' بأن كل علم يخدم تابعه ، و فى الوقت نفسه هو موضوع بحث للعلم السابق له . (٣١) و قد طبق ابن الأكفانى هذا المبدأ فى ترتيب علومه

• اتبع ابن الأكفانى منهجاً فى ترتيب العلوم المتفرعة عن الأقسام الرئيسية فى تصنيفه ، يقوم على أساس الفكرة المتضمنة فى كل علم ، و التى أصبحت من المبادىء المهمة فى تصنيف القرن التاسع عشر ، و أول من نادى بضرورة اتباع هذا المبدأ كل من '' ويليام هويل '' و قد أسماها الطبيعة الجوهرية لكل علم ، وهى الفكرة المتضمنة فى كل علم ، و'' دوف '' الذى أسماها الهدف الأسمى للعلم ، فمثلاً المنطق يعتمد على الشخصية ، و الحساب يبنى على الرقم ، و الجبر على الكمية ، وعلى هذا الأساس جاء تسلسل العلوم عند كل منهما كالآتى : (٣٢)

تصنيف و يليام هويل		تصنيف دوف	
العلم	الفكرة المتضمنة	العلم	الفكرة أو الهدف الأسمى
الهندسة	الفراغ أو الفضاء	المنطق	الشخصية
الحساب	الرقم	الحساب	الرقم
الجبر	العلامة	الجبر	الكمية
الفلك	الحركة	الهندسة	الفراغ أو الفضاء
الاستاتيكا	القوة	الاستاتيكا	القوة
الديناميكا	الشيء	الديناميكا	الحركة
الاستاتيكا	القصور الذاتى	السمعيات	الصوت
الهيدروجية	الضغط المتدفق	البصريات	الضوء
الديناميكا	الوسيط	المغناطيسية	القوة الممغنطة
الهيدروجية	النوعيات	الكيمياء	الألفة
السمعيات	المادة		
البصريات	التشابه		
الكيمياء			
علم البلورات			

و قد حدد ابن الأكفانى الفكرة التى يتضمنها ، و التى على أساسها يقسم العلوم و يرتبها ، فيقسم العلوم الأدبية على أساس علوم تبحث فى الألفاظ ، و أخـــرى فـــى الخط ، ثم يقسم العلوم الباحثة فى الألفاظ إلى علوم تبحث فى الألفاظ المفردة ، و ثانية تبحث فى الألفاظ المركبة ، و ثالثة تجمع بين الاثنين ، و هذا ما ذكر فـــى عــرض العلوم الأدبية . كذلك فى تقسيم فروع العلم الطبيعى و ترتيبها ، أو العلوم الرياضيــة ، فمثلا علم الحساب ترتب علومه على أساس الفكرة المتضمنة لكل علم كالآتى : (٣٣)

العلم	الفكرة
الحساب المفتوح	العدد المعلوم المجرد
حساب التخت و الميل	العدد المعلوم المقيد برقوم خطية
الجبر و المقابلة	المجهولات
حساب الخطأين	أعداد متناسبة
الدور و الوصايا	الدور
الدرهم و الدينار	

و قد أطلق '' هويل '' على عملية إبراز الأفكار المحتواة فى كل علـــم '' الجـــانب الموضوعى فى التصنيف '' ، و هو ما أكد عليه مصنفو القرن التاسع عشــر . (٣٤) وقد أشار حاجى خليفة إلى هذا الجانب الموضوعى ضمـــن القواعـــد التـــى ذكرهـــا للتصنيف فى كتابه كشف الظنون ، و عبر عنها بقوله : ''إن اسم كل علم موضـــوع بإزاء مفهوم إجمـــالى شامل له '' . وقد ســـار تصنيف ابن الأكفـــانى علـــى هـــذا المبدأ ، فذكر لكل علم موضوعه و مبادئه و غرضه ومنفعته ، فهو مثلا يعرف علــــم الهندسة بأنه علم يعرف منه أحوال المقادير ولواحقها، وأوضاع بعضها عنـــد بعـــض ونسبها ، و يحدد موضوعه ، وهو المقادير، ومنفعته أن يكتسب الذهن حدة و نفـــاذا ، و يروض الفكر . (٣٥) وهذا ما يتبعه فى كل علم .

يعد مبدأ تجاور الموضوعات المتشابهة ، أو مبدأ الترابط من أهم الخصائص التجديدية فى التصانيف العربية الإسلامية، و هو من أهم المبادىء التى بنى عليها '' بليـــس '' تصنيفه الببليوجرافى. وقد تميز تصنيف ابن الأكفانى باتباع هذا المبدأ الذى سار عليه تصنيفه منـــذ البداية ، فقد تقاربت العلوم المتشابهة فى تصنيفه ، ســـواء على مستوى

يعد مبدأ تجاور الموضوعات المتشابهة ، أو مبدأ الترابط من أهم الخصائص التجديدية فى التصانيف العربية الإسلامية، وهو من أهم المبادىء التى بنى عليها '' بليس '' تصنيفه الببليوجرافى . و قد تميز تصنيف ابن الأكفانى باتباع هذا المبدأ الذى سار عليه تصنيفه منذ البداية ، فقد تقاربت العلوم المتشابهة فى تصنيفه ، سواء على مستوى الأقسام الرئيسية أو الفرعية ، فعلى مستوى الأقسام الرئيسية جمع معالجة علمى اللغة و الأدب متجاورين تحت تسمية علم الأدب ، كذلك فروع العلم الطبيعى، فعلى الرغم من التقسيم الشكلى الذى أشار إليه عند التقديم لها إلا أن ترتيبها فى المعالجة جاء على أساس موضوعى ، حيث عمل على أساس تجاور الموضوعات المتشابهة ، فتجاورت الموضوعات التى تتناول الإنسان ، مثل الطب و الفراسة و علم تعبير الرؤيا ، كما تجاورت علوم السحر مع السحر والطلسمات وعلم السيميا .

و من أهم المبادىء التى بنى عليها '' بليس '' تصنيفه الببليوجرافى مبدأ التفريع الذى يعنى تداعى الموضوعات الأصغر من الموضوعات الأكبر بنفس القدر من المنطقية و التسلسل الموجود فى الروابط بين الموضوعات الكبيرة ، و أسماه '' بليس '' التداعى بالخصوصية ، و هو يشبه إلى حد كبير ما جاء به '' سبنسر '' من مبدأ التسلسل الذى كان امتداداً لمبدأ التسلسل الذى نادى به ''كونت''، وتعنى هذه الفكرة أنه على الرغم من وجود عدد من الموضوعات الصغيرة تتساوى فى الدرجة إلا أن بعضها يعتمد فى وجوده على تلك الموضوعات الأخرى .

و إذا بحثنا على خريطة تقسيم المعرفة عند ابن الأكفانى وجدنا لهذه الفكرة تطبيقاً فى أكثر من موضع نسوق منها ترتيبه لفروع علم العدد الذى يذكر أن فروعه ستة ، و هى على الترتيب : الحساب المفتوح ، و حساب التخت و الميل ، و حساب الجبر و المقابلة ، و حساب الخطأين ، و حساب الدور و الوصايا ، و حساب الدرهم و الدينار ، فبالرغم من وجود هذه الموضوعات الستة على صف واحد ، و تساويها فى الدرجة إلا أن ذكر بعضها لاحقاً لعلم سابق عليه يعود إلى اعتماده على نتائج الموضوع السابق عليه ، فهو يقدم العلوم التى تعتمد على الأعداد المعلومة مبتدئاً بالعلم الذى يعتمد على الأعداد المجردة ، و هو علم الحساب المفتوح ، ثم يليه ما يعتمد عليه ، و هو حساب التخت و الميل الذى يبحث فى الأعداد المعلومة متقيداً

برقوم خطية ، ثم تأتى العلوم التى تبحث فى المجهولات لاستخراج المعلومات ، فهى تعتمد على ما يتضمنه علم الحساب المفتوح من تناسب الأعداد ، فالأول إن كان غير محدد بعدد معين من الأعداد المتناسبة ، فهو علم الجبر و المقابلة ، و إن تحدد بأربعة أعداد متناسبة فهو علم حساب الخطأين ، ثم ما لا يعتمد على التناسب ، و هو علم الدور و الوصايا ، ثم علم حساب الدرهم و الدينار .

تقييم محاولة ابن الأكفانى التصنيفية

- ينطلق ابن الأكفانى بتصنيفه من منطلق عربى إسلامى ، حيث بدأ تقسيمه للعلوم بالعلوم العربية متمثلة فى علوم الأدب التى جعلها المنفذ لدراسة ما يليها من العلوم سواء الشرعية أو العقلية ، كما جعل العلم الإلهى بما يتضمنه من العلوم الشرعية المستمدة من الدين الإسلامى هو بداية الحديث فى العلوم الحكمية التى هى المقاصد من العلوم .
- استخدم ابن الأكفانى المنهج النقدى فى تقييم العلوم أو الكتب ، فنراه يقسم الكتب إلى مبسوطة و مختصرة و متوسطة ، كما ينقد المادة العملية ، كما فى حديثه عن علم دراية الحديث ، فيقول : '' الكتب المنسوبة لهذا العلم تقريب التيسير للنواوى ، و علوم الحديث للحاكم ، و الكفاية للخطيب بن بكر بن ثابت ، إنما هى مداخل و ليست كتباً كافية لهذا العلم '' . و فى حديثه عن كتب علم الهيئة يقول : '' و من المبسوطة القانون المسعودى لأبى الريحان البيرونى ، و شرح المجسطى للتبريزى ، و هذه الكتب تتوقف على علم الهندسة ، لأن مقدمات براهينها هندسية''. ويقيم كتاب القانون لابن سينا بقوله : '' فهو الذى أخرج الطب من التلفيق إلى التهذيب والترتيب ، و هو أجمع الكتب و أبلغها لفظاً وأحسنها تصنيفاً'' .

و يعرض ابن الأكفانى لموضوع الفرق الإسلامية و الفرق اليهودية والمسيحية ضمن علوم العلم الإلهى ، و لكنه لا يحدد لها مكاناً محدداً ضمن علوم الشريعة ، فلم يفرعها عن علم النواميس كما فعل مع بقية العلوم الشرعية ، و لا من الأقسام الأصلية للعلم الإلهى، ويرجع السبب فى ذلك إلى عدم اعتراف أهل السنة بوجهة نظرهم ، فالإسلام عندهم هو الإسلام السنى فقط ، و ما عداه هرطقة . كما لم يكن التأليف فيها

مقصوداً و إنما جاء إيراد آرائهم للرد عليها و مناقشتها ، و من هنا كانت الكتابة عن هذه الفرق إلزاماً من قبل الكتاب و ليس عملاً مقصوداً . (٣٧) و لذلك كانت إشارة ابن الأكفانى لها لوجود إنتاج فكرى يتحدث عنها، و من هنا ذكرها و عرف بها ، ولكنه لم يستطع أن يحدد لها مكاناً ضمن العلوم الدينية ، سواء فقهية أو خاصة بعلوم القرآن أو الحديث . و على الرغم من متابعة ابن الأكفانى من سبقه من المصنفين في وضع علم الكيمياء لاحقاً لعلوم السحر ، و ما يتبعه هذا من شبهة اقتراب مفهوم البعض له من اشتماله على جوانب سحرية و بطلانه ، إلا أن معالجة ابن الأكفانى لهذا العلم بعدت به تماماً عن هذا المفهوم ، بل كانت معالجة تنم عن مدى تقدم هذا العلم على زمن ابن الأكفانى و إحاطة ابن الأكفانى بحدود هذا العلم و مفاهيمه ومنافعه، فهو يشير إلى نفع هذا العلم و تأثيره فى أعمال الطب ، و استخدام مركباته فى علاج أمراض خطيرة كالصرع و البرص و الجذام ، و هذا ما نجده فى اعتماد علم الصيدلة الحديث على الكيمياء فى إنتاج أدوية مركبة لعلاج العديد من الأمراض ، و بخاصة الأمراض الخطيرة .

مميزات تصنيف ابن الأكفانى و عيوبه

يعد تصنيف ابن الأكفانى أكمل التصانيف التى وصلتنا من القرن الثامن الهجرى لتمثله لمعظم علوم عصره ، سواء العربية و الشرعية أو العلوم الأجنبية ، و تميز تصنيفه بالحفاظ على الوحدة الموضوعية ، فتجمعت عنده الموضوعات ذات الصلة مثل علوم اللغة و الأدب و علوم الخط ، و هذا ما افتقرت إليه بعض التصانيف الغربية المشهورة ، مثل تصنيف '' بيكون '' الذى فصل علوم اللغة و الخط والبلاغة عن العلوم الأدبية الأخرى ، و اعتبرها أدوات لتوصيل العلوم و المعارف ، و لكن كانت نظرة ابن الأكفانى لها أكثر تقدماً فقد اعتبرها علوماً و فى الوقت نفسه أدوات ، ولذلك وضعها فى مكان صحيح فى بداية تصنيفه باعتبارها مقدمة لدراسة ما بعدها من العلوم ، و ما يوجه لـ '' بيكون '' من نقد ينسحب على تصنيف '' ديوى '' الذى فصل علم اللغات عن الأدب .

وقد إتجه المصنفون فى القرن التاسع عشر إلى التمييز بين العلوم البحتة والتطبيقية ، و ممن قاد هذا الاتجاه '' الكسندر بين *Alexander Bain* '' و ''

جوبلو *Gobolot* '' . (٣٨) و قد قام '' أوجست كونت '' فى ١٨٣٠م بالتمييز بين فئتين من العلوم ، الأولى أسماها '' العلوم العامة أو التجريدية'' التى تهدف إلى استخلاص القوانين المنظمة للظواهر . و الثانية '' العلوم الحية أو الوصفية '' التى تقوم على تطبيق القوانين على الكائنات الفعلية . (٣٩) و قد وضح هذا الاتجاه عند ابن الأكفانى ، سواء فى العلوم الطبيعية أو الرياضية ؛ ففى أصول العلم يرسخ النظريات و المبادىء ، و فى الفروع نجد الاتجاه التطبيقى ، فمثلاً فى العلم الطبيعى يذكر فى الأصول علم الحيوان ، و فى الفروع علم البيطرة و البيزرة ، و فى علم الهندسة من أقسام العلم الرياضى يحدد فى الأصول القوانين و فى الفروع الجانب التطبيقى ، فيقول عند تعداده لفروع علم الهندسة : '' و أما العلوم المتفرعة عليه فهى عشرة : علوم عقود الأبنية ، و ... '' . (٤٠) و ذلك لأنه إما أن يبحث عن إيجاد ما يبرهن عليه فى الأصول الكلية بالفعل ، و هنا إشارة إلى القوانين والنظريات التى احتوتها الأصول التى عرضها لعلم الهندسة و ما يعرضه من الفروع هو الجانب التطبيقى لها . كما يذكر عن علم الزيجات و التقاويم ، وأنه فرع من فروع علم الهيئة. (٤١) كما يتعرف منه مقادير الكواكب السيارة ، منتزعاً من الأصول الكلية ، و هنا يشير إلى اعتماد هذا العلم على النظريات و القوانين التى احتوتها العلوم الأصلية فهو العلم التطبيقى لها . و إذا كنا نجد فى تصنيف ابن الأكفانى تطبيقه لمفاهيم تصنيفية نادى بها مصنفو القرن التاسع عشر إلا أن تصنيفه قد تميز بعدم الفصل بين الجانب النظرى و التطبيقى ، و هذا ما أخذ على بعض التصانيف الغربية الشهيرة ، مثل تصنيف بيكون الذى فرق إثنين : الموضوعات التى تنتمى إلى مجال معرفى واحد فيعالج التاريخ الطبيعى بعيداً عن علم الطبيعة و قوانين الطبيعة . بعكس الأنصارى الذى عالج موضوعات العلم الطبيعى سواء ما يتصل بالقوانين أو العلوم التطبيقية لها متجاورة ، فلم يقفز بعلم الفلاحة (الزراعة) فى مكان بعيد عن علم النبات على خريطته التصنيفية ، و هذا ما يؤخذ على '' ديوى '' الذى فصل علم النبات عن علم الزراعة ، كما فصل غيره من العلوم ذات الصلة القوية عن بعضها . و جاءت معالجة ابن الأكفانى لعلم الهيئة بعيدة عما لحق به من ارتباط بعلم التنجيم ،

و الاستدلال به على المستقبل ، و عالجه معالجة موضوعية مبرزا أهميتـــه بالنسـبة للعلوم الشرعية .

و على الرغم من المميزات الكثيرة لتصنيف ابن الأكفاني إلا أن هنـــاك بعـض المآخذ ، منها :

- عدم إشارته لبعض العلوم المهمة فى عصره ، و منها علم التاريخ الذى كان يعـد من العلوم التى تعتمد عليها العلوم الشرعية ، فكان لها بمثابة الوسيلة ، أو الآلــة ، و إذا كان الأنصارى فى بداية تصنيفه قد فرق بين ما هو آلة لغيره ، و مـــا هــو علم فى نفسه ، فكان من الأحرى به ذكر هذا العلم ضمن العلوم الآليـــة كمقدمــة للعلوم الشرعية نظرا لتقدم هذا العلم على زمن ابن الأكفاني و زيادة عدد الكتـــب المؤلفة فيه .
- أنه ذكر علوما و لم يحدد لها مكانا على خريطته التصنيفية ، مثل : علم الفــرق الإسلامية الذى أسهب فى الحديث عنه ضمن عرضه للعلم الإلـــهى دون تحديـد مكان مناسب على خريطته التصنيفية
- ذكره لعلم الرمل ضمن فروع العلم الطبيعى على الرغم من عدم الإشارة إليه فى فروع العلم الطبيعى .
- ذكره للعلوم الباطلة ، و هى علوم السحر ضمن العلم الطبيعـــى ، و كـــان مـــن الأفضل لرجل يؤمن بالتجربة و أهميتها أن يتنحى بتصنيفه عن مثل هذه العلــوم ، و أغلب الظن أن ابن الأكفاني يرصد و يسجل العلوم الموجودة ذات الإنتـــاج الفكرى العقلى ، فهو لا ينتقى من بين العلوم ما يعرض أو لا يعــرض ، و لكنــه يسجل الواقع الفعلى لعلوم عصره مما يميز تصنيفه بالواقعية .

تصنيف ابن الأكفاني انعكاس للحياة الفكرية فى عصره

اتسم العصر الذى عاش فيه ابن الأكفاني بأنه عصر تأليف الموســـوعات ، و لذلك جاء كتابه : '' إرشاد القاصد إلى أســنى المقــاصد '' نموذجــا للموســوعات الصغيرة ، قسم فيها المعرفة البشرية مع التعريف بكل علـــم ، و معالجتــه معالجــة موجزة مستوفاة لجميع جوانب الموضوع مع إعطاء قائمة ببيليوجرافية بالكتب المؤلفـة فى كل علم .

و قد عكس تصنيف ابن الأكفانى مدى تقدم العلوم فى عصره بما أضافه من علوم عديدة مشتقة فى مختلف أقسام المعرفة ، و بخاصة العلوم العقلية ، مثل : علم عقود الأبنية على فروع علم الهندسة ، و علم تسطيح الكرة ، و علم المواقيت ، وعلم الآلات الظلية على فروعه علم الهيئة ، و أضاف على فروع علم الحساب علم حساب التخت و الميل ، و علم الدور و الوصايا ، و علم حساب الدرهم و الدينار، كما أضاف علم الفلاحة ، و علم الرمل ، و علم البيطرة ، و البيزرة ، و علم السيميا. كما أن ذكر علم الآلات الحربية فى فروع علم الهندسة يعد نتاجاً للحروب المتعددة التى خاضتها الأمة الإسلامية حتى عصر ابن الأكفانى . و يظهر تأثير البيئة الإسلامية على مجموعة العلوم العملية فى تصنيفه ، حيث يشير إلى السيرة النبوية كأفضل مثال يحتذيه الإنسان فى حياته العملية ، سواء كان ذلك على المستوى الشخصى أو الأسرى أو المدنى .

تصنيف ابن الأكفانى بين التأثير و التأثر

استوعب ابن الأكفانى فى تصنيفه كل ما جاءت به التصانيف السابقة عليه ، و لكنه لم يقف عند حد النقل ، و إنما سار على فلسفة خاصة به فى عرض العلوم و ترتيبها ، كما أضاف العديد من العلوم المشتقة إلى الأقسام المعرفية فى تصنيفه لم يشر إليها أحد من قبله ، و هذا ما اتضح من قبل ، و يمكن تحديد التصانيف التى أخذ عنها فيما يلى : يعد الفارابى و ابن سينا من أكثر المصنفين اللذين تأثر بهم ابن الأكفانى ، و نقل عنهما الكثير ، سواء كان ذلك فى طريقه التقسيم أو فى تعريفات العلوم .

تأثره بالفارابى

اختلف الباحثون فى مدى تأثر ابن الأكفانى بالفارابى ، ذكر عثمان أمين فى مقدمة كتاب إحصاء العلوم أن كتاب '' إرشاد القاصد '' قد استفاد فبعضهم يرى أن ابن الأكفانى قد استعرض إحصاء العلوم شيئاً غير قليل بالإضافة إلى اتفاق المقدمة عند كل منهما فى نقاط كثيرة بينما يفند البعض الآخر هذه المقولة، بالإضافة إلى أن ابن الأكفانى قد أحاط بعدد أكبر من عدد العلوم التى تم تناولها فى الإحصاء (٤٣) وإذا كان هذا الرأى صحيحاً إلا أن ابن الأكفانى قد استفاد كثيراً من الفارابى ، ففى

مقدمته تناول تقريباً كل النقاط التى تناولها الفارابى فى مقدمته ، بل إنه أحياناً يتناول نفس الألفاظ و العبارات ، و من الأمثلة على ذلك ، يقول ابن الأكفانى عن الأمور التى يستفيد منها أى قارىء لكتابه '' أن يقايس بين العلوم فيعلم أيها أفضل و أشرف، و أيها أتقن و أوثق و أيها أوهن و أوهى'' (٤٤) وعن هذا الأمر نجد نفس العبارة و نفس الألفاظ عند الفارابى فيقول '' و بهذا الكتاب يقدر الإنسان أن يقايس بين العلوم فيعلم أيُها أفضل و أيها أنفع ، و أيُها أتقن و أوثق و أقوى ، و أيُها أوهن و أوهى وأضعف '' (٤٥)

كما تشابه ابن الأكفانى مع الفارابى فى الابتداء بعلم الأدب الذى أسماه الفارابى علم اللسان ، كما اتفق كل منهما على اعتباره آلة و وسيلة لتحصيل غيره من العلوم ، و قد جاءت فروع هذا العلم متشابهة عند كل منهما ، و إن اختلفت التسميات ، فعلم اللغة عند ابن الأكفانى أطلق عليه الفارابى علم الألفاظ المفردة ، و علم التصريف عند ابن الأكفانى أطلق عليه الفارابى علم قوانين الألفاظ المفردة ، و علم النحو عند الأكفانى هو علم قوانين أطراف الأسماء ، و الكلم عندما تركب ، كما ذكر الاثنان علم قوانين الكتابة ، و علم قوانين القراءة ، و قد عالج الفارابى فى علم الأشعار الأقسام التى عالجها ابن الأكفانى نفسها ، و هى علم البديع و علم العروض وعلم القوافى ، و هكذا نجد الاتفاق بينهما فى فروع علم الأدب و إن اختلف الترتيب ، و تميز ابن الأكفانى باستخدام ألفاظ محددة واضحة تطلق على كل علم مع توسع ابن الأكفانى فى شرح كل علم شرحاً مبسطاً واضحاً و إعطاء تعريف العلم و حدوده ومنفعته و الإشارة إلى أهم الكتب المؤلفة فيه ، و هذه هى إضافة ابن الأكفانى فى إعطاء صورة للإنتاج الفكرى فى عصره ، و لذلك انتمى تصنيفه إلى التصنيف البيبليوجرافى ، بينما اعتبر تصنيف الفارابى تصنيفاً فلسفياً .

و قد تابع ابن الأكفانى الفارابى أيضاً فى ذكر علم المنطق بعد علم الأدب واعتبره آلة للعلوم ، و لكن نظرة ابن الأكفانى لهذا العلم كانت أكثر تقدماً لاعتباره علم المنطق علماً فى نفسه و آلة لغيره من العلوم ، مثل علم الهندسة الذى يعد علماً فى نفسه و آلة لعلم الهيئة . و يذكر ابن الأكفانى تسعة أقسام لعلم المنطق ، بينما يقصره الفارابى على ثمانية فقط لاغياً المدخل .

تأثره بابن سينا

يعد ابن سينا من أكثر المصنفين الذين تأثر بهم ابن الأكفانى فى الجزء الثانى من تصنيفه الخاص بعلوم الحكمة ، و من جوانب تأثره بابن سينا تعريفاته للحكمة النظرية و العملية و الغاية من كل منهما ، فيقول ابن الأكفانى فى تعريف الحكمة النظرية : '' تكون بحصول الاعتقادات اليقينية فى معرفة الموجودات و أحوالها '' (٤٦) و يعرفه ابن سينا بأنه الغاية من العلم النظرى هو حصول الاعتقاد اليقينى بحال الموجودات التى لا يتعلق و جودها بفعل الإنسان و يكون المقصود هو حصول رأى فقط '' (٤٧) و هنا نلاحظ التوافق التام بين التعريفين بل الاتفاق فى الألفاظ و الغاية التى تنحصر فى الوصول إلى المعرفة لذاتها عند كل منهما . كذلك يتفق تعريف كل منهما للحكمة العملية فيقول ابن الأكفانى : '' يكون بتزكية النفوس باقتنائها الفضائل و اجتنابها الرذائل '' . (٤٨) و يذكر ابن سينا بقوله :'' المقصود فيها حصول صحة رأى فى أمر يحصل بكسب الإنسان ليكتسب ما هو الخير منه فلا يكون المقصود حصول رأى فقط بل حصول رأى لأجل عمل ، و غاية العملى هو الخير '' . (٤٩) و يتفق معنى التعريفين فى حصول الخير من وراء الحكمة العملية و لكن يكمن الاختلاف بينهما فى القدرة اللغوية حيث يتفوق الأكفانى على ابن سينا فى المقدرة اللغوية حيث يصل للمعنى بعبارة قوية مختصرة سهلة تنفذ للغرض بسهولة . و يتبع ابن الأكفانى التقسيم التساعى للمنطق كما فعل ابن سينا حيث يبدأ مثله بالمدخل ويشير إلى كتب أرسطو و الفارابى و ابن سينا فى علم المنطق و هذا دليل على معرفته بتصانيفهم و تأثره بهم سواء بالنقل المباشر أو بالفكرة . و يظهر بوضوح تأثر ابن الأكفانى بتقسيم ابن سينا لأقسام الحكمة النظرية من حيث التفريق بين أصول العلم وفروعه ، وقد اتفقت الأصول عند كل منهما إلى حد كبير سواء فى العلم الإلهى أو فى العلم الطبيعى ، مع بعض الاختلافات البسيطة ؛ ففى العلم الإلهى يدمج ابن الأكفانى فروع العلم الإلهى عند ابن سينا فى اصول العلم مثل علم المعاد كما اتفقت أصول العلم الطبيعى اتفاقاً تاماً ، و ترد عند كل منهما إلى أسماء كتب أرسطو .

و قد نقل ابن الأكفانى عن ابن سينا فروع العلم الطبيعى و العلوم الرياضية ، و إن زاد عليها كثيراً : فمثلاً تبلغ فروع العلم الطبيعى عند ابن سينا سبعة بينما تصل

إلى أحد عشر علماً عند ابن الأكفانى ، و يذكر ابن سينا علماً واحداً مفرعاً عن علم الهيئة ، بينما يذكر ابن الأكفانى خمسة علوم فرعية فى علم الهيئة ، كما ينقل ابن الأكفانى تعريفات كثيرة من العلوم عن ابن سينا ، و منها : تعريفه لعلم الطب و علم الكيمياء و علم الهندسة و غيرها من العلوم .

تأثره بالخوارزمى

نقل عن الخوارزمى علم الآلات الروحانية الذى أشار إليه الخوارزمى فى الفصل الثانى من الباب الثامن من المقالة الثانية تحت عنوان '' حركة الملء '' (٥٠) وصفة الأوانى العجيبة و ما يتصل بها من صنعة الآلات المتحركة لذاتها ، ويشير ابن الأكفانى إلى الآلات التى ذكرها الخوارزمى و أعطى وصفاً لها ، و منها السرج والقطارة ، و قدح العدل ، و الجور الذى أسماه الخوارزمى بجام العدل.(٥١)

تأثره بجابر بن حيان

يظهر تأثره بجابر بن حيان فى عرضه لعلم الكيمياء ، فيلخص تقريباً ما عرضه جابر عن هذا العلم فى السباعية أو الحدود ، مستخدماً ألفاظه عن هذا العلم من التدبير و تقسيم التدبير إلى الجوانى والبرانى والعقاقيرالمستخدمة فى التدبير ، وفى نهاية حديثه يشير إلى كتب ابن حيان فى هذا العلم .

ثانياً : تأثير ابن الأكفانى فيمن بعده

تأثر بكتاب '' إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد ''العديد من العلماء والمصنفين الذين أتوا بعد ابن الأكفانى ، و منهم السيوطى فى كتابه '' إتمام الدراية لقراء النقاية '' ، و طاشكبرى زادة فى كتابه '' مفتاح السعادة و مصباح السيادة ''، كما تأثر به التهانوى فى كتابه '' كشاف اصطلاحات الفنون '' ، و سوف يتم التعرض لهم فى الصفحات القادمة من البحث . كما تأثر به الفيروزآبادى ، حيث استعان بجزء كبير فى هذه الموسوعة فأثبته عند حديثه عن عدد من الموضوعات فى بداية كتابه الشهير '' بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز '' ، و فى هذه الموضوعات التى تناولها تشابهت مع ما ورد فى كتاب '' إرشاد القاصد '' فى فضل العلم و أنواعه و مراتبه و شروط التعلم والتعليم، والقول فى حصر العلوم، و لكنه لم يشر إلى ابن الأكفانى و كتابه . (٥٢) و ممن تأثروا به أيضاً القلقشندى فى كتابه

''صبح الأعشى فى صناعة الإنشا '' ، فقد ورد فصل بعنوان المقصد الثانى فى ذكر العلوم المتداولة بين العلماء و المشهور من الكتب المصنفة فيها و مؤلفاتهم ، و بقراءة دقيقة لهذا الفصل يتضح أنه تلخيص دقيق لكتاب إرشاد القاصد لابن الأكفانى ، فقد أخذ منه أسماء العلوم . (٥٣) و تعريفاتها أحياناً و ذكر أمثلة الكتب نفسها التى وردت عند ابن الأكفانى ، و قد أشار القلقشندى نفسه إلى أنه نقل عن إرشاد القاصد ، فقد ذكر فى أكثر من موضوع ، قال فى إرشاد القاصد ، كما كتب حاجى خليفة فى كتابه كشف الظنون عن أسامى الكتب و الفنون متحدثاً عن الكتاب بقوله '' إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد للشيخ شمس الدين محمدج بن إبراهيم بن ساعد الأنصارى الأكفانى السنجارى المتوفى سنة أربع و تسعين وسبعمائة مختصر أوله الحمد لله الذى خلق الإنسان و فضله .. إلخ ، ذكر فيه أنواع العلوم و أصنافها و هو ما أخذه مفتاح السعادة لطاشكبرى زادة . و جملة ما فيه ستون علماً منها عشرة أصلية و سبعة نظرية ، و هى : المنطق و الإلهى و الطبيعى و الرياضى بأقسامه ، و ثلاثة عملية ، و هى السياسة والأخلاق و تدبير المنزل ، و ذكر فى جملة العلوم أربعمائة تصنيف.(٥٤)

كما نقل حاجى خليفة عن ابن الأكفانى عن مقدمته بعض الأفكار بثها فى بعض موضوعات مختلفة منها عند حديثه عن التعليم " ما ورد عنده فى المقدمة فى الباب الرابع فى فوائد منثورة فى أبواب العلم ، فقد صنف العلوم إلى علوم مقصودة للذات ، و علوم هى آلة ووسيلة لهذه العلوم كالعربية و المنطق ، و هذا ما جاء عند ابن الأكفانى فى حصر العلوم.(٥٥) .

المنهج المتبع فى تصنيف ابن الأكفانى

حصر ابن الأكفانى العلوم و المعارف فى نوعين اثنين ، و هما : علوم مقصودة لذاتها و هى المقاصد ، و علوم غير مقصودة لذاتها ، و إنما آلة لغيرها ، وهى الوسائل ، ثم قسم كلاً منهما إلى علوم رئيسية عامة ، و كل علم منها قسم إلى عدة علوم يتفرع منها علوم أصلية و علوم فرعية ، و هو بذلك ينتقل من العلم العام إلى الخاص مستخدماً المنهج الاستنباطى .

يقسم ابن الأكفانى العلم من علم كلى إلى علم جزئى ، و يستمر التدرج فى التقسيم ليصل إلى الصف السادس ، و يوضح الجدول التالى عدد العلوم على كل صف و مستوى التفريع لها .

تصنيف الأنصارى	صف أول	صف ثان	صف ثالث	صف رابع أجزاء أصلية	صف خامس علوم فرعية	صف سادس علوم فرعية	إجمالى
" إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد "	مقصودة لذاتها	حكمة نظرية	علم طبيعى	٨	١١		١٩
			علم إلهى	٦	٨		١٢
		حكمة عملية	علم رياضى	هندسة	١٠	١٠	٢٠
			سياسة	هيئة	٤	٥	٩
		أدب	أخلاق	عدد	٢	٦	٨
	غير مقصودة لذاتها	منطق	تدبير المنزل	موسيقى	٥		٥
			١٠				١٠
			٩				٩
إجمالى	٢=٢	٤	٢٥	١٨	٣٠	٢١	٩٨

جدول رقم (٩) : يوضح توزيع الرتب و الفروع فى تصنيف ابن الأكفانى

قسم الأنصارى المعرفة البشرية إلى نوعين ، هما علوم مقصودة لذاتها ، وعلوم غير مقصودة لذاتها ، و هى تقف على الصف الأول من التصنيف ، ثم يتناول كلاً منهما بالتقسيم ، فالأول قسمه إلى حكمة نظرية و حكمة عملية . و الثانى قسمه إلى المنطق و الأدب ، و هذه العلوم الأربعة تقف على الصف الثانى من التصنيف ، ثم يتناول كل علم عام من هذه العلوم الأربعة بالتقسيم ، فقسم الحكمة النظرية إلى ثلاثة أقسام ، هى العلم الإلهى ، و الرياضى و الطبيعى . و الحكمة العملية إلى ثلاثة أقسام ، هى : السياسة و الأخلاق و تدبير المنزل ، و هذه العلوم الستة تقف على الصف الثالث ، و لا يعطى أى تقسيم من علوم الحكمة العملية على الصف الرابع أو الخامس ، و هذا يعود إلى انتمائها إلى العلوم الاجتماعية التى يكون نمو علومها أبطأ من العلوم البحتة و التطبيقية و البيولوجية ، و هى التى تمثل فروع الحكمة النظرية ، حيث يتابع تقسيم العلم الطبيعى إلى ثمانية أجزاء أصلية تقف على الصف الرابع ثم يفرعها أحد عشر علماً فرعياً تقف على الصف الخامس . كما يفرع من العلم الإلهى ستة أجزاء أصلية تقف على الصف الرابع ، ثم يقسمها إلى ثمانية علوم فرعية تمثل

علوم الشريعة الإسلامية تقف على الصف الخامس ، و لا يتابع التقسيم فى كـل مـن العلم الطبيعى و الإلهى إلى الصف السادس . و يقسم العلم الرياضى إلى أربعة علـوم عامة تقف على الصف الرابع ، ثم يتناول كل منها بالتقسيم إلى عدد مـن الأجـزاء الأصلية ، ثم العلوم الفرعية ، فيقسم علم الهندسة إلى عشرة أجزاء أصلية تقف علـى الصف الخامس ، و عشرة علوم فرعية تقف على الصف السادس . و يقسم علم الهيئة إلى أربعة أجزاء أصلية ، تقف على الصف الخامس ، ثم يفرعها إلى خمسـة علـوم فرعية تقف على الصف السادس . ويقسم علم العدد إلى جزئين أصليين ثم يفرعها إلى ستة علوم فرعية تقف على الصف السادس . ويقسم علم الموسيقى إلى خمسة علـوم أصلية تقف على الصف الخامس ، و لا يعطى منها أى تفريع . و من هنا يبلغ عـدد العلوم المفرعة من العلم الرياضى ست و أربعون علماً ، منها أربعة علـى الصـف الرابع ، و واحد و عشرون على الصف الخامس ، و واحد و عشرون على الصـف السادس ، و هذا يدل على مدى نمو العلم الرياضى و تقدمه على عهد الأنصارى .

و يلاحظ التفاوت فى أعداد العلوم المفرعة فى أقسام العلم الرياضى ، فـترتفع فى علم الهندسة لتصل إلى عشرة أجزاء أصلية ، و عشرة علوم فرعية ، و هذا دليـل على تقدم هذا العلم و الاهتمام به ، كما يليه علم الهيئة حيث يبلغ عدد العلوم الأصليـة أربعة و الفرعية خمسة ، و هذا دليل على اهتمام العرب بهذا العلم لمنفعته فى تحديـد مواقيت الصلاة ، و تحديد بدايات الشهور العربية ، كما أن الرحلات التى قـام بـها العرب ، و المؤلفات العديدة التى وضعت لوصف البلاد ، سواء المعمور منـها مـن أراضى الدولة الإسلامية أو من بلاد العجم . و يبلغ عدد العلوم الأصلية و الفرعيـة من علم العدد ثمانية ، منها علمان أصليان ، و ستة علوم فرعية ، معظمها ينتمى إلـى علم الجبر و المقابلة ، مثل علم الدرهم و الدينار و علم حساب الخطأين ، و منها مـا أوجدته الحضارة العربية الإسلامية ، مثل حساب الدور والوصايا ، ثم علم الموسـيقى الذى تقدم كثيراً على يد المسلمين ، و لهم فيه المؤلفات العديدة، ولذلـك يزيـد عـدد العلوم المفرعة ليصل إلى خمسة علوم . أما النوع الثانى من العلوم فهى العلوم غـير المقصودة لذاتها ، فقد قسمها إلى علمين كبيرين ، هما : علم الأدب والمنطق ، التـى وقفت على الصف الثانى ، ثم فرع فى كل منهما عدداً من العلوم تقف على الصـف

الثالث فبلغت العلوم المفرعة فى علم الأدب عشر موضوعات ، و العلوم المفرعة عن علم المنطق تسع موضوعات ، و لم يزد التفريع أكثر من ذلك ، و بذلك يبلغ عدد العلوم على الصف الأول علمين ، و عدد العلوم على الصف الثانى أربعة علوم ، وعلى الصف الثالث خمساً و عشرين علماً ، وعلى الصف الرابع ثمانية عشر علماً، وعلى الصف الخامس ثلاثين علماً ، و على الصف السادس واحداً وعشرين علماً . وبذلك يبلغ إجمالى عدد العلوم المفرعة من الصف الأول ثمانية وتسعين علماً . و من ذلك نخرج بعدد من الملاحظات ، منها :

- زيادة نمو فروع علوم الحكمة النظرية بعلومها الثلاثة الأساسية لتقف فى علمين على الصف الخامس ، و فى العلم الرياضى على الصف السادس .
- وقوف علوم الحكمة العملية على الصف الثالث بنفس علومها التى أشار إليها كل المصنفين السابقين عليه ، و لم يحدث أى نمو فى علومها .
- يقف المنطق عند الصف الثالث بنفس فروعه التى وجدت عند أرسطو ، التى أشار إليها من سبقه من المصنفين العرب دون وجود أى نمو فى فروع علومه .
- يقف علم الأدب عند الصف الثالث أيضاً ، و لكن يحمد لابن الأكفانى إدراجه علم الأدب ، والإشارة إلى فروعه فى خطته التصنيفية .
- يلاحظ تفاوت التفريعات من علم لآخر ، سواء العلوم الأصلية أو الفرعية ، و ذلك حسب اتساع كل علم و نضجه بما يعطيه من معلومات أو يفرزه من علوم تتفرع عنه .

التماسك و الاتساق فى خطة ابن الأكفانى التصنيفية

يلاحظ على خطة ابن الأكفانى التنظيم التام فى عرض العلوم ، فهو يعرضها فى رتب ، و بعد الانتهاء من كل رتبة ينتقل إلى الرتبة التى تليها ، و هو يسير فى ترتيب العلوم بشكل منتظم و محكم دون إحداث أية قفزات مخلة بهيكل خطته التصنيفية ، و هو يسير فى المعالجة من العلم العام إلى الأقل عمومية ، فعند معالجته الحكمة النظرية مثلاً فإنه ينتقل من الأقسام العامة ، و هى الطبيعى و الإلهى والرياضى ، إلى العلوم الأصلية المفرعة منها إلى العلوم الفرعية دون القفز فى المعالجة من علم لآخر ، لذلك تحقق فى خطته التماسك التام لموضوعاته ، فلا يشعر

القارىء لخطته بأى خلل أو اضطراب في عرض العلوم ، و يرجع ذلك إلى سعة الأنصارى العلمية ، و تمكنه من فروع المعرفة البشرية بكل جزئياتها . و قد اختلفت التفريعات فى كل علم ، سواء فى عدد علومها الأصلية أو الفرعية ، كذلك لم يتساو عدد صفوف التفريع فى كل علم ، و لذلك لم يكن هناك اتساق أو تناسق فى عرض فروع كل علم فى خطته .

و يعد هذا التصنيف لبنة جديدة فى علم التصنيف أضافت الكثير إلى خطط التصانيف العربية ، سواء كان ذلك من حيث شمولها لفروع المعرفة البشرية فى عصرها أو من حيث طريقة التقسيم الجديدة التى اتخذها لنفسه الأنصارى فى تقسيم العلم أو من حيث مقدماته الرائعة التى تقر نظريات جديدة فى علم التربية ، و ما جاء فى نهاية رسالته من شرح للألفاظ الغامضة التى وردت فى تصنيفه ، و لذلك تعد خطته من أبرز الخطط التصنيفية التى بعدت عن التقليد الأرسطى ، و انطلقت من معطيات الحضارة العربية الإسلامية .

و ننتقل إلى تصنيف آخر أضاف به صاحبه إلى علم التصنيف جديداً ، و هو تصنيف ابن خلدون الذى يرجع إلى القرن الثامن الهجرى .

ثالثاً : تصنيف ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ)

جاء تصنيف العلوم عند ابن خلدون (٥٦) فى الفصل الرابع من الباب السادس فى مقدمته ، تحت عنوان '' فى أصناف العلوم الواقعة فى العمران لهذا العهد '' ؛ أى عهده .

أثر الحياة السياسية و الاجتماعية فى تصنيف ابن خلدون

يمثل القرن الثامن الهجرى الذى عاش فيه ابن خلدون ثمرة الحضارة العربية الإسلامية التى تم نضجها و بلغت غايتها فى العصور الإسلامية . و يعد هذا القرن من الناحية السياسية من أسوء القرون التى مر بها الإسلام ، فقد جاء هذا القرن عقب سقوط الخلافة العباسية ببغداد على أيدى المغول ، كما شهد تحفز الأسبان للقضاء على الدولة الإسلامية فى الأندلس التى كان يحكمها بنو الأحمر الذين كانوا يتنافسون على الحكم فيما بينهم . أما فى المغرب العربى فكان التنافس الشديد بين الحكام و الولاة ؛ فبعد انقراض دولة الموحدين منذ القرن السابع للهجرة انقسم المغرب ثلاثة أقسام يحكم

كل قسم منها اسرة حاكمة ، فبنو مرين فى المغرب الأقصى (مراكش) ، و بنو عبد الواد فى المغرب الأوسط (الجزائر) ، و بنو حفص فى المغرب الأدنى (تونس).(٥٧)

و قد تميز مجتمع ابن خلدون بظاهرة التباين الصارخ بين أقصى أنواع البداوة و أقصى أنواع الحضارة ، و قد أدى هذا التباين إلى حدوث فوضى سياسية ، فقد كان الولاة فى المغرب يستعينون بهؤلاء البدو و البربر فى تحقيق أطماعهم ، و كانت حملاتهم حملات هدم و تخريب مما أدى إلى تتابع ظهور الدول و الإمارات . و كانت الحروب الصليبية فى الشرق تدمى جراحه ، و جحافل التتار تهدده . (٥٨) و كان لهذا المجتمع المضطرب المشحون بالأحداث أثره فى الإنتاج الفكرى ، فقد غلبت روح جمع المصنفات الضخمة و تدوينها خوفاً من ضياعها بعد هجمات التتار و غيرهم ، وكان هذا يهدد التراث العربى الإسلامى ، و قد اتضح أثر ذلك عند ابن خلدون فى تصنيفه ، حيث حرص على أن يضمن مقدمته كل ما انتهى إليه و توفر لديه من علوم العصر ، فحاول تجميعه فى مقدمته خوفاً من ضياعه ، و اختفاء ذكره . كما أن الأحداث الكثيرة التى مرت بالدولة الإسلامية ، و دخول ابن خلدون فى معترك الحياة، كان له أثره فى إبداعه لفلسفة علم الاجتماع و فلسفة علم التاريخ .

تصنيف ابن خلدون

ينتمى تصنيف ابن خلدون إلى المدرسة الأولى فى التصنيف ، و هى التى تتبع التقسيم الفلسفى للعلوم ، و قد جاء ترتيبه للعلوم عاكساً مرتبة العلوم ؛ أى نسبته إلى غيره من العلوم عند التحصيل لكى يقدم أو يؤخر ، فهو يرتب العلوم حسب تدرجها فى الدراسة، ومن ثم فهو يحقق ما نادى به '' بليس '' فى القرن العشرين من ضرورة اتفاق التصنيف مع المنهج التربوى التعليمى . (٥٩)

الهدف من تصنيف ابن خلدون

لم يصرح ابن خلدون بهدف معبن من تقسيم العلوم فى الفصل الخاص بأصناف العلوم الواقعة فى العمران ، بل عمد مباشرة إلى توضيح الأساس الذى يقوم عليه تقسيم العلوم ، و اتجه إلى بيان أقسامها و فروعها ، ثم تناول كل علم بالتعريف به والحديث عنه ، و لهذا فالهدف الرئيسى تصنيف العلوم .

خطة تصنيف ابن خلدون

جاء تصنيف ابن خلدون العلوم على النحو التالى : (٦٠)

العلوم النقلية الوضعية :

- العلوم اللسانية
  - علم اللغة
  - علم النحو
  - علم البيان
  - علم الأدب
- الشرعيات
  - العلوم القرآنية
    - القراءات
    - رسم القرآن
    - التفسير
  - علوم الحديث
    - الناسخ و المنسوخ

الأسانيد

علم غريب الحديث

علم تصريف القوانين

علم مصطلح الحديث

علم الفقه

علم أصول الفقه

الخلافيات

الجدل

علم الكلام

علم التوحيد

علم التصوف

علم تعبير الرؤيا

العلوم العقلية أو العلوم الطبيعية

المنطق

المقولات

العبارة

القياس

البرهان

الجدل

السفسطة

الخطابة

الشعر

الطبيعيات

الطب

طب الحضر

طب البادية

الفلاحة

العلم الإلهى

العلوم العددية أو العلم الرياضى أو علوم التعاليم

الأرثماطيقى

معرفة خواص الأعداد

صناعة الحساب

الجبر و المقابلة

المعاملات و تصريف الحساب فى المعاملات ؛ أى علم المعدود

علم الفرائض (حساب المواريث)

الهندسة

الهندسة العامة

هندسة الأشكال الكرية

الأشكال المخروطية

علم الحيل

علم المساحة

المناظر

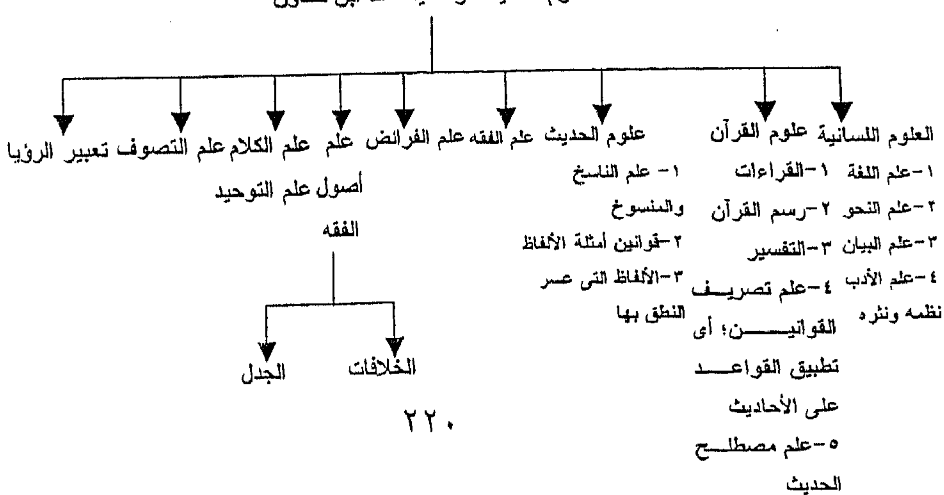
الموسيقى

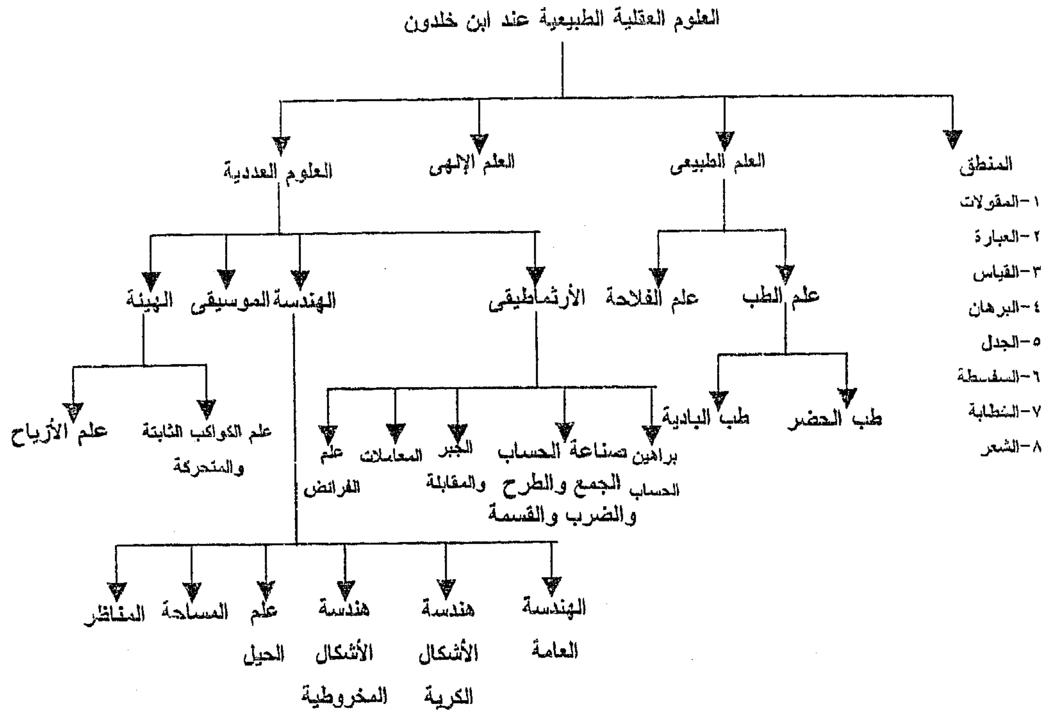
علم الهيئة

الأزياح

الأحكام النجومية .

العلوم النقلية الوضعية عند ابن خلدون





منطق تصنيف العلوم عند ابن خلدون

يقسم ابن خلدون العلوم التى يخوض فيها البشر إلى نوعين :

- الأول : طبيعى يهتدى إليه الإنسان بفكره .
- الثانى : نقلى يؤخذ عمن وضعه .

و من هنا فهو يتبنى القسمة الثنائية للمعرفة ، حيث يقسمها إلى قطاعين كبيرين ، الأول منها يختص بالعلوم العقلية التى يهتدى إليها الإنسان بفكره و مداركه البشرية ، و يتناول موضوعاتها و البحث عن براهينها معتمداً على عقله ليصل إلى تمييز الصواب من الخطأ فيها . والثانى يختص بالعلوم النقلية الوضعية التى لا مجال فيها للعقل إلا فى إلحاق الفروع من مسائلها بالأصول . و من هنا فهو يجعل أساس التقسيم عنده موضوعياً ، فالتمييز بين العلوم على أساس علوم تبحث فى موضوعات الشريعة، و علوم تبحث فى موضوعات الفلسفة و الحكمة بالمعنى العام . و يشير ابن خلدون فى ترتيب العلوم من جهة شرف العلم و مرتبته بين العلوم لمعرفة أى العلوم

يقدم في التحصيل ، و أيها يؤخر ، و لذلك فهو يقدم العلوم النقلية لاشتمالها على الشرعيات المستندة إلى الكتاب و السنة، وهي بذلك تصون الفكر من الوقوع في معاطب الفلسفة . و تشتمل العلوم النقلية عند ابن خلدون على العلوم الشرعية من الكتاب و السنة ، و ما يتبعها من علوم اللسان العربى الذى هو لسان الأمة و به نزل القرآن الكريم . و يقدم العلوم اللسانية على العلوم الشرعية لتوقف الثانية على الأولى، فالعلوم اللسانية وسيلة لفهم العلوم الشرعية . و تتدرج العلوم اللسانية من علم اللغة باعتباره أعم العلوم التى لا تعتمد على غيرها ، بينما تعتمد عليه بقية العلوم الأخرى ، و يثنى بالنحو لأن موضوعه من الأول (اللغة) ، فموضوعه الكلمات العربية من حيث الإعراب و البناء . و يأتى علم البيان فى المرتبة الثالثة بعد النحو لتوقفه على علم اللغة و النحو ، فيقول عنه : '' هذا العلم حادث فى الملة بعد علم العربية واللغة، وهو من العلوم اللسانية لأنه متعلق بالألفاظ و ما تفيده ، و يقصد بها الدلالة عليه من المعانى ''. ومن ثم فهذا العلم متمم لكمال الكلام بعد كمال الإعراب ، فمعنى علم البيان هو المنطق الفصيح المعبر عما فى نفس الإنسان ، و لا يتأتى ذلك إلا بعد سلامة الإعراب (النحو) . و يشتمل هذا العلم على البحث عن ثلاثة أصناف : علم البلاغة و الاستعارة و الكناية و علم البديع . و يأتى علم الأدب فى نهاية العلوم اللسانية لأنه ثمرته ، فهو الإجادة فى فنى المنظوم و المنثور على أساليب العرب، وهذا يعنى استفادته من كل ما تقدم من علوم اللغة و النحو والبيان ، بالإضافة إلى ما ينتفع به من متون العلوم الشرعية (القرآن الكريم و الحديث الشريف)، وانتفاع العلوم الشرعية منه ، فقد كان بعض المفسرين يفسرون آيات القرآن الكريم بالشعر العربى ، كما فعل ابن عباس ــ رضى الله عنه ــ و لذلك يقف الأدب فى مرحلة وسطى بين علوم اللغة التى تسبقه ، و علوم الشريعة التى تلحقه ، و هذا استخدام لمبدأ تبادل الاعتماد فى التصنيف . (٦١)

و فى ترتيب ابن خلدون العلوم الشرعية اتبع منهجاً جيداً عند التقديم لها ، ولكنه غيَّر ترتيب بعض العلوم عند المعالجة المفصلة ، فهو يرى أن العلوم النقلية تؤخذ من الكتاب و السنة بالنص أو الإجماع أو الإلحاق ، و من ثم ترتب العلوم الشرعية على النحو التالى : ما يخص الكتاب ، و هو علوم القرآن الكريم ، و ما

يتناول ألفاظ القرآن ، و هو علم التفسير، و ما يتناول نقله و روايتـــه بالإســـناد إلـــى الرسول ـــ صلى الله عليه و سلم ـــ و قراءاته ، و هو علم القراءات ، ثم ما يخـــص السنة ، و هو علم الحديث ، ثم الإجماع و الإلحاق ، و هو ما يتنـــاول بقيـــة العلـــوم الشرعية التى منها ما ينظر فى الأدلة الشرعية (القرآن ز السنة و الإجماع و القياس) من حيث تؤخذ منها أحكام الله تعالى فى أفعال المكلفين ، و هو علم أصول الفقه ، ثـــم تأتى الثمرة ، و هى التكاليف التى يكلف البشر بأدائها ، و هو ما يخص علم الفقـــه ، ولما كانت تلك التكاليف منها البدنى و منها القلبى ، و هو المختص بالعقائد الإيمانية ، والاعتقاد بصفات الله ، فهذا علم الكلام ، و يأتى بعد علم الكلام علم التصوف ، و قـــد جاء بعد العلوم السابقة لأنه وفق تعبيره من العلوم الحادثة فى الملة ، فهو ليـــس مـــن العلوم التى يحتاج إليها المسلم فى معرفة التكاليف . و هذا ما يذكره فى تقديم العلـــوم الشرعية ، وقد عدل مواضع بعض العلوم ، و ذلك عند العرض ، ففى علوم القـــرآن قدم علم القراءات و علم رسم المصحف على علم التفسير ، و هذا ترتيب أصوب مـــن الأول لأن علم القراءات و علم رسم المصحف بمثابة إقامة النص ، و إقامـــة النـــص تسبق الفهم و التفسير . (٦٢) و هو ما يخص علم التفسير . و قدم علم الفقه على علم أصول الفقه ، و الأصل أن يعكس الترتيب ، فعلم أصول الفقه هو العلم بالقواعد التـــى يتوصل بها إلى الفقه . و عليه ينبنى علم الفقه ، فهو بمثابة التمهيد و التقديم لعلم الفقه، و من ثم لم يوفق فى هذا التعديل . و هو هنا يرتب العلوم من جهة شرفها ومرتبتـــها بين غيرها من العلوم ، فقدم علوم القرآن لتناولها كتاب الله ، ثم علوم الحديث لتناولها الأحاديث النبوية الشريفة ، و أفعال الرسول ـــ صلى الله عليه و سلم ـــ و هو ما يأتى بعد القرآن الكريم من جهة الشرف ، ثم أصول الفقه و الفقه لاعتمادهما على الكتـــاب والسنة باعتبارهما دليلين أصليين فى أصول الفقه ، و هما مصدرا الأحكام فى الفقـــه . ويأتى علم الكلام بعد الحديث عن الفقه باعتباره متمما لعمل الفقه ، فبينما يقـــوم علـــم الفقه بحاجات القوة العملية فى الإنسان ، يقوم علم الكلام بحاجات القوة النظرية فيـــه ، و سعادة الإنسان فى الدارين تكون بكمال قوته النظرية و العملية . و يرى ابن خلدون أن بداية علم الكلام ترجع إلى بداية الانحراف فى العقيدة ، و لذلك نشأ للـــرد علـــى المبتدعة و المنحرفين فى الاعتقادات . (٦٣) ومن هنا أخـــره عـــن جميـــع العلـــوم

الشرعية ، على عكس مصنفين آخرين يقدمونه على بقية العلوم الشرعية لتوقفها عليه، والتوقف هنا توقف اعتقاد ، لأن الاعتقاد بوحدانية الله تعالى و نبوة الرسول — صلى الله عليه و سلم — وغيرها من العقائد الإسلامية يسبق أى شيء آخر في الإسلام. كما يرجع تقديمه لبحثه في أسمى المعلومات عن ذات الله تعالى و صفاته وأفعاله، وهذا ما نجده عند السيوطى و التهانوى .

ثم ينتقل إلى الصنف الثانى من العلوم، وهو العلوم العقلية التى يعددها بسبعة علوم ، فيعرض أولاً طريقة القدماء فى الترتيب ، ثم يعقب عليها بطريقته فى ترتيبها، فيذكر أن أصول العلوم الفلسفية سبعة ، و يأتى ترتيبها على النحو التالى : المنطق ، وهو المقدم منها باعتباره العلم الذى يعصم الذهن من الخطأ ، لاشتماله على القوانين التى يعرف منها الصحيح من الخطأ ، و هو بذلك آلة لما يليه من العلوم. ثم علم العدد الذى يتناول موضوع المقدار باعتباره كماً مجرداً ، ثم علم الهندسة الذى يتناول المقدار باعتباره كماً مشخصاً فى الخطوط و السطوح و الحجوم، حيث يعرف علم الهندسة بأنه '' العلم الذى ينظر فى المقادير إما المتصلة كالخط والسطح و الجسم ، وإما المنفصلة كالأعداد '' . (٦٤) و هنا يلاحظ التريتب المنطقى فى تقديم علم الحساب على الهندسة لاشتراك الهندسة مع الحساب فى معالجة موضوع واحد ، و هو المقدار ، و لكن من وجهتى نظر مختلفة ، ثم علم الهيئة لاعتماده على الهندسة (السابقة له) ؛ حيث يستخدم الهندسة فى البرهنة على حركات الكواكب و أشكال وأوضاع أفلاكها، ويأتى علم الموسيقى (٦٥) آخر العلوم الرياضية باعتباره علم تأليفى بين النسبة الكمية فى العدد و النسبة الكيفية فى علم الهندسة . وبعد العلوم الرياضية يذكر العلم الطبيعى باعتباره العلم الذى ينظر فى المحسوسات من الأجسام ، ثم العلم الإلهى باعتباره العلم الذى ينظر فى الأمور التى وراء الطبيعة ، و يستند فى ترتيب العلم الطبيعى و الإلهى إلى الترتيب الأرسطى الذى يقدم العلم الطبيعى على العلم الإلهى ، و يشير ''كولبه'' إلى أن هذا الترتيب يرجع إلى أن مصنفى كتب أرسطو كانوا قد وضعوا بحوثه و دراساته الفلسفية العامة بعد دراساته فى العلوم الطبيعية ، و لما كانت الأخيرة تعرف باسم الطبيعة فقد أطلقوا على الأخرى اسم ما بعد الطبيعة . (٦٦)

اعتمد ابن خلدون فى عرضه لتصنيفه على ما يعرف بالسند الأدبى ، فقد قام بتجميع العلوم التى عرضها فى تصنيفه من واقع الأنشطة الثقافية و الفكرية الفعلية للبيئة الإسلامية ، و ذلك عن طريق مسح العلوم الموجودة فعلاً ، سواء كانت جزءاً من النظام التعليمى العام أو مسجلة فى الكتب ، و هذا ما نجده بوضوح من خلال استعراضه لتاريخ العلم و تطوره ، و أهم الكتب المصنفة فيه . و قد اعتمد ابن خلدون فى تصنيفه على السند الأدبى الذى وضح بجلاء فى العنوان الذى وضعه لتصنيفه : '' فصل فى أصناف العلوم الواقعة فى العمران لهذا العهد '' . وهو إلى جانب اعتماده على السند الأدبى عرض تصنيفه فى إطار فلسفى بما يتوافق مع النظام التعليمى السائد على وقته ، الذى تمثل فى إبرازه للعلوم الشرعية و ما يساندها من العلوم العربية ، ثم العلوم العقلية ، التى كان يأتى تدريسها لاحقاً للعلوم الشرعية . وإذا كان'' ويليام هالم '' فى القرن العشرين قد نادى بضرورة الاعتماد على السند الأدبى . (٦٧) و جاء '' بليس '' بينادى بوجوب الربط بين السند الأدبى و التصنيف الفلسفى بحيث يأتى التصنيف متوافقاً مع الإجماع العلمى التعليمى بحيث تتداعى جزئيات المعرفة فى تسلسل منطقى متفقاً مع الطريقة التعليمية التى تدرس بها العلوم . (٦٨) فلا شك فى أن ابن خلدون قد حقق ما نادى به '' بليس '' فى القرن العشرين .

و ميَّز ابن خلدون فى تصنيفه بين الجانب النظرى و الجانب التطبيقى للعلم ، و هذا ما ظهر فى موضوعى الطب و الفلاحة ، حيث سمى الجانب النظرى علماً ، وهو ما ينطوى على مباحث عقلية ، و الجانب التطبيقى صنائع ، و هى التطبيق العملى للعلم ، و هذا ما قدمه '' كونت *August Conte* '' فى تصنيفه للمعرفة ، الذى سمى بالتصنيف الوضعى ، حيث ميز بين العلوم البحتة و العلوم التطبيقية ، فالعلوم البحية تقوم علىدراسة القوانين للظواهر ، و العلوم التطبيقية هى تطبيق القوانين التى قالت بها العلوم البحتة على ما يوجد فى الكون من حولنا . (٦٩)

و تميز تصنيف ابن خلدون بالمنطقية ، فقد اشتمل على العديد من العلاقات التصنيفية ، و منها :

- **علاقة الاشتمال و التبعية** ، و تعنى تفريع الموضوع الخاص من الموضوع العام، و هذا ما سارت عليه الأقسام الرئيسية فى تصنيفه ، حيث قسم المعرفة إلى قطاعين كبيرين تدرج من كل منهما عدد من الأقسام الرئيسية التى بدورها فرعت إلى أقسام فرعية اندرجت تحتها ، مثل علوم القرآن الكريم ، التى هى قسم من العلوم النقلية ، و التى بدورها فرعت إلى عديد من العلوم الخاصة ، مثل : علم القراءات و علم رسم المصحف و علم التفسير . كذلك علم التعاليم كقسم من العلوم العقلية ، و الذى قسم إلى عدد من الأقسام الرئيسية : الحساب و الهندسة و الهيئة و الموسيقى ، و كل منها قسم إلى عدد من العلوم الفرعية الخاصة .
- **علاقة تساو** ، أى أن هناك أوجه اختلاف بين العلمين ، و لكن توجد أوجه تشابه بينهما ، مما يجعلهما يقفان على صف واحد مندرجين تحت علم عام يضمهما ، وقد تمثلت تلك العلاقة بين علمى الطب و الفلاحة ، فعلى الرغم من التباين بينهما لاختلاف موضوع كل منهما ، فهو فى علم الطب بدن الإنسان ، و فى الفلاحة النبات ، إلا أنهما يتشابهان من جهة دراستهما الجسم الطبيعى ، و هو موضوع العلم الطبيعى ؛ أى العلم العام الذى يندرجان تحته . كذلك علما الحساب و الهندسة اللذان يشتركان فى دراسة المقدار و يختلفان فى أن المقدار فى علم الحساب كم مجرد ، و فى الهندسة كم مشخص فى السطوح و الخطوط ، و هما بالتالى يندرجان تحت أمر ثالث ، هو العلم الرياضى .
- يعد مبدأ **الترابط أو التجاور** من المبادىء المهمة التى نادى بها '' بليس '' فى القرن العشرين، والتى بنى عليها تصنيفه الببليوجرافى . وقد كان تصنيف ابن خلدون مثل غيره من التصانيف العربية الإسلامية التى سارت على هذين المبدأين، فمبدأ الترابط الذى يعنى جمع المجموعات المتشابهة معاً تمثل فى تجاور علوم اللغة و الأدب و جمعهما فى معالجة واحدة مع التمييز بين كل منهما، و هذا ما افتقرت إليه بعض النظم الغربية ، مثل تصنيف بيكون الذى فرق بين علوم الأدب و اللغة ، كما وقع ديوى فى الأمر نفسه ، فقد فرق بين علوم اللغة والأدب، وعالجهما فى موضعين متباعدين فى تصنيفه . كما تجاورت علوم الأدب مع العلوم الشرعية، وبالرغم من اختلاف الموضوعات إلا أن ارتباطهما واعتماد كل

منهما على الآخر جعلهما متجاورين . كما عالج موضوعات العلم الرياضي متجاورة . و كذلك في العلم الطبيعي لم يفصل معالجة العلوم النظرية عن الجانب التطبيقي لتجاور الجانب النظرى للعم مع الجانب التطبيقي له ، واتضح ذلك في موضوعي طب و الفلاحة .

تقييم محاولة ابن خلدون في تصنيفه

توجد بعض الملاحظات على تصنيف ابن خلدون للمعرفة :

- اقتران العلوم العربية بالعلوم الشرعية تحت تسمية واحدة هي العلوم النقلية ، وهذا يعكس نشأة العلوم العربية لخدمة العلوم الشرعية ، فهو يجعلها وسيلة و آلة لها ، و لذلك تتقدم العلوم العربية العلوم الشرعية في الترتيب .
- جعل خطته التصنيفية خطة عامة تصلح أن تتبعها أية أمة ، و يتضح ذيك من خلال نظرته للعلوم النقلية التي يرى أنه على الرغم من أنها تخص الأمة الإسلامية إلا أن كل أمة لا بد فيها من مثل هذه العلوم الدينية و العلوم اللسانية كل حسب شريعته ، و من ثم فإن لكل أمة خصوصيات تمثل فكر الأمة و ثقافتها يمكنها إبرازه في خطتها التصنيفية مع العلوم الأخرى المشتركة بين الأمم المختلفة، وهذا ما فعله ابن خلدون في إبراز العلوم النقلية التي تخص الأمة الإسلامية، وألحق بها العلوم العقلية التي تشترك فيها كل الأمم ، و إذا ما استعرضنا العديد من خطط التصنيف الحديثة سوف نجدها تبرز خصوصيات أمتها، فتصنيف ديوى يبرز الدين المسيحي الذي يدين به ، كما يبرز اللغة الإنجليزية التي يتحدث بها ، و الأدب الأمريكي الذي ينتمي إليه . كما أن التصنيف الروسي يبدأ بالماركسية اللينينية باعتبارها عقيدة السوفيت حلت عندهم محل الدين . و في فرنسا و بعد الثورة تحول المجتمع إلى مجتمع علماني بعد أن كان مسيحياً ، و من ثم عارض '' كامى *Camus* '' وضع المسيحية على رأس التصنيف ، و هي الطريقة التي كانت متبعة قبل ذلك . (٧٠)
- إقرار نظرية مهمة تربط ربطا أساسيا بين العلم و الحضارة ؛ بين ازدهار العلوم و كثرة العمران ــ في نهاية كلامه عن العلوم النقلية ــ فهو يرى أنه لا تقدم للعلم إلا حينما تزدهر الحضارة و تكثر الصنائع، ويؤكد هذا على حقيقة تاريخية تشير

إلى كساد العلوم فى الغرب مع رواجها فى الشرق على عصره ، و يرجع هذا الكساد إلى تناقص العمران فيه ، و انقطاع سند العلم و التعليم ، أما الازدهار فيرجع إلى كثرة كل ذلك .

- عدم وجود إقفال واضح لتصنيفه مما جعل العديد من الباحثين يقع فى حيرة من ذكر علوم الذكر والشعوذة و الطلسمات و علم أسرار الحروف و علم الكيمياء بعد العلم الإلهى ، فبعضهم يستبعدها من تصنيفه . (٧١) و بعضهم يرى أنها جزء من تصنيفه ، مثل عبد الرحمن مرحبا الذى أخذ عليه إلحاق هذه العلوم بالعلوم العقلية و إفراده لها فصولا طويلة من مقدمته لا تتناسب مع قيمتها العلمية و فائدتها وشرورها للعمران ، و لكنه يرى أن ابن خلدون يسجل كل العلوم الواقعة فى العمران بصرف النظر عن جواز هذه العلوم من عدمه ، أو حلها أو حرمتها ، باعتبار حصره للعلوم هو عمل تصنيفى ، و على المصنف أن يسجل و يرصد كل العلوم فى عصره ، لا أن يكون ناقدا أو مستبعدا لبعضها (٧٢) و يسانده فى هذا الرأى الدكتور عبد الوهاب أبو النور . (٧٣) ولكن الباحثة تساند الرأى القائل باستبعادها ، لعدة اعتبارات منها : أن ابن خلدون عند تعداده للعلوم العقلية لم يشر إليها مطلقا كأحد أقسام العلوم العقلية ، و إنما أوضح فى التقديم أن العلوم العقلية سبعة ، كما حدد ترتيبها و أشار إلى فروعها التى لم يكن فيها أية علوم سحر أو غيرها ، وعندما ذكر تلك العلوم لم يحدد انتمائها إلى أى قطاع معرفى ، وبخاصة اتجاه معظم التصانيف التى ذكرتها إلى اعتبارها من فروع العلم الطبيعى، كما تلاحظ الباحثة أنه لم يذكر كل العلوم العقلية ، و إنما اقتصر على العلوم التى تتخذ الحقيقية الدينية و تتكامل مع علوم الدين الإسلامى — و هذه نقطة سوف يتعرض لها البحث فيما بعد — و من ثم فقد أغفل علوما عقلية مثل علوم الحكمة العملية وعلمى التاريخ و العمران ، و هما علمان ركز ابن خلدون فى مقدمته على وضع الأساس لهما و إقرارهما ، كما أغفل علم الجغرافيا ، حيث تلحقه التصانيف العربية ضمن فروع علم الهيئة — الذى ذكره — كما أغفل ذكر فروع كثيرة للعلم الطبيعى و اقتصر على علمى الطب لما له من شرف حفظ بدن الإنسان ، و علم الفلاحة لتوفير غذائه ، مما ساعد الإنسان على أداء العبادة و تحصيل العلوم

الشرعية ، و لو كان عمله التصنيفي يقوم على حصر كل العلوم ــ كما يذهب إلى ذلك عبد الرحمن مرحبا ــ لكان من الأولى ذكر كل تلك العلوم السابقة ، و من هنا فإن ابن خلدون يقف بتصنيفه عند العلم الإلهي كآخر العلوم العقليه ، و يرجع ذكره لها بعد الانتهاء العلوم العقلية السبعة التي حددها كنوع من التسجيل والرصد التاريخي بما يتناسب مع درجة شيوعها و انتشارها في المغرب ، فهي حقيقة اجتماعية قائمة ، و مظهر من مظاهر الحياة في المجتمعات المتخلفة ، وبخاصة أنه يقدم في مقدمته علما جديدا قائما على دراسة المجتمع و ظواهره، ومن ثم فابن خلدون ينكرها كفرع للعلوم العقلية و يعدها من العلوم الباطلة ، وحدد ذلك في التفكير السني لابن خلدون الذي لا يعترف بتلك العلوم و لا يعتبرها علوما بالمرة.

و من الملاحظات الإجمالية على تصنيف ابن خلدون تعريف العلم و حدوده وتاريخه و السبب وراء وجود العلم ، و هذا ما يوضحه في علم القراءات و التفسير ، كما يؤرخ لمن كان له الباع و اليد الطولى في ترسيخ العلم ، و أشهر الكتاب لهذا العلم و الكتب التي صنفت فيه . و من أمثلة ذلك ما نجده في قوله عن علم التفسير : '' و من أحسن ما اشتمل عليه هذا الفن من التفاسير كتاب كشاف الزمخشري من أهل خوارزم بالعراق . (٧٤)

- تغير موضع بعض العلوم عن موضعها في تصانيف أخرى سابقة عليه ، مثل : علم تعبير الرؤيا الذي ذكره كآخر العلوم الشرعية مستندا إلى رؤيا يوسف ــ عليه السلام ــ و أحاديث الرسول ــ صلى الله عليه و سلم ــ عن الرؤيا الصالحة ، ولكن يرد ذكر هذا العلم ضمن فروع العلم الطبيعي في التصانيف الأخرى ، وتدخل مباحث هذا العلم في موضوع علم النفس .
- التمييز بين الصنائع و العلوم ، فالعلوم تنطوي على مباحث عقلية ، و الصنائع هي التطبيق العملي لهذه العلوم ، و هذا ما ذكر في موضوع الطب و الفلاحة ، ولكن عند المعالجة لم يقدم تمييزا واضحا بين صناعة الطب و علم الطب ، بل إن التعريفات التي يضعها لكل منهما تكاد تكون متطابقة ، و هذا ما يخص الفلاحة كصناعة و كعلم .

يلاحظ نضج تصنيف ابن خلدون للعلوم الشرعية و النقلية ، و تمكنه من الإحاطة بموضوعاتها ، و تقل تلك المقدرة فى عرضه للعلوم العقلية ، و عدم الإحاطة بكل علومها و فروعها ، فنجده يغفل بعض العلوم العقلية المهمة ، كما يغفل العديد من فروع العلوم التى ذكرها مثل : العلم الطبيعى الذى لم يذكر سوى علمين فقط من علومه .

مميزات تصنيف ابن خلدون و عيوبه

- ذكر ابن خلدون علوما لم تشر إليها التصانيف السابقة عليه ، و منها علم التصوف فى نهاية العلوم الشرعية ، و على الرغم من أن الاتجاه إلى التصوف و ممارسته بدأ مع العصر العباسى الأول ، لكن لم يرد ذكره عند غيره من المصنفين ، و قد يرجع ذلك إلى أن التصوف بدأ عبادة ثم تطور علما بعد أن دونت الكتب فيه كما فعل القشيرى و السهروردى و الغزالى ، و من هنا عد من العلوم الشرعية الحادثة فى الملة الإسلامية . و علم رسم المصحف كأحد فروع علوم القرآن الكريم . و علم أصول الفقه ، و علم الخلافيات ، كفرع من علم أصول الفقه ، وعلم التوحيد .
- يشير إلى موضوعات جديدة فى علم الطب لم يشر إليها غيره من المصنفين ، فمنها علم وظائف الأعضاء ، كما يلحق بعلم الطب علوما جديدة تخص كل عضو من أعضاء جسم الإنسان ، فهناك علم طب العيون ، وهذا ما نجده فى العصر الحديث منه تصنيف المكتبة الوطنية الطبية بأمريكا (N.L.M) ، حيث يقسم علم الطب إلى فروع ، كل فرع يشير إلى طب أحد أعضاء جسم الإنسان : فنجد طب العيون ، و الطب الباطنى ، و طب الأنف و الأذن و الحنجرة ، و هكذا ...
- يعد ابن خلدون من أوائل المصنفين الذين ميزوا بين علوم اللغة و علوم الأدب ، ففصل علوم اللغة عن العلوم الأدبية ، فقد حدد العلوم الأدبية فى المنتج من فنى المنظوم و المنثور ، و المقصود الشعر و النثر ، و هو ما تعرف به العلوم الأدبية فى العصر الحديث .

ومن عيوب التصنيف لدى ابن خلدون :

- ساد الاضطراب مواضع عديدة فى تصنيفه ، و من مظاهر هـذا الاضطـراب : ترتيب العلوم النقلية عند التقديم لها ، فاختلف عن ترتيبها عند المعالجة ، و هـذا أوضحه البحث من قبل . كذلك عند التقديم للعلوم العقلية يقدم علم المنطـق علـى سائر العلوم العقلية الأخرى ، و لكن عند المعالجة يقدم العلوم الرياضية بفروعـها الأربعة ، ثم علم المنطق دون إعطاء تفسير لذلك . ومن مظاهر الاضطراب أيضا ذكره لعلم الفرائض مرتين : الأولى كأحد فروع علم الفقه ، ثم عاد فذكره كـأحد فروع علم الحساب ، و كان يمكن الاكتفاء بالإشارة إلى استفادته من علم الحسـاب دون الحاجة إلى التكرار .
- عدم وضوح حدود العلوم فى ذهنه ، فلا يميز تمييزا واضحا بين علم الحسـاب المجرد و صناعة الحساب ، كما أنه يدخل علم الجبر و المقابلة ضمن فروع علـم الأرثماطيقى ، على الرغم من تقدم هذا العلم على زمن ابن خلدون ، مما أوجـب معه أن يكون علما مستقلا عن علم الحساب (الأرثماطيقى). كما لا يفرق تفريقـا واضحا بين الهندسة العامة وهندسة الأشكال الكروية والمخروطية، كما يجعل علـم المناظر جزءا من العلوم الهندسية ، بالرغم من أن علـم المنـاظر (البصريـات) أقرب إلى العلم الطبيعى، وهو يعد فى العصر الحديث مـن موضوعـات علـم الطبيعة (الفيزياء) ، إلا أن دراسة هذا العلم تحتاج إلى علمى العدد و الهندسة.
- يتعرض بالحديث عن علم التوحيد فى منتصف حديثه عن علم الكلام دون إعطـاء عنوان محدد وواضح له ، ثم يستكمل الحديث عن علم الكلام ، و كان من الأفضل إبراز كل منهما فى عنوان مستقل دون إحداث هذا التداخل بينهما .

تصنيف ابن خلدون و علاقته بموقفه الفلسفى

يشير الباحثون إلى أن النظرية الخلدونية الاجتماعية يدور محورها حول فكرة الصراع بين البداوة و الحضارة ، و يرجع ذلك إلى ما يميز به مجتمع ابن خلدون من تباين شديد بين الحضارة والبداوة . (٧٥) و قد انعكس هذا فى تقسيمه لعلم الطب إلـى طب الحضر و طب البادية موضحا ارتباط صناعة الطب الحضرى بوفرة الحضـارة والترف ، و ما له من أثر على صحة الإنسان ، و قيام طب البادية علـى التجربـة المتوارثة عن المشايخ و العجائز .

تعد فلسفة ابن خلدون هى الفلسفة الجوانية (٧٦) التى سيطرت على تفسيراته لعلم التاريخ ، كما سيطرت على ألفاظه و تعبيراته باستخدام لفظ الجوانى . و قد انعكست تلك الفلسفة على تعريف ابن خلدون لعلم التصوف ، فهو يقول : '' التصوف رعاية حسن الأدب مع الله فى الأعمال الباطنة و الظاهرة بالوقوف عند حدوده ، مقدما الاهتمام بأفعال القلوب ، مراقبا خفاياها '' . (٧٧) ومن هنا فهو يقرر أن هناك باطنا و ظاهرا ، و أن الصوفية هم أهل الباطن الذين ينشدون الحقيقة فى باطن الأمور و ليس ظاهرها .

تصنيف ابن خلدون انعكاس للبيئة الثقافية

يعكس تصنيف ابن خلدون النظام التربوى التعليمى فى الإسلام ، حيث كان طالب العلم يبدأ باشرف العلوم ، و هى العلوم الشرعية ، و ما يحتاج إلى تعلمه من علوم اللسان العربى ، ثم يعرج فى الدراسة بعد ذلك إلى العلوم العقلية ، و يلاحظ على عرض العلوم فى تصنيفه تطرقه إلى مباحث تربوية و عمرانية ، و معلومات عن العلم و التعليم ، و أسباب ارتقاء العلوم و انحطاطها ، كما يتطرق إلى مناقشة نظرية عن حركة الترجمة و تقسيم العلوم ، و كلها معلومات تؤرخ للحياة العقلية عند المسلمين و يظهر بوضوح تأثير الفكر الإسلامى على تصنيف ابن خلدون ، حيث انطلق بتصنيفه من العقيدة الإسلامية ، فبدأ تصنيفه بالعلوم الشرعية ، و ما يتعلق بها من علوم اللسان العربى ، كما جاء عرضه للعلوم العقلية مساعدا للعلوم الشرعية ، ومدعما للحقيقة الدينية ، و يظهر هذا جليا فيما ذكره من علوم عقلية تخدم الحقيقة الدينية، و منها علم الأرثماطيقى بما يشمله من علم براهين الحساب ، و الجمع و التفريق بما لهما من فائدة فى التعرف على كيفية توزيع غنائم الحرب أو تصريف الحسابات فى المعاملات المدنية من عمليات البيع و الشراء أو الزكاة . و من فروع علم الأرثماطيقى علم الفرائض الذى سبق و ذكره كفرع لعلم الفقه و ما له من فائدة فى توزيع المواريث . كما جاء ذكره لعلم الهيئة باعتباره علم ينظر فى حركات الكواكب الثابتة و المتحركة ، و البرهنة على أن مركز الأرض مباين لمركز فلك الشمس ، و هذا العلم له فائدة جليلة للمسلمين فى التعرف على أوقات الصلاة و اتجاه

الكعبة و القبلة للمصلين . كما ذكر علم الأزياج من فروع علم الهيئة ، لما له من فائدة كبيرة فى تحديد الأيام و التواريخ و بداية الشهور العربية .

و على نفس الخط الذى اتبعه لنفسه من ذكر العلوم العقلية بخدمة الحقيقة الدينية نجد معالجته لعلم الفلاحة منطلقا بها من المفهوم الإسلامى ، فيذكر أن القدماء درسوا هذا العلم بطريقة عامة جدا بالنظر إلى النبات و عملية غرس النبات و ثمره والصفات النباتية الخاصة به ، و تشابه صفاتها مع الأجرام السماوية و الصفات النباتية الخاصة به ، و تشابه صفاتها مع الأجرام السماوية ، و هو ما يدخل فى باب السحر ، و لكن عندما نظر المسلمون إلى هذا العلم و ما اشتمل كتاب الفلاحة النبطية حذفوا كل ما يتعلق بالسحر و اقتصروا على ما يخص النبات من جو غرسه وعلاجه.(٧٨) وتشير معالجته هذه لعلم الفلاحة إلى أن جميع العلوم يفترض أنها تتكامل مع النظرة الإسلامية لعلم التصنيف لتحقق الهدف العام للعلوم الإسلامية و هو خدمة الحقيقة الدينية.

و قد جاءت معالجته للعلم الإلهى متأثرة بالفكر الإسلامى ، حيث بعد به عن المفهوم الأرسطى ، و أشار إلى قضية مهمة أثيرت فى الفكر الإسلامى ، و هى اختلاط موضوع علم الكلام بالإلهيات . وأوضح السبب وراء ذلك أن المتكلمين دعاهم أهل الإلحاد فى معارضات العقائد السلفية بالبدع النظرية ، فاحتاجوا للرد عليهم إلى جنس معهارضتهم ، مما استدعى استخدام الفلسفة و المنطق فى تدعيم الحقائق الدينية، و هو يشير إلى اختلاط مفهوم العلمين عند المتأخرين ، سواء كان ذلك فى الوضع أو فى التأليف .

تصنيف ابن خلدون بين التأثير و التأثر

تأثر ابن خلدون بطريقة الخوارزمى فى القسمة الثنائية للعلوم حيث ميز بين العلوم النقلية و العلوم العقلية ، و لكنه أعطى لهذه العلوم صفة العمومية فلم يجعل العلوم النقلية وقفا على الأجانب كما سماه الخوارزمى و إنما مشتركة بين الأمم المختلفة . أما العلوم النقلية فبالرغم من اختصاص أمة العرب بها إلا أن الأمم الأخرى عندها ما يماثلها . كما ظهر تأثره بابن سينا من خلال استشهاده الدائم بكتبه

في أكثر من موضع في تصنيفه ، و منها كتاب '' الإشارات '' عند عرضه للعلم الطبيعي ، و كتاب '' الشفاء '' في عرضه لعلم المنطق .

و تأثر حاجي خليفة في كتابه '' كشف الظنون عن أسامي الكتب و الفنون '' بتصنيف ابن خلدون ، حيث نقل عنه تقسيمه للعلوم في (المنظر الأول من الباب الرابع في فوائد منثورة من أبواب العلم) ، فهويقول : '' و اعلم أن العلوم المتداولة في الأمصار على صنفين : صنف طبيعي للإنسان يهتدى إليه بفكره ، و هي علوم الحكمة الفلسفية ، و صنف نقلي يأخذه عمن وضعه ، و هذه هي العلوم النقلية الوضعية ، و كلها مستندة إلى الخبر عن الوضع الشرعي و لا مجال فيها للعقل إلا في إلحاق الفروع في مسائلها بالأصول '' . و يستمر في نقل المقدمة التي كتبها ابن خلدون في بداية الفصل الخاص بتقسيم العلوم . و قد نقل حاجي خليفة عن ابن خلدون مقدمة الفصل الخاص بتقسيم العلوم كلها بنفس الألفاظ التي استخدمها ابن خلدون ، وذلك في التعبير أو ذكر العلوم الإسلامية وتقسيماتها . (٧٩) كما تأثر السيوطي بابن خلدون في وصفه الذي ضمنه كتاب '' إتمام الدراية لقراء النقاية '' ، و هذا ما سوف يوضحه البحث عند عرض تصنيف السيوطي .

تأثر ابن خلدون بالحضارات السابقة

يبعد تقسيم ابن خلدون تماما عن تصنيف العلوم لدى اليونان ، سواء من حيث التقسيم أو ترتيب العلوم أو المنهج الذى اتبعه أو حتى في عرضه لأسماء العلوم وموضوعاتها ، بل إنه يعد ممثلا للبيئة الفكرية العربية الإسلامية مكتشفا خصائصها . ويخدم تصنيفه ، سواء للعلوم النقلية أو العقلية ، مبدأ واحدا هو الحقيقة الدينية الإسلامية . ولذلك يبعد تصنيفه عن الاتجاه التجريدي التقليدي لتصنيف أرسطو ، أو غيره من فلاسفة اليونان أو الحضارات الأخرى . و يتبنى اتجاها تجديديا سواء من حيث التقسيم إلى علوم نقلية وعلوم عقلية ، أما من حيث التجديد في طريقة العرض لكل علم فهو يشير إلى تاريخ العلم ، و يحاول تجريده من أفكار السحر و التنجيم ، وهذا ما كان واضحا عند عرضه لعلم الزراعة ، و لذلك فإن تصنيفه هو امتداد للفكر الإسلامي بكل أبعاده الأصيلة .

المنهج فى تصنيف ابن خلدون

يرى ابن خلدون استخدام القياس بالنسبة للعلوم النقلية ، حيث يربط الجزيئات بالكليات ، و هو بذلك يتجاهل المعطيات التجريبية التى تستند إليها العلوم ، فهو يرى أن العلوم النقلية الوضعية كلها مستندة إلى الخبر عن الواضع الشرعى ، و لا مجال فيها للعقل إلا فى إلحاق الفروع من مسائلها بالأصول ، لأن الجزيئات الحادثة المتعاقبة لا تندرج تحت النقل الكلى بمجرد وضعه ، و لكنه يحتاج إلى الإلحاق بوجه قياسى . و يرى أن أصل العلوم النقلية كلها هى الشرعيات من الكتاب و السنة .(٨٠) أما العلوم العقلية فيمكن أن يقف عليها الإنسان بفكره ، و يهتدى إلى موضوعاتها بمداركه البشرية ومسائلها و أنحاء براهينها و وجوه تعليمها ، حتى يقف بصره وبحثه على الصواب من الخطأ فيها ، من حيث هو إنسان و فكر . فهو هنا يقر استخدام العقل و الفكر بالنسبة للعلوم العقلية ، و يسير ابن خلدون فى تقسيم العلوم فى تصنيفه على منهج استنباطى يسير فيه من أقسام عامة إلى أقسام خاصة ؛ أى يندرج من الكليات إلى الجزئيات .

مستوى المعالجة فى تصنيف ابن خلدون

يقسم ابن خلدون العلوم مباشرة دون الإشارة إلى هدف معين من وراء وضع هذا التقسيم ، فيقسم العلوم إلى صنفين ، الأول : العلوم الطبيعية ، و هى العلوم الحكمية الفلسفية . و الثانى : العلوم الوضعية النقلية ، و هى العلوم الشرعية ، ويلحق بها علوم اللسان العربى . ثم يقسم كل نوع من هذه العلوم إلى كليات تندرج تحتها الجزئيات ، و هو فى تقسيمه لا يعطى علوما أصلية و أخرى فرعية ، و إنما التقسيم يسير من علوم كلية إلى جزئياتها ، و العلوم المفرعة لا يعطى لها تسمية معينة ، فلا يطلق عليها علوما أصلية أو فرعية أو جزئيات أو أقساما . و يوضح الجدول التالى تقسيمات العلوم لدى ابن خلدون على الصفوف :

تصنيف ابن خلدون	الصف الأول	الصف الثانى	الصف الثالث	الصف الرابع	الصف الخامس	الإجمالى
كتاب " العبر	العلوم النقلية	العلوم اللسانية	٤	—		
وديوان المبتدأ	الوضعية	العلوم	علوم القرآن	٣		
و الخبر "		الشرعية	علوم الحديث	٥		
			علم الفقه	٣	٢	
			علم الكلام	—		
			علم التوحيد	—		
			علم التصوف	—		
			علم تعبير الرؤيا	—		
			٨	—		
	العلوم العقلية	المنطق	الطب	٢		
		العلم الطبيعى	الفلاحة			
				—		
		العلم الإلهى	الأرثماطيقى	٥		
		العلم الرياضى	الهندسة	٦		
			الموسيقى	—		
			علم الهيئة	٢		
الإجمالى	٢=٢	٦	٢٥	٢٦	٢	=٥٩

جدول رقم (١٠) يوضح تقسيمات العلوم لذى ابن خلدون على الصفوف

يقسم ابن خلدون المعرفة إلى صنفين هما : علوم نقلية وضعية ، و علوم حكمية فلسفية ، يقفان على الصف الأول للمعرفة ، ثم يتناول كل منهما بالتقسيم ، فيقسم العلوم النقلية إلى نوعين ، هما : العلوم اللسانية و العلوم الشرعية ، و تقف على الصف الثانى . و العلوم الحكمية الفلسفية إلى أربعة علوم ، هى : المنطق والعلم الطبيعى و العلم الإلهى و العلم الرياضى . وبذلك تبلغ جملة العلوم المفرعة على الصف الثانى ستة علوم . ثم يتناول بعض العلوم التى على الصف الثانى بالتفريع فيفرع العلوم الشرعية إلى سبعة علوم تقف على الصف الثالث ، و بعضها يفرع منها علوما تقف على الصف الرابع ، و منها علم القرآن الذى يفرع عنه ثلاثة علوم . ويفرع من علوم الحديث خمسة علوم ، و من علم الفقه ثلاثة علوم ، و بذلك يبلغ إجمالى العلوم المفرعة على الصف الرابع أحد عشر علما . و يبلغ عدد العلوم المفرعة على الصف الخامس علمين مفرعين من علم أصول الفقه ، و بذلك يبلغ

إجمالى العلوم المفرعة من العلوم النقلية ستة و عشرين علما ، يصل التفريع من العلوم الحكمية الفلسفية إلى الصف الرابع ، و ذلك فى علوم الرياضيات ، و إلى الصف الثالث فى فروع علم المنطق ، و العلوم المفرعة من العلم الطبيعى تقف على الصف الثالث ، و يبلغ إجمالى العلوم المفرعة من العلوم العقلية ثلاثة و ثلاثين علما .

التماسك و التناسق فى تصنيف ابن خلدون

بعدت خطة تصنيف ابن خلدون عن صفة التماسك بين موضوعاتها ، فمن حيث الشكل ساد الاضطراب فى ترتيب العلوم ، سواء عند التقديم أو عند المعالجة ، فى أكثر من موضع ، و هذا ما أوضحه البحث ، و على الرغم من عدم وجود التماسك بين الموضوعات من حيث الشكل إلا أننا نلاحظ وجود التناسق و التكامل فى العلاقات المتداخلة بين العلوم النقلية و العقلية ، و النابع من الوحدة الموضوعية لخدمة هدف التصنيف ، و هو الحقيقة الدينية ، فنلاحظ ــ كما بينا سابقا ــ أنه ركز على عرض العلوم العقلية التى تخدم الدين .

رابعا : تصنيف السيوطى (ت ٩١١هـ)

وضع الشيخ جلال الدين السيوطى (٨١) أربعة عشر علما ضمنها كتابه النقاية، ثم شرحه بتفصيل أكثر ، و سمى الشرح : '' إتمام الدراية لقراء النقاية '' الذى ضم تقسيم السيوطى للعلوم .

تصنيف السيوطى من واقع كتابه

ينتمى تصنيف السيوطى إلى المدرسة الأولى فى التصنيف التى تعتمد على الطريقة النظرية فى بناء التصنيف على حسب تصوره للعلوم و نظرته إلى أهميتها وشرفها .

الهدف من كتاب السيوطى

ضمن السيوطى كتابه مجموعة العلوم التى يحتاجها الطلاب و يتوقف عليها كل علم دينى ، وقد اقتضى ذلك بيان ترتيب العلوم عند تحصيلها ، كما أحاط كتابه بكل المعلومات التى وردت فى الكتب المشهورة عن هذه العلوم حتى لا يحتاج الطالب إلى كتب أخرى . (٨٢) و من ثم فقد جاء كتابه ليحقق عدة مقاصد ، هى : وضع

تصوره فى تقسيم العلوم و ترتيبها ، لذا فهو كتاب تصنيفى . و مساعدة طلاب العلم على الإحاطة بكل دقائق العلوم الأربعة عشر ، لذا فهو كتاب تعليمى . و لما كان الكتاب شرحا للعلوم الأربعة عشر ، الواردة فى النقاية بشكل تفصيلى ، فهو كتاب موسوعى . و قد جاءت خطته التصنيفية على النحو التالى :

أصول الدين

القسم الأول

معرفة الله

صفات الله

الرسالة

النبوة

أمور المعاد

القسم الثانى

تفضيل الأنبياء على الملائكة

أفضل البشر من الرجال

أفضل البشر من النساء

التفسير : القرآن الكريم

المقدمة

نزول القرآن الكريم

المكى

المدنى

الحضرى

السفرى

النهارى

الليلى

الصيفى

الشتائى

المعانى

المعانى المتعلقة بالأحكام

العام الباقى على عمومه

العام المخصوص

العام الذى أريد به الخصوص

ما خص من الكتاب و السنة هو جائز

ما خص من الكتاب و السنة

المجمل ما لم تتضح دلالته

المؤول ما ترك ظاهره لدليل

المفهوم

موافق

مخالف

المطلق

المقيد

الناسخ

المنسوخ

المعانى المتعلقة بالألفاظ

الفصل (ترك العطف)

الوصل (استخدام العطف)

الإيجاز

الإطناب

المساواة

القصر

الأسماء

علم الحديث

السند

المتن

الخبر

متواتر

آحاد

مشهور

عزيز

غريب

صحيح

حسن

مرجح

شاذ

محكم

منكر

ناسخ

منسوخ

متابع

المعلق

المرسل

المعضل

المنقطع

المدلس

الموضوع

المتروك

المنكر

المعلل

المدرج

المضطرب

المصحف

المختلط

المرفوع

الموقوف

المقطوع

الموافق

المساواة

المصافحة

النزول

رواية القران

المديح

الأكابر عن الأصاغر

سابق و لاحق

متفق و مفترق

مؤتلف و مختلف

متشابه

الأداء

طبقات الرواة

بلدان الرواة

أحوال الرواة

مراتب الرواة

الأسماء و الكنى و الألقاب للرواة

أدب الشيخ و الطالب

سنن التحمل و الأداء

كتاب الحديث

سماع الحديث

تصنيف علم الحديث

علم أصول الفقه

الكتاب

السنة

الإجماع

القياس

مباحث الكتاب

الاستصحاب

الاستدلال

حال المستدل

علم الفقه

علم الفرائض

قدر المواريث

كيفية قستمها

موانع الإرث

الوارثون

الوارثات

الفروض ؛ أى الأنصاب المقدرة فى كتاب الله

علم النحو

الاسم

الفعل

الحرف

المرفوعات

المنصوبات

المجرورات

الجزم
علم التصريف
الأوزان
المصدر
الصفات
الزيادة
الحذف
الإبدال
الإدغام
علم الخط
رسم اللفظ
الابتداء و الوقف
الحروف الزائدة
الحروف الناقصة
الحروف الموصولة
الحروف المفصولة
البدل (حروف البدل)
علم المعانى
الاسناد الخبرى
المسند إليه
المسند
متعلقات الفعل
القصر
الإنشاء
الوصل و الفصل
الإيجاز و الإطناب

- علم البيان
  - دلالة اللفظ على تمام ما وضع له
  - دلالة اللفظ على جزئه
  - دلالة اللفظ على لازمه الخارج عنه
- علم البديع
  - المطابقة
  - المقابلة
  - متشابه الأطراف
  - المزاوجة بين معنيين
  - التقديم و التأخير
  - التورية
  - الجمع و التفريق
  - التجريد
  - حسن التعليل
  - تأكيد المدح بما يشبه الذم
  - تأكيد الذم بما يشبه المدح
  - الجناس
  - التضمين
  - الاقتباس من القرآن و الحديث
  - التلميح (الإشارة إلى قصة أو شعر)
  - تبعية اللفظ للمعنى
  - التأنق فى الابتداء
  - التأنق فى الانتهاء
- التشريح
  - الجمجمة
  - اليد

العنق

الرجل

الغضروف

العصب

الوتر

العضل

العروق

الغشاء

الجلد

الشعر

الظفر

قرع الدماغ

العين

الأذن

اللسان

القلب

حجاب الصدر

المعدة

الأمعاء

الكبد

المرارة

الطحال

الكليتان

المثانة

الأنثيان

الرحم

الطب

العناصر الأربعة المكونة للجسم : النار و الهواء و الماء و التراب

الغذاء

الأعضاء

تشخيص المرض

الأمور الضرورية لحياة الإنسان

الاعتدال فى النوم و اليقظة و الحركة

ارتباط فصول السنة بصحة الإنسان

الطفل

قانون معالجة الأهم من المرضى عند اجتماع أكثر من مرض

قانون معالجة المطيع من المرضى لظهور ثمرة العلاج لديه

قانون فى الطب لكل داء له دواء إلا السأم و الموت و الهرم .

صفات الطبيب المعالج

صفات معلم الطب

صفات طالب علم الطب

علم التصوف

مراقبة الله

مراقبة أحوال الناس

استحضار ثلاثة أصول فى نفس الإنسان

لا نفع و لا ضرر

الإنسان عبد مرقوق لله

الدنيا زائلة فانية

الإيمان بالله و صفاته

الإيمان بالملائكة و الكتب و الرسل

محبة النبى و اتباع سنته

ترك الربا و النفاق

أداء الفرائض و النوافل

يتناول السيوطى فى تصنيفه أربعة عشرعلما تدور حـــول العلــوم الشـــرعية والعلوم العربية، وقد اتخذ منهجا فى ترتيبها يقوم على أساس شرف العلم . و هو فـــى تقسيمها يفرق بين المقاصد من العلوم ، و هى العلوم الشرعية أو الدينية ، والوسائل أو الآلات بالنسبة للعلوم الشرعية ، و التى تمثلت فى مجموعة العلوم العربية . و يقدم المقاصد على الوسائل لأن الأولى أشرف من الثانية ، ثم يسير فى ترتيب العلوم فيقـدم الأشرف فالأشرف . و يبدأ بعلم أصول الدين لأنه أشرف العلوم على الإطلاق ، لأنــه علم يبحث فيه عن الأمور التى يتوقف عليها صحة الإيمان ، و يكمن شرف هذا العلـم فى موضوعه و غايته ، فموضوعه أعم الأمور و أعلاها ، حيــث يتنــاول أشــرف المعلومات التى هى مباحث ذات الله و صفاته و أفعاله ، و غايته هى أشرف الغايات، فهى اليقين التام بالله تعالى ، و من هنا فكل العلوم الشرعية الأخـــــرى مـــن تفســير وحديث و فقه متوقفة عليه . (٨٣) و ثنى بعلم التفسير لأنه أشرف العلـــوم الشـــرعية الثلاثة لبحثه عن أحوال القرآن الكريم من جهة نزوله و آدابه و ألفاظه ومعانيه ، وكل ما يتعلق به ، فشرف هذا العلم يعود إلى شرف موضوعه (القرآن الكريم) ، و يلـــى علم التفسير فى الشرف علم الحديث لأن موضوعه هو ذات النبى ــ صلى الله عليـــه وسلم ــ من حيث إنه نبى . (٨٤) فهو علم يشتمل على كل ما نقل عن الرســـــول ــ صلى الله عليه و سلم ــ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة ، كما يعرف منه أحـــوال السند و المتن من صحة و ضعف . ثم علم أصول الفقه الذى يقدمه على الفقه لابتنـــاء الفقه عليه ، فهو العلم بالقواعد التى يتوصل بها إلى الفقه ، حيث يبحث فى هذا العلـــم عن أحوال الأدلة الأربعة ، و هى : الكتاب و السنة و الإجماع و القياس ، من حيـــث إيصالها إلى الأحكام الشرعية العملية ، و هى ما يشتمل عليه الفقه ، و من ثـــم فعلـــم أصول الفقه اشرف من علم الفقه لأن أصول الفقه بمثابة الأصل لعلم الفقه الذى يعـــد فرعا له ، و كما يقول السيوطى : '' الأصل أشرف من الفرع '' . (٨٥) و يليه علم الفرائض الذى يعد فرعا من فروع علم الفقه ، و من ثم فهو يذكره بعد علم أصـــــول الفقه .

و يبدأ في مجموعة العلوم العربية التي هي بمثابة الآلات للعلوم الشرعية، ويبدؤها بعلم النحو، و يثني بعلم التصريف، و يعقب السيوطي بقوله: '' و إن كان اللائق بالوضع العكسي ''.(٨٦) أي يقدم علم الصرف على النحو، و هذا ما اتبعته معظم التصانيف الأخرى السابقة عليه: الفارابي و الأنصاري. و موضوع العلمين واحد، و هو الكلمات العربية، و لكن النحو يتناولها من حيث ما يعرض لها من الإعراب و البناء، و أما الصرف فيتناولها من حيث صورها و هيئاتها العارضة لها. ويذكر الشيخ الجركسي أن الصرف هو أم العلوم، أما النحو فهو أبوها. و قد شبه علم الصرف بالأم التي تلد الأولاد، لأن هذا العلم يلد الكلمات التي هي قوالب العلوم من حيث تصرفه في أبنية اللغة العربية. (٨٧) و من هنا كان فضله على غيره من العلوم، و من ثم قدمته التصانيف العربية على علم النحو. أما السيوطي فيقدم النحو على الصرف لأن الحاجة إلى علم النحو اقوى و أهم، لأن به يتوصل إلى باقي العلوم العربية، و يصون اللسان عن الخطأ، و يستعان به على فهم القرآن الكريم و الأحاديث النبوية. و يلي علم النحو و الصرف علم الخط لأن كلا من علمي النحو و الصرف يبحث في اللفظ من جهة النطق به، و علم الخط يبحث في اللفظ من جهة رسمه، و لما كان النطق يسبق الرسم كان تقديم علمي النحو والصرف على علم الخط.

و بعد أن انتهى من علوم اللغة تناول علوم البلاغة التي يبدؤها بعلم المعاني، و يقدمه على علم البيان لتوقف الثاني على الأول، فالعلمان يبحثان في موضوع واحد، و هو الكلام العربي، و لكن علم المعاني يبحث في أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال، أما علم البيان فهو إلى جانب رعاية المطابقة لمقتضى الحال يبحث في شيء آخر، و هو إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة. و المقصود بالطرق المختلفة طرق أداء اللفظ الثلاث من الحقيقي أو المجاز أو الكناية. ويلي علم البيان علم البديع، و يذكر السيوطي أنه أخر علم البديع عن علمي المعاني و البيان لأنه تابع بالنسبة إليهما. (٨٨) فعلم البديع علم يعرف به وجود تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة لمقتضى الحال ــ و هو ما يشمله علم المعاني ــ و وضوح الدلالة ــ و هو ما يشمله علم البيان ــ فعلم البديع ليس جزءا

من علم البلاغة ، بل هو تابع له . (٨٩) بينما يعد علمى المعانى و البيان من أقسام علم البلاغة ، و من ثم أخر علم البديع عنهما . و يرى السيوطى أن هذه العلوم إلى جانب كونها آلات للعلوم الدينية فهى أيضا لمعالجة اللسان الذى هو عضو من الإنسان، ومن ثم أعقبه بما يصلح البدن كله ليقوى على تحصيل العلوم الدينية من علمى التشريح و الطب ، و قدم التشريح على الطب لأن الأول يبحث فى ذات البدن الإنسانى ، بينما الثانى يبحث فى الأمور العارضة على بدن الإنسان من الأمراض .

و ينهى العلوم التى يعرضها بعلم التصوف . (٩٠) و يذكره بعد علم الطب لأن الطب يعالج الأمراض الظاهرة الدنيوية ، بينما يعالج علم التصوف الأمراض الباطنة الأخروية . و قد تناول السيوطى كل علم من الأربعة عشر علما معرفا كلا منهما مع إعطاء الأجزاء المكونة لكل علم بتفصيل شديد .

القواعد و المفاهيم التى عكسها تصنيف السيوطى

حرص السيوطى فى عرض علومه على مبدأ الترابط بين الموضوعات ، أو علاقة التجاور ، فعالج العلوم الدينية إلى جانب بعضها ، ثم علوم اللغة من النحو والصرف و الخط ، ثم علوم البلاغة . كما ظهرت علاقة التبعية و الاشتمال ، فنجده يقسم كل علم إلى أجزاء صغيرة تندرج تحت العلم العام الذى يضمها ، فهو بذلك يندرج من الكلى إلى الجزئى ، أو من العلم العام إلى الخاص .

استخدم السيوطى قاعدة من قواعد التصانيف الحديثة و هى الإحالة ، و ذلك عندما ذكر أن المتواتر (أحد أنواع علم الحديث) سيأتى ذكره فى علم أصول الفقه ، فهنا يشير إلى مكان آخر لمعالجة الموضوع على خريطته التصنيفية ، و هذا يدل على وعيه التام بالعلوم و تعريفاته ، و الارتباطات بين المواضيع . وعلى الرغم من أن تقسيم العلوم عند السيوطى مستند على تصوره فى تقسيم العلوم وترتيبها الذى قام على أساس شرف العلم ، إلا أن عرضه للعلوم و تقسيماتها الجزئية نابع من السند الأدبى ، فقد قام السيوطى بمسح للكتابات التى تمت فى الموضوع و طريقة المؤلفين فى التقسيم و التجزيىء ، فنجده يشير دائما إلى أهم الكتب التى صنفت فى العلم و تجزيىء العلم فيها ، و أنه قام بالإضافة و التوسع ، و هذا ما نجده فى إشارته إلى كتاب '' مواقع

العلوم من مواقع النجوم '' لجلال الدين البلقيني ، في علم التفسير ، و أنه أخذ منه وزاد عليه . (٩١)

ملاحظات على تقسيم السيوطي للعلوم.

- اتسم عرض السيوطي للعلوم في تصنيفه بالموسوعية ، فهو يعرض كل علم بشرح مستفيض ، مبتدئا بتعريف العلم ، و حدوده ، ثم يقسمه إلى موضوعات جزئية صغيرة .
- يأتي تقسيم السيوطي للعلوم إقرارا للمنهج التربوي التعليمي السائد عند المسلمين ، فهو يقول : '' إذا اجتمع عند الشيخ دروس قدم الأشرف فالأشرف ، ثم رتبها '' . (٩٢) فترتيبه للعلوم متفق مع ترتيب تحصيل طلاب العلم لها .
- يؤرخ السيوطي للمنهج التربوي التعليمي عند المسلمين في ثنايا عرضه للعلوم ، موضحا القواعد المهمة في التعليم ، و يتضح هذا بجلاء في عرضه لعلم الطب ، حيث يحدد صفات معلم الطب وطالبه .

المميزات و العيوب في تقسيم السيوطي للعلوم

- مما يتميز به تصنيف السيوطي أنه يذكر علوما لم تشر إليها التصانيف السابقة عليه ، مما يدل على مدى تقدم العلوم على عصره : الأقسام التي يذكرها كفروع لعلم الطب ، مثل : علم طب الأطفال ، و علم النساء و النبض و تشخيص المرض الذي يعد من أهم عناصر العلاج .
- و مما يؤخذ على تصنيف السيوطي أنه يذكر بعض العلوم التي تفرع من علوم أخرى أعم منها على الصف نفسه الذي يذكر عليه العلم الأصلي ، مثل : علم الفرائض الذي يعد من فروع علم الفقه على الصف نفسه الذي يقف عليه علم الفقه. وكذلك علم التشريح الذي يعد من فروع علم الطب إلا أنه يجعله على صف واحد مع علم الطب ، بل يقدمه عليه ، على الرغم من حرصه على مبدأ تجاور العلوم إلا أنه فصل علم التصوف الذي يعد من العلوم الشرعية أو الدينية عن مجموعة العلوم الدينية، و أخر معالجته في آخر التصنيف ، و مرد ذلك أن ترتيبه للعلوم جاء على أساس تصوره لها و لأهميتها و شرفها . كما أنه لم يذكر سوى علمين فقط من العلوم العقلية ، و هما علما التشريح و الطب ، و أغفل بقية العلوم العقلية الأخرى ، بالرغم

من أن منها علوما متعددة تخدم العلوم الشرعية الدينية ، مثل : علم الحساب لحساب المواريث ، و علم الهيئة بفروعه للتعرف على أوقات العبادة و تحديد بداية السنة الهجرية و الشهور العربية ، و يرجع إغفاله لبقية العلوم العقلية و اقتصاره على العلوم الشرعية و العربية و علمى الطب و التشريح من العلوم العقلية لاتقانه لها ومعرفته بها ، أما بقية العلوم الأخرى فلا علم له بها ، و هذا ما يعترف به ، حيث يذكر أنه تبحر فى سبعة علوم ، هى : التفسير و الحديث و الفقه و النحو و المعانى والبيان و البديع ، ودون هذه السبعة فى المعرفة علم أصول الفقه و علم الجدل والتصريف ، ودونها

الإنشاء و الترسل والفرائض ، و دونها علم الطب ، أما علم الحساب فهو أعسر شيء عليه و أبعده عن ذهنه .(٩٣)

تصنيف السيوطى انعكاس للبيئة الثقافية الفكرية

- جاء تصنيف السيوطى ممثلا تمثيلا صادقا للحياة الفكرية الإسلامية ، و ملخصا لكل ما توصل إليه الفكر العربى الإسلامى من العلوم التى تعد من معطيات الدين الإسلامى ، و هو يسير فى عرضه للعلوم لخدمة الحقيقة الدينية الإسلامية ، لذلك اقتصر على مجموعة العلوم العربية و الدينية ، و جاء عرضه لعلم الطب باعتباره العلم الذى يحفظ صحة بدن الإنسان ليقوى على تحصيل العلوم الشرعية وممارسة العبادات المفروضة عليه .
- اتسمت معالجة السيوطى للعلوم فى تصنيفه بالمعالجة الموسوعية انعكاسا للاتجاه الفكرى فى عصره الذى تميز بوضع الأعمال الموسوعية التى تعمل على تجميع المعلومات من الكتب المختلفة و حصرها فى عمل واحد ، و هذا ما هدف إليه السيوطى ؛ أن يضع علما يجمع فيه ما ورد فى الكتب المشهورة بحيث لا يحتاج المطلع عليه إلى كتاب غيره فى هذه العلوم . و يرى بعض الباحثين أن فى عمل السيوطى الموسوعى فكرا تجديديا للتصنيف العربى الإسلامى ، عمل على أن يستوعب فيه مختلف العلوم المعاصرة لزمانه .

المنهج المتبع فى تصنيف السيوطى

اعتمد السيوطى فى تقسيم العلوم و تجزيئها على المنهج الاستنباطى ، و هو يسير فى تقسيم العلم متدرجا من الكليات إلى الجزئيات ؛ أى من العلم العام إلى العلم الخاص .

تصنيف السيوطى بين التأثير و التأثر

وضع السيوطى تقسيمه للعلوم بشكل مختلف تماما عمن سبقه من المصنفين ، فقد ركز فقط على العلوم الشرعية و العربية ، و لذلك جاء تصنيفه ممثلا تمثيلا صادقا للحياة الفكرية الإسلامية العربية ، وملخصا لكل ما توصل إليه الفكر العربى الإسلامى من العلوم التى كانت من معطيات الدين الإسلامى ، و قد تأثر فى بعض علومه بمن سبقه ، مثل ابن خلدون فى العلوم الشرعية من حيث الانتهاء بعلم التصوف كآخر العلوم الشرعية ، كذلك جعل علم الفرائض علما يقف على نفس صف علم الفقه ، حيث إنه مفرع منه . و قد جاء ترتيب العلوم متوافقا تماما مع ابن خلدون فيما عدا علم الكلام (أصول الدين) الذى بدأ السيوطى به تصنيفه ، بينما ذكره ابن خلدون فى وسط العلوم الدينية . كما صرح السيوطى بتأثره بتقسيم البلقينى لعلم التفسير فى كتابه '' مواقع العلوم من مواقع النجوم '' ، و أنه نقل عنه العلوم نفسها مع الزيادة عليها .

و تأثر طاشكبرى زادة بتقسيم السيوطى للعلوم الشرعية و التفريعات الخاصة بكل علم ، و هذا ما أكده حاجى خليفة من أن طاشكبرى زادة قد نقل عن السيوطى فروع علم التفسير . (٩٥)

هل تأثر السيوطى بتصنيف أرسطو للعلوم ؟

انطلق السيوطى بتصنيفه من منطلق عربى إسلامى ، سواء كان ذلك فى المنهج أو فى عرض العلوم التى ذكرها فى تصنيفه منكرا لعلوم الفلسفة و المنطق ، متجاهلا العلوم العقلية فيما عدا علمى التشريح و الطب ، ولذلك جاء تصنيفه بعيدا تماما عن الفكر الأرسطى ، أو أى فكر حضارى سابق ، و إنما تبنى اتجاها تحديثيا حيث صمم تصنيفه فى إطار واحد لخدمة الحقيقة الدينية ، و من ثم اختلف مع تصنيف أرسطو كليا ، سواء فى الهدف أو فى طبيعة العلوم المعروضة فى تصنيفه أو فى طريقة التقسيم .

• يبدأ السيوطى تصنيفه بتوضيح الهدف منه ، ثم يتناول علومه بالتقسيم مع بيان السبب وراءه، وهذا ما لم نجده عند غيره من المصنفين السابقين .

• يقسم العلوم إلى أربعة عشر علما متناولا كل علم بالتقسيم إلى موضوعات صغيرة تندرج تحته ، و هو فى تقسيمه لكل علم لا يعطى أقساما أصلية و أخرى فرعية عن الأقسام الأصلية ، أو يقسمها إلى أقسام عامة ثم علوم أخص تتفرع منها، وإنما التقسيم يكون مباشرا من العلم العام الأساسى إلى الجزئيات التى تندرج تحته فقط ، ولذلك نجد أن التصنيف عنده يقف عند الصف الثانى ، و فى النادر من يزيد إلى الصف الثالث أو الرابع ، و لكن نلاحظ الزيادة الهائلة فى تفريعات بعض العلوم .

ويوضح الجدول التالى أعداد التفريعات فى كل علم والصف الذى تقف عليه العلوم فى تصنيفه :

تصنيف السيوطى	علوم أساسية	التفريعات			الإجمالى
	صف أول	صف ثان	صف ثالث	صف رابع	
كتاب '' إتمام الدراية لقراء النقاية ''	علم أصول الدين	٢	٨	—	١٠
	علم التفسير	٥	٣٤	٢١	٦٠
	علم الحديث	١٤	٤١	—	٥٥
	علم أصول الفقه	٨	—	—	٨
	علم الفقه	—	—	—	—
	علم الفرائض	٦	—	—	٦
	علم النحو	٧	—	—	٧
	علم التصريف	٧	—	—	٧
	علم الخط	٧	—	—	٧
	علم المعانى	٨	—	—	٨
	علم البيان	٣	—	—	٣
	علم البديع	١٨	—	—	١٨
	علم التشريح	٢٨	—	—	٢٨
	علم الطب	١٥	—	—	١٥
	علم التصوف	٩	٣	—	١٢
الإجمالى	١٥=١٥	١٢٩	٨٦	٢١	= ٢٤٤

جدول رقم (١١) يوضح توزيع العلوم على الصفوف و أعدادها على كل صف

- بلغ إجمالى عدد العلوم الأساسية على الصف الأول خمسة عشر علما بالرغم من أنه ذكر أنها أربعة عشر علما ، ذلك لأنه أدمج معالجة علم الفقه مع علم أصول الفقه دون تمييز واضح ، و لذلك اعتبرها أربعة عشر علما .
- بلغ عدد العلوم المفرعة عن الصف الثانى ١٢٩ علما ، و يلاحظ التفاوت فى أعداد العلوم المفرعة عن كل علم رئيسى ، حيث ترتفع إلى ٢٨ علما مفرعا عن علم التشريح ، و يأتى بعدها علم البديع ، و تبلغ العلوم المفرعة عنه ١٨ علما . ثم علم الطب ، حيث يبلغ عدد العلوم ١٥ علما . و من علم الحديث ١٤ علما . و تتقارب العلوم المفرعة من علم أصول الفقه و علم الفرائض ، حيث تبلغ فى الأولى ثمانية ، و الثانية ستة . كما تتقارب العلوم المفرعة عن العلوم العربية ، فتبلغ سبعة فى كل من النحو و التصريف و الخط ، و ترتفع إلى ثمانية فى علم المعانى ، و تقل إلى ثلاثة فى علم البيان ، و لا يعطى أى تفريعات عن علم الفقه، و أحيانا يطلق على تلك اللعلوم المفرعة كلمة أبواب ، كما فى علم أصول الفقه ، فيقسمه إلى سبعة أبواب ، و علم المعانى حيث يقسمه إلى ثمانية أبواب ، وأحيانا يطلق عليها أقساما ، كما فى علم أصول الفقه ، حيث يقسمه إلى قسمين ، و فى أحيان أخرى لا يعطى لها أية تسمية ، بل يقول : '' و منها '' ، كما فى علم الحديث ، أو يعرضها دون الإشارة إلى أية تسمية ، كما فى علم الطب أو التشريح، و أحيانا يطلق عليها أنواع ، كما فى علم التفسير ، حيث يقسمه إلى مقدمة وخمسة و خمسين نوعا .
- يبلغ إجمالى العلوم على الصف الثالث ستة و ثمانين علما ، و هى العلوم المفرعة عن علم أصول الفقه ، حيث تبلغ ثمانية ، و من علم التفسير حيث تبلغ أربعة وثلاثين علما ، و من علم الحديث حيث تبلغ واحدا و أربعين علما ، و من علم التصوف ثلاثة علوم . و يلاحظ أن التفريع يصل إلى الصف الثالث من العلوم الشرعية فقط ، و ذلك لاهتمام السيوطى بها و تركيزه عليها و على تقسيمها وإيضاحها .
- يبلغ إجمالى العلوم على الصف الرابع واحدا و عشرين علما مفرعا عن علم التفسير ، و بذلك تبلغ جملة العلوم المفرعة عن علم التفسير ستين علما ، بالرغم

من أنه يذكر أنها مقدمة و خمسة وخمسون علما . و بذلك يبلغ إجمـــالى العلــوم المفرعة عن العلوم الأساسية ٢٤٤ علما .

التماسك و التناسق

تميز تصنيف السيوطى بتماسك البناء ، فلم تحـــدث قفـــزات مخلـــة بهيكلـــه التصنيفى ، و إنما سار فى عرض العلوم بطريقة منتظمة ، فبعد الانتهاء من عـــرض كل علم بفروعه ينتقل إلى العلم الذى يليه . كما تميز بالتناسق و التناغم بيـــن العلـــوم التى ذكرها ، و التى سارت لخدمة هدف واحد ، و هو خدمة الدين الإسلامى الـــذى تمثل فى مجموعة العلوم الدينية .

هوامش الفصل السادس

١ــ يعد نصير الدين الطوسى أحد الأفذاذ القلائل الذين ظهروا فى القرن السابع الهجرى، فقد ولد فى طوس عام ٦٠٧هــ الموافق سنة ١٢٠١م ، و توفى فى بغداد ٦٧٢هــ الموافق ١٢٧٣م . لمع فى الدرس و الابتكار، وكانت له مكانة مقدمة عند الخلفاء، وصاحب رأى لديهم ، و لكن الحياة لم تسر معه على هذا المنوال ، فقد حقد الحاقدون عليه مما أدى إلى دخوله السجن ، و فى السجن أنجز أكثر مؤلفاته فى الرياضيات ، وهى التى خلدته و جعلته عالما بين العلماء ، و مع استيلاء هولاكو على بغداد أفاد الطوسى كثيرا ، حيث أصبح حرا طليقا ، و استطاع أن يكسب منزلة عالية عند هولاكو ، و استغل الأموال التى كانت تحت تصرفه فأنشأ مكتبة كبيرة ، وبنى مرصد مراغة الذى اشتهر بآلاته و مراصده ، كما برع الطوسى فى علم الفلك، وأضاف إضافات مهمة ، منها استنباط براهين جديدة لمسائل فلكية عويصة . كما انتقد كتاب المجسطى واقترح نظاما جديدا للكون أبسط من النظام الذى وضعه بطليموس . كما أن له مؤلفات قيمة فى الرياضيات ، و يعد كتابه شكل القطاع من أجلها ، و قد ترجم إلى اللاتينية ، كما أن له كتبا أخرى فى معالجة نظريات الجبر والهندسة ، و وضع كتبا فى الحكمة و الجغرافيا و الطبيعيات و الموسيقى و التقاويم والمنطق والتنجيم والأخلاق و البصريات ، كما ترجم بعض كتب اليونان و انتقدها و علق عليها : قدرى حافظ طوقان . مرجع سابق . ــ ص ص ٢٢٢ ــ٢٢٥ .

٢ــ الطوسى ، نصير الدين . رسالة فصل فى بيان أقسام الحكمة على سبيل الإيجاز ــ من كتاب عباس سليمان . تصنيف العلوم بين نصير الدين الطوسى و ناصر الدين البيضاوى . ــ دراسة و تحقيق . ــ الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية ، ١٩٩٤م . ــ ص ص٦٩ــ٧٧ .

٣ــ نفس المرجع السابق . ــ ص ص ٧١ــ٧٦ .

٤ــ نفس المرجع السابق . ــ ص ٢٥ .

5- *Vickery .B.C.- op cit P162.*

٦ــ عباس سليمان . مرجع سابق . ــ ص ٥٢ .

7- *Vickery . B.C. op cit .-P162 .*

8- Jevons, W.S. the principles of science . - London .Macmillan , 1974.-P40 .

٩ــ ابن الأكفانى ، محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصارى ، شمس الدين أبو عبد الله، ولد بسنجار ، و هى بلدة فى العراق ، فى أواخر القرن السابع الهجرى ، و عاش إلى حوالى منتصف القرن الثامن الهجرى ، و قد رحل إلى مصر طالبا العلم ، واتخذها مقرا لسكناه ، فى فترة حكم السلطان الناصر محمد بن قلاوون الذى أنشأ هو ومماليكه حوالى ثمانية و عشرين مسجدا فى مصر و الشام ، قام بالتدريس نخبة من الأساتذة و الشيوخ . و تميز عصره بالاستقرار السياسى ، و بالرخاء الاقتصادى ، فلجأ العديد من العلماء و الشيوخ إلى مصر هربا من المغول فى العراق و الشام ، كما لجأ إلى مصر عديد من علماء الأندلس هربا من بطش الفرنجة ، و من بلاد المغرب هربا من عدم الاستقرار فيها ، و أكرمت مصر هؤلاء العلماء و رتبت لهم الأرزاق التى تكفل لهم عيشة كريمة ، كما قاموا بالتدريس ، و منهم من تولى القضاء . و يرجع إلى أولئك العلماء الفضل فى إثراء الحياة الحضارية و الثقافية فى عصر الأكفانى ، و لا شك أن لهذا الاستقرار السياسى و الرخاء الاقتصادى و النهضة الحضارية و الثقافية أثرا كبيرا فى تكوين العقلية الفكرية و الثقافية لابن الأكفانى الذى أحاط بمعظم علوم عصره ، و اشتهاره و اتقانه لمهنة الطب التى زاولها و مارسها بالمارستان المنصورى ، كما اتقن علوم الحكمة و الهندسة و الحساب و الهيئة ، وكانت له تصانيف كثيرة فى هذه العلوم ، كما كان مستحضرا للتواريخ و الأخبار ، حافظا للأشعار ، بارعا فى الأدب متمكنا منه ، و له تصانيف كثيرة فيه ، و له معرفة بأصول الخط المنسوب ، و كان غاية فى معرفة الأصناف من الجواهر والقماش و الآلات و أنواع العقاقير و الحيوانات ، و له اليد الطولى فى الروحانيات والطلاسم ، و له مؤلفات عديدة فى مختلف العلوم ، و منها / '' اللباب فى الحساب '' ، و '' نخب الذخائر فى معرفة الجواهر '' ، و '' غنية اللبيب عند غيبة الطبيب'' ، و '' كشف الدين فى أمراض العين '' ، و '' روحة الألبا فى أخبار الأطبا '' ، و '' الدر النظيم فى أحوال العلوم و التعليم '' ، و '' نهاية القصد فى صناعة الفصد '' ، و '' إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد '' . و قد توفى ابن

الأكفانى حوالى ٧٤٩هـ ــ ١٣٤٨م : الصفدى ، صلاح الدين خليل . الوافى بالوفيات . ــ بيروت ، ١٩٨٩م . ــ ج٢ ص ص ٢٦ــ٢٧ .

١٠ــ ابن الأكفانى ، محمد بن ابراهيم بن ساعد الأنصارى . إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد فى أنواع العلوم . ــ ص ص ٩١ــ٩٢ .

١١ــ عثمان أمين . مقدمة كتاب إحصاء العلوم للفارابى . ــ ص ١٦ .

١٢ــ ابن الأكفانى . مصدر سابق . ــ ص ٩٣ .

١٣ــ محمد أبو عليان الشافعى . كتاب اللؤلؤ المنظوم فى مبادىء العلوم . ــ القاهرة . ــ المطبعة الحسينية ، د . ت . ــ ص ٨٢ .

١٤ــ ابن الأكفانى . مصدر سابق . ــ ص ١٦ .

١٥ــ المقاصد هى العلوم التى تطلب فيها المعرفة لذاتها ، أو لمنفعة عملية ، مثل العلوم الشرعية ، و موضوعات الحكمة النظرية و العملية .

١٦ــ الوسائل هى العلوم التى تستخدم كآلة و مقدمة لغيرها من العلوم ، مثل علوم اللغة و الأدب أو المنطق .

١٧ــ محمد أبو عليان الشافعى . مصدر سابق . ــ ص ٨٣ .

١٨ــ الغزالى ، أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالى الطوسى (ت ٥٠٥هـ) . فاتحة العلوم / جمع محمد أمين الخانجى . ــ القاهرة . ــ المطبعة الحسينية ، ١٣٢٢هـ . ــ ص ٢٥ .

١٩ــ ابن الأكفانى . مصدر سابق . ــ ص ١٠٩ .

٢٠ــ ابن سينا ، أبو على الحسين بن عبد الله . رسالة فى أقسام العلوم العقلية . ــ ص ٧٣ .

٢١ــ العلوم الأدبية العشرة : انظر تعريفاتها فى القائمة الخاصة بتعريفات العلوم فى الملحق .

22- Vickery . B.C. Clssification and indexing in science .-P166 .

٢٣ــ محمد بن عمر الجركسى . رسالة فى مقدمات العلوم ترى الناظر لها للمفهوم والمنطوق . ــ د.م : المؤلف ، ١٣١١هـ . ــ ص ٢٤ .

٢٤ــ المصدر السابق : ص ٢٢ .

٢٥ــ محمد بن عمر الجركسى . مصدر سابق . ــ ص ٥٢ .
٢٦ــ علوم الشريعة الإسلامية : انظر التعريفات الخاصة بعلوم الشريعة الإسلامية فــــى القائمة الخاصة بتعريفات العلوم بالملحق .
٢٧ــ العلم الطبيعى : انظر التعريفات الخاصة بالعلم الطبيعى و فروعــــه فــى القائمــة الخاصة بتعريفات العلوم بالملحق .
٢٨ــ نفس المصدر السابق . ــ ص ١٧٣ .
٢٩ــ العلم الرياضى : انظر التعريفات الخاصة بالعلم الريـــاضى و تفريعاتـــه بالقائمــة الخاصة بتعريفات العلوم بالملحق .

30- Vickery . B.C. Op cit .-P167 .
31- Ibid .- P 166.
32- Ibid.- P 167.

٣٣ــ ابن الأكفانى . مصدر سابق . ــ ص ١٩٦ .

34- Vickery . B.C. Op cit .-P169.

٣٥ــ ابن الأكفانى . مصدر سابق . ــ ص : ١٩٠ .
٣٦ــ ابن الأكفانى . مصدر سابق . ــ ص ١٦٠ ، ٢٠٢ ، ١٧٢ .
٣٧ــ عبد الوهاب أبو النور . التصنيف البيبليوجرافى لعلوم الدين الإسلامى : دراسة فــى منهج إعداد نظم التصنيف مع تطبيقه فى إعداد نظام تصنيف للديــن الإســلامى . ــ القاهرة . ــ دار الثقافة ، ١٩٧٣ . ــ ص ٨٢

38- Vickery . B.C. Op cit .-P165 .

٣٩ــ بريل ، ليفى . مرجع سابق . ــ ٤٩ .
٤٠ــ ابن الأكفانى . مصدر سابق . ــ ص ١٩٠ .
٤١ــ نفس المصدر السابق . ــ ٢٠٥ .

53- Sayers , W.C. Berwick . Amanual of classification for libraries and bibliographers. P 109 .

٤٢ــ عثمان أمين . مقدمة إحصاء العلوم للفارابى . ــ ص ١٦ .
٤٣ــ عبد المنعم محمد عمر . مقدمة كتاب ’’ إرشاد القاصد ‘‘ . ــ ص ص ٤٣ــ٤٤ .
٤٤ــ ابن الأكفانى . مصدر سابق . ــ ص ٩٢ .
٤٥ــ الفارابى . إحصاء العلوم . ــ ص ٤٤ .

٤٦ــ ابن الأكفانى . مصدر سابق . ــ ص ١٠٦ .

٤٧ــ ابن سينا . رسالة فى أقسام العلوم العقلية . ــ ص ٧٣ .

٤٨ــ ابن الأكفانى . مصدر سابق . ــ ص ١٠٦ .

٤٩ــ ابن سينا . مصدر سابق . ــ ص ٧٣ .

٥٠ــ الخوارزمى ، محمد بن أحمد بن يوسف . مصدر سابق . ــ ص ١٤٣ .

٥١ــ جام العدل ، أو قدح العدل ، هو إناء يعمل ، و تركب فيه أنبوبة فوق أنبوبة ، وتكون العليا مثقوبة ، و أسفل الإناء مثقوب ، فإذا كان ما فيه من الشراب دون رأس الأنبوبة السفل ثبت ، و إذا علا انصب الشراب من الثقب الذى فى أسفل الإناء ، و لم يبق منه إلا مقدار يبقى من الأنبوبة : الخوارزمى . مفاتيح العلوم . ــ ص ١٤٤ .

٥٢ــ الفيروزآبادى ، محمد بن يعقوب الشبراوى (٧٢٩ــ٨٠٣هــ) . بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز . ــ القاهرة . ــ لجنة إحياء التراث الإسلامى ، ١٩٥٧م . ــ ج ١ ص ص ٤١ــ٥٤ .

٥٣ــ القلقشندى ، شهاب الدين أحمد بن على (ت ١٤٢٨/٨٢١م) . صبح الأعشى فى صناعة الإنشا . ــ القاهرة . ــ دار الكتب ، ١٩٣٨م . ــ ج ١ ص ص ٤٦٧ــ٤٧٩.

٥٤ــ حاجى خليفة ، مصطفى بن عبد الله . مصدر سابق . ــ ص ٦٦ .

٥٥ــ نفس المصدر السابق . ــ ج١ ع ٤٧ .

٥٦ــ ابن خلدون ، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن خالد بن عثمان بن هانىء بن الخطاب بن كريب بن معديكرب بن الحارث ، فهو سليل أسرة عربية عريقة من اليمن. ولد فى تونس عام ٧٣٢هــ ــ ١٣٣٢م ، و تلقى تعليمه على أبيه و نفر من العلماء فى تونس ، فحفظ القرآن الكريم ، و درس الحديث و الفقه و اللغة و النحو ، ثم توسع فى الأدب و المنطق و علوم الفلسفة . كما اشتغل بخدمة الدولة حينا ، وركب الأسفار حينا آخر ، فتولى منصب ديوان الرسائل عند أبى الحسن الكرينى سلطان مراكش عام ٧٥٢هــ ، كما ذهب عند بنى مرين فى فاس عام ٧٦٠هــ ، ثم عند بنى الأحمر فى غرناطة و الأندلس عام ٧٦٤هــ ، و عاد إلى تونس عام ٧٨٠هــ . وفى عام ٧٨٩هــ انتقل إلى القاهرة ، و انقطع فيها للتدريس حينا و للقضاء حينا

آخر . كما مثل فى بلاط النصرانى الفارس فى إشبيلية ، و حضر فى بلاط تيمورلنــك فى دمشق . من ذلك فقد خاض ابن خلدون غمار السياسة متعرضا لمحنها وتقلباتــها ، و هذا ما بصره بتجارب الحياة العامة و الخاصة ، مما كان له التأثير على تفكــيره . وقد بقى فى معترك الحياة السياسية إلى أن بلغ الخامسة و الأربعين فمل هذه الحيــاة ورغب عنها ، و قضى بقية حياته فى العلم و الدرس ، و قد تجلــت عبقريتــه فــى ابتكاره لفلسفة الاجتماع وفلسفة التاريخ . و توفى فى القاهرة فى عام ٨٠٨هـــ : دى بور . مرجع سابق . ــ ص ص ١٤٣ــ١٤٥ .

٥٧ــ أحمد أمين . ظهر الإسلام . ــ القاهرة : مكتبة النهضة المصريــة ، ١٩٥٣م . ــ ج ٣ ص ص ٤٢ــ٤٥ .

٥٨ــ محمد عبد الرحمن مرحبا . مرجع سابق . ــ ص ص ١٤٦ــ١٥٠ .

59- Vickery , B.C. - P 168 .

٦٠ــ ابن خلدون . مصدر سابق . ــ ص ص ٣٧٩ــ٤٣٣ .

٦١ــ عبد الوهاب عبد السلام أبو النور . الإطار العام للخطة و نظرية المســلمين فــى تنظيم المعرفة . ــ ص ٩٨ .

٦٢ــ عبد الوهاب أبو النور . التصنيف الببيليوجرافى لعلوم الديــن الإســلامى . ــ ص ١١٨ .

٦٣ــ ابن خلدون . مصدر سابق . ــ ص ٤٠٠ .

٦٤ــ نفس المصدر السابق . ــ ص ٤٢٣ .

٦٥ــ اعتبر المصنفون العرب المسلمون علم الموسيقى أحــد فــروع العلــم الريــاضى باعتباره علما تأليفيا بين النسبة الكمية فى العدد و النسبة الكيفية فى الهندسة ، و لنفـهم ذلك لا بد من توضيح ماهية النسبة الكمية ، و ما هية النسبة الكيفية فــى الهندســة ، فالنسبة الكمية أو العددية هى تفاوت ما بين عددين مختلفين بالتساوى ، مثال : ١ ، ٢، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، و هكذا ، فالتفاوت بينهما ٢ ، ٢ . و على هذا القياس تبنى سائر النسب العدد ، و مرد هذه النسبة بين العددين أنه إذا أخذ نصف كــل واحد منهما (العددين) و جمع يكون ناتج الجمع عدداً أوسط بينهما ، فمثـــلا ٣ ، ٤ التفاوت بينهما رقم ١ ، فإن أخذ نصف ٣ ، و هو ١,٥ ، و نصف الأربعة رقم ٢ ، و

جمع الرقمين يكون ٣,٥ ؛ أى عدد يقف بين ٣ ، ٤ . و على هذا القياس تكون النسبة العددية . أما النسبة الكيفية فى الهندسة فهى قدر أحد العددين المختلفين عند العدد الآخر ، مثال ذلك ٤ ، ٦ ، ٩ ، فهذه الأرقام هى فى نسبة هندسية ، و ذلك أن نسبة ٤ إلى ٦ كنسبة ٦ إلى ٩ ؛ أى أن النسبة ٢ : ٣ ، و بمعنى آخر أن العدد ٤ ثلثا العدد ٦ ، و العدد ٦ ثلثا العدد ٩ ، و إذا عكست كانت نسبة ٩ : ٦ هى نسبة ٦ إلى ٤ ، لأن ٩ مثل ٦ ، و نصفها . كذلك العدد ٦ مثل ٤ و نصفها ، و هكذا فإن أى أرقام مثلها تعد فى نسبة هندسية . أما النسبة التأليفية (الموسيقى) المركبة من نسبة عددية و نسبة هندسية ، مثال ذلك : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ فإن ٦ الحد الأعظم و٣ الحد الأصغر ، و ٤ الحد الأوسط . و يعد الرقمان ١ ، ٢ التفاضل بين الحدود ، لأن التفاضل بين ٦ ، ٤ هو ٢ ، و التفاضل بين ٤ و ٣ هو ١ ، و هذا التفاضل الذى هو ٢ : ١ كنسبة الحد الأعظم ٦ إلى الحد الصغر ٣ ؛ أى أن النسبة بينهما ٢ : ١ ، وبالعكس ، فإن نسبة ٣ إلى ٦ كنسبة ١ : ٢ ، و ٢ هى التفاوت بين ٤ ، ٦ ، وبطريقة أخرى فإن نسبة ١ : ٢ كنسبة ٢ : ٤ كنسبة ٣ : ٦ . و عكس ذلك فإن نسبة ٦ : ٣ كنسبة ٤ : ٢ كنسبة ٢ : ١ ، و هذا ما يعرف فى سائر النسب العددية ، فإذا أخذ مثلا ٤ و جمع على نصف ٢ يصبح الناتج ٣ ، و هو العدد الأوسط بينهما ، كذلك مع ٣ ، ٦ فإذا أخذ نصف ٣ و نصف ٦ أصبح الناتج ٤,٥ ، و هو يقف بين الاثنين . أما النسبة الهندسية فإنها تظهر فى نسبة ٦ : ٤ كنسبة ٣ : ٢ ، و عكس ذلك نسبة ٢ : ٣ كنسبة ٤ : ٦ ؛ أى أن ٦ مثل ٤ و نصفها ، و كذلك ٣ مثل ٢ ونصفها، و عند العكس فإن ٢ ثلثا ٣ ، و ٤ ثلثا ٦ . و من هنا يتضح كيف تصبح النسبة تأليفية من نسبة عددية و هندسية و مركبة منهما . و من هذه النسبة استخراج تأليف النغم والألحان : إخوان الصفا . رسائل إخوان الصفا / تصحيح خير الدين الزركلى . ــ القاهرة . ــ المطبعة العربية ، ١٩٢٨م . ــ ص ص ١٨٣ـــ١٨٥ .

٦٦ــ كولبه ، أزفلد . المدخل إلى الفلسفة / ترجمة و تعليق أبو العلا عفيفى . ــ القاهرة . ــ ط ٣ . ــ مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر ، ١٩٥٥ . ــ ص٢٤.

67- Langridge , Derer.- P110 .

٦٨ـ شعبان عبد العزيز خليفة . التصنيف العشرى القياسى للمكتبات المدرسية والعامة . ـ ص ٩٢ .

٦٩ـ بريل ، ليفى . مرجع سابق . ـ ص ٤٨ :

٧٠ـ انظر كل من أحمد بدر و محمد فتحى عبد الهادى . مصدر سابق . ـ ص٣١، ٣٥ . و عبد الوهاب عبد السلام أبو النور . الإطار العام للخطة و نظرية المسلمين فى تنظيم المعرفة . ـ ص ٦٦ .

٧١ـ محمد على أبو ريان . مرجع سابق . ـ ص ١١٦ .

٧٢ـ محمد عبد الرحمن مرحبا . مرجع سابق . ـ ص ص ١٥٨ـ١٥٩ .

٧٣ـ عبد الوهاب عبد السلام أبو النور . الإطار العام للخطة و نظرية المسلمين فى تنظيم المعرفة . ـ ص ٩٢ .

٧٤ـ ابن خلدون . مصدر سابق . ـ ص ٣٨٤ .

٧٥ـ عبد الرزاق المكى . مرجع سابق . ـ ص ١٥٤، ٢٥١ .

٧٦ـ الفلسفة الجوانية ، هى فلسفة تنظر إلى المخبر و لا تقف عند المظهر ، وتلتمس الباطن دون أن تنقع بالظاهر ، و تفحص عن الداخل بعد ملاحظة الخارج . و تلتفت دائما إلى المعنى و إلى القيمة و إلى الروح من وراء اللفظ و الحس و الظواهر . أو هى بالمعيار الفلسفى الاصطلاحى فلسفة تستكنه الجوهر من وراء الأعراض ، فتبحث عن الماهية من وراء المظاهر . و عمادها أن الحقيقة يجب أن تلتمس فيما وراء المظهر الخارجى و الوجود العيانى . و هذا الماوراء هو المعنى الأول من معانى الجوانى من حيث مقابلته لمعنى البرانى .

٧٧ـ ابن خلدون . المقدمة . ـ ص ٤١٠ .

٧٨ـ ابن خلدون . مصدر سابق . ـ ص ٤٣٥ .

٧٩ـ حاجى خليفة . مصدر سابق . ـ ج١ ع.

٨٠ـ ابن خلدون . مصدر سابق . ـ ص ٣٨٠ .

٨١ـ السيوطى : ولد الشيخ جلال الدين السيوطى عام ٨٤٩هـ ، فى عهد دولة المماليك البرجية (ترجع نشأة هؤلاء المماليك إلى أن المنصور قلاوون أكثر من شرائهم و جعلهم فى أبراج القلعة ، فسموا البرجية ، تميزا لهم عن المماليك البحرية الذين اقاموا

فى جزيرة الروضة . نشأ السيوطى يتيما ، ثم دفع إلى حفظ القرآن الكريم فحفظــه و هو دون الثامنة من عمره ، و شرع فى الاشتغال بالعلم و سنه خمس عشـرة سـنة ، فأخذ الفقه عن جماعة من الشيوخ ، و أخذ الفرائض عن العلامة الشيخ شهاب الديـن الشارمساحى . و قد أجيز للتدريس و عمره سبع عشرة سـنة . وتصـدر للإفتـاء وعمره اثنتان و عشرون سنة . و أملى الحديث و عمره ثلاث وعشرون سنة . يذكـر السيوطى أنه تبحر فى علوم سبعة ، هى : التفسير و الحديث والفقه و النحو و المعانى و البيان و البديع ، ودون هذه العلوم السبعة فى المعرفـة أصـول الفقـه و الجـدل والإنشاء و الترسل و الفرائض و القراءات و الطب . و كان علم الحساب أعسر شىء على ذهنه . و قد تولى السيوطى مناصب متعددة ، و له مؤلفات عديدة ، من أولـها : شرح الاستعاذة و البسملة ، ثم توالت مؤلفاته فى مختلف العلوم ، فكان من أهمها فـى علوم القرآن الكريم : الإتقان فى علوم القرآن . و الدر المنثور فى التفسير المـأثور . و فى علوم الحديث : كشف المغطا فى شرح الموطا . و فى الفقه : الأزهار الغضـة فى حواشى الروضة . و قد توفى السيوطى عام ٩١١هـ .

٨٢-منى عبد الوهاب حمودة. صفحات من تاريخ مصر فى عصر السيوطى .- القاهرة: مطبعة دار التأليف، ١٩٦٥ .- ص ٤ ، ١٠ ، ١٨ .

ـ السيوطى . إتمام الدراية القراء النقاية . ـ د . م . ـ الميرزا الشـيرازى ، ١٣٠٩ . ـ ص ٢ .

٨٣ـ على الصالحى المالكى . مصدر سابق . ـ ص ص ٣٠ـ٣١ .

٨٤ـ نفس المصدر السابق . ـ ص ص ٩١ـ٩٢ .

٨٥ـ السيوطى . مصدر سابق . ـ ص ٤ .

٨٦ـ السيوطى . مصدر سابق . ـ ص ٤ .

٨٧ـ الجركسى ، محمد بن عمر . مصدر سابق . ـ ص ٢٢ .

٨٨ـ السيوطى . مصدر سابق . ـ ص ٤ .

٨٩- الجركسى ، محمد بن عمر . مصدر سابق . ـ ص ٢٩ .

٩٠ـ علم التصوف : بدأ هذا العلم كعبادة متمثلا فى الزهد ، و يرجع تاريخه إلى جماعة من الصحابة الأوائل أطلق عليهم اسم أهل الصفوة ، و هـم فريـق مـن الأنصـار

والمهاجرين ، فرغت أيديهم من كل شيء و امتلأت قلوبهم بحب الله ، و قد بنى لهم رسول الله — صلى الله عليه و سلم — قباء فى مؤخرة مسجد المدينة ليقيموا فيه وينقطعوا للعبادة . و قد عكفوا على العبادة بشوق و لذة و لهفة . و يعد هؤلاء هم الرعيل الأول من رجال التصوف ، و كانت حياتهم هى المثل الأعلى الذى استهدفه رجال التصوف فى العصور الإسلامية اللاحقة ، ثم تطور الزهد إلى مدارس للعبادة ، ثم الزهد المنظم فى مدارس البصرة و الكوفة و بغداد و الشام و مصر و خراسان ، وأنتجت هذه المدارس النظريات المختلفة فى الخوف و الحب الإلهى مستندة على مناهج الإلهام و الوجد و الفيض الإلهى ، و تكون التصوف كعلم فى القرنين الثالث والرابع الهجريين مقابل الحديث و الفقه ثم الكلام ، ثم ما لبث أن وضع أبو حامد الغزالى علم التصوف فى صورته السنية النهائية : عبد الرزاق المكى . الفكر الفلسفى عند ابن خلدون . — ص ص ٢٨٨—٢٨٩ .

٩١— السيوطى . مصدر سابق . — ص ٢٢ .

٩٢— نفس المصدر السابق . — ص ٤ .

٩٣— السيوطى . حسن المحاضرة . — ص

94- Abdul Al Majid Al Najjar . op cit .- P83 .

٩٥— حاجى خليفة . مصدر سابق . — ج١ ع١٨ .

الفصل السادس

التصانيف العربية الإسلامية

فى العصر العثمانى

مقدمة

ازدهرت الحياة الثقافية و الاجتماعية و الاقتصادية فى اسـتانبول بـالرغم مـن الاضمحلال الذى سيطر على بقية العالم الإسلامى ، و ذلك يرجع إلى السياسة التـى انتهجها الخلفاء العثمانيين فى مقر الخلافة ، حيث استقدموا أمهر الصنـاع و التجـار والحرفيين و كل الآثار و التحف ، كما عملوا على نقل كل ما احتوته المكتبات إلـى استانبول ، و بذلك تجمعت فى مكتباتها خلاصة نتاج الحضارة العربية الإسلامية ، فلا غرو أن أعظم التصانيف العربية الإسلامية خرجت على يد علماء أتراك ، نذكر منهم طاشكبرى زادة و كتابه '' مفتاح السعادة و مصباح السيادة '' ، و الشروانى و كتابـه '' الفوائد الخاقانية '' ، وحاجى خليفة و كتابه '' كشف الظنون عن أسـامى الكتـب والفنون '' ، و غيرهم ممن أثروا المكتبة الإسلامية العربية بإنتاجهم الفكرى . و قبـل أن نعرض لنماذج التصنيف فى تلك الحقبة ينبغى أن نطل إطلالة سريعة علـى أهـم مظاهر الحياة السياسية و الاجتماعية و العلمية التى سادت هذا العصر ، و التى كـان لها تأثيرها الكبير فى تلك التصانيف .

الحياة السياسية فى الدولة العثمانية

يرجع تاريخ الدولة العثمانية إلى مطلع القرن الرابع عشر الميلادى ، الثـانى عشر الهجرى ، بعد القضاء على دولة الروم السلاجقة وموت آخر سلاطينها عـلاء الدين العثمانى عام ١٣٠٧م ، والمؤسس الأول لهذة الدولة هو عثمان بن أرطغـرل ، وقد كان ولده يعمل لحساب السلطان السلجوقى علاء الدين ، وبعد وفاته خلفـه ابنـه عثمان الذى اعتنق الإسلام وتبعه سائر الأتراك فى إقطاعية عثمان التـى تقـع فـى الشمال الغربى للأناضول (آسيا الصغرى) ، و التابعة فى ذلك الوقت لدولة الـروم

السلاجقة ، ثم استقل عثمان بهذه الإقطاعية التى أطلق عليها اسم الامارة بعد غـزوات المغول على دولة الروم السلاجقة . وبعد نهاية هذه الدولة أخذ يوسع إمارتـــه علـــى حساب الإمارات الأخرى المجاورة له و الدولة البيزنطية ، و استطاع ابنه أورخان أن يستولى على مدينة بروس التى أطلق عليها اسم بورسة أو بورصة وأصبحت عاصمة جديدة للأتراك العثمانبين ، و تولى بعد ذلك غزوات الأتراك العثمانيين فـــى أوروبـــا فاستولوا على ما تبقى من الدولة البيزنطية ثم بلغاريا . وتوالت انتصارات العثمـــانيين فى أوروبا إلى أن جاء محمد الثانى الملقب (بالفاتح) واستطاع فتح القسطنطينية عـام ١٤٥٣م فأصبحت عاصمة الدولة العثمانية وتحول اسمها الى إسلاممبول ، و حرفـــت بعد ذلك إلى إستانبول . (١) وقد كانت توسعات العثمانيين الحربية كلها متجهة إلـــى أوروبا . و يعد السلطان سليم الأول أول السلاطين العثمانيين الذين اتجهوا إلى التوسع فى بلاد المسلمين وضمها للإمبراطورية ، فبدأ بالحدود الشرقية لبلاد الفـــرس حيـــث كان الصفويون يحكمون هذه المنطقة فانتصر عليهم فى عام ١٥١٤م وضم أجـــزاء كبيرة فى شمال العراق إلى الإمبراطورية . واحتل تبريز ثم اتجه للاســـتيلاء علـــى الأراضى المملوكية فسقطت سوريا بعد معركة مرج دابق سنة ١٥١٦م ، ودخل مصر بعد هزيمة المماليك فى معركة الريدانية فى ٢٢ يناير عام ١٥١٧م ، ثم جاءه زعمـــاء القبائل البدوية فى شبه الجزيرة العربية معلنين الولاء للدولة العثمانية ، وانتقلت خلافة المسلمين إلى سليم الأول بعد أن تنازل له عنها آخر الخلفاء العباسيين وهـــو الخليفـــة المتوكل ، وجاء بعده ابنه سليمان الملقب بالقانونى ، و الذى عمل على توسيع رقعـــة الإمبراطورية العثمانية فاستولى على جزيرة رودس عام ١٥٢٢م ، وبلغراد ثم المجـــر عام ١٥٢٦م ، ثم استولى على العراق كلها عام ١٥٣٣م ، وعمل بعد ذلك على دعـــم أسطوله فى البحر الأحمر و الخليج الفارسى و المحيط الهندى . وتمكن مـــن طـــرد البرتغاليين من مسقط عام ١٥٥٢م وتمت تصفية جميع المواقع البرتغالية على طـــول شواطىء البحر الأحمر . و أصدر سليمان مجموعة من القوانيـــن المنظمـــة لشـــئون الدولة من الداخل و لذلك لقب بالقانونى ، و توفى عام ١٥٦٦م فى أثناء قيادته لإحدى الحملات العسكرية على نهر الدانوب . و يعد سليمان القانونى آخر عظماء الســـلاطين العثمانيين . (٢)

ساد المجتمع الطبقى الدولة العثمانية ، و ميز الباحثون أربع طبقات اجتماعيـــة ؛ وهى : طبقة الحكام العسكريين ، و طبقة الأحرار ، و طبقة العبيد . و الطبقة الحاكمة هى أفراد الأسرة السلطانية الحاكمة ، أما طبقة الأحرار فهى السواد الأعظم فى الدولة العثمانية الذين ولدوا مسلمين من أسر مسلمة و قد انحصـــر عملـــهم فـــى التدريـــس والقضاء و الزراعة و الحرف . أما طبقة العبيد فهى العبيد الذين يجلبون إلى الدولـــة عن طريق الشراء أو الهدايا أو الضريبة أو كأسرى حرب ، و فى أغلب الأحيان كان العسكريون من طبقة العبيد . و قد تنوعت عناصر الســـكان داخـــل الإمبراطوريـــة العثمانية و تباينت ، فإلى جانب العرب كان هناك الأتـــراك و الأكـــراد و التركمـــان والشراكسة و الصرب و المجريون و البلغار والكروات و القبارصة والكريتيـــون . و كما ضمت الدولة ألسنة متعددة منها العربيـــة و التركيـــة واليونانيـــة و المجريـــة ، بالإضافة إلى لغات ميتة مثل السريانية و اللاتينية و العبرية . كما تعـــددت الديانـــات فوجد المسلم بمختلف مذاهبه ، و المسيحى و اليهودى ، و أنتج هذا التعدد العنصـــرى أو الدينى أو اللسانى ثقافات متباينة داخل الدولة العثمانية . و يشير الدكتـــور شـــعبان خليفة إلى أن هذا الطابع العالمى للدولة العثمانية مع حريـــة التنقـــل داخـــل أرجـــاء الإمبراطورية قد أتاح فرصة ذهبية للعلماء فى التأثير و التأثر بمختلف الثقافـــات التى أحيطت بهم . (٣)

أما عن الجانب العلمى فقد اتخذت الدولة العثمانية مـــن الديـــن ســـتاراً لكـــل توسعاتها ، كما كان دافعاً للعديد من أعمالها ؛ فقد عمل العثمانيون على إنشاء المساجد فى كافة أرجاء الإمبراطورية وتحويل الكنائس إلى مساجد ، كما شـــجعوا التصـــوف والحركات الصوفية لما كان له تأثيره على فكر العلماء الذين عملوا على خدمة هـــدف واحد هو الحقيقة الدينية و رفع شعار الإسلام . و قد ازدهرت الحركة العلميـــة فـــى إستانبول ازدهاراً كبيراً و بخاصة بعد أن نقـــل إليـــهم ســـليم الأول جميـــع العلمـــاء و الحرفيين المهرة و التجار و التحف و الكتب من سوريا و مصر و الحجاز وغيرها من البلاد فانتقلت الحركة العلمية إلى إستانبول ، و أصبح كل هذا متاحاً أمام العلمـــاء

والباحثين فى هذه الدولة و ساعد على ازدهار الحركة العلمية تشجيع آل عثمان للعلماء و الأدباء ، و إنشاء المدارس و المعاهد الدينية والكليات ، مثل كلية الفاتح والمدارس الثمانى . كما أنشئت العديد من المكتبات التى زخرت بما جلب إليها من مختلف أنحاء العالم الإسلامى ، فتجمع بها التراث الإسلامى ، بالإضافة إلى المؤلفات التاريخية و الجغرافية عن بلاد الترك . كما انتشرت اللغة التركية انتشاراً عظيماً فى شبه جزيرة البلقان و المناطق المجاورة لها ، و ظهر العديد من الشعراء العظام مثل : دانى و باقى و فضولى . كما ظهر كتاب و ناشرون أمثال : ابن كمال و جلال زاده و مصطفى بك و مجدى أفندى . (٤)

أولاً : تصنيف طاشكبرى زادة (ت ٩٦٨هـ)

تضمن كتاب ’’ مفتاح السعادة و مصباح السيادة ‘‘ التصنيف الخاص بطاشكبرى زادة . (٥) ويعد هذا الكتاب موسوعة فى تاريخ العلوم العربية و الأدب العربى .

تصنيف طاشكبرى زادة من واقع كتاب مفتاح السعادة و مصباح السيادة

ينتمى تصنيف طاشكبرى زادة إلى المدرسة الثالثة فى التصنيف ، و هى نفس المدرسة التى ينتمى إليها تصنيف ابن الأكفانى ، و هى تجمع بين الجانب الفلسفى فى عرض العلوم و التعريف بحدود كل علم ، و السند الأدبى ، حيث تعرف بأهم الكتب فى كل علم ، و لذلك فإن تصنيفه لم يقم على أساس تقسيم الكتب، و إنما قسم العلوم حسب تصوره الفلسفى للمعرفة ، مع التعريف بأهم الكتب . و هو بذلك قد حقق ما نادى به ’’ بليس ‘‘ فى القرن العشرين من ضرورة الربط بين الطريقة المنطقية العلمية والطريقة البيبليوجرافية العملية ، بحيث يتوافق التصنيف مع الإجماع العلمى التعليمى ؛ أى أن تدرج جزئيات المعرفة و تسلسلها المنطقى يتوافق مع الطريقة التعليمية التى تدرس بها العلوم فى الكليات . (٦)

الهدف من كتاب مفتاح السعادة و مصباح السيادة لطاشكبرى زادة

أن الهدف الرئيسى من تأليف طاشكبرى زادة هذا الكتاب هو تقديم دليل دراسى لكل طالب علم لمساعدته فى تحصيل العلوم وبيان طرق التحصيل . فقد قدم المؤلف لكتابه بأربع مقدمات فى العلم و التعليم و شروطه(٧) تعد تمهيدا لما أراده لكتابه من الوصول به ليكون دليلا دراسيا ، و قد عمد المؤلف إلى تسجيل المؤلفات فى كل علم مع توضيح قدرها و أهميتها ، و التعريف بالمؤلفين لتحقيق هدف تربوى تعليمى ، أن يكونوا قدوة و مثلا أعلى فيحتذى بهم ، و قد تم ذلك كما يقول المؤلف فى كل عمل أصلا و فرعا ؛ معنى ذلك أن المؤلف قصد إلى تقسيم العلوم إلى علوم عامة تتفرع منها علوم جزئية ، و كل منها يشير إلى الكتب المصنفة فيهَا و أسمائها ومؤلفيها ، و من هنا فقد جاء الكتاب ليكون كتابا فى تصنيف العلوم ، و كتابا بيبليوجرافيا ، و كتاب تراجم ، و دليلا دراسيا لكل طالب علم .

خطة طاشكبرى زادة فى التصنيف

سارت خطة طاشكبرى زادة التصنيفية على النحو التالى :

الدوحة الأولى : فى بيان علوم الخطية ، و فيها مقدمة و شعبتان :

المقدمة : فى فضيلة الخط و بيان الحاجة إليه و كيفية وضعه .

الشعبة الأول : فى العلوم المتعلقة بكيفية الصناعة الخطية .

علم أدوات الخط

علم قوانين الكتابة

علم تحسين الحروف

علم كيفية تولد الخطوط عن أصولها

علم ترتيب حروف التهجى

الشعبة الثانية : فيما يتعلق بإملاء الحروف المفردة

علم تركيب أشكال بسائط الحروف

علم إملاء الخط العربى

علم خط المصحف

علم خط العروض

الدوحة الثانية : فى علوم تتعلق بالألفاظ ، و فيها مقدمة و عدة شعب :

المقدمة :

الشعبة الأولى : فيما يتعلق بالمفردات

علم مخارج الحروف

علم اللغة

علم الوضع

علم الاشتقاق

علم الصرف

الشعبة الثانية : فيما يتعلق بالمركبات

علم النحو

علم المعانى

علم البيان

علم البديع

علم القوافى

علم قرض الشعر

علم مبادىء الشعر

علم الإنشاء

علم مبادىء الإنشاء و أدواته

علم المحاضرة

علم الدواوين

علم التواريخ

الشعبة الثالثة : فى فروع العلوم العربية

علم الأمثال

علم وقائع الأمم و رسومهم

علم استعمالات الألفاظ

علم الترسل

علم الشروط و السجلات

علم الأحاجى و الأغلوطات

علم الألغاز

علم المعمى

علم التصحيف

علم المقلوب

علم الجناس

علم مسامرة الملوك

علم حكايات الصالحين

علم أخبار الأنبياء

علم المغازى و السير

علم تاريخ الخلفاء

علم طبقات القراء

علم طبقات المفسرين

علم طبقات المحدثين

علم سير الصحابة و التابعين

علم طبقات الشافعية

علم طبقات الحنفية

علم طبقات المالكية

علم طبقات الحنابلة

علم طبقات النحاة

علم طبقات الحكماء

علم طبقات الأطباء

الدوحة الثالثة : فى علوم باحثة عما فى الأذهان من المعقـــــولات ، و فيـــها مقدمـــة وشعبتان :

المقدمة :

الشعبة الأولى : فى علوم آلية تعصم عز الخطأ فى الكسب

علم المنطق ، و يسمى علم الميزان

الشعبة الثانية : فى علوم تعصم عن الخطأ فى المناظرة و الدرس

علم آداب الدرس

علم النظر

علم الجدل

علم الخلاف

الدوحة الرابعة : فى العلم المتعلق بالأعيان

المقدمة :

الشعبة الأولى : فى العلم الألهى

العلم الألهى

الشعبة الثانية : فى فروع العلم الألهى

علم معرفة النفوس الإنسانية

علم معرفة الملائكة

علم معرفة المعاد

علم إمارات النبوة

علم مقالات الفرق

علم تقاسيم العلوم

الشعبة الثالثة : فى العلم الطبيعى

الشعبة الرابعة : فى فروع العلم الطبيعى

علم الطب

علم البيطرة

علم البيزرة

علم النبات

علم الحيوان

علم الفلاحة

علم المعادن

علم الجواهر

علم الكون و الفساد

علم قوس قزح

علم الفراسة

علم تعبير الرؤيا

علم أحكام النجوم

علم السحر

علم الطلسمات

علم السيمياء

علم الكيمياء

الشعبة الخامسة : فى فروع العلم الطبيعى ، و فيها عدة عناقيد

علم التشريح

علم الكحالة

علم الأطعمة و المزورات

علم الصيدلة

علم طبخ الأشربة و المعاجين

علم قلع الآثار من الثياب

علم الجراحة

علم الفصد

علم الحجامة

علم المقادير و الأوزان المستعملة

فى علم الطب

علم الباه

العنقود الأول : فى فروع علم الطب

العنقود الثانى : فى فروع علم الفراسة .

علم الشامات و الخيلان

علم الأسارير

علم الأكتاف

علم قيافة الأثر ، و يسمى علم العيافة

علم قيافة البشر

علم الاهتداء بالبرارى و الأقفار

علم الريافة

علم استنباط المعادن

علم نزول الغيث

علم العرافة

علم الاختلاج

العنقود الثالث : فى فروع أحكام النجوم

علم الاختيارات

علم الرمل

علم الفال

علم القرعة

علم الطيرة و الزجر

العنقود الرابع : فى فروع السحر

علم الكهانة

علم النيرنجات

علم الخواص

علم الرقى

علم العزائم

علم الاستحضار

علم دعوة الكواكب

علم الفلقطيرات

علم الإخفاء

علم الحيل الساسانية

علم كشف الدك و إيضاح الشك

علم الشعبذة و التخيلات

علم تعلق القلب

علم الاستعانة بخواص الأدوية و المفردات

الشعبة السادسة : فى العلوم

الرياضة

علم الهندسة

علم الهيئة

علم العدد

علم الموسيقى

الشعبة السابعة : فى فروع الهندسة

علم عقود الأبنية

علم المناظر

علم المرايا المحرقة

علم مراكز الأثقال

علم جر الأثقال

علم المساحة

علم إنباط المياه

علم الآلات الحربية

علم الرمى

علم التعديل

علم البنكامات

علم الملاحة

علم السباحة

علم الأوزان و الموازيين

علم الآلات المبنية على ضرورة عدم الخلاء

الشعبة الثامنة : فى فروع علم الهيئة

علم الزيجات و التقاويم

علم كتابة التقاويم

علم حساب النجوم

علم كيفية الأرصاد

علم الآلات الرصدية

علم المواقيت

علم الآلات الظلية

علم الأكر

علم الأكر المتحركة

علم تسطيح الكرة

علم صور الكواكب

علم مقادير العلويات

علم منازل القمر

علم الجغرافيا

علم مسالك البلدان و الأمصار

علم معرفة البرد و مسافاتها

علم خواص الأقاليم

علم الأدوار و الأكوار

علم القرانات

علم الملاحم

علم مواسم السنة

علم مواقيت الصلاة

علم وضع الأسطرلاب

علم عمل الأسطرلاب

علم وضع ربع الدائرة المجيب و المقنطرات

علم ربع الدائرة

علم آلات الساعة

الشعبة التاسعة : فى فروع علم العدد

علم حساب التحت و الميل

علم الجبر و المقابلة

علم حساب الخطأين

علم حساب الدور و الوصايا

علم حساب الدرهم و الدينار

علم حساب الفرائض

علم حساب الهواء

علم حساب العقود

علم أعداد الوفق

علم خواص الأعداد المتحابة و المتباغضة

علم التعابى العددية فى الحروف

الشعبة العاشرة : فى فروع علم الموسيقى

علم الآلات العجيبة

علم الرقص

علم الغنج

الدوحة الخامسة : فى الحكمة العملية

الشعبة الأولى : فى علم الأخلاق

الشعبة الثانية : فى علم تدبير المنزل

الشعبة الثالثة : فى علم السياسة

الشعبة الرابعة : فى فروع الحكمة العملية

علم رسم كتابة القرآن فى المصاحف

علم آداب كتابة المصحف

المطلب الثانى : فى فروع علم الحديث

علم شرح الحديث

علم أسباب ورود الحديث و أزمنته و أمكنته

علم ناسخ الحديث و منسوخه

علم تأويل أقوال النبى ــ صلى الله عليه و سلم ــ .

علم رموز أقوال النبى ــ صلى الله عليــه و ســلم ــ و إشاراته .

علم غرائب لغات الحديث

علم دفع مطاعن الحديث

علم تلفيق الأحاديث

علم أحوال رواة الأحاديث

علم طب النبى ــ صلى الله عليه و سلم ــ .

المطلب الثالث : فى فروع علم التفسير

علم معرفة المكى و المدنى

علم معرفة الحضرى و السفرى

علم معرفة النهارى و الليلى

علم معرفة الصيفى و الشتائى

علم معرفة الفراشى و النومى

علم معرفة الأرضى و السماوى

علم معرفة أول ما نزل

علم معرفة سبب النزول

علم معرفة ما نزل على لسان بعض الصحابة

علم معرفة ما تكرر نزوله

علم معرفة ما تأخر حكمه عن نزوله و ما تأخر نزولـــه عن حكمه

علم معرفة ما نزل مفرقا و ما نزل جمعا

علم معرفة ما نزل مشيعا و ما نزل مفردا

علم معرفة ما نزل على بعض الأنبياء و ما لم ينزل منـــه على أحد قبل النبى — صلى الله عليه و سلم — .

علم معرفة كيفية إنزال القرآن الكريم

علم معرفة أسمائه و أسماء صوره

علم معرفة جمعه و ترتيبه

علم معرفة عدد سوره و آياته و كلماته و حروفه

علم معرفة حفاظه و رواته

علم معرفة العالى و النازل من أسانيده

علم معرفة المتواتر و المشهور و الآحاد و الموضـــوع و المدرج

علم معرفة بيان الموصول لفظا المفصول معنى

علم معرفة الإمالة و الفتح و ما بينهما

علم معرفة الإدغام و الإظهار و الإخفاء و الإقلاب

علم معرفة المد و القصر

علم معرفة تحقيق الهمزة

علم معرفة كيفية تحمل القرآن

علم معرفة آداب تلاوته و تاليه

علم معرفة جواز الاقتباس و ما جرى مجراه

علم معرفة غريب القرآن

علم معرفة ما وقع فيه بغير لغة الحجاز

علم معرفة ما وقع فيه من غير لغة العرب

علم معرفة الوجوه و النظائر

علم معرفة معانى الأدوات التى يحتاج إليها المفسر

علم معرفة إعرابه

علم معرفة قواعد مهمة يحتاج إليها المفسر

علم معرفة المحكم و المتشابه

علم معرفة مقدم القرآن و مؤخره

علم معرفة عام القرآن و خاصه و مجمله و مبنيه

علم معرفة ناسخ القرآن و منسوخه

علم معرفة مشكل القرآن و موهم الاختلاف و التناقض

علم معرفة مطلق القرآن و مقيده

علم معرفة منطوق القرآن و مفهومه

علم معرفة وجوه مخاطباته

علم معرفة حقيقة ألفاظ القرآن و استعاراته

علم معرفة كنايات القرآن و تعريضاته

علم معرفة الحصر و الاختصاص

علم معرفة الإيجاز و الإطناب

علم معرفة الخبر و الإنشاء

علم معرفة بدائع القرآن الكريم

علم معرفة فواصل الآى

علم معرفة فواتح السور

علم معرفة خواتم السور

علم معرفة مناسبة الآيات و السور

علم معرفة الآيات المشتبهات

علم معرفة إعجاز القرآن الكريم

علم معرفة العلوم المستنبطة من القرآن الكريم

علم معرفة أمثال القرآن الكريم

علم معرفة أقسام القرآن الكريم

علم معرفة جدل القرآن الكريم

علم معرفة ما وقع فى القرآن من الأسـماء و الكنـى و الألقاب

علم معرفة مبهمات القرآن الكريم

علم معرفة أسماء من نزل فيهم القرآن الكريم

علم معرفة فضائل القرآن الكريم

علم معرفة أفضل القرآن و فاضله

علم معرفة مفردات القرآن الكريم

علم معرفة خواص القرآن الكريم

علم معرفة مرسوم الخط و آداب كتابته

المطلب الأول : فى التفسير و التأويل

المطلب الثانى : فى وجه الحاجـة إلـى علـم التفسير

المطلب الثالث : فى شرف علم التفسير

علم معرفة شروط المفسر و آدابه

علم معرفة غرائب التفسير

علم معرفة طبقات المفسرين

علم معرفة خواص الحروف

علم الخواص الروحانية

علم التصرف بالحروف و الأسماء

علم الحروف النورانية و الظلمانية

علم التصرف بالاسم الأعظم

علم الكسر و البسط

علم معرفة الزايرجة

علم معرفة الجفر و الجامعة

علم دفع مطاعن القرآن الكريم

المطلب السابع : و اعلم أنه لا بد فى تحصيل الشكر من معرفة ما خلق كل شيء له

المطلب الثامن : فى حقيقة النعمة و أقسامها

المطلب التاسع : فى السبب الصارف عن الشكر و علاجه

المطلب العاشر : فيما يشترك فيه الصبر و الشكر

المطلب الحادى عشر :

الأصل الثالث : فى الرجاء و الخوف

المطلب الأول : فى حقيقة الرجاء

المطلب الثانى : فى فضيلة الرجاء

المطلب الثالث : فى الخوف

المطلب الرابع : فضيلة الخوف ثابتة بالنقل و العقل

المطلب الخامس : فى دواء يستجلب الخوف

الأصل الرابع : فى الفقر و الزهد

المطلب الأزول : فى حقيقة الفقر

المطلب الثانى : فى فضيلة الفقر

المطلب الثالث : فى آداب الفقير فى فقره

المطلب الرابع : فى تحريم السؤال من غير ضرورة

المطلب الخامس : فى حقيقة الزاهد و فضيلته

المطلب السادس : فى درجات الزاهد و أقسامه

المطلب السابع : فى تمييز قدر الحاجة عن الفضول ليزهد فيها

الأصل الخامس : فى التوكل

المطلب الأول : فضيلة التوكل

المطلب الثانى : فى بيان حال التوكل

المطلب الثالث : فى بيان أعمال المتوكلين

المطلب الرابع : فى مراتب الادخار

المطلب الخامس : فى آداب المتوكلين

يبدأ طاشكبرى زادة كتابه بأربع مقدمات ، الأولى : فى بيان فضيلة العلم والتعليم . و الثانية : فى شرائط المتعلم وو ظائفه . و الثالثة : فى وظائف المعلم . والرابعة : فى بيان النسبة بين طريق النظر و طريق التضحية . و تعد المقدمات الثلاث الأولى تلخيصا أمينا للمنهج التربوى عند علماء المسلمين متضمنة مبادىء علمية و أسس منهجية تعد عماد المنهج التربوى . كما تضمنت آداب الفتيا و آ داب القضاء . وقد ساعد المؤلف فى كتابة هذه المقدمات قيامه بالتدريس فترة طويلة تقوب من ربع قرن فى المدارس المختلفة ، كذلك توليه القضاء فترة من الزمن ، و من ثم فهذه المقدمات تعد نتاج الممارسة العملية لمهنتى التدريس و القضاء اللتين مارسهما طاشكبرى . و يلاحظ تشابه هذه المقدمات الثلاث مع المقدمات التى ذكرها الأنصارى فى بداية كتابه '' إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد '' ، حيث بدأ هو الآخر بالحديث عن التعليم و التعلم و شروطهما . و يلاحظ التوسع فى عرض الموضوع و التمكن بالإضافة إلى ما تطرق إليه طاشكبرى من آداب الفتيا و القضاء ، فإذا كان طاشكبرى قد استفاد من طريقة ابن الأكفانى فى البدء بهذه المقدمات ، إلا أن معالجته لها جاءت عن خبرة عملية و ممارسة فعلية لخصها فى هذه المقدمات . و تعكس المقدمة الرابعة نزعة المؤلف الصوفية بحكم نشأته و تربيته الدينية فى بيت علم و دين ، و هذا ما انعكس على صفاته الخلقية و العلمية ، و بالتالى على تصنيفه .

و بعد المقدمات الأربع يتطرق إلى مقدمة فى بيان حصر العلوم فى الإجمال ، و هو يوضح فيها طريقته فى تقسيم الكتاب ، حيث قسم المادة العلمية إلى سبع درجات فى طرفين (أى قسمين) : الطرف الأول أو القسم الأول يشمل ست دوحات ، و الطرف الثانى يشمل الدوحة السابعة ، ثم يقسم كل منهما إلى شعب ، و كل شعبة إلى عدد من العلوم .

و قد جاء تقسيم طاشكبرى زادة للعلوم يحكمه منطق معين وفلسفة محددة كان المؤلف واعيا بها تماما . (٨) حيث يرى أن المعرفة تنحصر فى أربعة مجالات رئيسسة : ما يتعلق بالخط و الأبجديات ، و عبر عنها بـ (الكتابة) ، و ما يتعلق بالألفاظ أو اللغة ، و هى وسيلة التخاطب ، وعبر عنها بـ (العبارة) ، و ما يتعلق

بتقويم العقل و إرشاده الى طريقة صياغة المعانى ، و عبر عنها بـ (الأذهان) ، و ما يتعلق بالعلوم الحكمية و العلوم الشرعية ، و عبر عنها بـ (الأعيان) . واعتبر المجالات الثلاثة الأولى علوما الية و وسائل للعلوم المتعلقة بالأعيان . و على هذا الأساس قسم العلوم إلى سبع دوحات ، يعد كل منها فى بيان أصل من الأصول السبعة، و يرتب هذه الأصول على أساس أن كل سابق منها وسيلة إلى اللاحق عليه ؛ فخصص الدوحة الأولى للعلوم الخطية ، و قدمها على الدوحة الثانية فى الألفاظ على اعتبار أن الكتابة وسيلة لضبط اللغة ، كما أن الخط أفضل من الألفاظ لأن اللفظ يفهم الحاضر الذى يسمعه بينما الخط يفهم الحاضر الذى سمع والغائب من خلال قراءته . وتعد الدوحة الثانية (فى الألفاظ) وسيلة للدوحة الثالثة المتعلقة بالأذهان ، ويمثلها علم المنطق الذى هو للمعانى ومن هنا فالألفاظ وسيلة لتكوين المعنى وصياغته . كما أن الدوحة الثالثة بمثابة العلوم الآلية المعنوية التى تعصم الذهن عن الخطأ سواء كان ذلك فى البحث أو فى الدراسة أو فى المناظرة أو فى الدرس ، و من هنا فهى وسيلة للعلوم المتعلقة بالأعيان ، و هى تبحث فى اتجاهين هما : البحث على ما يقتضيه الشرع ، و هى العلوم الشرعية . و هو يقدم العلوم الحكمية على العلوم الشرعية لأسبقيتها فى التدوين و البحث ، فالاعتبار هنا للفارق الزمنى وليس لشرف العلم كما وجد عند السيوطى أو ابن الأكفانى . و يفرق فى العلوم الحكمية بين نوعين : علوم نظرية تبحث فى الموجودات الخارجية ، و علوم عملية تختص بالتشريعات البشرية لتنظيم حياة الأشخاص ، و على هذا الحال العلوم الشرعية التى تبحث فى قواعد التشريعات الإلهية ، فيقدم الحكمة العملية على العلوم الشرعية على أساس أسبقيتها فى التدوين . (٩) و تأتى الدوحة السابعة فى علوم التصفية ، التى يراها ثمرة العمل بكل ما تقدم من العلم ، و يعطى فى كل دوحة مقدمة توضح مجال العلوم التى تشمل عليها ، و تفسيرا بطريقة تقسيمها التى وردت بها ، ثم يقسم كل دوحة إلى عدد من الشعب ، وكل شعبة إلى عدد من العلوم . ويتدرج فى عرض الشعب أو العلوم بشكل منطقى ، و أحيانا يوضح سبب تقديم بعض الشعب عن الأخرى ، أو تقديم بعض العلوم على غيرها و أحيانا لا يقدم تفسيرا ؛ فالدوحة الأولى تتدرج فيها الشعب بطريقة منطقية ، فيبدأ بالعلوم المتعلقة بكيفية الصناعة الخطية ، التى تتضمن مجموعة

الأدوات و القوانين التى يحتاج إليها عند الكتابة ، ثم تأتى السعبة الثانية فيمـــا يتعلــق بعملية الكتابة نفسها (و فيما يتعلق بإملاء الحروف) ، و يرتب شعب الدوحة الثانيـــة وعلومها ترتيبا منطقيا موضحا فلسفته فى هذا الترتيب فى مقدمة هذه الدوحة ، و ذلك على اعتبار الحاجة فى تميز اللغة العربية من غيرها من اللغات مـــن حيــث عــدد حروفها وكيفية نطقها ، و من هنا بدأ بعلم مخارج الحروف ، ثم التعرف على كيفيـــة وضع الكلمة للدلالة على المعنى ، و هو مايعرف بعلم اللغة ، ثم يأتى البحـــث عــن اشتقاقات الكلمة وما يطرأ عليها من تبديل الحروف الأصلية أو الزائدة بعضـــها مــن بعض وهو ما يخص علم الاشتقاق والصرف. وهذه العلوم السابقة تتناول البحث عــن المفردات اللغوية ، و من ثم بدأ الشعبة الأولى من الدوحـــة الثالثـــة فيمـــا يتعلــق بالمفردات ، ثم ينتقل إلى العلوم التى تتعلق بالمركبات ، و ليس المقصود بها الكلمـــة كلفظ و لكن مجموعة الكلمات المكونة لجملة، و هنا نلاحظ التدرج المنطقى لعـــرض شعب الدوحة الثانية ، و تتدرج علوم الشعبة الثانية تدرجا منطقيا من حيـــث اعتمـــاد اللاحق على السابق ، حيث يبدأ بعلم النحو المتعلق بكيفية الإعراب لما له من فائدة فى تجنب الخطأ فى تطبيق التراكيب العربية على المعانى الوضعية ، وتتضح أهميته فـــى اعتماد علوم البلاغة اللاحقة عليه لتناولها التراكيب اللغوية و الألفاظ من حيث دلالتـــها على المعنى ، ثم ينتقل إلى العلوم الأدبية التى تتناول الشعر و النـــثر ، و يـــرى مـــا تتضمنه الشعبة الأولى والثانية فى جملة أصول العلوم العربية ، و تأتى الشعبة الثالثـــة فى فروعها . ويتناول فى الدوحات الثالثة و الرابعة و الخامسة علوم الأوائل ، التـــى يبدأها بعلم المنطق باعتباره المدخل إلى العلوم الفلسفية و الحكمة ، و هو ما تتناولـــه الدوحتان اللاحقتان ، ثم تأتى الدوحة الرابعة فى الحكمة النظرية ، و يقسمها بمنطـــق المصنفين السابقين عليه مثل الفارابى و ابن سينا و الطوسى وابن الأكفانى ، و ذلـــك من حيث بحثها عن الموجودات فى ثلاثة اتجاهات ؛ فالقسم الأول يبحث فـــى أمـــور مجردة عن المادة وهو العلم الأعلى أو العلم الالهى . و القسم الثانى يبحث فى أمـــور يصح تجردها عن المادة فى الذهن فقط ، و من هنا فهو لايتجرد عن المـــادة كليـــة ، وهو ما يعرف بالعلم الأوسط ، أو العلم الرياضى . و القسم الثالث يبحث عن طبـــائع الأجسام الطبيعية ، و من هنا فهو يبحث فى أمور مادية فى الذهن و فى الخارج و هو

ما يسمى بالعلم الأدنى أو العلم الطبيعى ، وهذه العلوم هى أصول الحكمة النظرية ، و يأتى ترتيبها بتقديم العلم الإلهى لشرفه ثم العلم الأوسط ثم العلم الأدنى . (١٠) و لكنه عند العرض قدم العلم الطبيعى (العلم الأدنى) على العلم الأوسط ، وهو العلم الرياضى ، و ذلك تحقيقا لمبدئه فى عرض العلوم من حيث أن العلم السابق وسيلة إلى العلم اللاحق عليه ؛ فالعلم الإلهى يمهد الذهن لباحث العلم الطبيعى من حيث بحثه فى مبادىء العلوم و بيان مقدماتها و مبادئها ، كما أن العلم الطبيعى يمهد للعلم الرياضى من حيث استمداد العلم الهندسى وعلم الهيئة بعض مبادئها من العلم الطبيعى ، حيث إن معلوماتهما الحسية تتمثل فى شكل مادى سواء كان مجسما فى الهندسة أو فى جسم طبيعى فى علم الهيئة مثل الأجرام السماوية. (١١) و يأتى تقسيم كل أصل من علوم الحكمة النظرية إلى عدد من الشعب تصل إلى ست شعب ؛ فيقسم العلم الإلهى إلى شعبتين الأولى فى العلم الأصلى والثانية فى العلم الفرعى ، و يخصص للعلم الطبيعى ثلاث شعب من الثالثة إلى الخامسة ، الأولى منها فى أصول العلم الطبيعى ، و الثانية فى الفروع ، و الثالثة فى فروع الفروع ، و هنا نلاحظ التسلسل المنطقى فى ترتيب الشعب . ويخصص الشعب من السادسة فى أصول العلم الرياضى ، و من الشعبة السابعة إلى العاشرة فى فروع العلم الرياضى ، وتعرض الدوحة الخامسة (علوم الحكمة العلمية) فى أربع شعب، الثلاث الأولى منها فى أصول الحكمة العملية ، و الشعبة الرابعة فى فروعها ، و إن كان يقصرها على فروع علم السياسة فقط . وتأتى الدوحة السادسة فى الجزء الثانى من العلوم الباحثة ، و هى العلوم الشرعية . و يبنى ترتيبها على أساس شكلى منهجى كما فعل ابن الأكفانى تماما ، بل إنه ينقل ألفاظ عبارته نفسها ، فيقول إن العلوم الاعتقادية إما متعلقة بالنقل ، أو فهم المنقول أو تقرير وتشيد بالأدلة ، أو استخراج الأحكام المستنبطة . (١٢) ومن ثم فقد جعل الترتيب على أساس طريقة الواسطة التى انتقل بها العلم ، لا على أساس الموضوع و المحتوى ، فجعل ما يخص النقل ، أى العلوم التى وصلت عن طريق الرواية ، و هى : علم القراءات ، ورواية الحديث ، وما يخص فهم المنقول ، أى العلوم التى تستخدم الدراسة ، و هى : علم التفسير ، و علم دراسة الحديث ، وما يخص التقرير ، أى العلوم التى تقوم على الأدلة معا ، و هى: علم أصول الدين ، و علم أصول الفقة ، ثم

ما تقوم على استخراج الأحكام ، و هو :علم الفقة ، و فى النهاية علم التصوف الذى يقوم على السلوك ؛ أى التطبيق العملى لما سبقه من العلوم الشرعية ، و هو ما تضمنته الدوحة السابعة .

و يتضح مما تقدم أنه لم يحافظ على مبدأ تجاور الموضوعات المتشابهة أو ذات الوحدة الموضوعية ، ففصل علم القراءات الخاص بعلوم القرآن ، و هو أوثق اتصالا بالتفسير منه بعلم رواية الحديث ، وعلم رواية الحديث أوثق اتصالا بعلم دراسة الحديث منه بعلم التفسير . كما أنه أخر علم أصول الدين الذى يأتى فى معظم التصانيف – من جهةشرفه – فى قمة العلوم الشرعية الإسلامية ، و فى الوقت نفسه قدمه على علم أصول الفقه الذى يعد بمثابة العلم الخاص من العلم العام .

و قسم الدوحة السادسة إلى ثمانى شعب ، اختصت السبعة الأولى بأصول العلوم الشرعية، و خصص الثامنة فى فروع العلوم الشرعية السبعة .

القواعد و المفاهيم فى تصنيف طاشكبرى زادة

يعد تصنيف طاشكبرى زادة نموذجا متكاملا للتصانيف العربية الإسلامية ، وقد تمثلت فيه العديد من القواعد و المفاهيم التصنيفية التى أقرها المصنفون العرب المسلمون ، كما امتلأ تصنيفه بالعديدمن المواضع التى تعطى أمثلة على ابتكاراته التصنيفية التى أقرها و استخدمها مصنفو العصر الحديث . و قد برز فى تصنيفه العديد من العلاقات بين العلوم ، و منها :

- **علاقة التساوى** التى وجدت لها نماذج متعددة فى تصنيفه ، و منها ما ورد من علوم الشعبة الثانية فى الدوحة الثانية ، مثل علم النحو ، و علم المعانى ، و علم العروض ، التى تبحث فى موضوع واحد هو الألفاظ العربية ، و لكن الأول يبحث فى أحوال الكلمات العربية إعرابا و بناء ، و الثانى من حيث مطابقة اللفظ العربى لمقتضى الحال ، و الثالث فى أحوال الأوزان المعتبرة فى الشعر ، و فى الوقت نفسه تتبع علما أعلى ، هو علم اللغة .
- **علاقة اشتمال و تبعية** ، و يطلق عليها '' بليس '' اسم التفريع الذى يعنى تدرج الموضوعات الأصغر فى الموضوعات الأكبر بنفس القدر من المنطقية و التسلسل الموجود فى الروابط بين الموضوعات الأكبر . (١٣) و هذا ما اتبعه طاشكبرى

زادة فى عرض العلوم فى تصنيفه التى صارت متدرجة من العلم الكلى إلى العلم الجزئى ؛ فقد قسم المعرفة إلى سبع لوحات تمثل الأقسام الرئيسية فى المعرفة ، ثم تتدرج من الدوحة إلى عدد من الشعب تمثل العلوم الأصلية ، ثم فروع من شعب العلوم الفرعية ، و قد يستمر فى التفريع إلى فروع الفروع كما فى تقسيمه لعلوم العلم الطبيعى .

- **علاقة ترابط** ، و هى من العلاقات التى نادى بها '' بليس '' ، و تعنى جمع المجموعات المتجانسة معا ، حيث توجد بينها علاقات قوية . (١٥) و قد عمل طاشكيرى زاد' على تجاوز الموضوعات المتشابهة ، مثل تجاور علوم الكتابة واللغة و الأدب فى الدوحتين الأولى و الثانية ، كما تجاورت العلوم البحتة وتطبيقاتها ، مثل العلوم الأصلية للعلم فى الشعبة السادسة ، التى تعد بمثابة العلوم النظرية و العلوم المفرعة عنها ، و التى تدخل فى نطاق العلوم التطبيقية فى الشعب التالية لها من الدوحة السادسة ، كذلك معالجة العلوم الشرعية و علوم التصفية متجاورة فى الدوحتين السادسة والسابعة .

و من الأمور الأخرى التى تمثل ابتكارات طاشكبرى زادة فى التصنيف ، والتى أقرها مصنفو العصر الحديث : اتباعه مبدأ التفصيل الشديد و التصنيف الدقيق ، و هو من المبادىء التصنيفية المقررة فى العصر الحديث ، فقد عرف العلم وموضوعه وغايته و الحكايات التى وردت حوله . و اتباعه مبدأ التسلسل الذى نادى به '' كونت '' فى القرن التاسع عشر ، الذى أخذه عنه '' بليس '' و أسماه : '' التداعى بالخصوصية '' . (١٥) و يعنى هذا المبدأ أن العلوم تسير فى ترتيب متسلسل يقلل من التعميم ليزيد من التعقيد ، فكل علم في تصنيفه يبنى على العلم السابق ، أى أن كل علم خادم للعلم التابع له ، و و سيلة له . و على هذا الأساس يتم التدرج للعلوم الأساسية فى تصنيف كونت . و إذا ما قارنا هذا المبدأ بما عند طاشكبرى زادة فإن طاشكيرى زادة قد صرح باستخدام هذا المبدأ فى بداية تصنيفه فى عبارة موجزة دون أن يعطى لهذا المبدأ تسمية ، فهو يقول : '' إعلم أن للأشياء وجود فى أربع مراتب فى الكتابة و فى العبارة و فى الأذهان و فى الأعيان ، و كل سابق منها وسيلة إلى اللاحق ، لأن الخط دال على الألفاظ ، و هذه ما فى

الأذهان.(١٦) و من هنا يحدد طاشكيرى زادة المجالات الرئيسية للمعرفة ، و يرى أنها تسير فى ترتيب متسلسل من حيث أن كل علم فيها خادم للعلم التابع له ، وكل علم مبنى على العلم السابق له ، لذالك بدأ بأعم العلوم المتمثل في الخط ثم الألفاظ التى تعد أكثر تعقيدا و المبنية على الخط ، ثم الأكثر تعقيدا و هو المتعلق بالعقل و تنظيم الفكر ، والذى يعتمد أساسا على الألفاظ لأنها تؤدى إلى تكوين المعانى الخاصة به ، ثم هو بدوره يؤدى إلى بقية العلوم التابعة له لاستخدامها قوانين الفكر ، و من ثم فقد سبق طاشكيرى زادة المصنفين الغربيين بعدة قرون في تطبيق مبدأ من أهم مبادىء التصنيف فى العصر الحديث ، و طبقه تطبيقا متقنا على ترتيب العلوم فى تصنيفه . وهذا يدل على أن جذور الأسس الفلسفية للتصنيف في العصر الحديث قد وجدت عند المصنفين العرب و المسلمين .

و يعد الجانب الموضوعى من الأمور التى تناولها مصنفو القرن التاسع عشر، فيذكر '' فيكرى *Vickery* '' أن القاعدة الموضوعيةكانت محور مناقشات واهتمامات مصنفى القرن التاسع عشر ، وقد أشار فيكرى إلى محاولة الفارابى تقسيم العلوم نسبة إلى ماتشمله من مادة علمية و ما تتضمنه من أفكار موضوعية . وكما أشرنا من قبل من اعتماد الأنصارى على الجانب الموضوعى فى عرض علومه ، وقد أكد حاجى خليفة على الجانب الموضوعى استخدام المصنفين العرب له، و هذا ما نجده عند طاشكيرى زادة الذى عرض لكل علم محددا تعريفه بدقة ، وموضحا حدوده الموضوعية من حيث المبادىء التى يعتمد عليها ، أو الغاية منه ، أو مدى علاقته بغيره من العلوم و استفادته منها ، كما نجده فى أكثر من موضع يرسم حدود الموضوع بدقة بحيث يفصله تماما عن غيره من العلوم ، و هذا ما نجده فى علم الاشتقاق ، و توضيحه الفروق الدقيقة بينه و بين علم الصرف ، و ما وقع للكتاب من اشتباه لهذا العلم حتى درجوه ضمن علم الصرف . (١٧)

ومن الوسائل التى استخدمها مصنفو العصر الحديث للربط بين الموضوعات (الإحالات) ، وقد امتلأ تصنيف طاشكبرى زادة بمواضع متعددة استخدم فيها الإحالة للربط بين الموضوعات سواء كانت إحالة سابقة تدل على ربط الموضوع بماسبقه أو إحالة لاحقة لربط العلم بموضوع أو علم لاحق عليه . و اذا كان مصنفو العصر

الحديث يستخدمون لها ألفاظا مقننة مثل : انظر أو انظر أيضا ، فإن طاشكبرى عبر عنها بمفهوم إجمالى ليفيد إحالة القارئ إلى المكان المحدد لوجود الموضوع أو العلم . وقد هدف من وراء استخدامها إلى مقاصد منها : توضيح الأماكن الأخرى فى التصنيف لمعالجة العلم ، لأنه يعد الأفضل ، أو الإشارة إلى معالجة العلم من وجهة نظر مختلفة تؤدى به إلى أن يكون أيضا من فروع علم آخر . ومن الأمثلة على ذلك:

- علم خط المصحف ، فى الشعبة الثانية من الدوحة الأولى ، يقول عنه : '' إن كان من فروع علم الخط – من حيث كونه باحثا عن نوع من الخط – لكنا نبحث عنه فى علوم تتعلق بالقرآن الكريم . (١٨) و يعيد معالجته مرة أخرى بتسمية مختلفة : علم رسم كتابة القرآن فى المصاحف ، وذلك فى الطلب الأول من الشعبة الثامنة فى الدوحة السادسة ، وهناك أيضا يشير إلى أنه من علوم تتعلق بالألفاظ .
- علم خط العروض ، فى الشعبة الثانية من الدوحة الأولى ، يقول عنه : '' و إن كان من أنواع علم الخط ، ولكن لما كان من فروع علم العروض أيضا أخرنا تفصيله وتفصيل ما فيه من المصنفات إلى هناك '' . (١٩)
- علم حساب الفرائض ، فى الشعبة التاسعة من الدوحة الرابعة : يذكره ضمن فروع علم الحساب ، و يشير إلى معالجته بشكل مفصل ضمن فروع العلوم الشرعية ، وبالبحث عنه نجده ضمن فروع علم الفقه ، فى المطلب السابع من الشعبة الثامنة من الدوحة السادسة .
- علم إعداد الوقت ، فى الشعبة التاسعة من الدوحة الرابعة : يذكره ضمن فروع علم الحساب ، ويشير إلى أنه من فروع علم الخواص ، و إذا بحثنا عن علم الخواص نجده يشير إلى علم الوقف فى علم الخواص الروحانية ، فى المطلب الثالث من الشعبة الثامنة من الدوحة السادسة .

و من الأمثلة على استخدامه حالة النظر المخصصة التى تشير إلى المكان المستخدم فعلا لمعالجة الموضوع :

- علم معرفة الإمالة و الفتح و ما بينهما ، و علم معرفة الإدغام و الإظهار و الإخفاء و الإقلاب ، فى المطلب الثالث من الشعبة الثامنة من الدوحة السادسة ، حيث يقول : " كل هذه مفصلة فى علم القراءة فليعلم من كتبها " . (٢٠)
- علم معرفة علم القرآن و خاصه و مجمله و مبينه ، فى المطلب الثالث من الشعبة الثامنة من الدوحة السادسة ، فيقول عنه : " و مباحث هذا العلم فى علم الأصول ، و من أتقنها سهل عليه معرفتها فى الآيات القرآنية " . (٢١)
- علم معرفة مرسوم الخط و آداب كتابته ، فى المطلب الثالث من الشعبة الثامنة من الدوحة السادسة ، فيقول عنه : " و هذا العلم قد ينتج من فروع علم القراءة أيضا ، و قد فصلناه هناك فلا نعيده ، إذ التكرار مما يعاب عند أولى الألباب " . (٢٢)

و يلاحظ عدم معالجة هذه العلوم فى مواضعها التى يذكرها ، و إنما يشير إلى المكان الأساسى الذى يعالج فيه العلم .

و من الأمثلة على إحالة انظر ما يقوله عن علم الزهد و الورع فى المطلب الرابع من الشعبة الثامنة من الدوحة السادسة : " و لما كان هذا العلم نتيجة علم الحديث و ثمرته جعلناه من فروعه " . (٢٣) ثم يشير إلى أنه سوف يعالجه فى الطرف الثانى من الرسالة مع العلوم الكشفية ، و بالبحث عن هذا العلم فى الدوحة السابعة نجده فى الأصل الرابع من الشعبة الرابعة من الدوحة السابعة تحت مسمى : فى العصى و الزهد .

كما وجدت فى تصنيف طاشكبرى زادة إحالة عمياء ؛ ففى علم إملاء الخط العربى ، فى الشعبة الثانية من الدوحة الأولى ، يقول : " هذا العلم من حيث حصول الحروف بالآلة من أنواع علم الخط ، و من حيث دلالتها على الألفاظ من فروع علم العربية ، و سنعرف تفاصيلها هناك " . (٢٤) وبالبحث عنه فى فروع العلوم العربية لانجد له ذكرا .

و قد تضمن تصنيف طاشكبرى زاده مواضع أخرى متعددة ، تظهر على جوانب جديدة من إبتكاراته فى التصنيف ، و منها : استخدام مبدأ التحليل و التركيب ، و هو ما نادى به " رانجاناثان " فى العصر الحديث ، الذى يتلخص - كما وضعه

رانجاناثان – فى تحليل الموضوع إلى عناصره و إعطاء كل عنصر فى الموضوع رقمه المناسب من القوائم ، ثم إعادة تركيب هذه العناصر معا لتكوين رقم التصنيف المركب باستعمال علامات الربط المناسبة للتعبير عن الموضوع ، حيث يسجل الخصائص العامة التى يطلق عليها الأوجه ، ثم يتم ربط أرقامها للتعبير بدقة عن موضوع الوثيقة . و قد حصرت هذه الأوجه فى خمسة مفاهيم أساسية هى : الشخصية و المادة و الطاقة و المكان و الزمان . و كل وجه من هذه الوجوه يركب إلى الموضوع عن طريق علامات ترقيم تستعمل كمؤشر وجهى . (٢٥) و هذا التحليل الذى جاء به '' رانجاناثان '' نجد ما يماثله عند طاشكبرى زادة الذى حصر العلوم فى أربع مراتب و هى : الخط و الألفاظ و الأذهان ؛ أى قوانين الفكر ، والأعيان ، و هى العلوم البحتة و التطبيقية . و قسم علومه – على هذه المراتب – إلى سبع درجات ، كما اعتمد فى عرض علومه على التحليل و تجزئة العلوم ، ثم إعادة ربط الموضوعات مع بعضها لتخليق علوم جديدة . و إذا كان تصنيف الكولون يستخدم الرموز فى التعبير عن الموضوعات و الربط بينها فإن طاشكبرى زادة يستخدم اللفظ للربط بين الموضوعات ، و يزخر تصنيفه بالأمثلة العديدة على عملية تحليل الموضوع حسب المراتب التى حددها للعلوم و إعادة ربطها ، و منها :

- علم إملاء الخط العربى الذى يحلله إلى الخط و الألفاظ ، فيقول عن هذا العلم : '' من حيث حصول الحروف بالآلة فهو من أنواع علم الخطوط ، و من حيث دلالتها على الألفاظ فهو من فروع العلوم العربية '' . (٢٦)
- علم الشروط و السجلات ، الذى يحلله إلى اللفظ و الأعيان ، و يقول عنه : '' أنه من حيث اللفظ يعد من فروع علم الإنشاء ، فى الدوحة الثانية المتعلقة بالألفاظ ، و من حيث اعتبار مدلوله فهو من فروع علم الفقه ، فى الدوحة السادسة المتعلقة بالأعيان .
- علم الريافة الذى يذكره فى موضوعين مختلفين ؛ فقد جعله من فروع علم الفراسة . (٢٧) من حيث معرفة وجود الماء فى جوف الأرض ، و جعله مرة أخرى من فروع علم الهندسة (٢٨) من حيث حفر الأرض و إخراج الماء على وجه الأرض .

و من النماذج التي تدل على اعتماد طاشكبرى زادة فى عرض علومه على التحليل و التركيب : فصله بين علم المعادن و علم استنباط المياه ، فذكر علم المعادن فى الشعبة الرابعة ضمن فروع العلم الطبيعى ، بينما ذكر علم استنباط المياه فى الشعبة الخامسة من فروع العلم الطبيعى تاليا لعلم الرياقة ، وبرر ذلك بقوله : '' إن مبادئه و آلاته قريبة من علم الرياقة '' . (٢٩)

علم الخواص الروحانية الذى يذكره ضمن فروع علم التفسير من العلوم الشرعية ، و لكنه يحلله فى أكثر من مجال فيقول : '' إن هذا العلم يمكن جعله فى فروع علم الحساب من حيث ترتيب الأعداد ، و أيضا من فروع علم الهندسة من جهة تعديل الأعداد أو الحروف فى الجداول الوفقية ، ولكن لما أمكن جعله من خواص الحروف باعتبار جعل الوفق حرفيا ذكرناه فى علم الحروف التى هى من خواص القران''.(٣٠)

ومن هنا فقد أعطى للعلم أكثر من تحليل ، و ركبه مع علوم أخرى ليخلق علوما جديدة ، ليكون مرة من فروع علم الحساب ، ومرة أخرى من فروع علم الهندسة ، وثالثة من فروع علم التفسير .

ومن الأمثلة أيضا إلى عملية التحليل و التركيب : ذكره لعلم التاريخ ضمن علوم الشعبة الثانية للدوحة الثانية ، و فصله عن علم المغازى و السير ، و علم حكايات الصالحين ، و علم تاريخ الخلفاء ، و علم سير الصحابة و التابعين . والملاحظ أن هذه العلوم جميعا تدور حول مضمون واحد هو علم التاريخ ، و لكنه لم يجعلها فروعا لعلم التاريخ ، و لكنه قسمها مع ما يناسبها من العلوم الأخرى مستخدما فى ذلك التحليل و التركيب ، فألحق علم المغازى و السير بفروع العلوم العربية ، فى الشعبة الثالثة للدوحة الثانية . كما ألحقه أيضا ضمن فروع علم الحديث ، فى المطلب الرابع من الشعبة الثامنة من الدوحة السادسة . و استدل على ذلك بقوله : '' هذا و إن أمكن عده من فروع علم التاريخ لكن لما كان ثبوتها بالأحاديث و الآثار جعلناه من فروع علم الحديث '' . (٣١) وقد ذكر بقية العلوم الأخرىضمن فروع العلوم العربية و أشار أنها فروع لعلم التاريخ .

و قام طاشكبرى زادة بتحليل عناصر علم النجوم ، ثم تركيبه في عناصر أخرى ، مكونا بذلك موضوعات جديدة ، حيث فصل علم النجوم عن علم أحكام النجوم ، كما فصلهما عن علم حساب النجوم على النحو التالي : ذكر في الشعبة الخامسة تحت العنقود الثالث فروع أحكام النجوم ، و نوه إلى أن أحكام النجوم تختلف عن علم النجوم ، لأن علم النجوم يعرف بالحساب ، فيكون من فروع العلم الرياضى، بينما علم أحكام النجوم يعرف بدلالة الطبيعة على الآثار ، فيكون من فروع العلم الطبيعى . (٣٢) أما علم حساب النجوم فذكره في الشعبة الثامنة تحت فروع علم الهيئة ، و شرح ذلك بقوله : '' هذا و إن كان من فروع علم العدد إلا أنه من جهة توقف التقويم عليه ، صار من فروعه أيضا '' . (٣٣)

و يتوج طاشكبرى زادة ابتكاراته التصنيفية بجعله عملية تقسيم العلوم علما قائما بذاته ، حدد تعريفه بدقة تقترب من مفهومه الحديث وقد سبق الإشارة إلى هذا الأمر فى الفصل الأول من الكتاب.

تقييم محاولة طاشكبرى زادة التصنيفية

يلاحظ على تصنيف طاشكبرى زادة ما يلى :

١-أن الاتجاه العام فى تصنيفه اتجاه تربوى تعليمي ، وضع لخدمة العملية التعليمية ، و لذلك نرى أن تدرج العلوم فى تصنيفه قد جاء لخدمة هذا الاتجاه ، فقد بدأ بالعلوم التى تعد أدوات العملية التعليمية و التحصيلية ، فبدأ بعلوم الخط وتبعها بالعلوم اللغوية والأدبية التى تعد مدخلا و وسيلة لدراسة العلوم الحكمية و الشرعية ، ثم علم المنطق الذى يمد طالب العلم بالقواعد و القوانين التى تعد الذهن لدراسة ما بعده من العلوم وفهمها . (٣٤)

٢-كما يسير عرض العلوم فى تصنيفه لخدمة الحقيقة الدينية ، حيث خصص الدوحتين الأخريين للعلوم الدينية ولم يبدأ بهما ، كغيره من المصنفين قبل الخوارزمى. كما جعل الدوحة السابعة فى علوم المكاشفة (التصوف) التى هى بمثابة ثمرة العمل، بعد تحصيل العلوم السابقة عليها .

٣- قدرته وتمكنه من العلوم و الإحاطة بحدودها ، و بخاصة العلوم العربية ، فيفرق بدقة بين علم اللغة و علم الصرف و علم الاشتقاق ، وهذا الأخير يحدد مكانا واضحا دقيقا له بعد علم اللغة وقبل علم الصرف ، بل ينقد كل من يدرج هذا العلم في موضوع علم الصرف كما في شروح مفتاح العلوم للسكاكي ، ويوضح أن السبب في ذلك يرجع إلى عادة الكتاب في تدوين هذا العلم في كتب الصرف و قلة الكتابة فيه منفردا ، ولذلك توهم البعض أنه من موضوعات علم الصرف . (٣٥)

٤- إلحاق علم التاريخ بالعلوم العربية في الدوحة الثانية المتعلقة بالألفاظ ، و يعكس ذلك نشاة علم التاريخ باعتباره الة و وسيلة للعلوم الدينية لارتباط الحاجة بالكتابة فيه بالرواية عن الرسول ـــ صلى الله عليه و سلم ـــ و أصحابه . كما أن رواية الحديث قد اقتضت البحث في السير و الأنساب للتأكد من الشخصيات التي يسند إليها رواية الحديث ، و من ثم فهو مثل العلوم العربية التي هي الأخرى الة و وسيلة لفهم العلوم الدينية ، و لذلك أدرجه في العلوم العربية ، وكان الأفضل فصله عنها في دوحة مستقلة ، وخاصة أنه توسع في تفريع علومه لتصل إلى خمسة عشر علما .

٥-نظرته المتقدمة للعلوم ، فقد ذكر علوما أصبحت من علوم العصر الحديث ، و إن لم يدرك نسبتها إلى العلم الأصلي لها مثل : علم قيافة البشر من فروع علم الفراسة ، الذي سمي بهذا الاسم لكون صاحبه يتتبع بشرات الإنسان وجلوده ، وما يتبع ذلك من هيئات سائر الأعضاء ويقول : '' إن مبنى هذا العلم ما ثبت في المباحث الطبيعية من وجود المناسبة و المشابهة بين الولد ووالديه . (٣٦) و يدخل هذا العلم في موضوعات علم الطب في العصر الحديث ، فعن طريق تحليل أنسجة الإنسان و جلده يمكن إثبات نسبة الطفل لأبيه .

و من العلوم التي تدل على نظرته المتقدمة للعلوم : علم مواسم السنة ، الذي جعله أحد فروع علم الهيئة ، و يعد من موضوعات علم العادات و التقاليد في العصر الحديث . كذلك علم الرقص الذي جعله أحد فروع علم الموسيقى لارتباط أداء الحركات الراقصة بالنغمات و الموسيقى .

و هذا العلم يفرع في العصر الحديث من قسم الفنون ، و من ثم تعد نظرة طاشكبري زادة له متقدمة لجعله علما ، كما أن اعتباره أحد فروع علم الموسيقى قد

قرب بمفهومه من نظرة العلم الحديث له . ويؤخذ عليه اعتباره علم الغنج علما ، وعده أحد فروع علم الموسيقى ، و إن كان يعد أحد الوسائل المستخدمة في علاج العجز الجنسي ، و من ثم كان من المفروض معالجته مع علم الحياة .

المميزات و العيوب في تصنيف طاشكبري زاده

يتميز طاشكبرى زادة فى تصنيفه بعدة مميزات منها :

- ذكر الأسباب التى جعلته يقسم بعض العلوم بطريقة معينة ؛ ففى آخر مقدمة بعض الدوحات يشير إلى طريقة تقسيم العلوم الأصلية أو الفرعية ، كما فى الدوحة الثانية : فى علوم تتعلق بالألفاظ ، و فى الدوحة السادسة : فى العلوم الشرعية ، فهو يوضح الأساس الذى سار عليه فى تقسيم العلوم . (٣٧) و قد يوضح السبب فى تقسيم بعض العلوم الفرعية كما فى إلحاقه بعض العلوم فى أواخر علم التفسير و يبرر ذلك بقوله : '' و إعلم أن ها هنا بعض العلوم رأيت درجها فى علم التفسير أحسن و أولى لأن لها تعلقا بالحروف التى هى نواتج السور ، لأن لها خواصا لايطلع عليها إلا متكلمها ، و هى هذه . (٣٨) ثم ينص عليها .
- النص على الأسماء الأخرى المحتملة للموضوع ، كما فى علم العدد ، حيث يشير إلى التسمية الأخرى له و هى علم الحساب .
- أحيانا يورد علوما لاحقة لعلوم أخرى ، بالرغم من وجود التباين بينهم ، و لكنه يوضح السبب لذلك كما فى ذكره لعلم استنباط المعادن فى الشعبة الخامسة ــ وفصله عن علم المعادن فى الشعبة الرابعة الذى يتصل به موضوعيا ــ بعد علم الريافة ، مبررا ذلك بقوله : '' إن مبادئه و آلاته قريبة من علم الريافة '' .(٣٩)
- يراجع نفسه – أحيانا – فى تقسيم العلوم و أماكنها ، فقد يرتب علما فى مكان ما، و عندما يرى مكانا أنسب لهذا العلم سرعان ما يوضح مكانه الجديد ، مثل : علم مخارج الألفاظ الذى ذكره ضمن علوم الشعبة الثامنة من الدوحة السادسة تحت فروع العلوم الشرعية . (٤٠) و استدرك قائلا : '' إن علم مخارج الألفاظ ربما يجعل من فروع علم الألفاظ المعالجة الواحدة لعلم اللغة و علم الأدب فى الدوحة الثانية ، فيما يتعلق بالألفاظ ، مع تمييزه بين حدود علوم الكتابة و علوم اللغة

و علوم الأدب ، و هذا ما افتقدته بعض التصانيف الغربية المشهورة مثل تصنيف بيكون الذى فصل علوم الكتابة و البلاغة و اللغة عن علوم الشعر ، كما فصل الشعر عن التاريخ الأدبى فلم يحقق مبدأ تجاوز الموضوعات المتشابهة ، و هذا ما أكده '' سايرز '' حيث أشار إلى الصعوبة العملية فى استخدام تصنيف بيكون الذى تمثل فى فصل موضوعات عن بعضها تنتمى إلى قطاع معرفى واحد ، فعالج التاريخ الأدبى داخل علم التاريخ بعيدا عن علم الشعر . و ما نجده عند بيكون نجده فى تصنيف ديوى العشرى ، أوسع التصانيف الببليوجرافية انتشارا فى العصر الحديث .

و يعد تصنيف طاشكبرى زادة من أكمل التصانيف العربية ، فقد استوعب كل ما سبقه و زاد عليه ، فأضاف علوم متعددة ، كما تميز بأن له منهجا تصنيفيا بمفهوم العصر الحديث ، و هذا ما دفع حاجى خليفة إلى امتداحه ، حيث يقول : '' إنه أحسن الجميع ، يقصد جميع التصانيف التى سبقته والتى عرضها فى كتابه ''كشف الظنون '' . و قد أعطى حاجى خليفة تلخيصا للعلوم و تقسيمها عند طاشكبرى زادة ، و لكنه نقد طاشكبرى زادة ، و سجل عليه بعض المآخذ و منها : عدم استيعابه الأقسام فى كثير من المباحث التى أفردت بالتدوين ، و إدخاله فى فروع علم ما ليس فيه . (٤١) و قد تمثل ذلك فى إهمال ذكر فروع علم أصول الدين الذى يعد من أهم أقسام العلوم الشرعية ، كما أغفل ذكر أقسام المنطق التسعة ، و لم يشر إلى الأصل التاسع من الشعبة الأولى فى الدوحة السابعة ، وانتقل إلى الأصل العاشر مباشرة . كما أسقط المطلبين الثامن و التاسع من الأصل الخامس فى الشعبة الثانية من الدوحة السابعة .

و من عيوب تصنيفه حديثه عن مباحث و موضوعات باعتبارها علوما ، وهذا ما نجده فى فروع الفروع للعلم الطبيعى ، كما فى العنقود الرابع فى فروع علم السحر ، فيذكر موضوعات ومباحث لاتعدو علوما ، و يعتبرها علوما ، مثل علم العزائم و علم تعلق القلب و علم الرقى، وغيرها ، كما فى فروع علم التفسير أيضا .

و من الأمثلة على إدخال طاشكبرى زادة فى فروع علم ما ليس فيه :

- ذكره علم الأطعمة و المزورات ، و علم قلع الآثار من الثياب ، و علم تركيب أنواع المداد ، في فروع علم الطب ، و هي بعيدة تماما عن أن يكون من فروعه ، و خاصة العلمين الأخيرين ، فهما أقرب لعلم الكيمياء .
- ذكره علوم النظر و الجدل و الخلاف في الشعبة الثانية من الدوحة الثالثة ، ثم أعادتها مرة أخرى تحت فروع علم أصول الفقه في المطلب السادس من الدوحة السادسة ، و كان من المفروض أن توضع تحت فروع علم أصول الدين لأنها أقرب إليه .
- عدم التحديد الواضح لأسماء العلوم الأصلية التي تتفرع عنها الفروع ، فذكرها في المطلب الثاني من الدوحة السادسة ، في فروع العلم الحديث ، ثم ذكر في المطلب الرابع من الدوحة السادسة ، في فروع العلم الحديث ، و لم يوضح أن المطلب الثاني في فروع رواية الحديث و المطلب الرابع في فروع دراية الحديث، و ذلك حسب توزيع الأصول في الشعب الخاصة بالدوحة السادسة . ويلاحظ أنه ذكر علم شرح الحديث كفرع لعلم رواية الحديث ، على الرغم من أنه يعد من فروع علم دراية الحديث ، كما أن الفروع التي ذكرها تحت علم دراية الحديث في المطلب الرابع من الشعبة السادسة تبعد تماما عن الموضوع و تقترب من موضوعات الصوفية .

و من عيوبه أيضا : إشارته لعلوم لانجد لها مكانا على خرطته التصنيفية ، مثل إشارته إلى أن علم الاستعانة بخواص الأدوية و المفردات من فروع علم خواص الأدوية ، و بالبحث عن علم خواص الأدوية لا نجد له مكانا على خريطته التصنيفية . و تكراره ذكر بعض العلوم في أكثر من موضع مثل : علم الفرائض الذي ذكره مرة لفرع علم الحساب ، و أعاد ذكره مرة أخرى كأحد فروع علم الفقه . و كذلك علم الشروط و السجلات الذي ذكره كفرع لعلم الإنشاء ، ثم عاد و ذكره كفرع لعلم الفقه . كذلك علم مخارج الألفاظ الذي ذكره كفرع لعلم الألفاظ في الدوحة الثانية ثم عاد وذكره مرة أخرى في فروع علم القراءة في الدوحة السادسة . و كما كان هناك تكرار لذكر بعض العلوم نجد تكرارا لبعض الحكايات في أكثر من موضع ، كما في روايته

عن كنيسة بلاد الروم التى تكررت تحت علم الخواص و علـم الاسـتعانة بخـواص الأدوية و المفردات فى العنقود الرابع من الشعبة الخامسة من الدوحة الرابعة .

ومن عيوبه أيضا : عدم التزامه بطريقة واحدة فى تعريف العلوم ، فبعضـها يذكر تعريفه و غايته و موضوعه و الكتب المصنفة فيه ، مثل : علم النحـو و علـم البديع ، و بعضها يقتصر على تعريفه فقط ، مثل : علم القرعة و علم تعلق القلـب وعلم التعديل . و ذكره لعلوم بلا كتب على الرغم من أن تصنيفه قائم على تصنيـف الكتب ، مثل : علم الاختلاج و علم الحجامة و علم الفصد .

تأثير البيئة الثقافية على تصنيف طاشكبرى زاده

يعد طاشكبرى زادة نتاجا لأسرته و مجتمعه العام ، فقد عاش حياته فى ظـل ازدهار الإمبراطورية العثمانية التى بلغت أوجها فى عهد سـليمان القـانونى آخـر السلاطين العظام للدولة العثمانية . و قد إنحدر طاشكبرى زادة من أسرة ذات علم أبـا و جدا و عما وخالا ، وهم الذين تولوا تربيته و نشأته و تعليمه و اشتغلوا بـالعلم الدينى و العلوم العربية ، و هذه العلوم هى التى سادت الدولـة العثمانيـة عمومـا ، وطغت عليها لدرجة تصوف بعض السلاطين و شغفهم بالأدب و الشعر . و قد تركت خصائص أسرته التى تميزت بالورع و التدين و العلـم بصماتـها علـى شـخصية طاشكبرى زادة الذى تصوف هو الآخر كما تخصص فى تدريس علوم الدين و اللغة . (٤٢)

و قد كان للطابع العام الذى ساد الدولة العثمانية أثره علـى طاشـكبرى زادة حيث جمعت هذه الدولة بين صفات عديدة انعكست على مجتمعها ، فقد كـانت دولـة عسكرية وجهت جل اهتمامها إلى الجانب العسكرى الذى طغى على طبيعة المجتمع ، و إلى جانب ذلك كانت دولة دينية ، حيث حرص السلاطين على إضفاء الطابع الدينى على دولتهم فشجعوا التصوف و تولوا الطرق الصوفية ، ومن ثم حظى رجال الديـن والعلم فى الدولة بالاهتمام و التشجيع ، و كان منهم طاشكبرى زادة . كما كانت دولـة إقطاعية طبقية دكتاتورية ، ومن أهم ما اتصفت به أنها كانت دولة علميـة ، فنتيجـة التوسعات العظيمة و الفتوحات المترامية الأطراف ، فقد دخلت فى نطاق حكم الدولـة العثمانية شعوب مختلفة الجنسيات واللغات والثقافات و الديانات و العادات و التقـاليد .

و قد أتاح هذا الطابع العالمى حرية التنقل ، مما أتاح فرصة عظيمة للعلم و العلماء فى التأثر بكل هذه الثقافات الوافدة و التأثير فيها . ولاشك أن لتلك الخصائص التى تميز بها مجتمع طاشكبرى زادة و عصره أثرا فى تكوينيه العلمى والفكرى . و كما كان له تأثيره على المادة العلمية فى كتاب '' مفتاح السعادة ومصباح السعادة '' ، حيث قدم كتابه بأربع مقدمات تدور حول العلم و التعليم ، حيث صب فيها المؤلف خلاصة تجاربه فى التدريس ، بل ساعدت هذه المقدمات على بلورة المنهج التربوى التعليمى عند المسلمين خلال عشرة قرون .

كما كان لتصوف طاشكبرى زادة أثره فى عرض علومه التى جعلها فى ترتيب تصاعدى لخدمة الدين الإسلامى ، بل جعل ثمرة كل العلوم تنصب على علوم التصوف ، و بالتالى انتقلت إليها خلاصة الفكر العربى الإسلامى عبر عشرة قرون هجرية وامتلأت مكتباتها بكنوز الحضارة الإسلامية التى انتقلت إليها من مختلف الأقطار الإسلامية ساعدت طاشكبرى زادة على الحصر الشامل و الدقيق لفروع المعرفة البشرية التى تعد خلاصة الحضارة العربية الإسلامية ، و من ثم فقد وصل عدد العلوم فى تصنيفه فى الدوحات الست الأولى إلى ٣١٥ علما إضافة إلى المقدمات، بخلاف ما ورد فى الدوحة السابعة . ويعكس عرض العلوم و أعداد الكتب فى كل دوحة اتجاهات الإنتاج العلمى الفكرى فى عمر الحضارة العربية الإسلامية ، و قد عرضها الدكتور شعبان خليفة فى دراسة البيبليومترية لكتاب مفتاح السعادة ومصباح السيادة . (٤٣) و التى جاءت على النحو التالى :

المجال	العلوم	الكتب		المؤلفون	
		العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية
المقدمات	٤	١٣	%٠,٥٠	٩	%٨٣
الدوحة الأولى	٩	١٨	%٠,٥٠	١٢	
الدوحة الثانية	٤٥	٩٩٥	%٣٨,٧٠	٣٠٥	%٢٨,١٦
الدوحة الثالثة	٥	٧٣	%٢,٨٠	٣١	%٢,٨٦
الدوحة الرابعة	١٢٨	٢٣٢	%٩,٠٢	١٦٥	%١٥,٢٠
الدوحة الخامسة	٧	١٦	%٠,٦٢	١٥	%١,٣٨
الدوحة السادسة	١٢١	١٢١٤	%٤٧,٢	٥٣٧	%٤٩,٥٨
الدوحة السابعة	٢٠٥	١٠	%٠,٣٩	٩	%٠,٨٣
الجملة	—	٢٥٧١	%١٠٠	١٠٨٣	%١٠٠

و يتضح من الجدول السابق أن العلوم الدينية تأتى على قمة العلوم الأخرى سواء كان ذلك من حيث أعداد العلوم المفرعة منها ، أو من حيث أعداد الكتب ، أو من حيث أعداد المؤلفين فيها ثم يليها العلوم العربية ، و تأتى مجموعة العلوم العقلية فى المرتبة الثالثة ، و هذا يؤكد على أن تصنيفه جاء لخدمة علوم الدين الإسلامى الذى أفاض فى تعريفها أو حصر الكتب المؤلفة فيها .

تصنيف طاشكبرى زاده بين التاثر و التأثير

أولا : التاثر

يعد ابن الأكفانى بكتابه '' إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد '' من أوائل المؤلفين الذين أثروا فى طاشكبرى زادة ، و بالمقارنة بين كتاب '' مفتاح السعادة '' و كتاب '' إرشاد القاصد '' سوف نلاحظ الشبه الكبير بينهما فى العديد من المواضع، و منها : تشابه المقدمات الثلاثة عند طاشكبرى زادة التى تدور عن العلم و فضله وشرفه ، و شروط المعلم و المتعلم و الآداب التى يتحلى بها كل منهما ، مع المقدمات التى وردت فى تصنيف الأنصارى . (٤٤) فقد بدأ هو الآخر بالحديث عن التعليم والتعلم و شروطهما ، و لكن يلاحظ التوسع عند طاشكبرى زادة فى العرض بالإضافة إلى ما تطرق إليه من آداب الفتيا و القضاء ، و هذا يرجع إلى الفارق الزمنى فى عمر الحضارة الإسلامية الذى يصل إلى حوالى قرنين من الزمان ، بالإضافة إلى ممارسة طاشكبرى زادة مهنتى التدريس و القضاء اللتين جعلتاه أكثر تمكنا من ابن الأكفانى . و ما ذكره الأنصارى من القول فى حصر العلم ، حيث قسم العلوم إلى مقصودة لذاتها ، وغير مقصودة لذاتها ، ثم تناول كل منهما بالتقسيم ، نجده يتشابه مع ما ذكره طاشكبرى زادة فى مقدمته فى بيان حصر العلوم على الإجمالى ، التى أوضح فيها نظرته وفلسفته فى تقسيم العلوم ، كما يلاحظ تشابه الخط العام فى تقسيم العلوم عند كل منهما . فالدوحة الأولى عند طاشكبرى زادة هى الكتابة (علم الخط) و الدوحة الثانية فى (العبارة) ذكرهما ابن الأكفانى فى القسم الأول من العلوم غير المقصودة لذاتها ، و هو ما يتوصل به إلى المعانى من اللفظ و الخط و هو علم الأدب . و الدوحة الثالثة عند طاشكبرى زادة فى علوم باحثة عما فى الأذهان من المعقولات و فرع منها الشعبة الأولى (فى المنطق) و الشعبة الثانية (فى علوم

تعصم عن الخطأ فى المناظرة و الدرس) ، و إذا ما نظرنا إلى ما يقابلها عند ابن الأكفانى وجدنا القسم الثانى من العلوم غير المقصودة بذاتها ، و هو علم المنطق الذى يمثل الشعبة الأولى عند طاشكبرى زادة ، أما ما ذكر فى الشعبة الثانية من الجدل فقد ذكره ابن الأكفانى مع العلم الإلهى . و الدوحة الرابعة عند طاشكبرى زادة (فى العلم المتعلق بالأعيان) ، و قسمها إلى العلم الإلهى و العلم الطبيعى و العلم الرياضى، و إذا ما نظرنا إلى ما يقابلها عند ابن الأكفانى وجدناه فى القسم الأول من مجموعة العلوم المقصودة لذاتها ، و هى الحكمة النظرية التى قسمها ـ أيضا ـ إلى ثلاثة العلم الإلهى و العلم الطبيعى و العلم الرياضى . و تتطابق الدوحة الخامسة (فى الحكمة العملية) عند طاشكبرى زادة مع القسم الثانى من العلوم المقصودة لذاتها، و هى الحكمة العملية ، حيث قسمت عند كل منهما إلى : الأخلاق و تدبير المنزل والسياسة ، وزاد طاشكبرى زادة بما ذكره من فروع الحكمة العملية فى الشعبة الرابعة . و الدوحة السادسة (فى العلوم الشرعية) عند طاشكبرى زادة يقابلها عند ابن الأكفانى أنواع العلوم الشرعية التى فرعها من علم النواميس بالتسلسل نفسه ، و بالفلسفة نفسها ، التى على أساسها تم التدريب والتسلسل للعلوم الشرعية دون ذكر الفروع عند ابن الأكفانى . و الدوحة السابعة عند طاشكبرى زادة (فى علوم الباطن أو علوم التصفية) التى ضمنها علم التصوف لانجد له ذكرا عند ابن الأكفانى ، و لكن ابن الأكفانى أشار إليها فى الغاية فى العلم العملى حيث قال عن الحكمة العملية : '' و الثانى يكون بتزكية النفس باقتنائها الفضائل و اجتنابها الرذائل '' . (٤٥) كما نقل طاشكبرى زادة عن ابن الأكفانى تقسيمات العلوم الأصلية أو الفرعية – مع الزيادة عليها – بنفس عناوينها و أمثلتها و تعريفاتها بنصها ، و لكنه يزيد عليها فى أعداد الكتب المدرجة و المترجمة لأصحابها و ذكر مؤلفاتهم .

و ظهر تأثر طاشكبرى زادة بكتاب '' إحصاء العلوم '' للفارابى ، فى الجزء الأول من كتابه ، و بخاصة الثلاث دوحات الأولى التى تماثلت مع الفصليين الأولين عند الفارابى . (٤٦) فما ذكره طاشكبرى زادة فى الدوحة الأولى (العلوم الخطية) و الدوحة الثانية (فى العبارة) يناظرها عند الفارابى الفصل الأول فى علوم اللسان . كما اتبع طاشكبرى زادة طريقة تقسيم الفارابى لعلوم اللغة و الأدب

إلى ما يتعلق بالمفردات و ما يتعلق بالمركبات ، حيث قسم طاشكبرى زادة الدوحة الثانية (المتعلقة بعلوم اللغة و الأدب) إلى ثلاث شعب : الأولى فيما يتعلق بالمفردات ، و الثانية : فيما يتعلق بالمركبات . و الدوحة الثالثة (فى العلوم المتعلقة بالأذهان) التى قسمها طاشكبرى زادة إلى شعبتين : الأولى فى (المنطق) و الثانية (فى علوم تعصم عن الخطأ فى المناظرة و الدرس) ، التى تضمنت علم الجدل يقابلها عند الفارابى الفصل الثانى (فى علم المنطق الذى ضم فى فروعه علم الجدل) .

و قد ذكر طاشكبرى زادة كتاب إحصاء العلوم للفارابى (فى الشعبة الأولى من الدوحة الرابعة) حيث وصفه بقوله : '' و صنف كتابا شريفا فى إحصاء العلوم و التعريف بأغراضها ، لم يسبق إليه أحد ، ولا ذهب أحد مذهبه ، و لا يستغنى عنه أحد من طلاب العلم '' . (٤٧) و من هذه العبارة يتضح اطلاعه على هذا الكتاب و الإفادة منه .

و تأثر طاشكبرى زادة بكتاب '' الفهرست '' لابن النديم ، حيث تماثلت الدوحة الأولى (فى العوم الخطية) و الدوحة الثانية (فى العبارة) مع المقالات الثانية و الثالثة و الرابعة عند ابن النديم التى خصصها لعلوم الخط و اللغة و الأدب . (٤٨) و جعل علم التاريخ فى المقالة الثالثة بين علم اللغة والأدب ، و هذا ما فعله طاشكبرى زادة ، حيث ألحق علوم التاريخ مع الدوحة الثانية المتعلقة بالعلوم العربية فى اللغة و الأدب . وتأثر طاشكبرى زادة بالخوارزمى و كتابه '' مفاتيح العلوم '' ، فقد نقل عنه بعض العلوم وتعريفاتها ، مثل علم الآلات المبنية على عدم الخلاء .

كما نقل طاشكبرى زادة عن رسالة أقسام العلوم العقلية لابن سينا تعريف ابن سينا لعلم المنطق و العلم الطبيعى و الرياضى ، و بعض الفروع فى كل من العلم الطبيعى و العلم الرياضى ، و قد أشار إلى رسالة ابن سينا بعد تعريفه لعلم تقاسيم العلوم ، و قد وصفها بقوله : '' و صنف ابن سينا فى هذا العلم رسالة تطبيقية''.(٤٩)

و نقل عن السكاكى بعض أقسام الشعبة االأولى والثانية من الدوحة الثانية ، مثل علوم المعانى و البيان و البديع و الاشتقاق والصرف ، و يشير إلى كتاب '' مفتاح العلوم '' للسكاكى ومعالجته لهذه العلوم . (٥٠)

و نقل عن الطوسى تعريفه لعلم المنطق والعلم الطبيعى و العلم الرياضى وبعض الفروع فى كل من العلم الطبيعى و العلم الرياضى . و قد أشار إلى بعض أعماله كما فى علم المعادن ، حيث يقول : '' و لا أنفع وأجمع من تأليف الطوسى''.(٥١)

و تأثر طاشكبرى بكتاب '' الإتقان فى علوم القرآن '' للسيوطى . (٥٢) وكذلك بكتابه '' إتمام الدراية لقراء النقاية '' الذى ضمنه ما ورد فى كتاب '' الإتقان '' من فروع علم القرآن (٥٣) ، فقد نقل عنه اثنين وسبعين علما من فروع علم التفسير ، بالإضافة الى مانقله عنه من فروع العلوم العربية ، وبعض فروع علم الحديث . و هذا ما أكده حاجى خليفة حيث يقول : '' فأورد فى فروعها ما أورده كذكره فى فروع علم التفسير ما ذكره السيوطى فى الاتقان '' . (٥٤)

و يعد كتاب '' إحياء علوم الدين '' للغزالى مصدرا أساسيا اعتمد عليه طاشكبرى زادة فى إعداد الجزء الثالث من كتابه الخاص بالطرف الثانى من الرسالة فى العلوم الكشفية ، فالملاحظ أن رءوس الموضوعات ، وتقسيم الشعب فى الدوحة السابعة ، يماثل التقسيم الموجود عند الغزالى . كما أن المقدمات الثلاثة من الجزء الأول من كتاب '' مفتاح السعادة و مصباح السيادة '' : (فى بيان فضيلة العلم و التعليم و التعلم ، وشرائط المتعلم ووظائفه و وظائف المعلم) ، هى اختصار الجزء الاول من كتاب إحياء العلوم للغزالى . (٥٥) وهذا ما أكده حاجى خليفة ، حيث يقول: '' جعل الطرف الثانى من الكتابة فى بيان العلوم المختلفة بالتصفية التى هى ثمرة العمل بالعلم فلخص فية كتاب الإحياء للإمام الغزالى '' . (٥٦)

ثانيا : التاثير

أثر كتاب (مفتاح السعادة ومصباح السيادة) لطاشكبرى زادة فى كل المصنفين تقريبا الذين اتوا من بعده ، ومنهم : حاجى خليفة فىكتابه (كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون) ، حيث نقل عنه تعريفات العلوم بنصها فى كثير من مواضع كتابه ، و أيضا العديد من عناوين الكتب . و حسن صديق خان فى كتابه '' أبجد العلوم '' ، فقد نقل عنه كثيرا من التعريفات والعبارات فى الجزء الثانى من كتابه الخاص بموضوعات العلوم ، وقد ذكر فى الجزء الأول من الكتاب فى الفصل

الخامس ببيان تقسيم العلوم المرنة وما يتعلق بها تقسيم طاشكبرى زادة للعلوم (٥٧) فى كتاب '' مفتاح السعادة ومفتاح السيادة '' .

كما تأثر بكتاب '' مفتاح السعادة ومصباح السيادة '' كل من الشروانى فى كتابه '' الفوائد الخاقانية '' والتهانوى فى كتابه '' كشاف اصطلاحات الفنون '' وسوف تتعرض الباحثة لمدى هذا التأثير عند معالجة كل منهما .

هل تأثر تصنيف طاشكبرى زاده بتصنيف أرسطو ؟

عكس تصنيف طاشكبرى زادة مدى ما بلغته الثقافة العربية الإسلامية من تقدم و ازدهار ، و إذا ما عقدنا مقارنة بين تصنيف طاشكبرى زادة و تصنيف أرسطو سوف يظهر التباين الشديد بين التصنيفين :

- تصنيف طاشكبرى زادة تقسيم للمعرفة يعتمد على السند الأدبى ، أما تصنيف أرسطو فهو تصنيف فلسفى مجددا للمعرفة .
- اتبع طاشكبرى زادة التقسيم السباعى للمعرفة بينما اتبع تصنيف أرسطو التقسيم الثلاثى للمعرفة .
- اقتصر تصنيف أرسطو على العلوم الحكمية ، سواء النظرية بأقسامها الأصلية الثلاث أو الحكمة العملية بأقسامها الأصلية الثلاث ، بينما نجد التوسع المفصل لفروع المعرفة عند طاشكبرى زادة فاشتمل تصنيفه على مجالات معرفية لم يتطرق إليها أرسطو ، و هى مجموعة العلوم الخطية و اللغوية و الأدبية ، و العلوم الشرعية الإسلامية التى تعد نتاج الحضارة العربية الإسلامية، بالإضافة إلى مجموعة العلوم العقلية و التى شملتها الدوحة الرابعة (فى العلوم المتعلقة بالأعيان) ، و هى فى العلوم الحكمية النظرية ، التى قسمها إلى الأقسام الأصلية ، كما عند أرسطو إلى العلم الإلهى و العلم الطبيعى و العلم الرياضى ، و لكن يلاحظ التوسع الشديد فى الأقسام الأصلية لهذه العلوم وتفريعاتها . كذلك الدوحة الخامسة فى (الحكمة العملية) التى قسمها إلى نفس الأقسام الثلاثة عند أرسطو ، و هى الأخلاق و تدبير المنزل و السياسة ، وزاد عليها قسما رابعا يشمل فروع الحكمة العملية التى تعد نتاج الحضارة العربية الإسلامية .

- اختلفت معالجة طاشكبرى زادة للأقسام الرئيسية للحكمة العملية التى انطلقت من المفهوم الإسلامى العربى عن معالجتها عند أرسطو .
- اعتبر أرسطو المنطق خارج نطاق العلوم ، و نظر إليه باعتباره آلة لغيره من العلوم ، بينما اعتبره طاشكبرى زادة علما فى نفسه يشمل قوانين الفكر التى تعصم الذهن عن الخطأ ، كما نظر إليه باعتباره وسيلة للعلوم المتعلقة بالأعيان .

و من هنا ندرك الفروق الواضحة بين التصنيفين ، و نخرج من ذلك بنتيجة مؤداها أن تصنيف طاشكبرى زادة نتاج للفكر العربى الإسلامى بكل معطياته ، ويبعد تماما عن الفكر الأرسطى فى التصنيف .

منهج طاشكبرى زادة فى تصنيفه

اعتمد طاشكبرى زادة فى تقسيمه للعلوم على المنهجين الاستنباطى و الاستقرائى ، و هما جناحا المنهج العلمى ، فالمنهج الاستنباطى يعمل على تقسيم المعرفة إلى مجالات معرفية رئيسية تسمى
أقساما رئيسية ، ثم يتدرج بها فى التقسيم إلى أقسام أصغر فأصغر ، و هى الفروع . و هذا المنهج الذى أشار إليه طاشكبرى زادة فى تعريف علم تقاسيم العلوم ، علم التصنيف ، هو المنهج الأساسى الذى اعتمد عليه فى تقسيم العلوم فى تصنيفه إلى سبع دوحات تمثل الأقسام الرئيسية العامة ، و تدرج منها إلى الشعب التى تعد الأقسام الأصلية التى تندرج تحتها ، ثم أعاد تقسيم العلوم الأصلية للشعب إلى علوم فرعية أصغر وهكذا ، و من ثم فهو ينتقل من العلم الكلى إلى العلم الجزئى . و قد أشار طاشكبرى زادة نفسه إلى أن هذا المنهج يعد الطريقة الأسهل و الأيسر من الطريقة الثانية ، و هو المنهج الاستقرائى الذى يقوم على البدء بجزئيات العلوم وضم بعضها إلى بعض عن طريق التشابه ؛ أى الصلات الموضوعية ، و التوصل فى النهاية إلى الأقسام الرئيسية . و هذا المنهج هو الطريقة الحديثة التى اصطنعها فراداان البريطانى.(٥٨)

و قد استخدم طاشكبرى زادة الطريقة الثانية ، فنجده يذكر فروع العلم الواحد فى عدة أماكن متفرقة ، وفى النهاية يعود ويجعل لها رأسا للموضوع المركب ؛ معنى ذلك أنه يحاول التخصيص والتحليل الشديد ، ثم التركيب ، لغلق موضوعات جديدة ،

و هذا هو المتبع فى المنهج الاستقرائى . وقد امتلأ تصنيفه بالنماذج المتعددة التى تدل على استخدامه لهذا المنهج ، و منها : ذكره فروع علم التاريخ فى الشعبة الثالثة من الدوحة الثانية ضمن فروع العلوم العربية ، و أشار إلى أنها تعد فروعا لعلم التاريخ ، و فى ذلك تحليل لجزئيات الموضوع ، ثم ربطها بالعلم الكلى الذى تنتمى إليه .

كما تعددت فى تصنيفه الأمثلة الدالة على استخدام المنهج الاستقرائى فى ربط العلم الجزئى بالكلى ومنها : ما ذكره من العلوم الفرعية فى الشعبة الثالثة ، التى تعد علوما جزئية للعلوم الكلية فى الشعبة الثانية من الدوحة الثانية ، و منها علم الأمثال الذى يعد من فروع علم اللغة . وعلم وقائع الأمم ورسومهم ، وعلم مسامرة الملوك ، اللذان يشير إلى أنهما من فروع علم المحاضرات و التوريخ . و علم استعمالات الألفاظ ، و علم الألغاز ، اللذان يعدان من فروع علم البيان . وعلم الترسل الذى يعد من فروع علم الإنشاء . وعلم الأحاجى و الأغلوطات ، الذى يشير إلى أنه من فروع علم اللغة و الصرف و النحو . كذلك يعد كلا من علمى التصحيف ، والمقلوب ، من فروع علم البديع .

مستوى المعالجة

بدأ طاشكبرى زادة كتابه بأربع مقدمات تضمنت مناهج التربية عند المسلمين بالإضافة إلى اداب الفتيا و القضاء ، وفى المقدمة الرابعة وضع الهدف من وراء كتابه ، كما أوضحناه سابقا ، ثم أتبع ذلك بحصر العلوم على الإجمال ، موضحا منهجه فى ذلك . ثم شرع فى عرض تقسيمه للعلوم التى تمثلت فى تقسيمها إلى سبع دوحات ، ثم تقسيم كل دوحة إلى عدد من الشعب ، وكل شعبة تقسم إلى عدد من العلوم ، أو إلى عدة عناقيد ، أو إلى مطالب . و لذلك لانجد التوحيد فى أسلوب التقسيم ، كما لا نجد التوازن فى عدد العلوم المفرعة من كل دوحة ، و هذا ما سوف تظهره الجداول التالية :

الدوحات	الصف الأول		الصف الثانى	الصف الثالث
	المقدمات	الشعب	العلوم المفرعة	العلوم المفرعة
الدوحة الأولى	١	الشعبة الأولى	٥	
		الشعبة الثانية	٤	
الدوحة الثانية	١	الشعبة الأولى	٥	
		الشعبة الثانية	١٢	
		الشعبة الثالثة	٢٦	
الدوحة الثالثة	١	الشعبة الأولى	١	
		الشعبة الثانية	٤	
الدوحة الرابعة	١	الشعبة الأولى	١	
		الشعبة الثانية	٦	
		الشعبة الثالثة	١	
		الشعبة الرابعة	١٧	
		الشعبة الخامسة	عنقود أول	١٢
			عنقود ثان	١١
			عنقود ثالث	٥
			عنقود رابع	١٤
				٤٢
		الشعبة السادسة	٤	
		الشعبة السابعة	١٥	
		الشعبة الثامنة	٢٧	
		الشعبة التاسعة	١٠	
		الشعبة العاشرة	٣	
الدوحة الخامسة	١	الشعبة الأولى	١	
		الشعبة الثانية	١	
		الشعبة الثالثة	١	
		الشعبة الرابعة	٤	
الدوحة السادسة	١	الشعبة الأولى	١	
		الشعبة الثانية	١	
		الشعبة الثالثة	١	
		الشعبة الرابعة	١	
		الشعبة الخامسة	١	
		الشعبة السادسة	١	
		الشعبة السابعة	١	
		الشعبة الثامنة	المطلب الأول	٧
			المطلب الثانى	١٠
			المطلب الثالث	٨١
			المطلب الرابع	٦
			المطلب الخامس	—
			المطلب السادس	٤
			المطلب السابع	٥
				١١٣
الإجمالى	٦	٢٩	١٥٥	١٥٥

جدول رقم (١٢) يوضح توزيع المقدمات و الشعب و العلوم المفرعة من الدوحات الست الأولى و بيانها على الصفوف

الصف الأول	المقدمة	الشعبة الأولى		الشعبة الثانية		الشعبة الثالثة		الشعبة الرابعة	
الصف الثانى	—	الأصول		الأصول		الأصول		الأصول	
الصف الثالث	—		المطالب		المطالب		المطالب		المطالب
	١	الأول	٦	الأول	٤	الأول	١٠	الأول	١٠
		الثانى	—	الثانى	٦	الثانى	٦	الثانى	١١
		الثالث	—	الثالث	٥	الثالث	٣	الثالث	٥
		الرابع	٦	الرابع	٨	الرابع	١	الرابع	٧
		الخام	٥	الخام	٩	الخامس	٦	الخام	٦
		س	٥	س	٣	السادس	٢	س	٧
		الساد	٧	الساد	٤	السابع	٦	الساد	٤
		س	١٠	س	٣	الثامن	١٦	س	—
		السابع	—	السابع	٤	التاسع	٧	السابع	٢
		الثامن	٦	الثامن	—	العاشر	٣	الثامن	٣
		—		التاسع				التاسع	
		التاسع		العاشر				العاشر	
الإجمالى	١	٩	٤٥	١٠	٤٦	١٠	٦٠	١٠	٥٥
إجمالى الأصول	٣٩								
إجمالى المطالب	٢٠٦								

جدول رقم (١٣) يوضح توزيع المقدمة و الشعب و الأصول و المطالب للدوحة السابعة على الصفوف

يتضح من تحليل الجدولين السابقين عدة أمور :

- بلغ عدد العلوم المفرعة من الدوحات الست الأولى ثلاثمائة وعشرة .
- بلغ عدد المطالب فى السابعة مائتين وستة ، وعدد الأصول تسعة وثلاثين .
- يلاحظ عدم استخدام كلمة علم فى الدوحة السابعة إلا إحدى عشرة مرة فى الشعبة الأولى ؛ ستة منها تسبق مسمى بعض الأصول ، و خمسة منها تسبق بعض المطالب .
- بلغت المقدمات سبعا ؛ حيث قدم لكل دوحة بمقدمة .
- بلغ عدد الشعب ثلاثا وثلاثين شعبة .

و تظهر الجداول عدم التزام طاشكبرى زادة بطريقة واحدة فى عرض العلوم؛ ففى الدوحات الثلاث الأولى فرع العلوم من الشعب ، و هنا التزام بالطريقة المنطقية التى سارت عليها التصانيف الفلسفية ، مثل تصنيف كل من : ابن سينا و الفارابى . و فى الدوحة الرابعة اتخذ طريقة جديدة ؛ فقد أورد فى الشعبة علما ، ثم فرع فروعه فى الشعبة التى تليها . و إذا كانت هناك فروع للفروع فصلها فى الشعبة التالية لها (كالشعبة الخامسة) ، و سمى فروع الفروع بالعناقيد . و فى الدوحة الخامسة جعل لكل شعبة علما ، وجعل الشعبة الأخيرة (الشعبة الرابعة) لتفريغ فروع كل الدوحة . و الملاحظ أن تلك العلوم هى فروع الشعبة الأخيرة ، و هى علم السياسة . وفى الدوحة السادسة جعل تحت كل شعبة من الشعب السبع الأولى علما ، و فى الشعبة الثامنة فرع فروعا لكل علم تحت مسمى جديد هو المطالب ، و فى الدوحة السابعة سمى فروع الشعب بمسميات جديدة هى الأصول ثم فرع من الأصول المطالب .

و يظهر عدم التوازن ، سواء كان ذلك فى عدد الصفحات التى يستغرقها عرض العلوم فى الدوحات ، فمنها ما يحتل صفحات قليلة كالدوحة الاولى و الدوحة الخامسة ، و بعضها احتل جزءا كاملا كالدوحة السادسة و الدوحة السابعة . أو فى أعداد الشعب داخل كل دوحة ، فمنها ما يضم شعبتين كالدوحة الأولى ، و منها ما يضم عشر شعب كالدوحة الربعة . أو فى أعداد العلوم المفرعة داخل كل دوحة فمنها ما يضم خمسة علوم كالدوحة الثالثة ، و منها ما يصل الى مائتين وستة كالدوحة السابعة . ويلاحظ أن ترتيب الدوحات من حيث عدد العلوم المفرعة فى ترتيب تصاعدى كالتالى :

الدوحة الثالثة	(علوم المنطق)	٥ علوم
الدوحة الخامسة	(الحكمة العلمية)	٧ علوم
الدوحة الأولى	(العلوم الخطية)	٩ علوم
الدوحة الثانية	(علوم تتعلق بالألفاظ)	٤٣ علما
الدوحة الرابعة	(الحكمة النظرية)	١٢٦ علما
الدوحة السادسة	(العلوم الشرعية)	١٢٠ علما
الدوحة السابعة	(علوم التصفية)	٢٠٦ علوم

و يظهر هذا الترتيب ارتفاع أعداد العلوم المفرعة من العلوم الشرعية و علوم التصفية ، وهذا يدل على اهتمام طاشكبرى زادة بالتفصيلات الدقيقة لـــهذه العلـــوم ، ويرجع ذلك إلى غلبة نزعته الصوفية . كما يلاحظ ارتفاع أعداد العلوم المفرعة مـــن الحكمة النظرية التى أصبحت تمثل فى العصر الحديث العلوم البحتـــة و التطبيقيـــة ، وهذا دليل على مدى تقدمها فى الحضارة الإسلامية . و يلاحظ عـــدم التـــوازن فـــى التفريعات الداخلية للشعب ؛ فقد بلغ عدد العلوم المفرعة من المطلب الثالث فى الشعبة الثامنة من الدوحة السادسة (علم التفسير) واحدا وثمانين علما ، بينمـــا لايعطـــى أى تفريع فى المطلب الخامس من نفس الشعبة و الدوحة (علم أصول الديـــن) ، ممـــا يوحى بالتفصيل الشديد جدا فى ناحية و الإجمال فى ناحية أخرى . كذلك ما نجـــده فى الدوحة الرابعة من تفصيل العلم الطبيعى الذى ورد فى الشعبة الخامسة ، بـــالرغم من عدم وجود التفصيل الزائد للتفريع فى غيره من العلوم ، و يظهر ذلك مدى نمـــو هذا العلم و الاهتمام بعلومه وفروعه .

توزيع العلوم المفرعة على الصفوف

أولا : التصنيف الشكلى

- تقف العلوم المفرعة فى تصنيف طاشكبرى زادة إلى الصف الثالث ، و ذلك فـــى الدوحة الرابعة والسادسة و السابعة ، بينما لا يزيد التفريع فى الدوحات الأخـــرى عن الصف الثانى ، و بذلك يبلغ ما هو موجود على الصف الأول أربعين ؛ منـــها سبع مقدمات وثلاث وثلاثون شعبة . و على الصف الثانىتسعة عشـــر ، وعلـــى الصف الثالث ثلاثمائة و واحدا و ستين .
- يستخدم مسميات مختلفة للدلالة على الصفوف ، فعلى الصف الأول نجد المقدمات و الشعب ، وعلى الصف الثانى نجد العلوم المفرعة مـــن الشـــعب ، كمـــا فـــى الدوحات الأولى والثانية و الثالثة والخامسة ، و العناقيد كما فى الشعبة الخامســـة من الدوحة الرابعة ، و المطالب كما فى الشعبة الثامنة من الدوحـــة السادســـة ، والأصول كما فى الدوحة السابعة . وعلى الصف الثالث يستخدم العلوم المفرعـــة فى كل الدوحات ، فيما عدا الدوحة السابعة فيستخدم مسمى مطالب .

ثانيا : التصنيف الموضوعي

نلاحظ اختلاف الصورة تماما ؛ فنجده يستخدم فروع شعبة كتفريع للشعبة السابقة لها ، وبذلك تختلف توزيعات الصفوف ؛ ففي الدوحة الرابعة نلاحظ أن الشعبة الثانية هي في فروع العلم الإلهي الذي يوجد في الشعبة الأولى ، إذن تقع العلوم المفرعة من الشعبة الثانية بذلك على الصف الثالث ، بينما تقع العلوم المفرعة من الشعبة من الشعبة الأولى على الصف الثاني . و الشعبة الرابعة هي فروع الفروع للشعبة الثالثة ، وبذلك تكون الشعبة الثالثة على الصف الثاني ، و العلوم المفرعة من الشعبة الرابعة على الصف الثالث ، و العلوم المفرعة من الشعبة الخامسة على الصف الرابع . كما نجد أن الشعب السابعة و الثامنة و التاسعة والعاشرة هي فروع لعلوم الشعبة السادسة ، و لذلك تكون العلوم المفرعة من الشعبة السادسة على الصف الثاني ، بينما بقية العلوم المفرعة من الشعبة السابعة إلى العاشرة على الصف الثالث. وهذا ما نجده في الدوحة السادسة ؛ حيث تعد علوم الشعبة الثامنة فروعا للشعبة السابعة التي تسبقها ، و بذلك تكون فروع العلوم من الشعبة على الصف الثالث ، بينما فروع العلوم من الشعب السبعة التي تسبقها على الصف الثاني . و من هنا نجد أن تفرعات العلوم عند طاشكبري زادة تصل إلى الصف الرابع ، ولا يتوقف فقط إلى الصف الثالث كما يظهر التصنيف الشكلي الذي يسير عليه .

الاتساق و التماسك

يتميز تصنيف طاشكبري زادة من الناحية الموضوعية بالاتساق و التماسك بين أقسامه ، فيتدرج في عرض علومه لخدمة هدف وحقيقة نابعين من الفكر الإسلامي ، و تلك الحقيقة الدينية و ما يصل به الإنسان إلى السعادة الأبدية ، و لذلك بدأ بالعلوم التي تعد أدوات تحصيل العلوم ، مبتدئا بالخط وعلومه ثم الألفاظ وما تبعها من علوم ، ثم العلوم التي تستكشف المفاهيم العقلية ، و التي تحمي العقل من الخطأ ، و هو المنطق ، و العلوم التي تحمي من الخطأ في المناقشات ، وهذا تمثل في الدوحات الثلاث الأولى . ثم ينتقل إلى العلوم العقلية بشقيها النظري و العملي ، وما اشتملت عليه من علوم تتكامل مع بعضها لخدمة الدين ، فمنها ما هو نابع من معطيات

الحضارة العربية الإسلامة ، و هذا ما نجده بارزا فى فروع الشعبة الثانية فى الدوحة الخامسة ، وما اشتملت عليه من علوم لخدمة الدين ، سواء كان ذلك فى تحديد مواقيت الصلاة ، أو فى علم الفرائض كفرع من فروع علم الحساب ، و هو لتوزيع المواريث . و من هنا جعل دراسة العلوم العقلية هى المساعدة لفهم العلوم الشرعية ، أو مساعدتها و مساعدة الإنسان على أداء واجباته الدينية ، التى حددها فى العلوم الشرعية بأقسامها ، وما نراه من الترابط و الاقتراب بين معالجة الموضوعات ، كما يظهر فى تقسيمات علوم القرآن وعلوم الحديث و الفقه . ثم يتنقل إلى ثمرة هذا العمل وتحقيق السعادة الأبدية فى الدوحة السابعة التى اشتملت على علوم التصفية . ولايعد تصنيف طاشكبرى زادة تصنيفا تجريديا فلسفيا ، ولكننا نجده ملتزما بهدف واحد نابع من البيئة و العقيدة الإسلامية ، وهو تحقيق التعاليم الدينية ، و لذلك كان هذا هو الأساس الفلسفى الذى حدد البناء العام لتصنيفه ، و مكان مختلف العلوم داخل هذا البناء .

و من ناحية التصنيف الشكلى نجد بعض الملاحظات على اتساق الموضوعات وتماسكها ، منها :

- تكراره لبعض العلوم حيث يذكر العلم تحت شعبة فى دوحة ما ، ثم يعيده مرة أخرى فى شعبة أخرى و دوحة مختلفة ، دون إضافة أى جديد ، مثل علم الفرائض الذى ذكره كفرع لعلم الحساب

ثم أعاد ذكره مرة أخرى كفرع لعلم الفقه .

- لم يسر على نمط منطقى فى عرض تفريعات العلوم ، ففى الدوحة السادسة يعرض للأقسام العامة للعلوم الشرعية متتالية فى الشعب السبعة الأولى ، ثم يتناول كل علم منها بالتفصيل فى مطالب الشعبة الثامنة . بينما نجد التصانيف المنطقية لا تفصل بين العلم و فروعه ؛ فهى تعرض للعلم العام وتفريعاته مباشرة معه فى المعالجة .
- وضع تفريعات علم تحت علم آخر ، كما حدث فى ذكر فروع الشعبة الثانية من الدوحة الثانية (العلوم التى تعصم من الخطأ فى المناظرة و الدرس) ، ومنها النظر و الجدل وعلم الخلاف ، وأعاد هذه العلوم بعينها فى المطلب السادس من

الدوحة السادسة فى فروع علم أصول الفقه ، علما بأن الأقرب لها علم أصول الدين الذى لم يذكر تحته علوما .

- عدم تفريقه بين الموضوعات ، و ظهر ذلك فى المطلب الثانى و فى المطلب الرابع من الشعبة الثامنة من الدوحة السادسة (فروع علم الحديث) ، فلم يوضح أن المطلب الثانى لفروع رواية الحديث ، والمطلب الرابع لفروع دراية الحديث ، كما وزعها فى الشعبة الثانية و الشعبة الرابعة من الدوحة السادسة . و هو هنا لا يفرق بين العلمين ؛ فقد فرع عن رواية الحديث علم شرح الحديث ، و هو من علوم الدراية ، كما أن فروع الدراية تتصل بعلوم الصوفية أكثر من علوم الدراية.
- ظهر عدم الاتساق فى عدم الالتزام بطريقة واحدة فى عرض العلوم ؛ ففى الدوحات الأولى يفرع العلوم مباشرة من الشعب ، أو يفرع العلوم من الشعب تحت مسمى مطالب ، كما فى الشعبة الثامنة من الدوحة السادسة ، أو تحت مسمى عناقيد ، كما فى الشعبة الخامسة من الدوحة الرابعة ، أو يسير على نمط آخر بتسمية فروع الشعب أصولا ، ثم يفرع من الأصول مطالب .
- ظهر عدم الاتساق فى عدم التوازن ، سواء كان ذلك فى أعداد الشعب و فروع العلم داخل الدوحات أو فى حجم الدوحات نفسها ، فمنها ما يقع فى صفحات قليلة و منها ما تطول صفحاته ليحتل جزءا كاملا من الكتاب .

هذا ويعد تصنيف طاشكبرى زادة أكمل التصانيف العربية التى أفرزتها الحضارة الإسلامية سواء كان ذلك من حيث اكتمال المعالجة ، أو من حيث عدد العلوم التى عرضها ، أو من حيث الاتجاهات التجديدية التحديثية التى أبرزها فى تصنيفه ، و هذا ما شهد به مفكرو عصره و القرون اللاحقة عليه و كتاب العصر الحديث .

و ننتقل إلى القرن الحادى عشر ، و هو من القرون التى شهدت عظمة الدولة العثمانية ، و قد أفرز عددا من التصانيف ، سوف نتناول واحدا من أشهرها ، و هو " الفوائد الخاقانية " للشروانى .

ثانيا : تصنيف الشروانى (ت ١٠٣٦هجرية)

يعد القرن الحادى عشر من القرون التى شهدت عظمة الدولة العثمانية ، وقد أنتج هذا القرن العديد من الأعمال الفكرية المهمة ، وما يهمنا من تلك الأعمال عملان ، هما : كتاب '' كشف الظنون عن أسامى الكتب و الفنون '' لحاجى خليفة ، و كتاب '' الفوائد الخاقانية '' للشروانى . و قد نظر العديد من الباحثين إلى العملين على أنهما من الكتب التى قدمت تصنيفا للعلوم . (٥٩) و لكن الباحثة تخرج كتاب '' كشف الظنون عن أسامى الكتب و الفنون '' عن كونه عملا تصنيفيا لانتمائه إلى البيبليوجرافيات الحصرية ، فقد رتب مؤلفه العلوم فيه متبعا منهج الفهرس القاموسى ، حيث جمع عناوين الكتب المدرجة و أسماء المؤلفين و أسماء العلوم فى ترتيب هجائى واحد بعكس الطريقة التى تتبعها الكتب التصنيفية التى ترتب العلوم وفق خطة تصنيفية لتصور المعرفة البشرية ، فتقسم العلوم إلى قطاعات معرفية تمثل أقساما رئيسية تتدرج منها أقسام أخرى تعد فرعية لها ، و هكذا . أو تتبع طريقة أخرى تقوم على تجميع العلوم الجزئية لتصل إلى العلم الكلى الذى تنتمى إليه ، و هذا لا يحدث فى ترتيب العلوم عند حاجى خليفة . و حسب تعريف التصنيف الذى يقوم على جمع الأشياء المتشابهة ، و فصل الأشياء غير المتشابهة ، لا نستطيع تطبيقه على طريقة الترتيب التى اتبعها حاجى خليفة ، لأنها تعمل على فصل الأشياء المتشابهة لا تجميعها؛ فمثلا إذا ما بحثنا تحت حرف الحاء سوف نجده يذكر علم الحديث ، ثم علم الحروف الذى ينتمى إلى علم السحر ، ثم علم حكايات الصالحين الذى ينتمى إلى علم التاريخ ، ثم علم الحكمة ؛ أى مجموعة العلوم الفلسفية . (٦٠) و هذه العلوم التى ذكرت متتابعة نظرا للترتيب الهجائى لا نجد أى تشابه بينها ، فكل منها ينتمى إلى قطاع معرفى بعيد تماما عن الآخر . و من ثم فإن كتاب '' كشف الظنون '' لحاجى خليفة لا يعد عملا تصنيفيا ، و تتضح صلة حاجى خليفة بالعملية التصنيفية باعتباره واحدا من الذين وضعوا قواعد لتصنيف الكتب بالمعنى الذى نستعمله اليوم . و من ثم فإننا سنركز هنا على دراسة كتاب '' الفوائد الخاقانية '' للشروانى حيث نجد فيه ترتيبا منظما للعلوم يسير وفق خطة تصنيفية محددة .

تصنيف الشرواني (٦١)

ضمن الشرواني كتابه الفوائد الخاقانية تقسيمه للعلوم ، و الذى انتهى من وضعه عام ١٠٢٣هجرية . و ينتمى هذا الكتاب إلى المدرسة الأولى فى التصنيف ، و هى المدرسة الفلسفية ، حيث بنى تصنيفه بطريقة نظرية ، فجاء وفق تصوره للمعرفة ، و كانت طريقته فريدة فى تقسيم المعرفة ، فقد جاءت لتحقق هدفه الضمنى، هو توصيل مفاهيم معينة إلى السلطان الذى أهداه كتابه .

الهدف من كتاب الفوائد الخاقانية

كان للشروانى فى كتابه هدفان ، أحدهما ضمنى تمثل فيما أراد توصيله إلى السلطان من تعاليم و إرشادات فى تنظيم شئون السلطنة و الرعية ، و هدف صرح به فى قوله : '' و جعلته وسيلة لغفران الله و رضوانه ، و لينتفع به المضلين ، و يجعله ذخرا ليوم الدين ، فإنه ليس قصدى من ذلك إلا إفادة الطلاب ، و تذكرة الأصحاب''. (٦٢) و يتضح من هذه العبارة أن الهدف من وراء تأليفه هذا الكتاب هدف تعليمى لخدمة الطلاب ، فجاء كتابه محتويا على العلوم التى يدرسها الطلاب ، و هدف دينى يتمثل فى خدمة الإسلام ، مما له تأثيره على طريقة تقسيم العلوم وترتيبها . و من ثم فقد جاء كتابه ليكون موسعة تعرف بالعلوم ، و تفيض بالحديث عنها . و قد عمد إلى تقسيم العلوم وفق تصوره للمعرفة ليتمشى مع تحقيق هدفه فى عرض العلوم لإفادة الطلاب و خدمة الدين و توصيل تعاليم معينة إلى السلطان .

و قد جاء مخططه فى تقسيم المعرفة على النحو التالى :

العلوم الشرعية

علم التفسير

علم القراءة

علم الحديث

علم أصول الحديث

علم الكلام

علم أصول الفقه

علم الفقه

علم التصوف

علم الخلاف

العلوم العربية -

علم اللغة

علم الصرف

علم الاشتقاق

علم النحو

علم المعانى

علم البيان

علم البديع

علم العروض

علم القافية

علم الخط

علم قرض الشعر

علم إنشاء النثر

العلوم العقلية

علم المنطق

علم آداب البحث و المناظرة

علم حكمة الأشراف

علم الحكمة الطبيعية

علم الحكمة الإلهية

علم الهيئة

علم خواص الأقاليم

علم الهندسة

علم الحساب

علم الجبر و المقابلة

علم الأرثماطيقى

علم المساحة

علم الأبعاد و الأجرام

علم الموسيقى

علم السماء و العالم

علم الأكر

علم التشريح

علم الطب

علم المناظر

علم النجوم

علم الأصطرلاب

علم التعبير

علم الفراسة

علم المزاجيان

علم الصنعة

علم الكون و الفساد

علم الآثار العلوية

علم الأخلاق

علم تدبير المنزل

علم السياسة

علم آداب الملوك

و قد ضمن الشرواني كتابه (الفوائد الخاقانية) ثلاثة و خمسين علما لتكون موافقة لعدد حروف اسم السلطان الأحمد خانية ، و هو السلطان أحمد بن السلطان الغازي أبي الفتح محمد بن السلطان صاحب العزم مراده خلد الله ذكره .

و تكمن فلسفته في تقسيمه إلى ما أراد توصيله إلى السلطان من تعاليم وإرشادات في طريقة الحكم ، مهد إليها بمجموعة من العلوم تؤهل السلطان للقيام بمهام حكمه ، و من هنا جاء تقسيم العلوم إلى أقسام معرفية كل منها يمثل جزء ا من أجزاء جيش السلطان ، فقسم كتابه إلى خمسة أجزاء :

خصص المقدمة في ماهية العلم و ما يتصل به ، و تقسيمه إلى أنواعه . و الأجزاء الأربعة الأخرى لأقسام العلوم : فالقلب للعلوم الشرعية ، و الميمنة للعلوم العربية ، والميسرة للعلوم العقلية ، و الساق لعلم آداب الملوك .

و يسير الشرواني في ترتيب أقسام العلوم حسب شرف العلم ، و يقدم علم على آخر باعتباره وسيلة للاحق . و من ثم فهو يقدم العلوم الشرعية على العلوم العربية باعتبار الأولى أشرف من الثانية ، و يقدم العلوم العربية على العلوم العقلية لشرفها ، و باعتبارها وسيلة لتحصيل جميع العلوم ، فمن لم يعلم اللغة فلا سبيل له إلى تحصيل العلوم . و كل هذه العلوم مقدمة على علم آداب الملوك لاحتياج هذا العلم إلى كل ما سبقه من العلوم ، فلقيام الملك بسياسة الرعية عليه أن يعلم علوم الشريعة و العلوم العربية و بعضا من العلوم العقلية .

و في ترتيب الشرواني لفروع كل علم يستخدم مبدأ شرف العلم ، أو اعتبار العلم وسيلة للعلم اللاحق ؛ فترتب العلوم الشرعية حسب شرف العلم ، لذلك يقدم علوم القرآن من التفسير و القراءة على علوم الحديث . و يقدم علوم الحديث على بقية العلوم الدينية الأخرى . و يقدم علم الكلام على الفقه لأهميته و توقف علم الفقه عليه ، فعلم الكلام يبحث في ذات الله و صفاته ، و من ثم فالاعتقاد يسبق التكليف الذي يشمله علم الفقه . و يقدم علم أصول الفقه على الفقه لأنه العلم بالقواعد التي يتوصل بها إلى الفقه ، و من ثم يبنى عليها الفقه ، و من هنا كان تقديمه علم الفقه . ثم يأتي علم

التصوف في نهاية العلوم الشرعية باعتباره من العلوم الحادثة في الملة الإسلامية ، و ليس من العلوم التي يحتاج إليها المسلم في معرفة الأمور المكلف بها .

و يقسم الشرواني العلوم العربية إلى اثني عشر علما . يظهر فيها تمييزه بين علوم اللغة و العلوم الأدبية و علوم الخط ، و يرتبها ترتيبا منطقيا مبتدئا بعلوم اللغة التي يميز فيها بين العلوم المتعلقة باللفظ المفرد ، ثم العلوم المتعلقة بالمركب ، فيبدأ بعلم اللغة الذي يعد علما عاما حيث يتناول موضوعه مفردات الألفاظ من حيث دلالتها على المعاني ، ثم علم الصرف و علم الاستحقاق اللذين يبحثان في اللفظ المفرد . ثم يتناول العلوم التي تتناول مركبات الألفاظ ، و يبدؤها بعلم النحو ثم علوم البلاغة التي يبدؤها بعلم المعاني لأنه يعد أفضل العلوم الادبية ، فبه يعلم إعجاز القران الكريم ، ويليه علم البيان لاعتماده عليه ، لأن رعاية المطابقة التي هي ثمرة علم المعاني معتبرة في علم البيان مع شئ اخر و هو إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة . ثم علم البديع آخر علوم البلاغة ، لأنه العلم الذي يعرف به وجود تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة لمقتضى الحال ، و من ثم فهو يأتي بعد المعاني و البيان . ثم يذكر علم القافية بعد العروض لكونه متصلا به ، كما جرت عادة العروضيين على ذكر علم القوافي لاحقا للعروض . و بعد الانتهاء من علوم البلاغة يذكر علم الخط لاحقا لعلوم اللغة ، لأن علم الكتابة علم يعرف به أحوال حروف الهجاء التي يتركب منها اللفظ ، و من ثم فهي لاحقة على علوم اللغة التي تتناول الألفاظ . ثم تتناول علوم الأدب من النظم (علم قرض الشعر) و النثر (علم إنشاء النثر) . ثم تأتي العلوم العقلية ، و يعرض فيها ثلاثين علما على الإجمال ، ثم تحديد الأصول منها و الفروع ، أو الأقسام الرئيسية و الفرعية ، و يبدؤها بعلم المنطق باعتباره آلة و وسيلة لغيره من العلوم ، ويشير إلى قول ابن سينا بأن علم المنطق هو خادم للعلوم ، وقول الفارابي بأن هذا العلم رئيس العلوم لنفاذ حكمته فيها ، ويعقب على ذلك بأن هذا العلم يعد وسيلة لغيره من العلوم . (٦٤) و من ثم جاء تقديمه على سائر العلوم العقلية . و يتبعه علم آدب البحث و المناظرة ، و هو بدوره يعد وسيلة لغيره من العلوم . ويعتبر الشرواني هذا العلم مثل علم المنطق خادما لغيره من العلوم ، لأن تزايد مسائل العلوم يوما بعد يوم ، وتفاوت مراتب الطباع و الأذهان لم ينج علما من التصادم ، و من هنا كان لابد من

قانون يعرف به مراتب البحث على وجه يتميز به المقبول عما هو مردود ، و هذا ما يفعله علم البحث والمناظرة ، و من ثم عد وسيلة لغيره ومن العلوم ، و من هنا – أيضا – جاء تقديمه على سائر العلوم العقلية . ثم يعرض لعلم حكمة الأشراف، وتقترب مباحث هذا العلم من علم التصوف ، و لا توجد ثمة علاقة بينه وبين العلوم العقلية ، و من هنا لم يكن موفقا فى إدراجه مع العلوم العقلية ، وكان من المفروض إلحاقه بالعلوم الشرعية .

و يبدأ الشروانى العلوم العقلية بالعلم الطبيعى ، و يتبعه بالعلم الإلهى ، و هذا الترتيب غير موفق ، وكان من الأفضل البدء بالعلم الإلهى ، ثم العلم الطبيعى ، لاقتراب العلم الإلهى من علم حكمة الأشراف .

و يسود الاضطراب عرضه لبقية العلوم العقلية ؛ فبالرغم من محاولة عوض العلوم النتشابهة معا إلا أن تسلسل العلوم غير منطقى ، حيث يبعد علم المساحة عن علم الهندسة ، و هو يعد من فروعه ، و يلحقه بعلوم الحساب . كذلك يبعد علم المناظر عن علم الهندسة ، و هو يعد من فروعه ، و يلحقه بعلم الطب . ويقدم علم الجبر و المقابلة على العلم الأرثماطيقى الذى يرتبط أكثر بعلم الحساب من علم الجبر و المقابلة . كما يبعد علم الأبعاد و الأجرام و علم الإسطرلاب و علم الأكر عن علم الهيئة ، وهى تعد من فروعه . ويؤخر فروع العلم الطبيعى عن علم الحكمة الطبيعية، كما يذكر أصولها ، وهى (علم الآثار العلوية وعلم الكون و الفساد) بعد ذكر الفروع. كما يبعد هذين العلمين عن علم السماء و العالم ، الذى يعد هو الآخر من أصول العلم الطبيعى .

قواعد التصنيف التى يستخدمها الشروانى

يعكس تصنيف الشروانى من العلاقات التصنيفية :

- **علاقة الاشتمال و التبعية :** فنجد العلوم تسير من العلم العام إلى العلم الخاص ، فيعرض لكل قسم رئيسى ، ثم يتدرج منه إلى العلوم الفرعية المتدرجة تحته ، مثل: العلوم الشرعية و فروعها المندرجة منها ، و العلوم العربية و العلوم المفرعة عنها .

• **علاقة تجاور:** فقد حاول الشرواني المحافظة على تجاور الموضوعات المتشابهة ، وإن لم يوفق مع بعض العلوم . و من الأمثلة على تجاور الموضوعات المتشابهة : تجاور علوم الطب و التشريح ، وتجاور علوم الحكمة العملية : علم الاخلاق و السياسة وتدبير المنزل .

تقييم محاولة الشرواني التصنيفية

- يعرض الشرواني في الجزء الأول من كتابه ، و هو المقدمة : ماهية العلم ، وأهميته ، و واجبات المعلم و المتعلم ، و هي المقدمات نفسها التي نجدها عند طاشكبري زادة عن العلم و التعليم ، و ما يتصل بهما . ولكن الشرواني يضيف أنواع التقاب المعتبرة في التصانيف العربية الإسلامية ، و قد نقلها عنه حاجي خليفة في كتابه '' كشف الظنون عن أسامي الكتب و الفنون '' .
- يتعرض الشرواني في عرض العلوم في تصنيفه إلى بعض القضايا المهمة التي أثيرت في الحياة الفكرية الإسلامية ، فيناقش في علم الكلام النزاع بين الأشاعرة و المعتزلة . كما يؤرخ لبعض العلوم ، ففي علم التصوف يعرض للأسباب التي دعت إلى نشأة هذا العلم .
- يعتمد الشرواني في عرض علومه على السند الأدبي فيعرض للعلوم من خلال ما كتب حولها ، وبالاستناد إلى اطلاعه على بعض الكتب ، فيشير إلى كتاب '' مفتاح العلوم '' للسكاكي ، وآراء ابن سينا في علم المنطق ، و آراء الفارابي .
- يغلب على عرض العلوم في تصنيف الشرواني الصفة الموسوعية ، حيث يسهب في عرض كل علم من مختلف جوانبه ، متعرضا لكل الآراء التي قيلت حوله ، مثل : علم المنطق ، وما يذكره من آراء ابن سينا و الفارابي و علماء الكلام .

المميزات و العيوب في تصنيف الشرواني

تميز تصنيف الشرواني بتجاور بعض العلوم ، مثل : علوم الخط و اللغة و الأدب ، و معالجتها تحت قطاع معرفي واحد ، و هذا ما افتقرت إليه بعض التصانيف الحديثة ، مثل : تصنيف بيكون وتصنيف ديوي . و هذا ما أشارات إليه الباحثة من قبل عند معالجة التصانيف السابقة . بينما التزمت به تصانيف حديثة أخرى ، مثل :

تصنيف الكونجرس الذي جمع معالجة اللغة و الأدب معا تحت رمز واحـــد (P) .

وبالرغم مما تميز به تصنيف الشروانى ، فهو لا يخلو من بعض العيوب ، منها :

- ذكر علوم فى غير موضعها الصحيح ، مثل : علم حكمة الأشراف الذى ذكـــره ضمن العلوم العقلية ، و لكن مباحث هذا العلم هى نفسها مباحث علم التصـــوف ، و من ثم كان يجب ذكره قريبا من علم التصوف .
- ذكر الفروع قبل الأصول ، مثل ذكره علم المزاجيان قبل علم الصنعة ، وكـــان من الواجب تقديم علم الصنعة عليه مراعاة لأصليته . كما قـــدم فـــروع العلـــم الطبيعى ، مثل : علم الطب و علم التعـــبير
- و علم الفراسة على أصوله ، و هي علم الكون و الفساد ، وعلم الآثار العلوية .
- باعد بين القسم الرئيسى وأصوله وفروعه ، مثل تباعد الحكمة الطبيعيـــة عـــن أصولها ، و هى علم السماء و العالم و علم الكون و الفساد و علم الآثار العلوية، عن فروعها ، مثل : علم الطب وعلم النحو وعلم التعبير ، و غيرها ، .
- فصل علم آداب الملوك عن علم السياسة ، و هو يعد من فروعها ، و خصصـــه بقسم خاص به بسبب الهدف الضمني فى توصيل تعليمات و إرشـــادات معينـــة للسلطان ضمنها علم آداب الملوك .

تاثير البيئة الثقافية فى تصنيف الشروانى

أخذت الدولة العثمانية – التى ينتمى إليها الشروانى – من الديـــن الإســـلامى شعارا لها ، و حاولت إضفاء الطابع الدينى على كل مظاهر الحياة ، بل اتخذته ستـارا لكل توسعاتها ، فحرصت على بناء المساجد فى كافة أنحاء الأمبراطورية العثمانيـــة ، وتحويل الكنائس إلى مساجد ، و اتخاذ السلاطين الألقاب الدينية ، منها : حامى حمـــى الحرمين الشريفين ، و خادم الحرمين الشريفين . ومن أهم المظـــاهر الدينيـــة التـــى اتخذتها الدولة العثمانية تشجيع التصوف ، و تمويل الطرق الصوفية . كما اتجه بعض السلاطين إلى التصوف . (٦٥)

وقد انعكس هذا الاتجاه الدينى على طريقة معالجة الشـــروانى للعلـــوم فـــى تصنيفه ، وقد اتضح ذلك فى حشر حكمة الاشراف ضمن العلوم العقلية بالرغم مـــن ابتعاده تماما عن مجالها ، لأنه يحوى إقرار المبادىء التى يجب أن يتحلى بها العـــالم

من الزهد و الورع و التقوى التى تعصمه من الخطأ فى تحصيل العلوم العقلية . كما اتضح أيضا من خلال معالجة علوم الحكمة العملية : علم الأخلاق و علم تدبير المنزل و علم السياسة ، من مفهوم إسلامى ، و من واقع الحياة الإسلامية العربية ، و تعاليم الدين الإسلامى ، مبتعدا بها عن أى مفهوم أرسطى .

ومن مظاهر النزعة الدينية فى تصنيف الشروانى مقارنته وضع بعض العلوم العقلية بوضع بعض العلوم الدينية ، فهو يقول : '' إن الحكمة الإلهية و الطبيعية من العلوم العقلية بمنزلة الكلام من العلوم الشرعية '' . (٦٦) كما غلبت النزعة الصوفية فى معالجته التصنيفية فأطال الحديث عن علم التصوف ونشأته . كما جعل علم حكمة الأشراف من العلوم الفلسفية بمنزلة علم التصوف من العلوم الشرعية الإسلامية . (٦٧) و طريقة تحصيل هذا العلم تجمع بين طريقة أهل النظر والاستدلال و طريقة أهل الرياضة و المجاهدات ، و من ثم فقد جمع بين طريق العقل وطريق التصوف فى تحصيل هذا العلم .

و قد ذكر الشروانى العلم الإلهى مع العلوم العقلية ، متأثرا فى ذلك بتقسيم أرسطو للحكمة النظرية . و على الرغم من ذكر تعريف أرسطو نفسه لهذا العلم ، إلا أن معالجته للموضوع جاءت من منطق العقيدة الإسلامية . كما أشار إلى آراء المتكلمين و المتصوفين و الحكماء فى هذا العلم .

تصنيف الشروانى بين التأثر و التأثير

ظهر تأثر الشروانى بطاشكبرى زادة فى أكثر من موقع ؛ فقد نقل عنه ما أورده فى المقدمة من ماهية العلم و أهميته ، و أهم واجبات المعلم و المتعلم . و هذا ما ورد عند طاكشبرى زادة نفسه فى مقدمته لكتاب '' مفتاح السعادة و مصباح السيادة '' . كما نقل عنه العديد من تعريفاته العلوم ، مثل : تعريف علم الحكمة الطبيعية ، و علم المساحة ، و علم الجبر والمقابلة ، وغيرها . كما نقل عنه بعض العلوم ، مثل : علم آداب البحث و المناظرة ، الذى ألحقه بعلم المنطق ، و اعتبره آلة و وسيلة مساعدة لتحصيل غيره من العلوم . و هذا ما ورد عند طاشكبرى زادة حين ذكر علم البحث و المناظرة كأحد فروع الشعبة الثانية من الدوحة الثالثة فى (علوم تعصم الذهن عن الخطأ فى المناظرة و الدرس) . (٦٨) كما نقل عنه علم

الأصطرلاب الذى ذكره طاشكبرى زادة كأحد فروع علم الهيئة . و نقل عنـــه علـم آداب الملوك الذى ذكره طاشكبرى زادة كأحد فروع الحكمة العملية . (٦٩)

و تأثر الشروانى فى معالجته للعلوم العربية بتعريفـــات السـكاكى و أقولــه وأمثلته التى ذكرها عن العلوم العربية ، ونقل عنه فقرات كثيرة وأشار بـــالفعل إلــى النقل عنه ، بل نقده أحيانا فى بعض ما نقله عنه ، كما فى علم المعانى ؛ حيث نقـــده فيما ذكره من شرح حول هذا العلم ، فقال معلقاعليها : '' لو كان المراد من التتبــع المعرفة المسببة عنه لكان الواجب أن يقول السكاكى : ليحترز به ، لا يحترز بالوقوف عليها . و ثانيها أن علم المعانى عبارة عن التعبير بالقواعد لا المعرفة المسببة عـــن التتبع '' . (٧٠)

كما و نقل الشروانى عن ابن سينا آراءه و تعريفاته لعلم المنطق . كما نقل ـ أيضا ـ عن الفارابى آراءه وتعريفاته لعلم المنطق .

و قد أثر الشروانى فى بعض المصنفين بعده ، فقد تأثر حاجى خليفـــة جلبـى بكتاب '' الفؤائد الخاقانية '' ، فى أكثر من موقع ؛ فقد نقل عنه تقسيمات العلوم التــى ذكرها فى مقدمته . (٨٥) كما نقل عنه تعريفات بعض العلوم . و تأثر التهانوى فـــى كتابه '' كشاف اصطلاحات الفنون '' بما نقله عن الشروانى من تقسـيمات العلــوم المختلفة ، و بخاصة تقسيم العلوم إلى نظرى و عملى ، و مفهوم العملى . و تقسـيمها إلى العلوم الآلية و غير الآلية ، و هو ما ورد فى المقدمة عند التهانوى . (٧١) كمـــا نقل عنه بعض تعريفاته للعلوم .

هل تأثر تصنيف الشروانى بتصنيف أرسطو ؟

انطلق الشروانى بتقسيمه وعرضه للعلوم فى تصنيفه مـــن مفـــهوم عربــى إسلامى ، ومن ثم جاء تقسيمه مختلفا تماما عن تقسيم أرسطو للعلوم ؛ فقد اتخذ التقسيم الرباعى فى مقابل التقسيم الثلاثى عند أرسطو . وبدأ بالعلوم الشرعية ثم ثناها بـــالعلوم العربية ، بينما لا نجد لهذه العلوم ذكرا عند أرسطو . كما أن عرض العلوم العقليـــة وتقسيمها مختلفا تماما عما جاء عند أرسطو ، فقد عرض العلوم إجمـــالا دون اتبـــاع تقسيمها الى حكمة نظرية وعلمية ، و إن كان قد أشار إلى بعض العلوم متأثرا بتقسـيم أرسطو ، مثل العلم الإلهى وعلوم الحكمة العملية ، و لكن جاءت المعالجة من مفـــهوم

إسلامى عربى خالصة ، دون أى تأثير أرسطى إلا فى تعريف العلم الإلهى . كما ذكر علوما كثيرة لا توجد عند أرسطو ، و هى من إنتاج الفكر العربى الإسلامى ، مثل علم الأكر وعلم الأصطرلاب وعلم البحث والمناظرة وعلم حكمة الأشراف .

منهج الشروانى فى تصنيفه

سار الشروانى فى عرض العلوم متدرجا من القسم الرئيسى وهو العلم العام إلى الفروع التى تعد علوما خاصة تندرج تحت العلم العام ، مستخدما فى ذلك المنهج الاستنباطى .

مستوى المعالجة فى تصنيف الشروانى

يقسم الشروانى الكتاب إلى خمسة أجزاء ، ويخص العلوم بأربعة أقسام فقط ، ويقسم كل قسم إلى عدد من العلوم الأصلية دون إعطاء تفريع أكثر ، ومن ثم تقف العلوم عنده على الصف الثانى ، و هذا ما سوف يوضحه الجدول التالى :

تصنيف الشروانى	الصف الأول	الصف الثاني	الإجمالى
من كتابه " الفوائد الخاقانية "	العلوم الشرعية العلوم العربية العوم العقلية الساق	١٠ ١٢ ٣٠ ١	
الجملة	٤=٤	٥٣	=٥٣

جدول (١٤) يوضح توزيع العلوم المفرعة من التصنيف الشروانى على الصفوف

و من استقراء الجدول السابق يتضح ما يلى :

- بلغ عدد العلوم المفرعة عند الشروانى ثلاثة وخمسين علما ، تقف كلها على الصف الثانى . وبلغ عدد العلوم على الصف الأول أربعة .
- يلاحظ تفاوت التفريع فى كل علم عام ، ففى العلوم الشرعية بلغ عدد العلوم عشرة ، و فى العلوم الأدبية اثنى عشر ، وفى العلوم الدينية اثنى عشر ، و فى العلوم العقلية ثلاثين علما ، و جعل علم اداب الملوك علما قائما بذاته غير مفرع من أى قطاع من العلوم ، لما يمثله من اهمية .

- يلاحظ وقوف التفريعات إلى الصف الثانى ، و عدم إعطاء أية تفريعات من علوم الصف الثانى ، ويرجع ذلك لالتزامه بعدد معين من العلوم ليوافق عـدد حـروف أسماء السلطان ، و قد صرح هو نفسه بوجود علوم أكثر ، و هذا ما ذكـره عـن العلوم العقلية : و أما الميسرة ففى العلوم العقلية وهى كثيرة ، ولكن اعتبرنا مـن أصولها و أمهاتها نحو ثلاثين علما ، وهنا تصريح بالتزامه بذكر الأصـول مـن العلوم دون الفروع .

الاتساق و التماسك فى خطه تصنيف الشروانى

يلاحظ على خطة تصنيف الشروانى التماسك فى عرض الموضوعات ، وعدم وجود فقرات مخلة بالهيكل التنظيمى العام لخطته التصنيفية ، فهو يعرض كل قسم من أقسام العلوم و يتبعه بالفروع الخاصة به دون القفز من القسم الآخر . و قـد اختـل تماسك الموضوعات عنده فى عرض العلوم العقلية ، حيث وجدت بعـض الفقـرات التى لم تحقق تجاور العلوم المتشابهة ، فابتعدت فروع العلم الطبيعى عن علم الحكمـة الطبيعية ، كذلك تناثرت فروع علم الهيئة ولم يحدث تجميع لها .

و قد لوحظ من ناحية الاتساق عدم وجود توازن فى أعداد العلوم المفرعة عن كل علم ، فبينما تصل أعداد العلوم المفرعة من العلوم العقلية إلى ثلاثين علمـا نجـد علما واحدا قائما بذاته يمثل قسما واحدا دون وجود أية فروع له ، و هـو علـم آداب الملوك ، وكان من المفروض إلحاقه بالعلوم العقلية باعتباره أحد فروع علوم الحكمـة العملية ، و لكن التزامه بتقسيم العلوم كتقسيم جيش السلطان جعله يخصـص القسـم الخامس لهذا العلم مفردا لتضمنه الأمور التى يريد أن يوصلها للسلطان .

ويلاحظ الاتساق الموضوعى الذي يسير بالعلوم لتحقيق الهدف من تصنيفـه ، و هو الهدف الضمنى فى توضيح مفاهيم و تعاليم معينة للسلطان ؛ أى لتحقيق الـهدف التعليمى ، فجاء ترتيب العلوم متمشيا مع الاتجاه التربوى و التعليمى فى البدء بتعلـم العلوم الدينية ثم العلوم العربية ثم العلوم العقلية .

و يعد تصنيف الشروانى عملا مميزا ، فهو نتاج معطيات الحضارة العربيـة الإسلامية من فكر ، وما وصلت إليه من تقدم فى علومها .

و اذا انتقلنا إلى القرن الثانى عشر فإننا ننتقل إلى مكـــان آخـــر فـــى العـــالم الإسلامى و هو الهند ، ويلاحظ تأثير الدين الإسلامى و الثقافة العربية ، مما أدى إلـى تكامل عمل التهانوى مع التصانيف العربية الإسلامية.

ثالثا : تصنيف التهانوى (ق ١٢ هـ)

يعد تصنيف التهانوى (٧٣) من التصانيف المتأخرة فى عمر الحضارة العربية الإسلامية ، ومن ثم نجد فيه إجمالا لما توصل إليه الفكر العربى المسلم . وقد وضـع التهانوى تصنيفه فى مقدمة كتابه '' كشاف اصطلاحات الفنون '' . و قبل أن نقـدم لمحاولة التهانوى التصنيفية كما عرضها فى كتابه ينبغى أن نعرض فى عجالة سريعة لملامح الحياة الثقافية الإسلامية فى الهند .

إن الثقافة الإسلامية فى الهند ليست وليدة هـذا العصـر ، و إنمـا تـأصلت جذورها أيام الغزنويين، فقد بنوا المعاهد العلمية التى كانت تعرف حينئذ بـالمدارس ، و من أشهرها المدرسة التى أنشأها السلطان محمود الغزنى فى غزنة ، و كان يرحـل إليها الطلاب من جميع أنحاء آسيا و إيران . و كان بلاط هذا السلطان مقصدا للعلمـاء و المفكرين و الأدباء ، كالبيرونى و الفردوسى . كما كانت المكتبة التى أنشـأها فـى فناء المدرسة من أكبر المكتبات فى العالم الإسلامى . و من بعد غزنة انتقـل مركـز العلم إلى لاهور ، و منها إلى دلهى ، ثم تعددت البيئات العلمية فى الهند علـى أثـر تحول العلماء إلى عواصم المقاطعات بعد الغارة التى شنها تيمـور سـنة ١٣٩٨م ، فكثرت المدارس فى الحواضر ، و نمت دور العلم فيها . و من المدن التى ازدهـرت فى تلك الحقبة مدينة جونبور التى لقبت فى عهد السلطان إبراهيم شاه المأمون بشيراز الهند . و اطردت الحركة العلمية فى عصر المغول ، و قد كـان لأباطرتـهم عنايـة بالعلم و أهله ، فاستقدموا العلماء و أجزلوا لهم العطاء ، و كان ممن قدمـوا أيـام الأمبراطور الأكبر (٩٦٤ـ١٠١٤هـ) الميرفنج الله الشيرازى أحد نوابغ عصره فـى العلوم العقلية و النقلية .

و إذا ذكرت العلوم الإسلامية فى هذا العصر ، فإنما تذكر بالأمبراطور العـالم '' أورنكزيب '' الذى لقب بلقب عالمكير (١٠٦٩ـ١١١٩هـ) ، فقد حـرص علـى نشر الإسلام و عقيدة أهل السنة ، و كان يتولى التدريس بنفسه للطـلاب . و مـن

مآثره الفتاوى الهندية ، و هى من أشهر المطولات فى فروع الفقه على مذهب الحنفية، و تعرف بالفتاوى العالمكيرية نسبة إليه . (٧٣) و لعل التهانوى قد أدرك طرفا من عصر هذا الملك ، فقد وضع التهانوى كتابه سنة ١١٥٨هجرية .

تصنيف التهانوى

ينتمى تصنيف التهانوى إلى المدرسة الأولى فى التصنيف ، و هى المدرسة الفلسفية ؛ فقد بنى تصنيفه بطريقة نظرية حسب تصوره لترتيب العلوم وتدريجها تبعا لأهميتها .

الهدف من كتاب التهانوى كشاف اصطلاحات الفنون

يصرح التهانوى بأن الهدف من وضع كتابه أن يكون كتابا فى مصطلحات العلوم ، يهدف من وراء ذلك إلى إفادة الطلاب بالرجوع اليه . (٧٤) فقد رتب مفردات الكتاب ترتيبا هجائيا على طريقة الباب و الفصل مخصصا الباب للحرف الاول من الحروف الأصلية للكلمة و الفصل للحرف الأخير منها ، معرفا كل مصطلح تعريفا شاملا عند أهل كل صناعة تستخدمه ، فمثلا علم الأدب يأتى فى باب الألف فصل الباء الموحدة . و يتناوله من حيث كونه متعلقا باللغة العربية ، أو بعلم الأخلاق، أو عند الفقهاء ، و هكذا .

و قد تطلب الحديث عن مصطلحات كل علم الحديث عن العلم نفسه ، وتوضيح مكانته بالنسبة إلى غيره من العلوم ، و هذا ما جره إلى الحديث عن التقسيمات المختلفة للعلوم ، و التى حصرها فى سبعة أنواع من التقسيمات ، ليصل منها إلى التقسم الذى يراه مناسبا لتصنيف العلوم، وبذلك جاء كتابه ليكون قاموسا موسوعيا للتعريف بمصطلحات العلوم ، و هو ــ أيضا ــ كتاب فى تصنيف العلم .

وصف كتاب (كشاف اصطلاحات الفنون) للتهانوى

يعد كتاب التهانوى كما جاء فى عنوان دراسة كشاف اصطلاحات الفنون كتاب فى المصطلح ، فهو فى هذه الناحية يتشابه مع كتاب الخوارزمى '' مفاتيح العلوم '' فهو يجمع مصطلحات العلوم المختلفة مع تقسيم هذه المصطلحات على ثلاثة فنون ، الفن الأول : فى مصطلحات العلوم العربية . و الفن الثانى : فى المصطلحات العلوم الشرعية . و الفن الثالث : فى مصطلحات العلوم الحقيقية ، و هو فى كل فن

يقسم المصطلحات إلى أبواب باعتبار أول الكلمة ، ثم فصول باعتبار آخرها . كما أنه كتاب فى تصنيف العلوم ، حيث قدم كتابه بمقدمة مهمة عرض فيها نظريته فى تصنيف العلوم المدونة و ما يتعلق بها ، ويضمنها تعريفا للعلوم المدونة ، كما يعطى السبب الفلسفى و المنطقى وراء تقسيمات العلوم ، و يعرض لأسس التقسيمات المختلفة ، و هى :

- التقسيم الأول : التقسيم المعرفى المعتاد إلى العلوم نظرية غير متعلقة بكيفية عمل، وعلوم عملية . ويشرح اختلاف إطلاق لفظى نظرى و عملى ، فيستعملان لمعان ، فتكون العلوم النظرية ، أى غير متعلقة بكيفية عمل سواء كان كنه هذا العمل ذهنيا كالمنطق أو خارجيا كالطب ، وهكذا يكون اللفظان فى تقسيم العلوم منطقيا . وقد يستعمل اللفظين فى تقيسم الحكمة ، فيكون العملى هو علم بما يكون وجوده بقدرتنا و اختيارنا ، والنظرى علم بما لايكون وجوده بقدرتنا واختيارنا . ويستخدم اللفظين فى تقسيم الصناعات فتكون عملية يتوقف حصولها على ممارسة العمل ، أو نظرية ، أى لا يتوقف حصولها عليه ، و على هذا يكون علم الفقه و النحو و المنطق، و الحكمة العملية خارجة عن العملى إذ لا حاجة لحصولها إلى مزاولة الأعمال ، ولكن علوم الخياطة و الحياكة والحجامة تعد علوما عملية لتوقفها على ممارسة العمل و المزاولة .
- التقسيم الثانى : تقسيم العلوم إلى آلية أو غير آلية ، فهى إما أن تكون فى أنفسها آلة لتحصيل شيء آخر بل مقصودة بذواتها (أىْ غاية) ، و إما أن تكون آلة غير مقصودة فى أنفسها . والأولى تسمى غير آلية ، و الثانية آلية .
- التقسم الثالث : تقسيم العلوم إلى عربية و غير عربية .
- التقسيم الرابع : تقسيم العلوم إلى شرعية وغير شرعية .
- التقسيم الخامس : تقسيم العلوم إلى حقيقية وغير حقيقية .
- التقسيم السادس : تقسيم العلوم إلى عقلية و نقلية ، فالعقلية ما لا يحتاج فيها إلى النقل ، و النقلية خلاف ذلك .
- التقسيم السابع : تقسيم العلوم إلى العلوم الجزئية و غير الجزئية ، فالعلوم التى موضوعاتها أخص من موضوع علم آخر تسمى علوما جزئية ، كعلم الطب فإن

موضوعه – وهو الإنسان – أخص من موضوع العلم الطبيعي ، و التي موضوعاتها أعم تسمى بالعلم الأقدم ، لأن الأعم أقدم للعقل من الأخص ، فإن إدراك الأعم قبل إدراك الأخص . وهذا التقسيم لم يرد عند غيره من المصنفين السابقين عليه ، و هنا يظهر مناداته بالعلم الكلى الذى تتفرع منه العلوم الجزئية ، و كذلك يظهر التدرج بالعلم من الأعم إلى الأخص .

و يتناول التهانوى أيضا فى مقدمة كتابه ما أسماه القدماء بالرءوس الثمانية التى تحدد مكانة العلم و مرتبته بين غيره من العلوم ، وهذه الرءوس بمثابة الأسس التى يقوم عليها تحديد الأهمية التى تتطلب من القائم عليه دراسته و الكتابة فيه ، كما أنها توضح الأسس التى يقوم عليها تناول الكتب و العلوم المدونة بالشرح ، و هى :

١- الغرض من تدوين العلم أو تحصيله ؛ أى الفائدة المترتبة عليه لئلا يكون تحصيله عبثا فى نظره .

٢- المنفعة ، وهى ما يتشوقه الكل طبعا ، و هى الفائدة المعتد بها ليتحمل المشقة فى تحصيله .

٣- السمة : و هى عنوان الكتاب ليكون عند الناظر إجمال مايفصله العرض .

٤- المؤلف : و هو مصنف الكتاب ليركن قلب المتعلم إليه فى قبول كلامه .

٥- أنه من أى علم هو ، أى من اليقينيات أو الظنيات ، من النظريات أو العمليات ، من الشرعيات أو من غيرها ، ليطلب المتعلم ما يليق به من المسائل المطلوبة له .

٦- بيان مرتبته هو : أى بيان مرتبته فيما بين العلوم ، إما باعتبار عموم موضوعه أو خصوصه .

٧- القسمة : وهى بيان أجزاء العلوم و أبوابها ليطلب المتعلم فى كل باب فيها ما يتعلق به ، و لا

يضيع وقته فى تحصيل مطالب لا تتعلق به .

٨- الأنحاء التعليمية ، وهى أنحاء مستحسنة فى طريق التعليم ، و تنقسم إلى قسمين ، أحدهما : التقسيم ، و هو التكثير من فوق إلى أسفل ، أى من أعم إلى ما هو أخص ، كتقسيم الجنس إلى الأنواع ، و النوع إلى الأصناف ، و

الصنف إلى أشخاص . و الثاني : التحليل ، و هو عكسه ، أي التكثير من أسفل إلى فوق ؛ أي من أخص إلى ما هو أعم ، كتحليل زيد إلى الإنسان و الحيوان ، و تحليل الإنسان إلى الحيوان و الجسم .

و من تحليل الرءوس الثمانية تتضح لنا النظرة المتقدمة لدى المسلمين لتحديد قيمة العلم و قيمة الكتاب في علم ما ، و هي أسس يعتد بها في عصرنا الحالي ، و تستخدم أسسا لتقييم قيمة الكتاب ، و ما يحمله بين دفتيه من قيمة علمية ، و هذا ما يتضح في الرأسين الثالث و الرابع ، حيث يذكر أن التسمية '' عنوان الكتاب '' يعد دلالة مباشرة على الحدود الموضوعية للمادة العلمية التي يحتويها الكتاب ، ويذكر في الرأس الرابع '' المؤلف '' وهو مصنف الكتاب ، فثقة المتعلم في مؤلف الكتاب تجعله يقبل كل ما يعرضه المؤلف من علم بين دفتي الكتاب ، وفي الرأس الخامس و هو تحديد نوع العلم و أي نوع من العلوم ينتمي إليه يجعل المتعلم يقبله أو لا يقبله حسب ما يطلبه من العلم ، و في الرأس الثامن نجده يتعرض للمنهج المتبع في التصنيف و هو التكثير من فوق إلى أسفل ، و الثاني التحليل الذي يتبع طريقة التكثير من أسفل إلى أعلى ، و هذا هو دقة التعريف الذي ذكره طاشكبرى زادة لعلم تقاسيم العلوم في كتابة '' مفتاح السعادة '' و هما الطريقتان اللتان اتبعهما طاشكبرى زادة في تصنيف العلوم في كتابه .

تقسيم التهانوي للعلوم

يستعرض التهانوي خطته التصنيفية بعد ذكر الرءوس الثمانية في تقسيم العلوم، فيقسم العلوم إلى ثلاث مجموعات رئيسية هي: العلوم العربية ، و العلوم الشرعية ، والعلوم الحقيقية . و يقسم كل مجموعة إلى عدد من العلوم الجزئية المفرعة منها ، و هي كالآتي :

العلوم العربية

علم اللغة

علم الصرف

علم الاشتقاق

علم النحو

علم المعانى
علم البيان
علم البديع
علم القافية
علم الخط
علم الشعر
علم إنشاء النثر
علم المحاضرات
علم التواريخ

العلوم الشرعية

علم الكلام (أصول الدين)
علم التفسير
علم القراءة
علم الإسناد
علم الحديث
علم أصول الفقه
علم الفقه
علم الفرائض
علم السلوك (علم الأخلاق)

العلوم الحقيقية

المنطق
المقدمات
التعريفات
بارى أرمينياس " القضايا "
القياس
الخطابة

البرهان

الجدل

المغالطة

الشعر

علم الحكمة

الحكمة العملية

الحكمة النظرية

الحكمة الطبيعية

الحكمة العملية

تهذيب الأخلاق ، أو علم الأخلاق

تدبير المنزل

السياسة المدنية

الحكمة النظرية

العلم الإلهى

الأمور العامة

إثبات الواجب و ما يليق به

إثبات الجواهر الروحانية

بيان ارتباط الأمور الأرضية بالقوى السماوية

بيان نظام الممكنات

كيفية الوحى و صيرورة المعقول محسوسا

علم المعاد الروحانى

العلم الرياضى

علم العدد أو علم الحساب

علم العدد النظرى

علم العدد العملى

علم الهندسة

علم عقود الأبينة

علم المناظر

علم المرايا المحرقة

علم مراكز الأثقال

علم المساحة

علم استنباط المياه

علم جر الأثقال

علم البنكامات

علم الآلات الحربية

علم الآلات الروحانية

علم الهيئة

علم الزيجات و التقاويم

علم المواقيت

علم كيفية الأرصاد

علم تسطيح الكرة

علم الآلات الظلية

علم الموسيقى

العلم الطبيعى

علم الطب

علم البيطرة و البيزرة

علم الفراسة

علم تعبير الرؤيا

علم أحكام النجوم

علم السحر

علم الطلسمات

علم السيميا

علم الكيميات

علم الفلاحة

علم السماء و العالم

علم النجوم

منطق تصنيف العلوم عند التهانوى :

يفرق التهانوى بين ثلاثة أنواع من العلوم : العلوم العربية ، و العلوم الشرعية، العلوم الحقيقية . و هو بذلك يفصل و يميز العلوم العربية من العلوم الدينية، بخلاف العديد من التصانيف العربية السابقة التى أدمجت العلوم العربية مع العلوم الدينية تحت تسمية واحدة هى العلوم الشرعية .

و قد بدأ تصنيفه بمجموعة العلوم القومية ، و هى العلوم التى تمثل فكر الأمة الإسلامية و ثقافتها والتى تمثلت فى العلوم العربية و العلوم الشرعية ، و أتبعها بما أسماه العلوم الحقيقية ، و هى العلوم العقلية التى تشترك فيها كل الأمم و لا تبدل بتبديل الأزمنة و القوميات .

و يبدأ فى ترتيبه بالعلوم العربية باعتبارها الآلات و الوسائل للعلوم الشرعية و ما بعدها من علوم ، و من ثم فقد طبق مبدأ الوسيلة مقدمة على المقصد ، ثم أتبعها بالعلوم الشرعية التى هى مقدمة على العلوم العقلية لشرفها ، ثم يتناول كل مجموعة من هذه العلوم بالتقسيم إلى مجموعة من العلوم الجزئية ، و هو هنا يطبق التقسيم السابع الذى يشير إلى التدرج من العلم العام إلى العلم الجزئى . ويسير فى ترتيبه للعلوم الجزئية المتفرعة من العلم العام بشكل منطقى معتمدا على مبدأ أن العلم السابق وسيلة إلى العلم اللاحق .

و وضع فى ترتيب مجموعة العلوم العربية منهجا يسير عليه فى الترتيب ، فيفرق بين الأصول منها و الفروع ، وفى الأصول يفرق بين العلوم التى تبحث فى المفردات و العلوم التى تبحث فى اللغة . فمجموعة العلوم التى تبحث فى المفردات يسير ترتيبها من العام إلى الخاص فيبدأ بعلم اللغة باعتباره علما عاما يبحث فى مفردات اللغة على الإطلاق ، و من ثم لا يعتمد على غيره ، و إنما تعتمد العلوم اللاحقة عليه . و يثنى بعلم الصرف باعتباره يبحث فى مفردات اللغة من حيث بنيتها

أو صورها ، ومن ثم فهو يعتمد على المفردات اللغوية . و بعده علم الاشتقاق الذى يعد علما خاصا بعد علم الصرف باعتباره يبحث فى المفردات من حيث انتساب بعضها إلى بعض بالكلمة الأصلية و فروعها المشتقة منها ، و بعد ذلك ينتقل إلى المركبات من الكلمات ، فيفرق بين المركبات المطلقة و المركبات الموزونة ، و يبدأ بالمركبات على الإطلاق ، و يبدأ بعلم النحو الذى يبحث فى المركبات من حيث تأديتها للمعنى الأصلى ، ثم يزيد فى التخصص فيعرض لعلوم البلاغة مبتدئا بعلم المعانى الذى يبحث فى المعانى الزائدة على أصل المعنى ، و هو ما يعرف بمطابقة اللفظ العربى لمقتضى الحال ، و يأتى بعده علم البيان الذى يبحث إلى جانب رعاية المطابقة لمقتضى الحال فى شيء آخر و هو إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة فى وضوح الدلالة . و المقصود بالطرق المختلفة أداء اللفظ بطريقة حقيقية ومجازية أو عن طريق الكناية . و يلى علم البيان علم البديع ، و يؤخر المصنفون علم البديع عن علمى المعانى و البيان لاعتماده على العلمين ، حيث يبحث فى وحوه تحسين الكلمة بعد رعاية المطابقة لمقضى الحال (علم المعانى) و وضوح الدلالة (علم البيان) . ثم ينتقل إلى الكلام المركب فيذكر أن له وزنا ، و يبدؤه بعلم العروض ، و يثنيه بعلم القوافى لأن الأول يعالج اللفظ المركب صاحب الوزن ، أى يختص بالأجزاء المتقدمة من الكلام المركب ، أما القوافى فتختص باللفظ المركب من حيث له قافية ، أى يختص بأواخر حروف اللفظ المركب كما جرت عاده العروضيين على معالجة علم العروض سابقا لعلم القافية . ثم تأتى العلوم الفرعية و يبدؤها بعلم الخط فالخط هو محاولة نقل الظاهرة الصوتية السمعية (علم اللغة) إلى ظاهرة كتابية مرئية (علم الكتابة) ، و من ثم يأتى لاحقا لعلم اللغة . ثم يعرض لمجموعة العلوم الأدبية من الشعر و النثر ، و يقدم الشعر على النثر ، لأن تجميع الأشعار العربية سبق اهتمام العرب بالنثر وتجميع الرسائل و الخطب ، وغيرها من القطع النثرية . ثم يعرض لعلم التاريخ الذى يجعله من فروع العلوم العربية ، و يقدمه على العلوم الشرعية باعتباره وسيلة إليها . و يأتى ترتيب العلوم الشرعية فيما بينها على أساس شرف العلم ، فيبدأ بعلم الكلام لأنه أشرف العلوم الشرعية ، لبحثه فى ذات الله وصفاته وتعلقه بإثبات العقائد الدينية ، و من ثم فهو بعده رئيسا للعلوم الشرعية على الإطلاق ، فهو

لايستخدم من علم شرعى اخر و إنما تتوقف عليه بقية العلوم الشرعية ، فهو بالنسبة للعلوم الدينية كنسبة علم المنطق للعلوم الفلسفية ، و من ثم قدمه على سائر العلوم الشرعية . (٩٠) ثم يثنى بعلم التفسير لأنه يليه فى الشرف باعتبار بحثه فى ألفاظ القران الكريم من جهة النطق و الأحكام و المعنى ، و يليه بعلم القراءة الذى يختص بكيفية النطق فقط ، وكان من الأفضل تقديم علم القراءة على علم التفسير لأن إقامة النص تسبق الفهم و التفسير . و قد يرجع تأخير علم القراءة على علم القراءة لأنه بمثابة العلم الخاص من العلم العام ، و من ثم يحقق التقسيم الذى ارتضاه لتصنيفه ، و هو السير من العلم الكلى إلى العلم الجزئى ، ثم يذكر ما يلى علم القرآن فى الشرف وهى علوم الحديث ، و يبدؤها بعلم الإسناد أو علم أصول الحديث ، و هو علم يبحث فيه عن صحة الحديث أو ضعفه ليعمل به أو يترك ، و من ثم فهو يسبق علم الحديث أو مايسمى علم رواية الحديث لأن الأخير يبحث فى أقول الرسول ـ صلى الله عليه و سلم ـ و أفعاله ، و من ثم لابد من تقرير صحة هذه الأقوال أولا فى علم أصول الحديث ، ثم يأتى علم أصول الفقه ، و الفقه بعد علوم القرآن الكريم و الحديث لاعتمادهما على الكتاب و السنة باعتبارهما الدليلين الأصليين فى الفقه ، و هما مصدرا الأحكام فى الفقه ، و قد قدم علم أصول الفقه على الفقه باعتبار بحثه فى القواعد التى يتوصل بها إلى الفقه ، و من ثم فعلم الفقه ينبنى على علم أصول الفقه ، ثم يلى الفقه علم الفرائض الذى يعد بابا من أبواب الفقه ، و من ثم فقد أتى بالعلم الجزئى بعد العلم العام ، و هو علم الفقه . و ينهى العلوم الشرعية بعلم السلوك ، أى علم التصوف ، و قد أخره على كل العلوم الشرعية باعتباره ثمرة العلوم كلها و غايتها ، فإذا ما حصل الإنسان على علم التوحيد و الفقه و الشرائع ، و تعلم علم آفات النفس ، و تمكن من رياضتها ، و تجنب مكائد الشيطان و النفس ، تمكن من الوصول إلى علم المكاشفة ، و هو علم التصوف الذى يطلق عليه التهانوى علم السلوك . ثم تأتى العلوم الحقيقية ، وهى العلوم التى تشترك فيها كل الأمم و لا تتغير بتغير الملل و الأديان ، و يبدؤها بعلم المنطق باعتباره وسيلة إلى العلوم ، فهو من العلوم الآلية ، فهو فى نفسه غير مقصود ، و إنما المقصود منه تحصيل المجهول من العلوم ، حيث إن الغرض من تدوينه العلوم الحكمية ، و لذلك يقال عنه آلة قانونية تعصم مراعاتها

الذهن عن الخطأ فى الفكر ، و من ثم كان تقديمه على سائر العلوم العقلية . و يليه بعلم الحكمة و يقسمها إلى التقسيم المعرفي المعتاد إلى قسمين : علوم نظرية و علوم عملية ، ثم يتناول كل منهما بالتقسيم التقليدى ، فيقسم علوم الحكمة العملية إلى ثلاثة ، مبتدئا بالعلم الذى يخص مصالح شخص بانفراده ، ثم ما يخص الأسرة ، و هو علم تدبير المنزل ، ثم ما يخص الجماعة ، و هو علم السياسة . و يقسم الحكمة النظرية إلى أقسامها الثلاثة مبتدئا بالعلم الإلهى من حيث بحثه فيما لا يفتقر إلى المادة فى الوجودين الخارجى و الذهنى ، و من ثم فهو يأتى فى بداية العلوم النظرية لشرفه على العلم الرياضى و الطبيعى ، ثم يثنى بالعلم الرياضى لبحثه فى أصول ما يفتقد فى الوجود الخارجى إلى المادة ، ثم العلم الطبيعى لبحثه فى المادة فى الوجود الذهنى و الخارجى ، و من ثم أطلق عليه العلم الأدنى . و يرى التهانوى عدم أفضلية كل من العلم الرياضى أو الطبيعى على الآخر ، حيث أن كل واحد أفضل من الآخر من وجه، فالطبيعى أفضل من الرياضى من جهة أن موضوعه جسم طبيعى ، و هو جوهر بينما الرياضى كم ، و هو عرض و الجوهر أشرف من العرض ، كما أن العلم الطبيعى يشتمل على علم النفس وهو أم الحكمة ، و من ثم فهو يفضل الرياضى، بينما الرياضى يفضله من جهة أن الأحوال الخيالية غير متناهية القسمة ، فهى لا تقف عند حد ، و من ثم فهى أفضل ، كما أن الأمور الرياضية ألطف و ألذ و أتم من الأمور الجسمانية ، و من هنا لا يمكن تقديم أحدهما على الآخر من جهة الشرف . ثم يتناول كل قسم منها بالتفريع إلى مجموعة من العلوم الفرعية ، فيفرع العلم الطبيعى إلى عشرة علوم يبدؤها بعلم الطب لشرف موضوعه على سائر العلوم الطبيعية ، لبحثه فى بدن الإنسان ، ثم يلحقه بعلم البيطرة لأن الحال فيه بالنسبة للحيوانات ، كالحال فى الطب بالنسبة للإنسان . ثم يعرض للعلوم التى تخص الإنسان من علم الفراسة ثم علم تعبير الرؤيا . ثم يعرض لعلوم السحر من علم أحكام النجوم و السحر و الطلمسات و السيميا . و يقسم العلم الرياضى إلى أصوله الأربعة على أساس أن موضوعه الكم ، و الكم يقسم بدوره إلى قسمين: كم متصل و آخر منفصل ، فالكم المنفصل هو ما يكون مقدارا غير متعلق بشكل مادى ، و يقسم بدوره إلى قسمين : علم الحساب الذى يستخدم العدد على الإطلاق ، و إذا ما تألف من العدد نسبة سمى

علم الموسيقى ، أما الكم المتصل بشكل قد يكون ساكن مثل الخطوط و المجسمات فهو علم الهندسة ، و إذا كان الكم المتصل متحرك وهو ما يتعلق بحركة الكواكب والأفلاك سمى علم الهيئة . أما عند الترتيب فيأتى علم الحساب أو العـــدد فـــى بدايـــة العلـــم الرياضى لشرف موضوعه و هو العدد المطلق الذى يعد من الأقسام الأولية للموجـــود الأول لإطلاق لفظ الواحد عليه و هو من العدد ، و من ثم عده البعـــض مـــن العلـــم الإلهى ، و يلى علم الحساب علم الهندسة فى الشرف لأن شرفه بشرف أدلته التى هى البراهين اليقينية التى تكسب الذهن حدة و نفاذا و ترو فى الفكر . و لما كان شـــرف الموضوع يسبق شرف الأدلة قدم التهانوى علم الحساب على علم الهندسة ، ثم يلـــى علم الهندسة علم الهيئة، وهو مقدم على علم الموسيقى لشـــرف موضوعـــه ، و هـــو الجسم الطبيعى الذى يشرف العدد الذى هو موضوع علم الموســـيقى ، لأن الجســـم الطبيعى جوهر و العدد عرض ، و الجوهر أشرف من العرض ، و من هنا كان تقديم علم الهيئة على علم الموسيقى ، كما أن شرفه لأنه من العلوم التى تعد فرض كفايـــة لخدمة العلوم الشرعية ، و ذلك فى تحديد اتجاهات القبلة و أوقات الصـــلاة و تحديـــد بداية الشهور العربية و غيرها . ثم تناول كل علم من العلوم الأصلية بتفريعه إلى عدد من العلوم الجزئية .

قواعد التصنيف و مفاهيمه فى تقسيم العلوم عند التهانوى

التزم التهانوى بإبراز عدد من العلاقات التصنيفية التى ظهرت فـــى عـــرض العلوم فى خطته التصنيفية و هى :

- **علاقة اشتمال وتبعية :** و هذا ما اتضح فى أن العلوم الجزئية تتفرع من العلم العـــام الذى تندرج تحته ، مثل العلوم الجزئية المتفرعة من العلوم العربية ، كذلك التدرج فى تقسيم علم الحكمة إلى حكمة نظرية و أخرى عملية ، ثم التدرج فى تقسيم كـــل منها إلى عدة علوم أصلية ، ثم تقسيم كل علم أصلى إلى عدد من العلوم الفرعية .
- **علاقة تساو :** و هذا ما نجده فى وقوف عدد من العلوم على صف واحـــد توجـــد بينهم بعض الاختلافات ، و لكن هناك أوجه تشابه بينهم ، و هى فى الوقت نفســـه تندرج تحت علم ثالث ، مثل علم الحساب و الهندسة ؛ حيث يبحثان فى موضـــوع واحد ، و هو الكم ، و لكن فى الحساب كم مجرد ، و فى الهندسة كم مشخص فى

سطوح أو خطوط و مثل علم الصرف و علم الاشتقاق ، فالعلمار يبحثان في اللفظ المفرد ، و لكن الصرف من حيث بنيته ، و الاشتقاق من حيث انتساب الألفاظ إلى بعضها بالأصلية و الفرعية ، و يندرجان في الوقت نفسه تحت العلوم العربية .

- **علاقة تجاور**: و هي من أسس التصنيف التي نادى بها '' بليس '' ، و التي أسماها علاقة ترابط ، وتعني جمع المجموعات المتجانسة معا . و قد حاول التهانوي تطبيق هذه العلاقة فتجمعت علوم اللغة و الخط و الأدب تحت العلوم العربية ، كما تجاورت العلوم الدينية . و في علوم الحكمة عمل على تجاور الموضوعات المتشابهة عند عرض العلوم الجزئية فتجاوزت العلوم التي تخص الإنسان مثل علم الطب و الفراسة و علم تعبير الرؤيا .

و برز في تصنيف التهانوي ما يعرف في التصنيف الحديث بالفئة المفضلة ؛ أي تقديم الموضوعات التي تهتم بها الأمة ، و التي تعكس فكر الأمة و ثقافتها . (٧٥) و هذا ما وضح عنده في تقديم العلوم العربية و العلوم الشرعية على علوم الحكمة أو العلوم العقلية باعتبار أن هذه العلوم هي فكر الأمة العربية الإسلامية و ثقافتها .

تقييم محاولة التهانوي التصنيفية

يعتمد التهانوي في عرض علومه و التعريف بها على السند الأدبي ، فهو يشير دائما إلى الكتب التي تناولت العلوم التي يعرضها أو التي حددت أقسام العلوم، مثل إشارته المستمرة لكتاب '' إرشاد القاصد '' لابن الأكفاني ، كما أن ترتيبه للعلوم يتبع المنهج التعليمي في ترتيبه للعلوم من حيث البدء بمجموعة العلوم العربية ثم الشرعية ثم العقلية .

مميزات تصنيف التهانوي و عيوبه

من المميزات التي يتمتع بها تصنيف التهانوي :

- تميز التهانوي في عرض علومه بالمنطقية التي سار عليها منذ بدء عرضه للعلوم إلى آخرها ، ولم يحدث الاضطراب إلا قليلا ؛ فقد التزم بمبدأ شرف العلم الذي بدا واضحا في ترتيبه المنطقي للعلوم الشرعية كما التزم بمبدأ العلم السابق

وسيلة للعلم اللاحق ، وهذا ما انعكس على ترتيب العلوم العربية أو العلوم العقلية فى تقديمه علم المنطق على سائر العلوم العقلية الأخرى .

- تميز بالأمانة العلمية فى الإشارة إلى الكتب التى أخذ منها ، و تحديد ما أخذه ، فهو يشير إلى تقسيم ابن سينا فى علوم الحكمة ، أو تقسيم ابن الأكفانى الذى اقتبس منه فى أكثر من موضع ، و هو أمر لم نجده عند غيره من المصنفين مثل طاشكبرى زادة الذى نقل الكثير عن ابن الأكفانى دون الإشارة إليه .
- المحافظة على تجاور الموضوعات المتشابهة مثل تجاور علوم اللغة و الأدب ، و تمييزه و تحديده لعلوم البلاغة التى لم تصنفها تصانيف سابقة عليه .

و من المآخذ التى تؤخذ على تصنيف التهانوى :

- اعتبار بعض العلوم فروعا و هى أصول ، مثل علم الكتابة الذى اعتبره من فروع العلوم العربية ، بينما هو يقف على صف واحد مع علم اللغة ، و كذلك علم التواريخ .
- الاضطراب الواضح فى بعض أجزاء تصنيفه الذى تمثل فى ذكر علم الطب مرتين كفرع للعلم الطبيعى ثم أعاد ذكره مرة أخرى بعد الانتهاء من عرض فروع العلم الرياضى .
- كما ذكر علم النجوم كفرع للعلم الطبيعى ضمن علم أحكام النجوم ثم أعاد ذكره بعد عرض فروع العلم الطبيعى و الرياضى .
- ذكره الأصول بعد الانتهاء من عرض الفروع ، مثل ذكر علم السماء و العالم بعد الانتهاء من فروع العلم الطبيعى و العلم الرياضى .

عدم الالتزام بطريقة واحدة فى عرض العلم ؛ فعند عرضه لكل علم كان يذكر نقاطا معينة مثل : تعريف العلم ، و موضوعه ، و مبادئه ، و مسائله ، و لكنه لم يلتزم بتلك النقاط فى بعض العلوم ، مثل علم البيان ، فيذكر فقط : موضوع العلم و تعاريفه ، دون ذكر مبادئه و مسائله . كما يذكر فى علم البديع الموضوع و التعريف فقط .

أثر الثقافة الإسلامية فى تصنيف التهانوى

يرى بعض الباحثين أن محاولات تصنيف العلوم عند العرب المسلمين ترجع أساسا إلى البيئة العربية ، و الواقع الحضارى الإسلامى ، أكثر من استنادها إلى

مؤثرات يونانية سابقة عليها . (٧٦) ويتضح هذا من قول التهانوى : '' إن هذه العلوم فى العربية لم تؤخذ عن العرب قاطبة ، بل عن العظماء البلغاء منهم ، من الذين لم يخالطوا غيرهم ، كهذيل و كنانة و بعض تميم . أما الذين صاحبوا العجم فى الأطراف فلم تعتبر لغاتهم و أحوالهم فى أحوال هذه العلوم '' . (٧٧)

تأثر التهانوى بالتصانيف السابقة عليه

تأثر التهانوى بالعديد من التصانيف السابقة عليه ، و نقل عنها نقلا مباشرا سواء كان ذلك فى تقسيمات العلوم أو تعريفاتها ، فقد نقل عن طاشكبرى زادة ما ذكره فى الرءوس الثمانية من عمليتى التقسيم و التكثير ، و هما طرفا التصنيف اللتان أشار إليهما طاشكبرى فى تعريفه لعلم تقسيم العلوم . كما نقل عن ابن الأكفانى الكثير من تقاسيم العلوم نقل عنه فقرات ، بعضها يضمنها ابن الاكفانى فلسفته فى تقسيم العلوم ، مثل ما نقله عن تقسيم فروع العلم الطبيعى . وما نقله عن تقسيم العلوم المتفرعة عن علم الهندسة . كما نقل الكثير من تعريفات العلوم بنفسها مثل : تعريف علم الطب أو تعريف علم أحكام النجوم ، و غيرها من العلوم . كما نقل عن السكاكى تقسيمه للعلوم العربية ، و ما ذكره من تعريفاتها . و قد أشار إلى ذلك فى بداية حديثه عن العلوم العربية . (٧٨) كما نقل عن ابن خلدون ماذكره من العلوم العربية ، من أنها لم تؤخذ عن العرب قاطبة ، بل عن الفصحاء البلغاء منهم . (٧٩) كما نقل عن الشروانى تعريفاته الحكمة العلمية . كما نقل عن ابن سينا تقسيمه لعلوم الحكمة النظرية بأقسامها الأصلية الثلاثة ، و هو يشير صراحة إلى أقسام الحكمة النظرية عند ابن سينا مع أقسام المنطق ، فيقول : '' اعلم أن أقسام الحكمة النظرية أصولا وفروعا ، مع أقسام المنطق على ما يفهم من رسالة تقسيم الحكمة للشيخ الرئيس أربعة وأربعون علما ، و بدون المنطق خمسة وثلاثون علما '' . (٨٠)

بين تصنيف التهانوى وتصنيف أرسطو

نجد من خلال استعراض خطة تقسيم التهانوى للعلوم أنه انطلاقه من مفهوم عربى إسلامى ، حيث يبدأ تصنيفه بالعلوم العربية و الإسلامية ، ولكنه اتبع التقسيم الأرسطى الأولى لعلوم الحكمة إلى : علوم حكمة عملية ، وعلوم حكمة نظرية . ثم تناول كلا منهما بالتقسيم إلى ثلاثة علوم أصلية ، و لكن عرضه للعلوم جاء من مفهوم

إسلامى عربى ، كما أن تقسيمه للعلوم الأصلية للحكمة النظرية قد اختلف عما وجـد عند أرسطو من زيادة فى أعداد الفروع لم توجد عنده .

المنهج المتبع فى تقسيم العلوم عند التهانوى

يسير التهانوى فى عرض علومه متدرجا من العلم العام إلى العلـم الجزئـى مستخدما بذلك المنهج الاستنباطى الذى ينتقل من الكل إلى الجزء ، و قد اتضح هـذا المنهج فى التقسيم السابع للعلوم (العلوم الجزئية و غير الجزئية) ، و هـو التقسيم الذى سار عليه ، حيث يرى أن العلم الجزئى هو أخص من موضع علم آخـر وهـو العلم العام الذى يندرج تحته ، و الذى يسمى بالعلم الأقدم ، أى أن العلم العـام أقـدم للعقل من العلم الخاص ، حيث إن إدراك الأعم يسبق إدراك الأخص .

مستوى المعالجة فى تصنيف التهانوى

ورد تصنيف التهانوى فى مقدمة كتابه '' كشاف اصطلاحات الفنون '' ، حيث قسم العلوم إلى ثلاث مجموعات رئيسية ، ثم فرع من كل منها عددا من العلوم أطلـق عليها الأصول ، و بعضها الفروع . و يعرض الجدول التالى أعداد العلوم المفرعـة على كل صف :

تصنيف التهانوى	الصف الأول	الصف الثانى	الصف الثالث	الصف الرابع	الصف الخامس	إجمالى
من كتاب	العلوم العربيـة	٩	٥			
"كشاف	العلوم الشرعية	٨				
اصطلاحات	العلوم الحقيقية	المنطق	٩			
الفنون"		الحكمة العملية	٣			
		الحكمة النظرية	العلم الإلهى	٥	٣	
			العلم الرياضى	علم العدد	٢	
				علم الهندسة	١٠	
				علم الهيئة	٥	
				علم الموسيقى		
			العلم الطبيعى	١٢		
الإجمالى	٣=٣	٢٠	٢٠	٢١	١٩	٨٠=

جدول (١٥) يوضح توزيع تفريعات العلوم على الصفوف

من استقراء الجدوال السابق يتضح أن عدد العلوم المفرعة تصل إلى ثمـــانين علما موزعة على الصفوف المختلفة ، فيصل عددها على الصف الثانى إلى عشــرين علما ، و على الصف الثالث إلى عشرين علما ، و على الصف الرابع إلـــى واحــد وعشـــرين علما ، و على الصف الخامس إلى تسعة عشر علما . و يطلق على هذه العلوم أحيانا الأصول ، و مرة الفروع ، و أحيانا يعطى لها أى تســمية ، أو يطلــق عليها أنواعا ، كما فى العلوم الشرعية ، و فى العلوم العربية يذكر أن منـــها أصـــولا ومنها فروعا ، فيطلق الأصول على علوم الصرف و علم المعانى و علم البيان و علم القافية ، و من الفروع علم الخط و علم التواريخ ، وغيرها . و فى العلم الإلهى يعــدد له خمسة أصول تقف على الصف الرابع ، و فرعين يقفان على الصف الخامس ، ثــم العلم الرياضى الذى يذكر من أصوله أربعة ، و هى : علم العدد والهندســـة والهيئــة والموسيقى ، ثم يفرع من كل منها عددا من الفروع تقف على الصف الخامس

ويلاحظ امتداد تفريعات العلوم الحقيقية إلى الصف الخامس ، بينما تقف تفريعات العلوم العربية الشرعية إلى الصف الثانى ، و يرجع ذلك إلى عدم اهتمامه بتوضيح أصول العلوم الشرعية و العربية وفروعها ، بالإضافة إلى النمو السريع للعلوم الحقيقية ، و هذا ما نجده فى تصانيف العصر الحديث ؛ حيث يلاحظ التفريع الدائم نتيجة للنمو المستمر للعلوم البحتة و التطبيقية ، التى يقابلها عند التهانوى العلوم الحقيقية .

الاتساق و التماسك

يلاحظ الاضطراب فى تصنيف التهانوى مما أدى إلى عدم وجود الاتساق أو التماسك فى خطته ، فنجده يقفز من علم إلى علم آخر ليعرض فروعه ، ثم يعود إلى العلم الأول ليعرض تفريعاته ، كما حدث بالنسبة للعلم الرياضى و العلم الطبيعى ، حيث عرض للعلم الرياضى ثم الطبيعى و أعطى تفريعات العلم الطبيعى ، ثم استعرض تفريعات العلم الرياضى ، ثم عاد و استكمل بعدها بقية فروع العلم الطبيعى. كما نراه يعرض لعلوم الحكمة و يعددها بثلاثة ، و هى : الحكمة العملية و الحكمة النظرية و الحكمة الطبيعية ، ثم يعود فيذكر الحكمة الطبيعية كفرع من فروع الحكمة النظرية ، و هنا نلاحظ عدم الا تساق ، فنراه يذكرها من فروع الحكمة النظرية . و كذلك عرضه للعلم فى مكانين مختلفين ، و هذا نوع من التكرار ، و هو مانجده فى علم السلوك الذى يشير إلى تسميته أيضا بعلم الأخلاق ضمن فروع العلوم الشرعية ، ثم يعود فيذكره مرة أخرى ضمن فروع الحكمة العملية . كذلك يعيد ذكر علمى الطب و النجوم فى فروع العلم الطبيعى ، ثم يعود فيذكرهما مرة أخرى بعد عرض فروع العلم الرياضى ، و بعد عرض فروع العلم الطبيعى يذكر علم السماء و العالم على أنه من أصول العلم الطبيعى ، و هو بذلك يذكر الأصل بعد الفرع ، و هذا لايدل على أى تماسك فى خطته التصنيفية . كما نلاحظ عدم التوازن فى تفريعات العلوم لديه ؛ فبينما تصل فروع العلوم الحقيقية إلى الصف الخامس تقف فروع العلوم العربية و الشرعية إلى الصف الثانى . كما لا نجد توازنا فى أقسام العلوم الحقيقية و

لا فى فروع أقسامها ، فبينما تصل فروع الحكمة النظرية إلى ثلاثة و أربعين علمـــا ، يصل عدد الفروع من الحكمة العملية إلى ثلاثة فروع فقط على الصف الثالث .

هذا و يعد تصنيف التهانوى من التصانيف التى ظهرت فى عصر اضمحــــلال الحضارة الإسلامية ، و الانتقال إلى عصر النهضة الأوروبية لينتقل مشعل الحضـــارة و التقدم من العالم الإسلامى فى الشرق إلى الحضارة الأوربية فـــى الغــرب ، التـــى تأثرت فيما أبدعته من علوم ، و من ضمنها علم التصنيف ، بالعلوم العربيــــة و مـــا أبدعه العقل العربى ، و هذا موضوع دراسة الفصل التاسع من هذا البحث .

هوامش الفصل السابع

١ــ شعبان عبد العزيز خليفة و وليد محمد العوزة . مفتاح السعادة و مصباح السيادة في موضوعات العلوم لطاشكبرى زادة ، دراسة بيوجرافيــة ببيليوجرافيــة ببيليومتريــة وكشافات . ــ مج ١ : الدراسة و التصنيف . ــ القاهرة . ــ دار العربي ، ١٩٩٣م. ــ ص ص ١٩ــ٢٨ .

٢ــ نفس المرجع السابق . ــ ص ص ١٩ــ٢٨ .

٣ــ نفس المرجع السابق . ــ ص ص ٣٣ــ٣٤ .

٤ــ محمد عبد اللطيف هريدى . الأدب التركى الإسلامى . ــ الريـــاض . ــ جامعــة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٤٠٧هــ . ــ ص ص ٧٤ــ٧٩ . (سلسلة أدب الشعوب : ١)

٥ــ طاشكبرى زادة : عصام الدين أبو الخير أحمد بن مصلح الدين مصطفى بن خليل ، الشهير بطاشكبرى زادة . و قد اتخذ شهرته نسبة إلى قرية (طاش كبرى) القريبــة من قسطمونى فى الأناضول بآسيا الصغرى . وكلمة (زادة) هـــى كلمـــة النسـبة التركية ، بمعنى ابن أو من . و قد ولد طاشكبرى زادة فى الرابع عشر مـــن شـــهر ربيع الأول سنة ٩١٠هجرية الموافق ١٤٩٥ميلادية فى عهد يزيد الثانى . و قد بــدأ حياته الدراسية بحفظ القرآن الكريم ، و لما ختم القرآن انتقلت الأسرة كلها إلى مدينـة (بروسة) . كما تولى القضاء ما لا يقل عن العــامين فـــى مدينـــة بروســـة عـــام ٩٥٢هجرية ، ثم عاد إلى التدريس مرة أخرى ، و النسخ بإحدى المدارس الثمـــانى . و فى عام ٩٥٨هجرية عين فى وظيفة القضاء بمدينة القسطنطينية . و استمر عملــه قاضيا إلى أن أصيب بالرمد ، و كف بصره عام ٩٦١هجربة ، فتفرغ ما بقى مـــن حياته لإملاء بعض مؤلفاته إلى أن انتقل إلى جوار ربه عام ٩٦٨هــ ــ ١٥٦١م ، و قد ترك عددا كبيرا من المؤلفات تربو على الثلاثين فى التفسير و أصول الدين و أصول الفقه و علوم اللغة العربية : انظر ــ شعبان عبد العزيز خليفة و وليد محمــد العوزة . مرجع سابق . ــ ص ص ٧٤ــ٧٩ . و قد أورد المرجـــع الســـابق ثبتـــا بمؤلفات طاشكبرى زادة . ــ ص ص ١٣ــ١٤ .

٦ــ شعبان عبد العزيز خليفه . التصنيف العشرى القياسى بالمكتبات المدرسية و العامــة . ــ ص ٩٢ .
٧ــ طاشكبرى زادة . مفتاح السعادة و مصباح السيادة . ــ ج١ ص ٧٣ .
٨ــ شعبان خليفة و وليد العوزة . مرجع سابق . ــ ج١ ص ٣٥ .
٩ــ طاشكبرى زادة . ــ ج١ ص ٣١١ .
١٠ــ نفس المصدر السابق . ــ ج١ ص ٣١٢ .
١١ــ ابن الأكفانى . مصدر سابق . ــ ص ١٦٩ .
١٢ــ انظر كل من : ابن الأكفــــانى . مصـــدر ســـابق . ــ ص ص ١٥٢ــ١٥٣ . و طاشكبرى زادة . مصدر سابق . ــ ج ٢ ص ٥ .
١٣ــ شعبان عبد العزيز خليفة . التصنيف العشرى القياسى للمكتبات . ــ ص ٩٣ .
١٤ــ نفس المرجع السابق . ــ ص ٩٣ .
١٥ــ نفس المرجع السابق . ــ ص ٩٣ .
١٦ــ طاشكبرى زادة . مصدر سابق . ــ ج١ ص ٧٤ .
١٧ــ طاشكبرى زادة . مصدر سابق . ــ ج١ ص ١٣٠ .
١٨ــ نفس المصدر السابق . ــ ج١ ص ٩٣ .
١٩ــ نفس المصدر السابق . ــ ج١ ص ٩٤ .
٢٠ــ نفس المصدر السابق . ــ ج٢ ص ٤٠١ .
٢١ــ نفس المصدر السابق . ــ ج٢ ص ٤٤٢ .
٢٢ــ نفس المصدر السابق . ــ ج٢ ص ٥٧٣ .
٢٣ــ نفس المصدر السابق . ــ ج٢ ص ٢٩٦ .
٢٤ــ نفس المصدر السابق . ــ ج١ ص ٩٣ .
٢٥ــ شعبان خليفة . التصنيف العشرى القياسى للمكتبات . ــ ص ص ٧٧ــ٧٨ .
٢٦ــ طاشكبرى زادة . مصدر سابق . ــ ج١ ص ٩٣ .
٢٧ ــ نفس المصدر السابق . ــ ج١ ص ٣٥٥ .
٢٨ــ نفس المصدر السابق . ــ ج١ ص ٣٧٧ .
٢٩ــ نفس المصدر السابق . ــ ج١ ص ٣٣٢ .

٣٠ــ نفس المصدر السابق . ــ ج٢ ص ٥٩١ .
٣١ــ نفس المصدر السابق . ــ ج٢ ص ٥٩٧ .
٣٢ــ نفس المصدر السابق . ــ ج١ ص ٣٥٩ .
٣٣ــ نفس المصدر السابق . ــ ج١ ص ٣٨١ .
٣٤ــ نفس المصدر السابق . ــ ج١ ص ٢٩٥ .
٣٥ــ نفس المصدر السابق . ــ ج١ ص ١٣١ .
٣٦ــ نفس المصدر السابق . ــ ج١ ص ٣٥٤ .
٣٧ــ نفس المصدر السابق . ــ ج١ ص ٩٨ ، ج٢ ص ٥ .
٣٨ــ نفس المصدر السابق . ــ ج٢ ص ٥٩١ .
٣٩ــ نفس المصدر السابق . ــ ج١ ص ٣٥٥ .
٤٠ــ نفس المصدر السابق . ــ ج٢ ص ٣٧٠ .
٤١ــ حاجى خليفة ، مصدر سابق . ــ ج١ ع١٤،١٨ .
٤٢ــ شعبان خليفة و وليد العوزة . مرجع سابق . ــ ص ٣١ .
٤٣ــ نفس المرجع السابق . ــ ص ص ٣٧ــ٣٩ .
٤٤ــ ابن الأكفانى . مصدر سابق . ــ ص ص ٩٧ــ١٠٥ .
٤٥ــ نفس المصدر السابق . ــ ص ١٠٦ .
٤٦ــ الفارابى . إحصاء العلوم . ــ ص ص ٤٣ــ٤٤ .
٤٧ــ طاشكبرى زادة . مصدر سابق . ــ ج١ ص ٣١٨ .
٤٨ــ شعبان خبيفة و وليد العوزة . الفهرست لابن النديم . ــ ج١ ص ١٥٧ .
٤٩ــ طاشكبرى زادة . مصدر سابق . ــ ج١ ص ٣٢٤ .
٥٠ــ نفس المصدر السابق . ــ ج١ ص ١٣٠ .
٥١ــ نفس المصدر السابق . ــ ج١ ص ٣٣٢ .
٥٢ــ السيوطى . الإتقان فى علوم القرآن . ــ بيروت . ــ عالم الكتب ، د . ت . ــ ج١ ص ١٢٣ .
٥٣ــ السيوطى . إتمام الدراية لقراء النقاية . ــ ص ص ٢٢ــ٥٣ .
٥٤ــ حاجى خليفة . مصدر سابق . ــ ج١ ع ١٨ .

٥٥ـ الغزالى ـ إحياء علوم الدين . ـ القاهرة . ـ المكتبة التجارية الكبرى ، د . ت . ـ ج١ ص ص ٥ـ٥٨ .

٥٦ـ حاجى خليفة . مصدر سابق . ـ ج١ ع ١٧ .

٥٧ـ حسن صديق خان . أبجد العلوم . ـ الهند ، ١٢٩٦هـ .

٥٨ـ عبد الوهاب أبو النور و كامل كامل بكرى . مقدمة كتاب مفتاح السعادة ومصباح السيادة . ـ ج١ ص ٦٦ .

٥٩ـ قام عديد من الباحثين بمعالجة كشف الظنون على اعتباره عملا تصنيفيا ، و منهم الدكتور أحمد عبد الحليم عطية الذى رأى أن العمل ينتمى إلى نوع التصنيفات القيمية التى ترتب العلوم حسب شرف العلم معتمدا على ما يذكره حاجى خليفة فى الفصل الرابع : (فى تقسيم العلوم بتقسيمات معتبرة و بيان أقسامها إجمالا) . و الحقيقة أن حاجى خليفة يستعرض فى هذا الفصل طرق تقسيم العلوم عند عدد من المصنفين ، و منهم العلامة الحفيد ، و ما ذكره الشروانى فى الفوائد الخاقانية ، و طريقة طاشكبرى زادة فى تقسيم العلوم ، و فى الباب الخامس يتحدث عن مراتب العلم و شرفه ، و يقسمه إلى عدد من (الإعلام) ، و فى الإعلام الرابع الذى يعتمد عليه الدكتور أحمد عبد الحليم عطية يلخص تقريبا ما يتبع فى ترتيب العلوم حسب الشرف ، و لكنه لا يقدم أية خطة تصنيفية لتصور تقسيم العلوم ؛ أى يستعرض نموذجا لترتيب المعرفةكما فعل التهانوى فى مقدمة كتابه '' كشاف اصطلاحات الفنون '' ، و مما يؤكد ذلك أن ترتيب المفردات فى متابه جاء ترتيبا ألفبائيا واحدا ؛ أى فى نسق هجائى أدمج فيه العناوين و رءوس الموضوعات لا وفقا لخطة تصنيفية تسير حسب شرف العلم ، بدليل أن أول العلوم التى يذكرها فى كتابه : علم الأبعاد و الأجرام ، و بعده علم الآثار ، و هذا بعيد تماما عما يقدمه من شرف العلم الذى يذكره فى الإعلام الرابع ، حيث يقول : '' الوسيلة مقدمة على المقصد ، و المباحث اللفظية مقدمة على المباحث المعنوية '' : من حاجى خليفة . مصدر سابق . ـ ج١ ع ٢٣ . فهو كما عرضنا لا يبدأ بالمباحث اللفظية و لا يبدأ بالوسائل ؛ لأن علم الأبعاد و الأجرام لا يعد علما آليا ، أو من العلوم الوسائل ، و إنما من المقاصد ، و من هنا لا نستطيع أن نقول إن عما حاجى خليفة عمل تصنيفى ، أو أنه قدم تصورا لترتيب العلوم حسب

الشرف و سار عليه فى ترتيب مادة كتابه كما يذهب إلى ذلك الدكتور أحمد عبد الحليم . و قد حصر محمد حسنى كاظم خفاجى كتاب كشف الظنون عن أسـامى الكتـب و الفنون ضمن القائمة التى أعدها بالأعمال التصنيفية ، و التى نشرها فى مقالته ن كمـا عالج الكتاب على أنه واحد من التصانيف البيبليوجرافية فى مقالة : '' تصنيف العلوم عند العرب '' ، حيث اعتبر الطريقة المعجمية التى اتبعها حاجى خليفة فـى ترتيـب مفردات كتابه نوعا من أنواع التصنيف ارتآها حاجى خليفة تخلصـا مـن الطريقـة التصنيفية التى اتبعها غيره من المصنفين ليسهل على القارىء معرفة مكان العلم فـى سلسلة الهيكل التصنيفى : من مقالة '' تصنيف العلوم عند العرب '' . ــ ص ٥٢ .

٦٠ــ حاجى خليفة . مصدر سابق . ــ ج١ ع ع ٦٣٥ــ٦٧٦ .

٦١ــ الشروانى : هو المولى محمد أمين بن صـدر الديـن الشـروانى . توفـى سـنة ١٠٣٦هجرية . و قد عاش فى خدمة السلطان أحمد العثمانى ، و قد دفعه ولاؤه لـهذا السلطان إلى تأليف كتابه هذا و إهدائه إليه .

٦٢ــ الشروانى . مصدر سابق . ــ ص ١٦ .

٦٣ــ محمد بن عمر الجركسى القارمى البلسى . مصدر سابق . ــ ص ص ٢٤ــ٢٧ .

٦٤ــ الشروانى . مصدر سابق . ــ ص ١٢٥ .

٦٥ــ شعبان خليفة و وليد العوزة . مرجع سابق . ــ ج١ ص ٣١.

٦٦ــ الشروانى . مصدر سابق . ــ ص ١٦٤ .

٦٧ــ نفس المصدر السابق . ــ ص ١٣١ .

٦٨ــ نفس المصدر السابق . ــ ج١ ص ٣٨٩ .

٦٩ــ نفس المصدر السابق . ــ ج١ ص ٤٠٨ .

٧٠ــ الشروانى . مصدر سابق . ــ ص ٨٩ .

٧١ــ حاجى خليفة . مصدر سابق . ــ ج١ ع ٢١ .

٧٢ــ التهانوى . مصدر سابق . ــ ج١ ص ص ٥ــ٦ .

٧٣ــ التهانوى : هو محمد أعلى بن شيخ على بن قاضى محمد حامد بن مولانـا أتقـى العلماء محمد صابر القاروقى السنى الحنفى التهانوى نسبة الى تهانة موطنه فى الهند، أما الفاروقى نسبة الى القاروق عمر ابن الخطاب ، وإليه رضى الله عنه تنسب دويلـة

الفاروقين فى خنديش ، وقد استقلت عن دلهى عقب وفاة فيرور تغلق فى أواخر القرن الثامن الهجري وعمرت إلى أوئل القرن الحادى عشر . ويعد التهانوى من أهل القرن الثانى عشر الهجرى فى عصر قربت فيه إمبراطورية المغول من الأفول . وقد نشـــأ التهانوى فى بيت علم ، فقد تتلمذ على يد والده فى العلوم العربية و الشــرعية ، أمــا العلوم العقلية و الطبيعية فقد طالع مختصراتها الموجودة عنده واقتبس منها ــ علـــى حد قوله – المصطلحات فى أثناء مطالعته لها : انظر المصدر السابق . ــ ج١ .

٧٤ــ نفس المصدر السابق . ــ ج١ ص و .

٧٥ــ عبد الوهاب أبو النور . الإطار العام للخطة و نظرية المسلمين فى تنظيم المعرفة . ــ ص ٩٦ .

٧٦ــ أحمد عبد الحليم عطية . دراسات فى تاريخ العلوم عند العرب . ــ ص ١٤٣ .

٧٧ــ التهانوى . مصدر سابق . ــ ج١ ص ٤٤ .

٧٨ــ نفس المصدر السابق . ــ ج١ ص ١٨ .

٧٩ــ ابن خلدون . مصدر سابق . ــ ص ٣٨٠ .

٨٠ــ التهانوى . مصدر سابق . ــ ج١ ص ٥٦ .